

ISSN 1818-9849



الجمعية العلمية لكليات الآداب



اتحاد الجامعات العربية

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب

مجلة علمية نصف سنوية محكمة

تصدر عن الجمعية العلمية لكليات الآداب في الجامعات الأعضاء
في اتحاد الجامعات العربية

تشرين أول 1439هـ/ محرم 2017م

العدد الثاني

المجلد الرابع عشر

© جميع الحقوق محفوظة للجمعية العلمية لكليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2017

لا يجوز نشر أي جزء من هذه المجلة أو اقتباسه دون الحصول على
موافقة خطية مسبقة من رئيس التحرير

الآراء الواردة في هذه المجلة لا تعبر بالضرورة عن رأي
هيئة التحرير أو سياسة الجمعية العلمية لكليات الآداب

تنفيذ وإخراج: مجدي الشناق

هيئة التحرير

رئيس التحرير:

أ. د. زياد صالح الزعبي، الأمين العام للجمعية العلمية لكليات الآداب، عميد كلية الآداب، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

الأعضاء

أ. د. سوزان بينكني ستيتكفيتش، جامعة جورج تاون، واشنطن.

أ. د. تلمان زايد نشتيكر، جامعة فريدرش شيلر، ينا، ألمانيا.

أ. د. سعاد عبد الوهاب، عميدة كلية الآداب، جامعة الكويت، الكويت.

أ. د. عليان الجالودي، عميد كلية الآداب، جامعة آل البيت، الأردن.

أ. د. محمد القضاة، عميد كلية الآداب، الجامعة الأردنية، الأردن.

أ. د. محمد ربيع، عميد كلية الآداب، جامعة جرش، الأردن.

أ. د. محمد العناني، عميد كلية الآداب، جامعة البترا، الأردن.

سكرتيرتنا المجلة: السيدة ريمة قزق والأنسة نداء بني عيسى.

أمين سر المجلة: د. محمد المزاودة.

التدقيق اللغوي: د. خالد بني دومي.

اللجنة الاستشارية:

أ. د. بربارا ميخالك - بيكولسكا، جامعة ياجيلونسكي، كراكوف، بولندا.

أ. د. محمد خان، جامعة ناشونال ديفنس، باكستان.

أ. د. فيليب لان، جامعة روان، فرنسا.

أ. د. جنلنج وانغ، جامعة نيوساوث ويلز، أستراليا.

أ. د. أولجا جالاتانو، جامعة نانت، فرنسا.

أ. د. ميمونة خليفة الصباح، جامعة الكويت، الكويت.

أ. د. إيمان مصطفى، جامعة قطر، قطر.

أ. د. فهمي الغزوي، جامعة اليرموك، الأردن.

أ. د. وفاء بري، الجامعة اللبنانية، لبنان.

أ. د. محمد أحمد غنيم، جامعة المنصورة، مصر.

أ. د. عبدالله اقديم، جامعة سيدي محمد، المغرب.

أ. د. شكري المبخوت، جامعة منوبة، تونس.

أ. د. عز الدين عمر موسى، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، السعودية.

أ. د. يوسف عبد الله، جامعة صنعاء، اليمن.

أ. د. فؤاد شهاب، جامعة البحرين، البحرين.

- أ.د. عبد العزيز المانع، جامعة الملك سعود، السعودية / كرسي عبد العزيز مانع.
أ.د. عيد دحيات، الجامعة الأردنية، الأردن.
أ.د. موسى جواد الموسوي، جامعة بغداد، العراق.
أ.د. عدنان السيد، رئيس الجامعة اللبنانية. لبنان.
أ.د. عبد السلام المسدي، تونس.
أ.د. صلاح فضل، جامعة عين شمس، مصر.
أ.د. جمال شقرة، جامعة عين شمس، مصر.
أ.د. سعد مصلوح، جامعة الكويت، الكويت.
أ.د. عمر المراكشي، المغرب.
أ.د. نهاد الموسى، الجامعة الأردنية، الأردن.

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب

مجلة علمية نصف سنوية محكمة

تصدر عن جمعية كليات الآداب الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية

شروط النشر:

- تنشر المجلة البحوث باللغات: العربية والإنجليزية والفرنسية، ويمكن نشر بحوث بلغات أخرى بعد موافقة هيئة التحرير.
- تنشر المجلة مراجعات المؤلفات العلمية، والتقارير الخاصة بالمؤتمرات الدولية والندوات العلمية المحكمة.
- يرفق بكل بحث ملخص باللغة العربية وآخر بالإنجليزية على ألا يزيد على 150 كلمة، وتكتب بعد الملخص الكلمات الدالة .
- يجب أن تتوافر في البحوث العلمية المرسله للمجلة الأصالة والمنهجية العلمية والإحاطة والاستقصاء، ويجب أن يكتب البحث بلغة عربية سليمة خالية من الأخطاء.
- يشترط في البحث ألا يكون قد قدم للنشر أو نشر في أي مكان آخر.
- تخضع البحوث المقدمة للنشر للتحكيم حسب الأصول العلمية.
- تصبح البحوث بعد قبولها للنشر حقاً محفوظاً للمجلة، ولا يجوز النقل منها إلا بالإشارة إلى المجلة.
- لا يجوز للباحث إعادة نشر بحثه إلا بموافقة خطية من هيئة التحرير، وتجب الإشارة إلى المجلة حسب الأصول.
- يجب أن يكون البحث مرقوناً على الحاسوب باستخدام برنامج word، وبمسافة مزدوجة بين السطور، ويرسل بوساطة البريد الإلكتروني إلى عنوان المجلة: artsarabuni@gmail.com
- يكون حجم الخط (14) ونوعه (Arial). وهوامشه الجانبية (2.5) سم.
- ألا يزيد عدد صفحات البحث بما فيها الأشكال والرسوم والجداول والملاحق على ثلاثين صفحة (A4) ، عشرة آلاف كلمة حداً أقصى.
- يذكر الباحث في الصفحة الأولى من البحث اسمه ورتبته الأكاديمية والمؤسسة التي يعمل فيها.
- تحتفظ الهيئة بحقها في عدم نشر أي بحث وتعد قراراتها نهائية.
- لا تُردّ الأبحاث التي لم تقبل للنشر إلى أصحابها.
- يلتزم الباحث بدفع النفقات المالية المترتبة على إجراءات التحكيم في حال سحبه البحث أو رغبته في عدم متابعة إجراءات التقويم.
- يلتزم الباحث بإجراء التعديلات التي يقترحها المحكمون خلال شهر من تاريخ تسلمه القرار.

- يخضع ترتيب الأبحاث في المجلة لمعايير فنية تراها هيئة التحرير.
- الأبحاث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها ولا تعكس بالضرورة آراء هيئة التحرير أو جمعية كليات الآداب في اتحاد الجامعات العربية.

التوثيق:

- * ترقيم الإحالات في متن البحث بطريقة متسلسلة، بين قوسين صغيرين ().
- * وتكون هوامش الإحالة إلى المصادر والمراجع في نهاية البحث على النحو الآتي:
- في حال كان المصدر أو المرجع كتاباً:
اسم المؤلف كاملاً: المصدر أو المرجع، عدد الأجزاء، مكان النشر، الناشر، السنة، الصفحة.
مثال:
ضيف، شوقي: العصر العباسي الأول، مصر، دار المعارف، 1966، ص24.
- في حال الرجوع إلى الدوريات أو المجلات تكون الإحالة إليها على النحو الآتي:
اسم المؤلف كاملاً: عنوان البحث، اسم الدورية أو المجلة، المجلد، العدد، السنة، الصفحة.
مثال:
سعيدان، أحمد سليم: "حول تعريب العلوم"، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، المجلد الأول، العدد الثاني، تموز 1978، ص101.
- * وتثبت في آخر البحث قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمدها الباحث في بحثه وفق التسلسل الألفبائي لاسم المؤلف العائلي، بحيث تذكر المراجع العربية أولاً، ثم تليها المراجع الأجنبية.

الاشتراك السنوي:

- أ) للأفراد: خمسة دنانير داخل الأردن، وعشرة دولارات أمريكية خارج الأردن.
- ب) للمؤسسات: عشرة دنانير داخل الأردن، وخمسة عشر دولاراً أمريكياً خارج الأردن.

المراسلات:

ترسل البحوث إلى العنوان الآتي: -

الأستاذ الدكتور أمين عام الجمعية العلمية لكليات الآداب،

رئيس تحرير مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب

عميد كلية الآداب

كلية الآداب - جامعة اليرموك، إربد، الأردن

هاتف: 7211111 2 00962 فرعي 2900 أو 3555

فاكس: 7211137 2 00962

البريد الإلكتروني: artsarabuni@gmail.com / artsarabuni@yu.edu.jo

الموقع الإلكتروني: <http://auja.yu.edu.jo>

محتويات العدد

أولاً: البحوث العلمية باللغة العربية

459	* دلالة صيغة "تفعل" في القرآن الكريم إبراهيم خليل أبو غالية
487	* تأثير الأبحاث الميدانية في النظرية الاجتماعية ناديا إبراهيم حياصات
513	* الانزياح التركيبي في لامية العرب للشنفرى: دراسة أسلوبية أحمد عبد الرحمن الذنيبات ورائد وليد جرادات
543	* صورة الإرهاب في الرواية السعودية "الإرهابي 20، لعبد الله ثابت أُنموذجاً" عائشة يحيى عثمان حكيم
573	* تقاطع السرد مع الشعر في نماذج من شعر محمود درويش افتخار سليم محبي الدين وعبد المهدي الجراح
595	* ولاية بيروت، القسم الشمالي (طرابلس واللانقية)، دراسة تاريخية في تطور الزراعة في مطلع القرن العشرين من خلال رحلة رفيق التميمي أحمد محمد الجوارنة
627	* اتجاهات مجتمع مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في الأردن نحو عمل المرأة رفيق عبد الرحيم خرفان
669	* استخدامات طلبة جامعة اليرموك للمدونات الإلكترونية والإشباع المتحققة منها "دراسة ميدانية" حاتم سليم علاونة وخلف الطاهات ومحمود عبد الغنى
699	* الأوضاع الإدارية في قضاء صفد خلال العهد العثماني (1281-1333هـ/1864-1914م) علاء كامل سعادة وإخلاق خلف العطوي
741	* تحليل التباين المكاني لدليل التنمية البشرية في المحافظات الأردنية للفترة (2004-2015) ابتسام "محمود أمين" مرعي، وأحمد عواد الخوالدة، وعيسى موسى الشاعر
771	* دور العلاقات العامة في التسويق السياحي الخارجي للأردن - دراسة استطلاعية (دراسة حالة مدينة البتراء) يوسف سامي أبو عيد
805	* اللازم والمتعدي في استعمال متعلمي العربية من الناطقين بغيرها - دراسة في تحليل الأخطاء - جميلة عابد أبو مغنم
835	* ملامح الشعرية في رواية "جدائل الصبر" لإيمان الكريمين إبراهيم منصور الياسين
859	* الحجاج في اعتراضات سيبويه على "النحويين"، "دراسة تحليلية" ناصر الدين أبو خضير
887	* بين الوجد والثورة: قراءة في قصيدتين: لعبد الرزاق عبد الواحد وحبيب الزيودي محمد سليمان السعودي

ثانياً: البحوث العلمية باللغة الإنجليزية / الملخصات العربية

919	* صورة الإسلام في وسائل الإعلام الأمريكية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001: دراسة مسحية على طلبة الجامعات الأمريكية بكر حسن الكرايمة ومحمد خليل محروم
941	البنك الدولي وصندوق النقد الدولي كأدوات للهيمنة الغربية: تحليل تاريخي ومعاصر محمد تركي بنى سلامة
956	عيوب ترجمة بكتال لظلال الأصوات ومعناها في القرآن محمد أحمد القرعان

دلالة صيغة "تفعل" في القرآن الكريم

إبراهيم خليل أبو غالية *

تاريخ الاستلام 2016/4/7

تاريخ القبول 2016/7/28

ملخص

يدرس هذا البحث دلالة صيغة تفعل، دراسة صرفية دلالية مبيناً أبرز معاني تفعل عند النحاة، ناقداً لبعض الدلالات التي نسبت لها وليست منها، تم بحث هذه الصيغة بحثاً تطبيقياً من خلال عشرة أفعال في القرآن الكريم، وقد تعمّد الباحث دراسة مثل اختلفت فيها كلمة العلماء، فقام الباحث بإيراد المعاني التي فسرت بها هذه المثل من أقوال النحاة واللغويين والمفسرين، ثم دراستها مستعيناً بالسياق، والمغزى الذي وردت فيه، والمناسبات والقرائن، ثم ترجيح ما يراه أقرب دلالة، وقد اتضح من خلال البحث أن أبرز معاني هذا الفعل، وأكثرها وروداً وتعلقاً بصيغة تفعل هو التكلف، وعند النظر والتأمل في معنى هذه الصيغة يتبين أنها لا تكاد تخرج عن معنى التكلف. وأوضحت هذه الدراسة الدقة في استعمال هذه الصيغة، والدلالات والمناحي النفسية والجمالية التي تضيفها على المعنى. والمثل المختارة في هذا البحث: تبتل، وتزِيل، وتفسح وتربص، وتبرأ، وتخلي، وتكبر، وترقب، وتنفس، وتشقق.

مقدمة البحث:

تناول هذا البحث أهم المعاني التي فسرت بها صيغة تفعل، ثم بحث عشرة أفعال منها من خلال ورودها في القرآن الكريم، وبين أن أكثر هذه المعاني وروداً على هذه الصيغة هو التكلف.

أهمية البحث:

- 1- يخطو هذا البحث خطوة إلى الأمام في سبر صيغة تفعل، وعدم الوقوف عند المعاني التي ذكرها النحاة في كتبهم.
- 2- تبيين هذه الدراسة معاني ودلالات، وأثاراً نفسية تترتب على صيغة تفعل.
- 3- تنفي هذه الدراسة الترادف بين الصيغ الصرفية، إذ الأصل أن كل صيغة تحمل دلالات محددة.

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2017.

* دائرة اللغة العربية، جامعة القدس، القدس، فلسطين.

الدراسات السابقة:

- 1- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عزيمة: جمع فيه مؤلفه المعاني التي ذكرها العلماء في معاني زيادة الأفعال في الجزء الرابع من كتابه، ولم يزد على إيراد الأقوال.
- 2- دور السياق في تحديد دلالات صيغة تفعل في القرآن الكريم، دراسة إحصائية تطبيقية، وهي رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم اللغة العربية وآدابها، تخصص الدراسات اللغوية (فقه لغة)، إعداد الطالبة: إيمان بنت معتوق بن عويشق الحربي، جامعة أم القرى، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، السعودية بتاريخ: 1430هـ - 2009م، ولم تخرج هذه الرسالة عن جمع أقوال النحاة واللغويين والمفسرين، ثم إجراء المقارنات بينها.

منهج البحث:

قمت في هذه المبحث بتتبع معاني صيغة تفعل كما وردت عند النحاة، ثم درست هذه المعاني دراسة نقدية، واستبعدت من هذه المعاني ما رأيته غير دقيق في تحديد المعنى. ثم تناولت عشرة أمثلة مما اشتهد حولها الخلاف، ثم تتبعت معانيها في أمات المعاجم وكتب النحو والتفسير، ثم اجتهدت في تبين معناها معتمداً على الدلالة اللغوية والسياق والمقارنة بين مقاماتها المختلفة.

وقد قسم البحث إلى مبحثين، الأول: معاني تفعل، عند النحاة، وتناولت فيه المعاني التي اشتهرت في تفعل، وأثبت منها ما رأيته صواباً، واستبعدت ما رأيته مجانياً للصواب. والثاني: دلالة تفعل في القرآن الكريم، وتناولت عشرة أمثلة اختلف فيها العلماء ونسبوا معناها إلى الأصل أو معنى أفعال أو استفعل أو غير ذلك، واجتهدت في تبين معناها.

المبحث الأول: معاني صيغة "تَفَعَّل" كما وردت عند النحاة، دراسة نقدية:

- 1- التكلف: "وهو حمل النفس على أمر فيه مشقة"¹، وقد أشار سيبويه إلى هذا المعنى بقوله: "وإذا أراد الرجل أن يدخل نفسه في أمر حتى يضاف إليه ويكون أهله فإنك تقول: تَفَعَّل، وذلك تشجّع، وتبصر، وتحلم، وتجدل، وتمراً، أي صار ذا مروءة، وقال حاتم الطائي:

تَحَلَّم عن الأَدْنين واستيق ودَهَم

ولن تستطيع الحلم حتَّى تحلِّمًا"²

وقد ذكرت عبارة سيبويه في تعريف التكلف كما هي في كتب من جاءوا بعده، كابن قتيبة في أدب الكاتب³، وابن السراج في الأصول⁴. ويفهم منها حمل النفس على ما فيه مشقة؛ لأن الإنسان إذا أراد أن يدخل نفسه في أمر، أو في صفة، أو حالة ليست فيه، فلا بد من أن يحمل نفسه على ذلك، ويدفعها إلى ذلك دفعا حتى تدخل في هذا الأمر، وهذا هو معنى التكلف.

ومنه، أي التكلف: التغزل، وتغزل: تكلف الغزل⁵، والتشيع: أن يرى أنه شبعان وليس كذلك، لأنه من صيغ التكلف، والتشيع الكثير، وهو التزين بأكثر مما عنده، يتكثر بذلك ويتزين بالباطل، وهو مجاز، ومنه الحديث: المتشيع بما لا يملك كلابس ثوبي زور، أي: المتكثر بأكثر مما عنده يتجمل بذلك، كالذي يرى أنه شبعان وليس كذلك، والتشيع: الأكل إثر الأكل، يقال ترووا وتشبعوا⁶، وتمراً: تكلف المروءة⁷، وتجلد: تكلف الجلد⁸، والتصنع: تكلف الصلاح وحسن السم⁹.

2- العمل المتكرر في مهلة، وهو ما يطلق عليه التدرج، وقد أورد سيبويه ما هو قريب من هذا المعنى فقال: وأما يتسمع ويتحفظ فهو يتبصر، وهذه الأشياء نحو يتجرع، ويتفوق، لأنها في مهلة، ومثل ذلك تخيره. وأما التعمج والتعمق فنحو من هذا، والتدخل مثله، لأنه عمل بعد عمل في مهلة¹⁰.

وبعض أفراد التدرج يمكن ردها إلى معنى التكلف، إذا كان فيها معاندة للنفس وإكراه لها على الفعل، ودفعها إليه دفعا، فمثلاً تجرع إذا كان المقصود منه تناول الشراب جرعة تلو جرعة؛ لأن هذا ما يقتضيه الحال أو الطبيعة كان من هذا الباب، أما إذا كان المقصود أن يقسر نفسه على شربه، أو يلزمه غيره بذلك، ويشرب وهو كاره له، وتعافه نفسه، فهو من باب التكلف.

3- التجنب: والمراد به الدلالة على أن الفاعل قد ترك أصل الفعل، وذلك مثل: تأثم، وتحوب، وتحرج، وتهجد، إذا تجنب الإثم والحب والحرج والهجور¹¹. وفي الحقيقة إن التجنب فيه معنى التكلف، إذ لا يمكن ترك هذه الأفعال، وتجافيها دون مشقة في النفس، ولجم لنزواتها، وتغلب على شهواتها؛ لأن النفس بطبيعتها تميل إلى هذه الأفعال.

4- الاتخاذ: وهو "اتخاذك الشيء أصله"¹²، أي ما يشتق منه الفعل نحو توسد التراب، أي اتخذته وسادة، وتبنى الصبي، اتخذته ابناً، وكل منهما مشتق من الوسادة ومن الابن.

ويلحظ أن أكثر صور هذه الصيغة مشتق من الجوامد، "فالوسادة هي الأصل الذي اشتق منه توسد، والابن هو الأصل المشتق منه تبنى"¹³.

وكتب النحو والصرف تحتوي على صور محدودة تتكرر في غالب هذه الكتب، وعند النظر في المعاجم وكتب اللغة يظهر أمانا عدد هائل لهذا الاستعمال، ومنه: تَبَوَّأْتُ بَوَاباً، أي: اتخذت بواباً¹⁴، وتخبَّيت إذا اتخذت خبَاءً¹⁵ وتخدمت: اتخذت خادماً¹⁶، وتأخيت: اتخذت أختاً¹⁷، وتأميت: اتخذت أمة، قال رؤية: يرضى بالتعبير والتأمي¹⁸. وتحلت: اتخذت حلياً¹⁹، وتمول الرجل: اتخذ مالاً²⁰، ومنها تأبل وتغنم، قال أبو زيد: سمعت رداً رجلاً من بني كلاب يقول:

تأبَل فلان إبلاً، وتغنم غنماً، إذا اتخذ إبلاً وغنماً واقتنهما²¹. وقد تخولَ خالاً، وتعممَ عمّاً، إذ اتخذ عمّاً وخالاً²². وتجنّد: اتخذ جنداً²³، وتحفّر السيل، اتخذ حفراً في السيل²⁴.

وتَلحَف: اتخذ لنفسه لحافاً²⁵، وتحصّن العدو: دخل الحصن واحتمى به، أو اتخذ الحصن سكناً²⁶. وتخلّى خلية اتخذ لنفسه²⁷، وتشكى: اتخذ الشكوه²⁸.

5- ومما أورده النحاة في كتبهم في معنى تفعل الطلب. ولي عليه الملحوظات الآتية:

أ. لم أعثر على معنى الطلب في صيغة تفعل عند المتقدمين كسيبويه وابن قتيبة، وابن السراج والمبرد، ولا حتى عند ابن مالك، ووجدته عند بعض المتأخرين كأبي حيان في ارتشاف الضرب²⁹، وقامت بتكريره أغلب المراجع الصرفية الحديثة.

ب. الذي يظهر أن هذا المعنى ليس وارداً على هذه الصيغة، والذين قالوا به رأوا أنه من لوازم بعض الأفعال الدالة بأصل معناها على الطلب.

ج. بعض الأمثلة لا علاقة لها ألبتة بالطلب لكن حملت عليه حملاً، مثل: تكبر، قالوا إنها بمعنى استكبر، ويظهر فيها معنى التكلف واضحاً في الاستعمال القرآني: "الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق"³⁰، أي الذين يتكلفون إبراز الكبر والعظمة، وهو ما ليس فيهم.

وهذه أفعال على سبيل التمثيل لا الحصر مما استشهد بها على معنى الطلب وهي ليست من الطلب في شيء، والأفعال في هذا الباب كثيرة؛ فالتنسم: طلب النسيم واستنشاقه³¹، ولا يخفى أن التنسم هو التكلف في اجتذاب النسيم وإدخاله إلى الجوف؛ لما يحس الإنسان بسبب ذلك من الاسترواح وانسراح النفس، لكنهم لحظوا النتيجة التي تترتب على التنسم، وهي طلب النسيم وإدخاله إلى الجوف، وقالوا هذا هو الغرض، وهذا غير صحيح؛ لأن المعنى لا يفسر بما يؤول إليه في النهاية، بل يفسر بالمعنى الذي يصاحب الفعل، وبهذه الطريقة فسروا كثيراً من الأمثلة بمعنى الطلب. قالوا: توسم: طلب الكلاً الوسمي³²، وتفهم: طلب الفهم³³، وتحري: طلب ما هو أخرى³⁴، وتكسب: طلب الكسب³⁵، وتلمس الشيء: طلبه، وتقرب إلى الله بشيء: طلب القربى عند الله³⁶.

وكثير مما قيل في معنى تفعل، يمكن رجوعها إلى معنى التكلف في الفعل، فقد قيل إن تفعل تأتي بمعنى الصيرورة، وذكر في ذلك من الأمثلة نحو: تأيمت المرأة: صارت أيماً، وتكبّد اللبن: إذا صار كالكبد، وتجنّب: إذا صار كالجبين، وتحجّر الطين: إذا صار كالحجر، وتسكّر الشراب إذا صار كالسكر³⁷.

والتكلف في حركة هذه الأفعال واضح؛ لأن فيها انتقالاً من طور إلى طور، وفيها ما يصاحب هذا الانتقال من شدة وجهد في الانتقال من حال إلى أخرى، فانتقال المرأة من حال الزوجية وما فيها من أنس ووثام وسكن إلى حال الوحدة وما فيها من شدة وعناء ووحشة، وكذلك الانتقال من

طور الحليب إلى اللبن المتماسك كالكبد، ومن طور الحليب إلى الجبن، ومن طور الطين اللين إلى الحجر القاسي، وكذلك انتقال الشراب من حال الميوعة والسيولة إلى حال التبلور والتجمع، كحبات السكر، كل ذلك التحول لا يجري دون شدة وعناء ومعالجة للمادة المتحولة.

وقد قيل أيضاً إنَّ تفعل تأتي لموافقة المجرّد، نحو: تعدى الشيء وعداه، وتبيّن إذا أبان، وتبسّم بمعنى بسم، ولبث وتلبّث، وعجب وتعجّب³⁸.

وبنظرة متأملّة في هذه الأفعال يظهر أن معنى التكلف أبيض وأظهر فيها من غيره. وسيوضح ذلك أكثر من خلال دراسة بعض الصيغ الواردة في القرآن في هذا المبحث إن شاء الله.

والمعاني التي أوردها العلماء لمعنى تفعل اجتهادية ظنية قد تقترب من المعنى أحياناً، وقد تبتعد عنه أحياناً أخرى. وقد يحصل تداخل بين هذه المعاني للفعل الواحد، فمثلاً هناك تداخل بين الطلب والتدرج والتكلف والتظاهر؛ لأن التدرج في القيام بالفعل يكون فيه غالباً دفع للنفس وتكليف لها بما هو مضاد لإرادتها ووجهتها؛ فقولنا تحفّظ فلان، هو بمعنى ألزم نفسه الحفظ بأن بدأ يتدرج في الحفظ شيئاً فشيئاً، وكذلك هو طالب للحفظ.

وكذلك الفعل تشبّع فهو بمعنى طلب هذه الصفة وسعى إليها، وكلف نفسه إياها، وهي ليست فيه، وهو أصبح يتظاهر بها بخلاف حقيقته.

المبحث الثاني: دلالة التكلف في صيغة تفعل.

الفعل تبتّل:

جاء في اللسان: "تبتّل، البتل القطع، بتّله يبتّله ويبتّله بتلاً، وبتّله فانبتل، وتبتّل: أبانه من غيره"³⁹.

وجاء في القاموس المحيط: "بتّله يبتّله ويبتّله بتلاً: قطعه، كبتّله تبتيلاً فانبتل الشيء، وتبتّل: انقطع"⁴⁰.

"والتبتّل: إخلاص النية لله تعالى والانقطاع إليه"⁴¹.

وجاء في معاني القرآن: "ويقال للعابد إذا ترك كل شيء، وأقبل على العبادة: قد تبتّل، أي: قطع كل شيء إلا أمر الله وطاعته"⁴².

وجاء في التحرير والتنوير: "والتبتّل، شدة البتل، وهو مصدر تبتّل القاصر الذي هو مطاوع بتّله فتبتّل، وهو هنا للمطاوعة المجازية يقصد من صيغتها المبالغة في حصول الفعل حتى كأنه فعله غيره به فطاوعه"⁴³.

وقد ورد الفعل تَبَتَّلَ في القرآن في موضع واحد في قوله تعالى: "واذكر اسم ربك وتبتَّل إليه تبتيلاً"⁴⁴.

والذي يراه الباحث أن معنى الانقطاع مفهوم من معنى الأصل، وهو البتل، ولكن بناء الفعل بتل على صيغة تفعل أفاد معنى التكلف في إيقاع هذا الفعل وإنفاذه؛ لأنَّ الانقطاع إليه سبحانه، والخلوص من كل ما يشغل عن وجهه الكريم ليس بالأمر الهين، ولا يقوم به إلا من جاهد نفسه وألزمها ما يشق عليها، وأرغمها ما يعاكس هواها، ويناقض ما ألفتته من الدعة والراحة والركون إلى ملاز الدنيا؛ لذا كان لا بد من حملها على ما تكره، ودفعها في غير إرادتها، وهذا يتطلب من صاحبها ركوب المشاق، وتحمل العنت، وقسر النفس على الانقطاع إليه وحده سبحانه، وهذا هو معنى التكلف.

الفعل تَزَيَّلَ:

جاء في اللسان: "وتَزَيَّلَ القوم تَزَيَّلًا، وتزَيَّلًا: تفرقوا"⁴⁵.

وجاء في تاج العروس: "وتزَيَّلُوا: تَزَيَّلًا، وتزَيَّلًا.... وأنشد المثلث:

أحار إنا لو تساط دماؤنا

تَزَيَّلن حتى ما يمس دم دماً.

وقوله تعالى: لو تَزَيَّلُوا لعذبنا الذين كفروا، يقول: لو تَمَيَّزُوا"⁴⁶.

وجاء في التحرير والتنوير: "والتزَيَّل مطاوع زَيَّلَه إذا أبعدَه عن مكان، وزَيَّلَهُم، أي: أبعدَهُم عن بعض، أي فرقَهُم"⁴⁷.

يتبين مما سبق أن الفعل "تَزَيَّل" يفيد المباينة والمفارقة المكانية، وهذا هو معنى الأصل؛ لأنَّ الأصل مأخوذ من زال يزيل، جاء في تاج العروس: "وزلته أزيله زَيْلاً فلم يَنْزَل: أي مزته فلم يَنْمَز، يقال: زل ضأنك من مَعزك، أي مَزَه وأبِنَ نا مِن نا"⁴⁸.

وقد ورد هذا الفعل في القرآن في موضع واحد وهو قوله تعالى: "ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم... لو تزيَّلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً"⁴⁹.

عند تحول الأصل بالزيادة إلى الفعل تَزَيَّل أفاد معنى جديداً، ويرى صاحب التحرير والتنوير أن هذا المعنى الجديد هو المطاوعة، ومعنى المطاوعة تُفسَّر به صيغة تفعل كثيراً.

ولا أرى أن معنى المطاوعة وارد على هذه الصيغة، ولا أرى له موجباً، وفائدة تترتب عليه.

والأولى الإبقاء على المعنى الأصلي، وهو التكلف، وهو واضح؛ إذ الآية تتحدث عن التباس المؤمنين بالكافرين واختلاطهم بهم فيصعب تمييز طائفة المؤمنين. وهؤلاء المؤمنون كانوا يخفون إيمانهم خوفاً من قريش؛ لذا قال: لم تعلموهم. وتمييز هؤلاء المؤمنين وتحديد ذواتهم لا يحصل إلا بعد عناء وجهد ممن يروم تمييزهم؛ لإخفائهم إيمانهم، وكذلك هم لا يظهرون إيمانهم بل يرغبون في أن يبقوا مندمجين في الناس حتى لا تعرفهم قريش، ويقاومون كل من يريد تمييزهم، ويدفعون عن نفوسهم تهمة الإيثار، ويجهدون ويبالغون في إخفاء حقيقة إيمانهم، لذا كان الفعل "تزيل" أدل على المعنى، لأن هذا التمييز بحاجة إلى بحث وتنقيب، وجهد وتفتيش للوصول إلى المؤمنين، وكذلك فإن المؤمنين أيضاً يعمون على غيرهم، ويتدثرون بثوب الاستخفاء ويتكلفونه خوفاً على أنفسهم من بطش قريش.

الفعل تَفَسَّحَ:

ورد في اللسان: "وفسح له في المجلس يفسح فسحاً وفسوحاً وتفسح: وسع له"⁵⁰.

وجاء في المفردات: "التفسح: التوسع، ويقال: فسحت مجلسه فتفسح فيه"⁵¹.

وقد ورد هذا الفعل في القرآن في موضع واحد في قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم"⁵².

روى الطبري في مناسبة نزول هذه الآية عن قتادة قال: "كانوا يتنافسون في مجلس النبي، فقليل لهم: إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا... قال ابن زيد هذا مجلس رسول، كان الرجل يأتي فيقول: افسحوا لي رحمكم الله، فيضن كل أحد منهم بقربه من رسول الله، فأمرهم بذلك"⁵³.

وقيل هو المجلس من مجالس القتال، وهي مراكز الغزاة، "قيل كان الرجل يأتي الصف فيقول: تفسحوا، فيأبون لحرصهم على الشهادة"⁵⁴.

وجاء في التحرير والتنوير: "والتفسح: التوسع، وهو تفعل من فسح له... ومادة التفعل هنا للتكلف، أي، يكلف أن يجعل فسحة في المكان وذلك بمضايقة الجلاس"⁵⁵.

ومعنى التكلف في الفعل تفسح ظاهر؛ لأن هذه مجالس النبي عليه السلام، والصحابة كانوا يحرصون على هذه المجالس، وأبعد ما يكونون عن التفريط بها، فإذا جاء وافد وأراد أن يجلس بينهم ضن كل بمجلسه وبقي فيه، ويظل أخوهم واقفاً ينتظر، فكان النبي يأمرهم أن يوسعوا لهذا الأخ، وذلك بمزايلة أماكنهم، فكان في ذلك مبعث ضيق في قلوبهم، وألم في نفوسهم، فكانوا يبرحون هذه المجالس وهم منطوون على هذا الضيق والألم، فجاء الفعل "تفسحوا" ليعبر عن

دخيلة نفوسهم وما يختلج فيها من شعور بالإكراه على هذا الفعل، وأنهم يحملون أنفسهم عليه حملاً ويدفعونها إليه دفعا.

وكذلك إذا كان الأمر بالتفسيح في مقاعد القتال ومصافه، فهم يتسابقون إلى الصفوف الأول فيه، وتتطلع نفوسهم لنيل أعلى درجات الثواب عند الله سبحانه، والتعرض للفوز بالشهادة في سبيله، فكان في أمرهم بالتوسيع لغيرهم فيه إبعاد لهم عن مواطن الثواب والتسبب في الشهادة، فكانوا ينفذون هذا الفعل ونفوسهم كارهة، وقلوبهم صادة لا تريد أن تبرح الأمكنة التي سبقت إليها.

الفعل تَرَبَّصُ:

جاء في معجم العين: "التربص: الانتظار بالشيء يوماً"⁵⁶.

وجاء في معجم مقاييس اللغة: "ربص: الرأء والباء والصاد أصل واحد يدل على الانتظار"⁵⁷. وجاء في اللسان: "التربص: الانتظار، ربص بالشيء ربصاً، وتربص به: انتظر به خيراً أو شراً، وتربص به الشيء كذلك. الليث: التربص بالشيء: أن تنتظر به يوماً ما، والفعل تربصت به"⁵⁸.

وجاء في التحرير والتنوير "التربص: التوقف عن عمل يراد عمله، والتريث انتظاراً لما قد يعني عن العمل أو انتظاراً لفرصة تمكن من إيقاعه على أتقن كيفية"⁵⁹.

يظهر مما سبق أن أغلب اللغويين والمفسرين لا يفرقون بين الأصل والزيادة في الفعل "تربص"، ويعدون معناهما واحداً، وهو الانتظار، وهذا لا يمكن إذ الزيادة في المبنى تقابلها زيادة في المعنى، والأغلب في تفعل أنها للتكلف، وهو حاصل هنا ومتحقق، فيكون معنى "ربص" هو الانتظار والمكث والتريث، ومعنى تربص: تكلف الانتظار والترقب والتلبث، وحمل النفس عليه لأمر ما.

ورد الفعل "تربص" في القرآن في ستة عشرة موضعاً، وكلها تفيد حمل النفس على الانتظار وإرغامها عليه انتظاراً لما سيحصل. وسأتناول موضعين فقط، ينسحبان على بقية المواضع:-

1) قال تعالى: "والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء"⁶⁰.

قال الزمخشري: "قلت: في ذكر الأنفس تهيج لهن على التربص وزيادة بعث، لأن فيه ما يستنكفن منه فيحملهن على أن يتربصن، وذلك أن أنفس النساء طوامح إلى الرجال، فأمرن أن يقمعن أنفسهن ويغلبنهن على الطموح ويجبرنها على التربص"⁶¹.

إذن يطلب الله سبحانه في هذا النص من المطلقات أن يحملن أنفسهن على التريث ويكلفنها التلبث حتى انتهاء أمد العدة؛ لأنهن بطبيعتهن ميالات إلى التزوج بعد طلاقهن، وعليهن الانتظار عسى أن يوقفن في زواج آخر، جاء في الظلال: "ولكن التعبير القرآني يلقي ظللاً أخرى بجانب ذلك المعنى الذهني، إنه يلقي ظلال الرغبة الدافعة إلى استئناف حياة زوجية جديدة رغبة الأنفس التي يدعوها إلى التريث والإمساك بزمامها مع التحفز والتوفّر الذي يصاحب صورة التريث"⁶².

وهنا ملحظ جدير بالذكر، وهو أن صفة التريث جاءت في القرآن في أمرين، الأول فيما يتعلق بشؤون المرأة ودعوتها إلى التريث سواء في عدة الطلاق أو الوفاة أو الإيلاء، والثاني في العلاقة بين المؤمنين وغيرهم من منافقين ومشركين، فكان يطلب من كل طرف أن يتريث بالطرف الآخر ليرى مصيره، فكان يطلب من المؤمنين أن يكلفوا أنفسهم التريث والانتظار ليروا نهاية أعدائهم، وكذلك يُطلب من غير المؤمنين أن يتريثوا ليشاهدوا بأنفسهم إعزاز الله المؤمنين، وإنزال أعدائهم.

(2) قال تعالى: "الذين يتريثون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم، وإن كان للمشركين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ومنعكم من المؤمنين"⁶³.

هذه الآية تعبر عن حالة نفسية كان يتصف بها المنافقون، وهي أنهم كانوا يكلفون أنفسهم ويلجئونها إلى الانتظار والتريث، وعدم البوح بمكنون صدورهم الحاقدة ريثما تنجلي المعركة بين المؤمنين وعدوهم، فإن كانت الجولة للمؤمنين قالوا نحن معكم، وإن كانت للكافرين قالوا ألم نحكمكم ومنعكم من المؤمنين؟ وجاء التعبير بصيغة تفعل الدالة على الإكراه والإرغام، لأن هذا يعاكس طبيعة النفوس المستعصية، فالأصل في الإنسان السوي أن يتساقط ظاهره مع باطنه ويصرح عن هوى نفسه، وميل عاطفته، وقناعة فكره، ويحدد مع أي الفريقين يقف، أما هؤلاء فقد دفعهم خور قلوبهم، واضطراب نفوسهم، وضعف إيمانهم إلى هذا السلوك المنحرف الذي يلزم النفس بالانحدار إلى بوتقة الاختفاء، وجماد الانزواء إلى حين ظهور نتيجة المعركة، ثم تقرر موقفها بناءً على ذلك.

الفعل تبرأ:

جاء في معجم مقاييس اللغة: "فأما الباء والراء والهمزة فأصلان إليها ترجع فروع الأبواب، أحدهما الخلق... والأصل الآخر التباعد من الشيء ومزايته"⁶⁴.

وجاء في اللسان: "برئ: إذا تخلص، وبرئ إذا تنزه، والبريء المتفصي من القبائح، المتنجي عن الباطل والكذب، البعيد عن التهم، التقى القلب عن الشرك"⁶⁵.

وجاء في البحر المحيط: "تأتي تفعل بمعنى المجرّد كتعدى الشيء وعداه، أي جاوزه، وتَلَبَّثَ ولَبِثَ، وتَبَرَّأَ وبرئ، وتعجَّبَ وعجب"⁶⁶.

وجاء في تفسير التحرير والتنوير: "والتبرُّؤ: تكلف البراءة، وهي التباعد من الأمر الذي من شأن قربه أن يكون مضراً"⁶⁷.

مما سبق يتضح أن البراءة تعني مفارقة الشيء والتخلص منه، والانعتاق مما فيه من التصاق وارتباط وثيق، وأغلب ما يكون ذلك في المعنويات، كالبراءة من الكذب أو الإثم أو الدين، وتأتي قليلاً في الماديات كقوله تعالى: "وأبرئ الأكمه والأبرص"⁶⁸.

وقد جاء هذا الجذر في القرآن في ثلاث صيغ: أبرأ، برأ، تبرأ.

أمّا الصيغتان الأوليان فقد استعملتا في أمور مادية، أو في البراءة من بعض الذنوب، قال تعالى: "وأبرئ الأكمه والأبرص"، وقال: "ولا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا"⁶⁹، وقال: "وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء"⁷⁰.

أمّا الفعل تبرأ فقد استعمل في سياقات أفخم، ومواقف أضخم، إذ ورد في خصم المخاصمة والمجادلة بين الخصوم يوم القيامة، خاصة بين الأتباع والمتبوعين، والضالين والمضلين، وهو موقف رهيب، وسيرد فيه الأتباع النار بسبب غواية المتبوعين لهم في الدنيا.

الموضع الأول: "ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون... وما هم بخارجين من النار"⁷¹.

فهذا مشهد جليل من مشاهد يوم القيامة يبرز فيه الأتباع أمام حقيقة موقفهم، وقد تخلى عنهم المتبوعون، وأسلموهم لمصيرهم وألقوا عليهم تبعه ضلالهم. والفعل "تبرأ" يشير إلى المبالغة والمحاولة والتصميم الذي يصطنعه المتبوعون في التخلي عن أتباعهم وإنكار أن يكونوا سبب ضلالهم، وأنهم هم من سعى للضلال.

وكذلك يغشى الغم والحزن الأتباع فيتمنون لو أنّ لهم كربة أخرى إلى الدنيا ليكافئوا المتبوعين بمثل فعلتهم فيبالغوا في البراءة منهم، ويكلفوا أنفسهم أشدّ التكلف، ويلزموها أعظم إلزام في مزيلة المتبوعين ومفارقتهم في ضلالهم.

الموضع الثاني: "وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه"⁷². فإبراهيم عليه السلام معروف بمواقفه الثابتة من قومه وأبيه، وبراءته من معبودات قومه: "وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون"⁷³. وقال: "وأعتزلكم وما تدعون من دون الله"⁷⁴.

وكذلك عُرف بتحطيمه الأصنام، ومجادلته قومه في شأن هذه المعبودات، وأنها لا تضر ولا تنفع، ودعوته ربه أن يجنبه وبنيه عبادتها: "واجنبني وبني أن نعبد الأصنام"⁷⁵. كل هذا جعل إبراهيم عليه السلام خالصاً في توحيده، مفاصلاً للمشركين، نابذاً لمعبوداتهم في غير مواربة أو مجاملة: "قد بدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده"⁷⁶. ولذا كانت صيغة "تفعل" أنسب في هذا السياق وفي تجلية دعوة إبراهيم، فيكون إبراهيم عليه السلام ألزم نفسه، وقسرها على الخلوص والتفصي، والانبثات من علاقته بأبيه، لأنه تبيّن له شرك أبيه وكفره ومعاداته دعوة التوحيد التي دعا إليها إبراهيم.

الفعل تخلى:

جاء في معجم مقاييس اللغة: "الخاء واللام والحرف المعتل أصل واحد يدل على تفري الشيء من الشيء،، يقال: هو خلو من كذا، إذا كان عروا منه، وخلت الدار وغيرها تخلو"⁷⁷.

وجاء في اللسان: "التخلي: التفرغ، ويقال: تخلى للعبادة وهو تفعل من الخلو، والمراد التبرؤ من الشرك وعقد القلب على الإيمان... وفي حديث معاوية القشيري: قلت يا رسول الله: ما آيات الإسلام؟ قال أن تقول أسلمت لله وتخلّيت"⁷⁸.

ورد الفعل تخلى في القرآن الكريم في موضع واحد من سورة الانشقاق في قوله تعالى: "وألق ما فيها وتخلت"⁷⁹.

قال الإمام القرطبي توضيحاً لمعنى هذا الفعل: "وألق ما فيها وتخلت: أي أخرجت أمواتها، وتخلت عنهم، وقال ابن جبير: ألق ما في بطنها من الموتى، وتخلت مما على ظهرها من الأحياء. وقيل: ألق ما في بطنها من كنوزها ومعادنها، وتخلت منها، أي خلا جوفها فليس في بطنها شيء، وذلك يؤذن بعظم الأمر، كما تلقي الحامل ما في بطنها عند الشدة، وقيل: تخلت مما على ظهرها من جبالها وبحارها، وقيل: ألق ما استودعت وتخلت ما استحفظت؛ لأن الله استحفظها عباده أحياءً وأمواتاً، واستحفظها ببلادها مزارعة وأقواتاً"⁸⁰.

وجاء في البحر المحيط: "وجاء تخلت: أي تكلف أقصى جهدها في الخلو"⁸¹.

وجاء في التحرير والتنوير: "تخلت: أي أخرجت ما في بطنها، فلم يبق منه شيء؛ لأن فعل تخلى يدل على قوة الخلو عن شيء لما في مادة التفعل من الدلالة على تكلف الفعل كما يقال: تكرم فلان إذا بالغ في الكرم"⁸².

يظهر مما سبق أن الفعل "تخلى" يحمل في طياته معنى الشدة والعنف وقهر الذات وإجبارها على إخراج ما في بطنها، كالحامل التي ثقلت بما في بطنها، وضاقت بحمله، فهي تضغط على نفسها وتكرهها لإخراج ما في بطنها؛ لأنه لن يكون بعد شدة التخلي إلا تمام الراحة والخفة.

والأرض سخرها الله سبحانه لتكون حافظة للإنسان ولما يحتاجه على وجه البسيطة، فجعل الله في باطنها كل ما يحتاج الإنسان وما يحفظ عليه حياته، فقد حفظ في باطنها الأقوات والمعادن والمياه، والنظام الذي يحفظ عليها توازنها من حيث ترتيب الطبقات ومقادير المكونات، وصلاحية كل طبقة لوظيفتها، ثم جعل في باطنها البشر بعد موتهم، ثم حفظ فوقها البحار والجبال والمياه والهواء والنبات والحيوان، وكل ذلك له أهمية في حفظ توازن الحياة على سطح الأرض. وعندما تنتهي وظيفة الأرض بوقوع القيامة يُؤَدَّن للأرض بأن تضع هذا العبء عن كاهلها، وأن عملها المضني قد توقف، فتسارع بقوة للتخلص من كل تبعات وظيفتها بإلقاء كل ما في باطنها وعلى ظهرها مما ناءت به طوال فترة تسخيرها. وصيغة تفعل هي التي أضاعت لنا كل هذه المعاني.

الفعل تكبر:

جاء في اللسان: "قال الزجاج: ومعنى يتكبرون: أي أنهم يرون أنهم أفضل الخلق، وأن لهم من الحق ما ليس لغيرهم، وهذه الصفة لا تكون إلا لله خاصة؛ لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي له القدرة والفضل الذي ليس لأحد مثله، وذلك الذي يستحق أن يقال له المتكبر، وليس لأحد أن يتكبر لأن الناس في الحقوق سواء"⁸³.

وجاء في المفردات: "والتكبر يقال على وجهين، أحدهما: أن تكون الأفعال الحسنة كثيرة في الحقيقة وزائدة على محاسن غيره، وعلى هذا وصف الله سبحانه بالتكبر، قال: "العزیز الجبار المتكبر" والثاني: أن يكن متكلفاً لذلك متشعباً، وذلك في وصف عامة الناس نحو قوله: فبئس مثوى المتكبرين"⁸⁴.

وجاء في التحرير والتنوير: "والتكبر: الاتصاف بالكبر، وقد صيغ له الصيغة الدالة على التكلف"⁸⁵.

يظهر مما سبق أن صفة التكبر فيها معنى التكلف والتشعب لإلصاق النفس بما ليس فيها، فالمتكبر يدعي العظمة ويلبسها نفسه ادعاءً وكذباً، وهي في واقع الحال منبثقة عنه. ويؤيد هذا المعنى كون فعل التكبر لا يوجد إلا خارج النفس، ولا يتحقق إلا في واقع ظاهر، وذلك لأن هذا الفعل لا يمكن الاطلاع عليه أو تحقيقه إلا في واقع معين؛ لأن النفس تقسر صاحبها على تكلف الكبر والاتصاف به، وهذا لا يكون إلا إذا فعله المتكبر واقعاً، لذا لا يمكن أن نقول عن شخص إنه متكبر دون أن يظهر ذلك في حركاته وعباراته، أو نظراته وإشاراته، وتحريك أطرافه ورأسه إيماءً إلى العظمة والأنفة والمكانة التي يتبوؤها المتكبر. وقد ورد هذا الفعل في القرآن في موضعين:

الأول: "قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها"⁸⁶. جاء في الآية: تتكبر فيها، أي لا ينبغي أن يكون تكبرك واقعاً في الجنة، ولا نسمح لك بذلك؛ لأنها ليست مكاناً للذنوب والمعاصي، ولكن انزل إلى الأرض، ويمكن أن تظهر خلقك القبيح هناك.

الثاني: قال تعالى: "سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون بغير الحق"⁸⁷، قال: يتكبرون في الأرض، أي إن تكبرهم ظاهر وبارز ومحقق في الأرض، ويراه كل ذي عين؛ لأنهم يفتعلونه أمام الناس ويتكلفونه، بخلاف ما هم عليه، حتى يظنّ الناس بهم العظمة والقوة.

الفرق بين الاستكبار والتكبر.

جاء في اللسان: "والتكبر والاستكبار، التعظيم"⁸⁸. وجاء في البحر المحيط: "الاستكبار والتكبر: وهو مما جاء فيه استفعل بمعنى تفعل"⁸⁹.

وجاء في التحرير والتنوير: "ومن لطائف العربية أن مادة الاتصاف بالكبر لم تجئ معها إلا بصيغة الاستفعل أو التفعل، إشارة إلى أن صاحب صفة الكبر لا يكون إلا متطلباً الكبر، أو متكلفاً له، وما هو بكبير حقاً"⁹⁰.

لا نكاد نجد مما سبق فرقاً عند اللغويين والنحاة بين الاستكبار والتكبر، إلا ما قاله صاحب التحرير والتنوير بأن الاستكبار للطلب، والتكبر للتكلف.

وقد أورد صاحب التحرير والتنوير معنى آخر أوضح وأدقّ لمعنى استكبر فقال: "الاستكبار: شدة الكبر، والسين والتاء فيه للعد، أي عدّ نفسه كبيراً مثل استعظم واستعذب الشارب"⁹¹.

إذن الاستكبار: هو حالة نفسية تقع للمتصف بها، إذ هو يرى في نفسه العظمة والمكانة والمنزلة، ويترتب على ذلك الامتناع عن طاعة الأمر والتعالي على الخلق واستضعافهم، لذا فإن الاستكبار ينتج عنه التكبر. وليس بالضرورة أن يكون المتكبر مستكبراً، لأن المتكبر قد يكلف نفسه العظمة والمنزلة دون أن يعتقد أن ذلك فيه حقيقة. وإذا ألقينا نظرة سريعة على السياقات التي ورد فيها الفعل استكبر، فستجد أنه يتضمّن شعوراً بالعظمة واعتداداً بالنفس، يمنع صاحبه من قبول الحقّ أو إنفاذه، وهذا واضح في قوله تعالى، "أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون"⁹²، وقوله تعالى: "ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته"⁹³، وقوله تعالى: "وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبراً"⁹⁴، وقوله تعالى: "لوأا رؤوسهم ورأيهم يصدون وهم مستكبرون"⁹⁵.

الفعل ترَقَّب:

ورد في معجم العين: "رَقَبْتُ الشَّيْءَ رَقَبَةً وَرَقَبَانًا أَي انتظرت. وقوله تعالى: "ولم ترقب قولِي": أي لم تنتظر، والترقب: تنظر الشيء وتوقعه"⁹⁶.

وجاء في معجم مقاييس اللغة: "الراء والقاف والباء أصل واحد مطرد يدل على انتصاب لمراعاة شيء"⁹⁷.

وجاء في اللسان: "والترقب: تنظر وتوقع شيء"⁹⁸.

وقد جاء الفعل ترَقَّب في القرآن في موضعين: الأول يصور حالة موسى بعد قتل الرجل القبطي، وخوفه بطش فرعون به، قال تعالى: "فأصبح في المدينة خائفاً يترقب"⁹⁹، والثاني يصور حالة موسى عند خروجه من مصر مطارداً من فرعون ورجاله، قال تعالى: "فخرج منها خائفاً يترقب"¹⁰⁰.

جاء في تفسير الطبري: "يترقب: يترقب الأخبار: أي ينتظر ما الذي يتحدث به الناس مما هم صانعون في أمره وأمر قتله"¹⁰¹.

وقال أيضاً: "يترقب: يقول: ينتظر الطلب أن يدركه فيأخذه"¹⁰².

وجاء في تفسير الرازي: "أما قوله: فخرج منها خائفاً يترقب، أي خائفاً على نفسه من آل فرعون ينتظر هل يلحقه طلب فيؤخذ"¹⁰³.

وجاء في المفردات: "وترقب: احترز راقباً"¹⁰⁴.

وجاء في اللال: "ولفظ يترقب يصور هيئة القلق الذي يتلفت ويتوجس، ويتوقع الشر في كل لحظة... والتعبير يجسم هيئة الخوف والقلق بهذا اللفظ"¹⁰⁵.

وفي الواقع إن هذه الكلمة بصيغتها "تفعل"، وبجرسها تصور الهواجس والمخاوف التي تضطرب في نفس موسى عليه السلام، ومن ثم انعكاسها على صورته الظاهرة، وهيئته البادية. فهي تصور نفساً استحوذ عليها الخوف من بطش عدوها، فهي متكلّفة في حذرهما، مفرطة في تلفتها، مبالغة في توجسها، فكل حركة، أو همسة، أو نظرة، أو صيحة تخيل إلى موسى أنه المأخوذ بها، فيدفعه ذلك إلى الهروب، أو الاختفاء، والابتعاد عن مصدر الخوف، ظناً منه أنه هو المراد، وأنه هو المقصود.

والتعبير بالفعل المضارع يلح بصورة الترقب والتخوف على أذهاننا، ويطيل أمدها، ويبين ضخامتها وأثرها البالغ على نفس موسى وهو يطيل الترقب والتخفي.

الفعل تَنَفَّسَ:

جاء في اللسان "والنَّفَسُ: خروج الريح من الأنف والفم. والجمع أنفاس، والتَنَفَّسُ: استمداد النَّفْسِ، وتَنَفَّسَ الصَّباحُ إذا تَبَلَّجَ وامتدَّ حتى يصير نهاراً بيّناً، وتَنَفَّسَ النهارُ وغيره: امتدَّ وطال" ¹⁰⁶.

وورد الفعل تَنَفَّسَ في القرآن في موضع واحد في قوله تعالى: "والصبح إذا تَنَفَّسَ" ¹⁰⁷.

وجاء في بيان معنى هذا الفعل: "والتنفّس: خروج النَّسيم من الجوف، واستعير للصبح، ومعناه امتداده حتى يصير نهاراً واضحاً" ¹⁰⁸.

وجاء في تفسير التحرير والتنوير: "والتنفّس: حقيقته خروج النفس من الحيوان، استعير لظهور الضياء مع بقايا الظلام على تشبيهه خروج الضياء بخروج النفس، على طريقة الاستعارة المصرحة، أو لأنه إذا بدا الصباح أقبل معه نسيم، فجعل ذلك كالتنفّس به على طريقة المكنية بتشبيهه الصبح بذي نفس مع تشبيهه النَّسيم بالأنفاس" ¹⁰⁹.

وجاء في الظلال: "والصبح حيُّ يتنفّس، أنفاسه النور والحياة والحركة التي تدبّ في كلِّ حي" ¹¹⁰.

فبالإضافة إلى ما في هذه الاستعارة من روعة من خلال التصوير والتشخيص حتى يُخَيَّلَ إلينا أنّ الصبح كائن حيّ جعل يستيقظ، وبدأت الحياة تسري في كيانه من جديد، وغدا النشاط يدب فيه فأخذ يتنسم الأنفاس ويخرجها طارحاً عن صدره نوماً ثقيلاً وليلاً طويلاً. فبالإضافة إلى هذا المعنى الرائع، هناك معنى آخر لا يقل عنه روعة، يزيد الصورة وضوحاً، والمعنى جلاءً، وهو صيغة "تفعل" في الفعل "تنفّس"، فهذه الصيغة تصور حالة الخلود إلى الراحة، واللصوق بالفراش، ومدافعة نداء النشاط والهمة والنهوض، فيقوم المستيقظ بإكراه نفسه على النشاط، وإلزامها ترك الفراش، وقسرها على مغالبة ميلها نحو الراحة، وإيثارها النوم والاستمرار فيه.

وهذه الصيغة تصور هذا الصراع بين داعي الراحة والنوم وداعي النشاط والهمة والعمل، فينتصر داعي النشاط على داعي النوم والكسل من خلال الشروع في التنفّس لإزالة غواشي النوم وأثقاله، ثم الانتقال إلى الحركة والعمل وهو من أهم خصائص الكائن الحيّ.

الفعل تشقَّقَ:

جاء في تاج العروس: "وتشققت عصاهم باليين مثل انشقت إذا تفرَّق أمرهم" ¹¹¹.

وورد الفعل تشقق في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع، والناظر في استعمال هذا الفعل في مواضعه هذه يلحظ أن في إيقاع هذا الفعل مدافعة واستكراها وإلزاما، وأن هناك ما دفع إلى حدوثه، وأثر في وقوعه، وهذه المواضع هي:-

1- "ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلاً"¹¹². ففعل التشقق هنا يحدث بسبب من الغمام؛ إذ هو أدى بالسماء إلى التشقق والتصدع، قال الزمخشري: "والمعنى: أن السماء تنفسخ بغمام يخرج منها"¹¹³.

وجاء في تفسير البياضوي: "بالغمام بسبب طلوع الغمام منها"¹¹⁴. وجاء في البحر المحيط: "والباء بَاءُ الْحَالِ، أَي: مُتَعَمِّمَةٌ، أَوْ بَاءُ السَّبَبِ، أَي بسبب طلوع الغمام"¹¹⁵.

2- "يوم تشقق الأرض عنهم سراعاً"¹¹⁶.

تشقق الأرض هنا ناتج عن اندفاع الناس، وخروجهم إلى الحساب بعد أن تسري في أجسادهم الحياة وترد إليهم الأرواح.

3- "وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء"¹¹⁷.

يحصل تشقق الأرض هنا بسبب اندفاع الماء المخزون في باطن الأرض، إذ إنه يضغط على الصخور المحيطة حتى يخرج مشكلاً أنهاراً وينابيع وغدراناً.

والفعل في الآية الأخيرة يختلف عن الفعلين السالفين بطروء الإدغام عليه مثل الفعل: اَزْمَل، اَزَيْن، اذْثُر.

والإدغام زاد الفعل ثقلاً، وهو الأنسب للمعنى هنا، لأن الحديث فيها عن أمور الدنيا المشاهدة المحسوسة التي تعتمد على الأسباب والمسببات، فالأرض في صلابتها، ويئسها، وقسوة جلاميدها لا تشقق إلا إذا أثرت فيها قوة شديدة لا تقل عن قسوة الصخور والحجارة فتجعلها تتصدع وينتشر منها الماء.

أما الآيتان الأوليان فتتحدثان عن أهوال يوم القيامة الذي تتغير فيه المقاييس، وتتبدل القوانين، وكل شيء يحدث فيه بغير القوانين المعتادة، لأن هذه القوانين لن تقدر على هذه الأهوال، فكانت هذه الأحداث العظيمة حاصلة بقوة الله المباشرة.

فالغمام وحده كما هو معلوم لا يمكن أن يشقق السماء، وكذلك الناس في قبورهم لا يستطيعون الخروج بقدرتهم الذاتية، لذا كان هذا الفعلان أخف في صياغتهما من الفعل السابق الذي حصل فيه التشقق بقوة الماء الذاتية.

وكان في الإتيان بالفعلين الأولين خفيفين إشارة إلى سهولة الحدث وسرعته أمام قدرته سبحانه، فهي أحداث تحدث ببسر وطواعية بقدرته سبحانه.

الفرق بين تشقق وانشق:

عند تأمل الفعل انشق في كل أمثله لا نجد ذكراً لسبب دَفَع إلى حصول الفعل، وأثر في وقوعه، وهذه المثل هي:

"اقتربت الساعة وانشق القمر"¹¹⁸، "فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان"¹¹⁹، "وانشقت السماء فهي يومئذ واهية"¹²⁰، "وإذا السماء انشقت"¹²¹، فهذه الأفعال تحدث دون مُقَدِّمات، فكأن انشقاقها يحصل تلقائياً.

وفي آية واحدة استعمل الفعل انشق، وله سبب معنوي، وهو دعوى الكفار اتخاذ الله ولداً، فقال تعالى: "وقالوا اتخذ الرحمن ولداً، تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض"¹²²، لأن الفعل انشق هنا أبلغ، إذ إن الفعل انشق يدل على مطاوعة واستجابة منه، وهو يحصل في داخل الشيء، فعندما قال: تنشق الأرض، فهذا يشير إلى انزعاج وتأثير داخلي على الأرض، من هول القول، حتى كادت تتفلق وتنشق لقبح هذا القول، كما الإنسان حين يعتريه الغضب، أو يصيبه هم يكاد منه يصدع قلبه.

أما التشقق فهو أهون، وقد يكون فقط على سطح الأرض لا يزياله كما في الآيات السابقة. ولذا عبّر في شأن السماء بقوله يتفطرن، والتفطّر أعظم من التشقق، إذ هو تشقق وزيادة بانفصال الأجزاء وبتعثرها.

وبالإضافة إلى ذلك، فهناك فرق آخر بين انشق وتتشقق، فإن تكرير التاء والقاف في تتشقق يوحي بتكرير فعل التشقق وبوقوع تصدعات وتشققات متعددة، وهذا واضح من سياق الآيات التي ورد فيها الفعل.

أما الفعل انشقَ فيدل على شقّ واحد يفصل بين جزأي المنشق، والدليل على ذلك أنّ القمر حين انشقاقه كان كالفلقين، كما ثبت في حديث أنس: "فأراهم القمر شقين"¹²³.

وكذلك انشقاق السماء، فكأنه يقسمها إلى جزأين، والله أعلم.

أهم نتائج البحث:

- (1) لصيغة تفعل دلالات متعدّدة أكثرها وروداً دلالة التكلف.
- (2) كثير من المعاني التي أوردها النحاة لمعاني تفعل في القرآن الكريم بحاجة إلى إعادة نظر.

- (3) كثير من الدلالات التي فسرت بها معاني تفعل في القرآن الكريم نائية عن السياق، ولا تناسب الغرض الذي وردت فيه.
- (4) كانت صيغة تفعل الواردة في القرآن تحمل إضافة لمعنى التكلف تصويراً لحالات شعورية، وإشارة لملاحظ نفسية، ودلالات عميقة تتناسب والسياق الذي وردت فيه، والمقصد الشرعي الذي ترمي إليه.

The Significance of the Paradigm (TAFa“ALA) in the Holy Quran

Ibrahem Abu Ghalia, *Arabic Language Department, University of Jerusalem, Jerusalem, Palestine.*

Abstract

This study aims at analyzing the significance of the paradigm (tafa“la) in the Holy Quran on a grammatical conjugational basis. This is achieved through criticizing significances that have been erroneously associated with this paradigm. The study is applied on ten verbs from the Holy Quran conjugated according to this paradigm. The researcher has examined classically controversial examples that specialists are known to have had conflicting views about. Several of these specialists are even known to have advocated that these examples have identical meanings, and others still have ventured to associate unrealistic meanings to them. The researcher has contextually examined these controversial significances in relation to their evident settings. The researcher then gave preponderance to the meanings with closer significances. The study has concluded that one of the most evident meanings of this paradigm is affectation. Moreover, he has concluded that utmost precision in meaning and aesthetic values could be attributed to the use of this paradigm.

Verbs examined are as follows: (tabattala) meaning to live in chastity, (tazayyala) meaning..., (tarabbasa) meaning to ambushade, (tabarra’a) meaning to repudiate, (takhalla) meaning to relinquish, (takabbara) meaning to become supercilious, (taraqqaba) meaning to anticipate, (tanaffasa) meaning to dawn, (tashaqqqa) meaning to chap, (tafassaha) meaning to become ample.

الهوامش

1. أوزان الأفعال ومعانيها، شلاش، هاشم طه، (1971م)، ط1، مطبعة النجف الأشرف، ص94.
2. الكتاب، سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، (1402هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة. ج2، ص71.
3. أدب الكاتب، ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، (1402)، تحقيق: محمد الدالي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص466.
4. الأصول في النحو، ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل، (1420)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، ط4، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج3، ص132.
5. لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين، (1414هـ)، ط3، دار صادر، بيروت، مادة غزل.
6. تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، (د.ت)، دار الهداية، مادة شبع.
7. تاج العروس، مادة مرأ.
8. المرجع السابق، مادة جلد.
9. المرجع السابق، مادة صنع.
10. الكتاب، ج4، ص73.
11. يُنظر: شرح التسهيل، ناظر الجيش، محب الدين محمد بن يوسف بن أحمد، (1428هـ)، تحقيق: علي محمد فاخر وآخرين، ط1، دار السلام، القاهرة، ج8، ص3751، دروس في التصريف، عبد الحميد، محمد محيي الدين، 1411هـ، د.ط، المكتبة العصرية، بيروت.
12. شرح شافية ابن الحاجب، الأسترايازي، رضي الدين محمد بن الحسن، (د.ت)، تحقيق: محمد محيي الدين وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ص109.
13. شرح شافية ابن الحاجب، اليزدي، الخضر، تحقيق: حسن أحمد العثمان، ط1، مؤسسة الريان، (1429هـ)، بيروت، ج1، ص223.
14. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، أبو الحسين أحمد، (1969) تحقيق: عبد السلام هارون، (د.ط)، دار الفكر، بيروت، مادة بوب.
15. المرجع السابق، مادة خيب.
16. لسان العرب مادة خدم.
17. لسان العرب، باب أخو.
18. لسان العرب، مادة أمم.

19. لسان العرب، مادة حلى.
20. معجم مقاييس اللغة، مادة مول.
21. لسان العرب مادة أبل.
22. لسان العرب مادة خول
23. تاج العروس، مادة جند
24. تاج العروس، مادة حفر.
25. تاج العروس، مادة لحف.
26. تاج العروس، مادة حصن.
27. تاج العروس، مادة خلو.
28. تاج العروس، مادة شكو.
29. ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان، محمد بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي، الأندلسي، (1418هـ)، تحقيق: رجب عثمان محمد، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة ج1، ص172، ويُنظر: الحملأوي، أحمد، شذا العرف، 1402هـ، ط16، وعضيمة، محمد عبد الخالق، 1426هـ، د، ط، دار الكتب الحديثة، القاهرة. وقباوة، فخر الدين، 2012م، ط1، مكتبة لبنان، بيروت.
30. سورة الأعراف، آية 146.
31. لسان العرب، مادة نسم.
32. معجم مقاييس اللغة، مادة وسم.
33. المخصص، ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل، (1417)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت. (د، ط)، المكتبة التوفيقية، القاهرة ج1، ص257.
34. لسان العرب، مادة حري.
35. تاج العروس، مادة كسب.
36. تاج العروس، مادة لمس، وتاج العروس: مادة قرب.
37. شرح التسهيل، ابن مالك، جمال الدين، محمد بن عبد الله بن عبد الله، (1430هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا وطارق السيد، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، ج3، ص308.
38. شرح التسهيل، ناظر الجيش، ج8، ص3753، ويُنظر: الترادف في صيغ الأفعال بين الصرفيين والمعاجم، الدسوقي، إبراهيم، 2001م، د، ط، مكتبة الإنجلو المصرية، ص29.
39. لسان العرب، مادة بتل.
40. القاموس المحيط، الفيروز أبادي، أبو الطاهر محمد بن يعقوب، (1426هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت مادة بتل.

41. معجم مقاييس اللغة، مادة بتل.
42. معاني القرآن، الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، (د.ت)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، ط1، دار المصرية للتأليف، مصر، ج3، ص.198
43. التحرير والتنوير، ابن عاشور التونسي، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، (1984)، الدار التونسية للنشر، تونس، ج9، ص265.
44. سورة المزمل، آية 8.
45. لسان العرب، مادة زيل.
46. تاج العروس، مادة زيل.
47. التحرير والتنوير، ج6، ص192.
48. تاج العروس، مادة زيل.
49. سورة الفتح، آية 25.
50. اللسان، مادة فسح.
51. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، أبو القاسم بن محمد، (1412هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط1، دار القلم، بيروت، مادة فسح.
52. سورة المجادلة، آية 11.
53. تفسير الطبري، الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن غالب الأملي، (1422هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، دار هجر، ج3، ص243.
54. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، (1407هـ)، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت ج4، ص492.
55. التحرير والتنوير، ج28، ص36.
56. كتاب العين، الخليل بن أحمد، أبو عبد الرحمن بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، مادة ربص.
57. معجم مقاييس اللغة، مادة ربص.
58. اللسان، مادة ربص.
59. تفسير القرطبي، ج3، ص 102.
60. سورة البقرة، آية 218.
61. الكشاف، ج1، ص268.
62. في ظلال القرآن، قطب، سيد، (1412هـ)، ط17، دار الشروق، بيروت، ج1، ص243.
63. سورة النساء، آية 141.

64. معجم مقاييس اللغة، مادة برأ.
65. اللسان، مادة برأ.
66. تفسير البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي الأندلسي، (1420 هـ)، تحقيق: صدقي محمد 0جميل، (د،ط)، دار الفكر، بيروت، ج2، ص108.
67. التحرير والتنوير، ج2، ص90.
68. سورة آل عمران، آية 49.
69. سورة الأحزاب، آية 69.
70. سورة يوسف، آية 53.
71. سورة البقرة، آية 165.
72. سورة التوبة، آية 114.
73. سورة الزخرف، آية 26.
74. سورة مريم، آية 49.
75. سورة إبراهيم، آية 35.
76. سورة الممتحنة، آية 4.
77. معجم مقاييس اللغة، مادة خلو.
78. لسان العرب، مادة خلو.
79. سورة الانشقاق، آية 4.
80. تفسير القرطبي، القرطبي، شمس الدين، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري، (1384هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم إطفيش، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة ج19، ص269.
81. تفسير البحر المحيط، ج10، ص432.
82. التحرير والتنوير، ج30، ص220.
83. لسان العرب، مادة كبر.
84. المفردات في غريب القرآن، مادة كبر.
85. التحرير والتنوير، ج9، ص103.
86. سورة الأعراف، آية 13.
87. سورة الأعراف، آية 146.
88. لسان العرب مادة كبر.

89. تفسير البحر المحيط، ج1، ص244.
90. التحرير والتنوير، ج1، ص425.
91. المصدر السابق، ج1، ص424.
92. سورة البقرة، آية 87.
93. سورة الأنبياء، آية 19.
94. سورة لقمان، آية 7.
95. سورة المنافقون، آية 5.
96. كتاب العين، مادة رقب.
97. معجم مقاييس اللغة، ج2، ص427.
98. لسان العرب، مادة رقب.
99. سورة القصص، آية 18.
100. سورة القصص، آية 21.
101. تفسير الطبري، ج19، ص542.
102. المصدر السابق، ج19، ص542.
103. تفسير الرازي، الرازي، فخر الدين، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين التيمي، (1420هـ)، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت ج24، ص587.
104. المفردات في غريب القرآن، ص362.
105. في ظلال القرآن، ج5، ص2683.
106. لسان العرب، مادة نفس.
107. سورة التكويد، آية 18.
108. تفسير البحر المحيط، ج10، ص423.
109. التحرير والتنوير، ج3، ص154.
110. في ظلال القرآن، ج6، ص3842.
111. تاج العروس، مادة شقق.
112. سورة الفرقان، آية 25.
113. الكشاف، ج3، ص275.
114. تفسير البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، (1418هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج4، ص122.

115. تفسير البحر المحيط، ج8، ص100.
116. سورة ق، آية 44.
117. سورة البقرة، آية 74.
118. سورة القمر، آية 1.
119. سورة الرحمن آية 37.
120. سورة الحاقة آية 16.
121. سورة الانشقاق، آية 1.
122. سورة مريم، آية 90.
123. الجامع المسند الصحيح، البخاري، محمد بن اسماعيل، كتاب مناقب الأنصار، باب انشقاق القمر، (1407هـ)، تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط 3، دار ابن كثير، بيروت، ج3، ص1404.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

- الأسترباذي، رضي الدين محمد بن الحسن، شرح شافية ابن الحاجب، (د.ت)، تحقيق: محمد محيي الدين وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت.
البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع المسند الصحيح، (1407هـ) تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط 3، دار ابن كثير، بيروت.
البيضاوي، ناصر الدين، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (1418هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
الحملاوي، أحمد، شذا العرف، (1402هـ) ط16.
أبو حيان، محمد بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي، الأندلسي: ارتشاف الضرب من لسان العرب (1418هـ)، تحقيق: رجب عثمان محمد، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة.
أبو حيان، محمد بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي، الأندلسي: البحر المحيط، (1420 هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، (د،ط)، دار الفكر، بيروت.

- الخليل بن أحمد، أبو عبد الرحمن بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (د.ت)، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- الدسوقي، إبراهيم، الترادف في صيغ الأفعال بين الصرفيين والمعاجم، (2001م)، (د.ط)، مكتبة الأنجلو المصرية.
- الرازي، فخر الدين، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين التيمي، مفاتيح الغيب، (1420هـ)، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (1420هـ): تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق: عادل بن علي الشدي، ط1، دار الوطن، الرياض.
- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (1420هـ): المفردات في غريب القرآن، (1412هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط1، دار القلم، بيروت.
- الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسين، تاج العروس من جواهر القاموس، (د.ت)، دار الهداية.
- الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (1407هـ)، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل، الأصول في النحو (1420هـ)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، ط4، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- أبو السعود العمادي، محمد بن محمد بن مصطفى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (د.ت)، (د.ط)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- سبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، (1402هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل، (1417)، المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ط)، المكتبة التوفيقية، القاهرة.
- شلاش، هاشم طه، أوزان الفعل ومعانيها، (1971م)، ط1، مطبعة النجف الأشرف.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن غالب الأملي، تفسير الطبري، (1422هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، دار هجر.

- ابن عاشور التونسي، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، التحرير والتنوير، (1984)،
الدار التونسية للنشر، تونس.
- عبد الحميد، محمد محيي الدين، دروس في التصريف، (1411هـ)، (د.ط.)، المكتبة العصرية،
بيروت.
- عزيمة، محمد عبد الخالق، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، (1425هـ)، (د.ط.)، دار الحديث،
القاهرة. المغني في تصريف الأفعال، (1426هـ)، (د.ط.)، دار الحديث، القاهرة.
- ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب، (1422هـ)، المحرر الوجيز في تفسير
الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، (1969) تحقيق: عبد السلام هارون،
(د.ط.)، دار الفكر، بيروت.
- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، (د.ت.)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي وعبد
الفتاح إسماعيل الشلبي، ط1، دار المصرية للتأليف، مصر.
- الفيروز أبادي، أبو الطاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، (1426هـ)، تحقيق: مكتب
تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- قباوة، فخر الدين، (2012م) ط1، مكتبة لبنان، بيروت.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، أدب الكاتب، (1402هـ)، تحقيق: محمد الدالي، ط1،
مؤسسة الرسالة، بيروت.
- القرطبي، شمس الدين، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري، تفسير
القرطبي، (1384هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم إطفيش، ط2، دار الكتب المصرية،
القاهرة.
- قطب، سيد، في ظلال القرآن، (1412هـ)، ط17، دار الشروق، بيروت.
- ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله، شرح التسهيل، (1430هـ)، تحقيق:
محمد عبد القادر عطا وطارق السيد، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين، لسان العرب، (1414هـ)، ط3،
دار صادر، بيروت.

ناظر الجيش، محبّ الدين محمد بن يوسف بن أحمد، شرح التسهيل، (1428هـ)، تحقيق: علي محمد فاخر وآخرين، ط1، دار السلام، القاهرة.

اليزدي، الخضر، شرح شافية ابن الحاجب، (1429هـ)، تحقيق: حسن أحمد العثمان، ط1، مؤسسة الريان، بيروت.

تأثير الأبحاث الميدانية في النظرية الاجتماعية

ناديا إبراهيم حياصات*

تاريخ الاستلام 2016/4/17

تاريخ القبول 2016/8/18

ملخص

تهدف الدراسة إلى إظهار مدى تأثير الأبحاث الميدانية (الإمبريقية) في النظريات الاجتماعية، وإيجاد العلاقة الوثيقة ما بين النظرية والبحث الميداني، وكيف باستطاعة بحث ميداني أن يعدّل النظرية أو يدعمها أو يهدمها، وبذلك تبرز قدرة الدراسات الميدانية على توجيه النظرية الاجتماعية لمعالجة الثغرات في بعض جوانبها وتدعيم الجوانب الأخرى.

وتوصلت الدراسة إلى نتائج مهمة؛ أبرزها أنّ الأبحاث الميدانية تستطيع أن تنتج أو تدعّم أو تعدّل نظرية اجتماعية قائمة، وكذلك تقوم الأبحاث الميدانية بتزويد المنظرين بمعلومات جديدة لم تكن معروفة من قبل من خلال الأدلة الإمبريقية، ودلت النتائج على وجود علاقة وثيقة تجمع ما بين الأبحاث الميدانية والنظرية الاجتماعية؛ فكلّهما عنصر مهمّ في تراكم المعرفة ونموّ العلم وتطوره. ولذلك لا بدّ من أن تكون القضايا النظرية مدعومة إمبريقياً، ومرتبطة بالأدلة الإمبريقية أو النتائج الإحصائية بإطار نظري متماسك، وكذلك ترتبط القضايا التي نقدمها بأدلة ميدانية تعطيها القوة وتزيد من مصداقيتها.

الكلمات المفتاحية: البحث الإمبريقي، النظرية الاجتماعية، المجتمع الأبوي، انحراف الأحداث، الأسرة المفككة، الأسرة النواة، الأسرة الممتدة، الانتحار.

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2017.

* قسم علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

المقدمة:

إن العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولونها صنفان: صنف طبيعي يهتدي إليه الإنسان بفكره، وصنف نقلي يأخذ عن وضعه، مثال الصنف الأول العلوم الحكيمة الفلسفية التي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعية فكره ويهتدي بمداركه البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها، ومثال الصنف الثاني العلوم النقلية الوضعية، وما نسنده إلى الخبر عن الواضع الشرعي، ولا مجال للعقل فيها، مثل: الكتاب، والسنة⁽¹⁾.

ويعد علم الاجتماع جزءاً من المعرفة الإنسانية، ويحاول العاملون فيه الارتقاء بمستويات المعرفة فيه؛ لتكون عامة شاملة، ولكنه يبقى كجزء من العلوم الاجتماعية؛ علماً أن نتائجه احتمالية، ولقد ظهرت فيه نظريات عديدة، تتباين أحياناً بسبب الاختلافات الأيدلوجية، أو على أساس وحدة التحليل التي يتم اختبارها، أو حسب المتغيرات المسببة لشكل النسق وتبدله، ومن هنا تضمنت أدبيات علم الاجتماع تعريفات عدة للنظرية.

فقد استعرض توماس Thomas Ward سبعة وعشرين تعريفاً، توصلَ بناءً على ما جاء فيها - إلى تعريف النظرية، بأنها: "نسق منطقي استنباطي استقرائي، يتكون من مفاهيم وتعريفات وافتراسيات، تعبر عن علاقات بين اثنين أو أكثر من أوجه الظاهرة، ويمكن أن يشتمل منها فرضيات، ويمكن التحقق من صحتها أو خطئها، وبهذا تمثل النظرية الاجتماعية وجهاً من أوجه المعرفة العلمية التي يتم بناؤها على أسس منهجية منظمة، تشمل توخي الجانبين الإمبريقي والمنطقي، وتمثل النظرية الاجتماعية حقيقة الواقع الاجتماعي ومكوناته، وما بين هذه من علاقات مسببة أو ارتباطية في محاولة لتفسير كل هذه، وكيفية تبدلها وتطورها، ومعرفة أسباب وظروف هذه التغيرات، مع إمكان التنبؤ بما يمكن أن يكون عليه المجتمع أو أجزاء منه مستقبلاً، وحتى يتم الإلمام بما تم وصفه؛ يجب أن يخضع للبحث والدراسة الميدانية، ويعرف البحث الميداني (الإمبريقي) بأنه ذلك النوع من البحوث التي تم إجراؤها بدافع طبيعي وغير متكلف بواسطة مشاركة الباحث الفعلية (الملاحظة بالمشاركة) لجميع وقائع السلوك في الحقل دون أي نوع من الضبط المسبق⁽²⁾.

فالبحت الميداني بكل اختصار، هو دراسة الواقع كما هو بطبيعته، وبذلك تبرز العلاقة ما بين البحث الميداني والنظرية الاجتماعية، وذلك من خلال التركيز على الارتباط الوثيق بين النظرية والبحث الإمبريقي؛ فكلهما أساسي في تراكم المعرفة ونمو العلم وتطوره، ومن خلال ما يقدمه البحث الإمبريقي من أدلة تتضمن الإحصائيات والعلاقات والمعلومات التي يشار إليها عادةً بالنتائج التي تدعم التفسيرات النظرية وتؤكددها، وتدعم مفاهيم النظرية وتزيدها وضوحاً أو تقلل من أهميتها⁽³⁾.

أهمية الدراسة:

تتبع أهمية الدراسة من خلال إظهار مدى تأثير الأبحاث الميدانية (الإمبريقية) في النظرية الاجتماعية، ويكمن ذلك في إيجاد العلاقة الوثيقة بين النظرية والبحث الميداني، وكيف استطاع البحث الميداني أن يعد النظرية أو يدعمها أو حتى يهدمها، وبذلك تبرز قدرة الدراسات الميدانية على توجيه النظرية الاجتماعية؛ لتعديل الثغرات في بعض جوانبها، وتدعيم الجوانب الأخرى، كما أنه من الضروري أن تكون القضايا النظرية مدعومة إمبريقياً، وبذلك ترتبط الأدلة الإمبريقية أو النتائج بإطار نظري متماسك، كذلك ترتبط القضايا التي نقدمها بأدلة ميدانية تعطيها القوة وتزيد من مصداقيتها.

مشكلة الدراسة:

تأتي هذه الدراسة لإبراز مدى تأثير الأبحاث الميدانية (الإمبريقية) في النظرية الاجتماعية، فالمبدأ الذي يأخذه علماء الاجتماع أن هناك ترابطاً وعلاقات تبادلية بين النظرية والبحث الإمبريقي، وكان معظم الاهتمام في بيان دور النظرية في البحوث الميدانية، في حين ستظهر الدراسة العلاقة الوثيقة بين النظرية والبحث الميداني، وأن هناك تباعداً أو اتفاقاً بين صياغة النظرية والبحث الإمبريقي، واكتشاف العلاقات وتقديم الأدلة على وجودها، وأن مثل هذه الانقسامات تؤدي إلى إيجاد ثغرات ونقاط ضعف في كل من النظرية والبحث الإمبريقي، وإظهار مدى الأهمية في أن ترتبط النظرية بأدلة ميدانية تعطيها دعماً وقوة ومصداقية، وفي هذه الدراسة تظهر ضرورة توجيه الدراسات الميدانية نظرياً؛ أي حسب حاجة النظرية الاجتماعية، بما يؤدي إلى معالجة الثغرات في بعض جوانبها، وتدعيم الجوانب الأخرى، كما يجب أن تكون القضايا النظرية مدعومة إمبريقياً.

أهداف الدراسة:

- 1- التعرف إلى العلاقة ما بين الأبحاث الميدانية والنظرية الاجتماعية.
- 2- التعرف إلى دور الأبحاث الميدانية في خدمة النظرية الاجتماعية.
- 3- التعرف إلى مدى إسهام الأبحاث الميدانية في تعديل نظريات عامة.

منهجية الدراسة:

تم استخدام المنهج الوصفي الذي يعتمد على دراسة الظاهرة كما توجد في الواقع، ويهتم بوصفها وصفاً دقيقاً، ويعبر عنها كيفياً، ويبيّن خصائصها، وتحديد النتائج من خلال الوثائق والحقائق والدراسات المدعومة إمبريقياً.

تساؤلات الدراسة:

- 1- ما العلاقة التي تجمع بين الأبحاث الميدانية والنظرية الاجتماعية؟
- 2- ما دور الأبحاث الميدانية في خدمة النظرية الاجتماعية؟
- 3- هل أسهمت قائمة الأبحاث الميدانية في تعديل نظريات؟

الدراسات السابقة:

الواقع الذي نعيشه فيه العديد من أوجه المعرفة الإنسانية والحقائق والأحداث التي يتطرق إليها الإنسان ويتعامل معها كجزء من حقيقة، لكن لا بد أن تستند هذه الحقائق إلى أسس علمية وأدلة مقنعة، ومن هنا تظهر لنا العديد من الدراسات السابقة التي سوف نتطرق إليها فيما يأتي، مدى قدرة البحث الميداني على تغيير أو هدم أو دعم حقائق منتشرة في حياتنا، وذلك من خلال الأدلة المدعومة إمبريقياً، وبذلك تبرز لدينا قدرة الدراسات الميدانية على توجيه النظرية، ومعالجة ثغراتها، ومدى الترابط بينهما في خدمة العلم والمعرفة :

دراسة حطيم (2012) بعنوان (السلطة الأبوية في الأسرة) هدفت الدراسة إلى التعرف إلى مدى التغيرات التي طرأت في السلطة الأبوية في المجتمع العراقي مع تقدم وسائل الاتصال الحديثة والتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والتكنولوجية، وتم استخدام المنهج التاريخي والمنهج التحليلي للوصول إلى الأحداث الماضية وحقائق المستقبل وتحليلها.

وأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة أن عمل المرأة خارج المنزل وتمكينها الاقتصادي وتعليمها قلل من سلطة الأب عليها، وأصبحت العلاقة بين الرجل والمرأة تشاركية، حيث تم إعطاؤها قدراً واسعاً من القدرة على اتخاذ القرار وتحمل المسؤولية، وهناك عوامل أخرى قللت من السلطة الأبوية لصالح الزوجة والأبناء، هي وسائل الإعلام والتعليم والتكنولوجيا وحصول المرأة على مردود مادي؛ التمكين الاقتصادي الذي جعلها تتشارك مع زوجها في اتخاذ القرار بشأن أطفالها وأمورها العائلية الأخرى.

دراسة عنصر (2008) بعنوان (آفاق التحول من الأبوية إلى الشراكة للأسرة العربية) وهدفت الدراسة إلى إلقاء الضوء على الجوانب التي شهدتها الأسرة العربية، والتهديدات للنظام الأبوي القائم، وتم استخدام المنهج الاستطلاعي للتعرف إلى الآراء المختلفة حول الأسرة العربية، وأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة أن الأسرة العربية تحمل ثلاثة اعتبارات تبرز من خلالها التهديدات الموجهة إلى النظام الأبوي القائم، وأهمها:

- 1- حصول الأبناء على قدر من التعليم واكتساب المهارات التي تسمح لهم بالالتحاق بالوظائف وتحقيق قدر من الاستقلالية، ومن ثم الخروج من التبعية والولاء الكامل لسلطة الأب.
- 2- تجسيد الأسرة نمطاً جديداً من العلاقات المفتوحة المرنة التي تتمثل في الاستقلالية الاقتصادية، وانتشار التعليم، وخروج المرأة للعمل، واندماج الأبناء في المجتمع المفتوح وسوق العمل، كل ذلك سبب ارتجاجاً في قاعدة النظام الأبوي.
- 3- لعل خروج المرأة للتعليم والعمل وانخراطها فيه وتقلدها المناصب المختلفة وانتشار التكنولوجيا ووسائل الإعلام، كل هذه العوامل تعدّ ضربة فأس لتفكيك النظام الأبوي.

من الواضح أنّ هذه النتائج التي توصلت إليها الدراستان، دحضت النظرية القديمة السائدة واحتلت مساحة واسعة في عقول المفكرين الذين دافعوا عنها وأعدوا لها العديد من المؤلفات والكتب، حيث تمّ تقديم تفسيرات جديدة للموضوع، أكدت أنّ الأسرة العربية ليست أسرة أبوية تماماً، وإنما هناك درجة ملحوظة من مشاركة الزوجات في السلطة الأسرية لأزواجهن، وهناك العديد من الآراء التي تتوافق مع نتائج الدراسة التي تم التوصل فيها إلى أنّ السلطة الأبوية في طريقها إلى التلاشي من خلال منشورة القدس بعنوان: "النظام الأبوي والعقل المجتمعي للذكرى الأولى لوفاة هشام شرابي"، يوضّح أنّ تقلص السلطة الأبوية وتراجعها يرتبطان باكتساب الأعضاء؛ أي الزوجة والأولاد، مزيداً من الحرية والاستقلالية، وظهور لهم الرغبات والحاجات والإرادة المستقلة لهم. وحدد شرابي التهديدات للنظام الأبوي الجديد، وهي: التحولات الاقتصادية، وحصول الأبناء على قدر من التعليم، واكتساب مهارات التوظيف، وخروج المرأة للعمل، ومهدت هذه العوامل للتخلص من النظام الأبوي القائم⁽⁴⁾.

ويوضح مصطفى حجازي جذور هذه الظاهرة، فيرجعها إلى تعرض الطفل لتأثير الأم الجاهلة التي تشغل مكانة متدنية في أسر الطبقات الفقيرة بشكل خاص، وتعيش في إطار من المفاهيم الخرافية والمعتقدات غير العلمية، مثل: الجن، والشعوذة، والحجب، والشياطين، والغيلان، والعين الحسودة. وهي تنقل هذه المفاهيم والأفكار إلى طفلها وتؤكد له أنها هي سبب حدوث الظواهر، والأحداث، وما يصيبه من خير أو شر، فيتشكل عقل الطفل أوّل ما يتشكل من هذه المفاهيم والأفكار التي تغرس عميقاً في عقله، يدعمها أيضاً ما يلقن في المدارس الابتدائية من خلال اللغة الكلاسيكية، فتغشى تفكيره، وتجعله يرى العالم والناس من حوله، ويفسر كل ذلك باستخدام هذه الأفكار والمفاهيم المغلوطة، ويدعم ذلك أيضاً الإطار المجتمعي العام الذي يحيط بالطفل، وخاصةً في البيئات الفقيرة، والذي يشتمل على: الجيران، وبعض الأقارب والجماعات التقليدية غير العلمية المنتشرة في المجتمع.

كل هذه النتائج الإحصائية والملاحظات والتحليلات تؤكد أن الأسرة الأبوية لا تزال سائدة في الطبقات الفقيرة؛ لكنها غير سائدة في الطبقات الميسورة من وجهة نظره. كما أن مصدر الثغرات الموجودة في بنية شخصية الإنسان، وقلة مشاركته في المجتمع لا تعود فقط إلى الأبوية السائدة في الأسرة أو في المجتمع، وبخاصة بين الطبقات الفقيرة، وإنما تعود إلى اللغة الكلاسيكية المستخدمة في التعليم ومضمونها التقليدي، وتعود أيضاً إلى نظام التعليم نفسه، وأساليب التربية في الطفولة، ومضمون هذه التربية من أفكار ومفاهيم خرافية وممارسات تسلطية تسود في أسر الطبقات الفقيرة بشكل خاص⁽⁵⁾.

دراسة رطوط (2015) بعنوان (الأحداث بين النظرية والتطبيق) تهدف هذه الدراسة إلى التعرف إلى أسباب جنوح الأحداث في الأردن، وتم استخدام المنهج الاجتماعي في العينة على عدد من مراكز الأحداث المنتشرة في المملكة، وأهم النتائج التي خلصت إليها الدراسة أن 80% من الأحداث الجانحين في الأردن يأتون من أسر غير مفككة، حيث يوجد الأم والأب داخل الأسرة، و20% من الأحداث الجانحين يأتون من الأسر المفككة؛ التي تعاني من غياب أحد الوالدين: الأم أو الأب، بسبب الطلاق أو الموت أو الانفصال الخ. وفي هذه الدراسة التي قامت بها وزارة التنمية من خلال مراكز الأحداث المنتشرة في المملكة التابعة للوزارة تبين أن السبب الرئيس وراء انحراف الأحداث في الأردن ليس التفكك الأسري، كما هو شائع ومنتشر بين فئات المجتمع والباحثين، بل هو طبيعية العلاقات العائلية بين الأحداث المنحرفين وأسرهم، حيث تسود المشاحنات والخلافات والتوترات بينهم، وتبقى العلاقة القائمة علاقة مضطربة متوترة بين الأبناء والعائلة. وهناك أسباب أخرى وراء انحراف الأحداث، لعل من أهمها المستوى المعيشي المتدني (الفقر).

دراسة (2012) Banham بعنوان (العوامل التي تسهم في جنوح الأحداث)، وتهدف هذه الدراسة إلى التعرف إلى أهم الأسباب وراء جنوح الأحداث، وتم اعتماد النتائج التالية من التقارير، وهي: أن السبب وراء انحرافهم هو الوضع الاقتصادي المتدني، ومن ثم العوامل النفسية بنسبة 10%، ومن ثم الظروف البيئية المحيطة ورفاق السوء.

دراسة ديفز وميتابوليس 2013 بعنوان (انحراف الأحداث)، وتم استخدام العينة القصدية في المؤسسات العقابية، ومنازل الاعتقال في الولايات المتحدة على تسعة آلاف حدث منحرف في منطقة شيكاغو، حيث أثبتت التقارير بعد الدراسة أن الأحداث المنحرفين يعانون من اضطرابات نفسية في علاقاتهم مع أسرهم والمحيطين بهم، وهناك عوامل أخرى لها الدور الأكبر، منها: الفقر بنسبة 55%، والمخدرات، وانتشار الانحراف، وغياب الرقابة من الأهل.

دراسة هينس (2013 H.T) بعنوان (منع الجريمة) - دراسة الأسباب (مجلس ولاية أوهايو لأدميرال). تهدف هذه الدراسة إلى رصد ارتفاع معدلات الجريمة لدى الشباب في أوروبا، وأن أكثر من 30% من الجرائم الجنائية في أوروبا تتعلق بشرب الكحول، وتعاطي المخدرات وجرائم الجنس، وأن 80% من جرائم العنف لا يتم التبليغ عنها ضمن أعمار 16-19، والرجال أكثر عرضة للانحراف من النساء، ومن أكثر الجرائم انتشاراً: السرقة والسطو والاعتصاب، ولعل ضعف الرقابة من قبل الأهل لأبنائهم وسوء التنشئة الاجتماعية، وفساد الأخلاق أسباب متراكمة لزيادة نسبة الجريمة.

والجدير بالذكر أن هذه الدراسات الإمبريقية تظهر قدرة الأبحاث على إدخال تعديلات مهمة وأساسية في النظريات الاجتماعية القديمة مؤديةً بذلك إلى تجديد مفاهيم ومقولات هذه النظريات في تقديمها للتفسيرات النظرية الجديدة، فالاعتقاد السائد أن السبب الرئيسي لانحراف الأحداث هو تفكك الأسرة، سواء في العالم العربي والغربي؛ لكن الدراسات الميدانية تثبت بطلان هذه النظرية السائدة وتعطينا تفسيرات نظرية جديدة مدعومة بالإحصائيات الإمبريقية، وتؤكد أن السبب الرئيس وراء انحراف الأحداث ليس التفكك الأسري، كما هو شائع ومعتقد بين الكثير من الناس والدارسين، بل اضطراب العلاقات الأسرية بين المنحرف وأسرته، والتوترات والمشاحنات القائمة في الأسرة، وكذلك عوامل أخرى مساندة، منها: الفقر، والبطالة، وغياب الأهل والرقابة والإهمال من الأسرة.

فكثير من الاعتقادات السائدة والأفكار الشائعة بين فئات المجتمع تستطيع الدراسات والأبحاث تعديلها أو دعمها، وهذا يؤكد أهمية الأبحاث في تعديل أو هدم نظرية قائمة.

الإطار النظري

1- مفهوم النظرية الاجتماعية:

استفاد علماء الاجتماع في بناء المعرفة والمناهج بما كان من تراكم المعارف في العلوم الأخرى والفلسفة، ونظراً لاختلاف هذه المصادر وتوجهات علماء الاجتماع وأيدولوجياتهم، طور علماء الاجتماع نظريات عديدة، تضمنت أوجه من التشابه والاختلاف. ويبقى السؤال، ماذا عن النظرية لعلماء الاجتماع؟

تضمنت أدبيات علم الاجتماع تعريفات عدة للنظرية، فقد استعرض توماس ورد Thomas Ward سبعةً وعشرين تعريفاً، توصل بناءً على ما جاء فيها إلى تعريف النظرية، بأنها: "نسق منطقي استنباطي استقرائي، يتكون من مفاهيم وتعريفات وافتراضات، تعبر عن علاقات بين اثنين أو أكثر من أوجه الظاهرة، يمكن أن يشتق منها فرضيات، ويمكن التحقق من صحتها أو خطئها، ويتضمن هذا التعريف إضافة إلى تحديد معنى النظرية، أهم أوجه بناء المعرفة النظرية الممثلة هنا

في عمليتي الاستقراء أو الاستنباط والقياس. فالمعرفة يمكن أن تبدأ بالموجود من الأجزاء التي تشكل قاعدة للتعميم، وقد يعتمد الباحث على معرفة موجودة سلفاً؛ ليستنبط منه افتراضات أو فرضيات أو تعميمات أخرى.

أما تالكوت بارسونز Talcott Parsons فقد قال بأن النسق النظري، بالمفهوم الحديث، يشكل وحدة للمفاهيم مترابطة متساندة منطقياً وبنائياً، لها مرجعية إمبريقية في الواقع، تشكل فيها العلاقات بين الأجزاء إمكانية اشتقاق فرضيات جديدة، أو تعليمات تعبر عن انتظامات إمبريقية.

وقد ركز جورج هومانز G. Homans في تعريفه للنظرية على أنواع المفاهيم في البناء النظري، وبهذا عرف النظرية، بأنها: "مجموعة من المفاهيم التي تتشكل من خلال العلاقات بينها من منظور قريب للواقع الاجتماعي، بعض هذه المفاهيم وصفية تحدد وجود المضمون، والبعض الآخر تحليلي، تشير المفاهيم فيه إلى سمات وخصائصه، وتتألف النظرية من مجموعة افتراضات، يعبر كل منها عن علاقة بين سمتين أو أكثر، بحيث تشكل هذه الافتراضات معاً نسقاً قابلاً للاستنباط، وبحيث تكون المفاهيم والافتراضات قابلة للتحقق من صحتها إمبريقياً⁽⁶⁾.

يرى جوناثان تيرنر Jonathan Turner أن النظرية نشاط عقلي، فهي عملية تطوير أفكار تسمح للعالم بتفسير الأحداث، ويتم بناء النظرية على أساس عناصر أساسية ومركبات تشمل المفاهيم، والمتغيرات، والمقولات، ويقول تيرنر بأنه مهما اختلفت تعريفات النظرية، فإنها لا بد أن تتضمن هذه المكونات الأربعة⁽⁷⁾.

ورد في قاموس علم الاجتماع الذي حرره مارشال Marshall مواقف ثلاثة برزت في تعريفات النظرية في علم الاجتماع، هي:

1- موقف الذين يرون أن النظرية الاجتماعية تتكون من تعميمات وتصنيفات للواقع الاجتماعي، وأن هذه التعميمات تتباين من حيث المدى والمستوى فتتراوح بين التعميمات الإمبريقية المحدودة، وبين أخرى تشمل المجتمع الإنساني.

2- يؤكد البعض - وخاصة ممن ينتمون إلى الفلسفة الوضعية - أن النظرية لا بد أن ترتبط بالواقع الإمبريقي الذي يمكن ملاحظته، وأن تكون قابلة للخضوع إلى الاختبار الإمبريقي بشكل منتظم.

3- فريق ثالث يركز على الوظيفة التفسيرية للنظرية، وذلك ببيان السببية بوضوح لواقع يمكن ملاحظة مكوناته مباشرة، أو بطريقة غير مباشرة بناء على النتائج الدالة على وجودها.

وعلى الرغم من التباين بين علماء الاجتماع في معنى النظرية، أو حتى في إمكان وجودها، إلا أن هناك تعريفاً يتكون من أجزاء سبعة، يمثل معنى النظرية في علم الاجتماع.

- 1- تشكل النظرية نسقاً معرفياً منظماً ومنطقياً.
- 2- يتضمن هذا النسق تصوراً للواقع الذي يتناوله.
- 3- ويتكوّن من قضايا ومفاهيم وتعريفات وافتراسات.
- 4- يوضح العلاقات بين الوقائع وانتظامها بطريقة دالة.
- 5- يوضح أسباب وظروف تشكل هذا الواقع وتبدله.
- 6- يشمل بعداً إمبريقياً، يتضمن مكونات الواقع ومعطياته.
- 7- يقصد تفسير هذا الواقع وفهمه، وإمكانية التنبؤ بما يمكن أن يكون عليه مستقبلاً⁽⁸⁾.

النظرية الوظيفية والبنائية الوظيفية:

مفهوم الوظيفة: قد جاء أصلاً من علم الأحياء تمّ بما تم تحقيقه في دراسة التنظيمات كالكقول بوظيفة الإدارة، فأصبحت الوظيفة كمثّل مرتبّط بتحليل الوقائع الاجتماعية من حيث تفسير وجودها وتطورها ويفترض الاتجاه الوظيفي ترابط الأجزاء وتكاملها وظيفياً، وتحديد كل جزء من النسق ليؤدي وظيفة أو أكثر لتتكامّل هذا الأجزاء وظيفياً في تلبية حاجات النسق ومن يشملهم عن الواقع، وبهذا ينظر الوظيفيون إلى التغيير كعملية تدريجية تتمثل في تغيير النسق في حالة توازن إلى حالة توازن جديدة، فكل يتضمن بناءً ثابتاً نسبياً ويتضمن وسائل التنظيم الذاتي.

وتتطلب حالة التوازن والاستقرار نوعاً من الإجماع حول الأهداف العامة ووسائل تحقيقها، فيعمل كل مجتمع على مأسسة هذه الأهداف، بحيث يصبح تمثّلها من قبل الأفراد من معايير تقييم السلوك، ويتضمن معنى الإجماع وجود قاعدة ثقافية مشتركة تعمل على تماثل المعتقدات والتوجهات، ويتحقق هذا على مستوى الأفراد من خلال عوامل الضبط ووجود نظام الثواب والعقاب، ولقد ظهر هذا الافتراض على سبيل المثال في كتابات وليام William، حيث قال إن المجتمع الأمريكي يقوم على قاعدة حتمية مشتركة، تضمنت السيطرة على الطبيعة والعالم، إضافة إلى مشاركة أعضاء المجتمع - قيم النجاح والعمل والكفاءة والديمقراطية والبراغماتية والتقدم والمساواة والحرية والامتثال والعقلانية والفردية⁽⁹⁾.

وتضمنت الوظيفة عدة معان، هي:

- 1- نشاط؛ أي نشاط جماعي كالطقوس.
 - 2- معنى حابي رياضي، مثل: مفهوم النمو السكاني نتيجة وظيفة معدلات الولادة والوفاة.
 - 3- دور مهني ويشير إلى وظيفة محددة كالمعلم.
 - 4- وأخيراً المعنى الشائع في الاستخدامات العلمية ويشير إلى النشاطات المناسبة، وما تلعبه في استمرارية النسق وتكيفه.
- * ومنها ما جاء على يد مارك أبراهامسون Abrahamson Mark، حيث صنّفها إلى:

- 1- الوظيفة الفردية.
 - 2- الوظيفة العلائقية البنائية.
 - 3- الوظيفة الاجتماعية⁽¹⁰⁾.
- وصنّف كانيكان Canican الوظيفة إلى:

- 1- الاتجاه التقليدي ويفترض أنّ البناءات الاجتماعية تعمل من أجل حياته، واستمرارها يعمل من أجل صيانة واستمرار التنسيق (System).
- 2- الاتجاه السيوسولوجي، وبحث في العلاقات المحددة بين المتغيرات الاجتماعية.
- 3- الاتجاه السبرنطقي، ويفترض أنّ كل نسق اجتماعي (Social System)، له آليات تعيده من حالة التوتر والتغير إلى حالة التوازن وهو تحريم ذبح البقر وأكلها في الثقافة الهندية؛ فالتحريم ليس ترفاً بل ينسجم مع حاجات الإنسان والبيئة⁽¹¹⁾.

وارتبطت البنائية الوظيفية في العقد الثالث من القرن العشرين بكتابات بارسونز أساساً ثم ميرتون، ولم يقتصر دور بارسونز على ما قدمه من أفكار، وإنما قام بتعديلات في البنائية الوظيفية، وأدى ذلك إلى ظهور اتجاهات نظرية جديدة؛ كالتبادلية، ومنهجية الجماعة.

لقد كانت غاية بارسونز بناء نظرية تقوم على تراكمات من معرفة في علم الاجتماع وخاصة ما جاء في كتابات دوركايم، وباريتو، وتجربته شملت بناء نظرية الفعل الاجتماعي، وانتقل في الثانية إلى النسق الاجتماعي.

وعدّ أن الفعل الاجتماعي وحدة التحليل الأساسية في أي نسق اجتماعي، وصنّف الفعل إلى:

- 1- الفعل الاجتماعي الوسيلى 2- الفعل الاجتماعي التعبيري 3- الفعل الاجتماعي القيمي⁽¹²⁾.

وتحول بارسونز في بحثه للنسق الاجتماعي من التركيز على الفعل الاجتماعي والفاعل، إلى التركيز على الدور والمكانة؛ لأنهما أساس تحليل التنسيق.

ويميل النسق إلى المحافظة على الحدود وعلاقات الأجزاء بالكل وفيما بينهما، وضبط التغيرات في البيئة وضبط الميل للضمير⁽¹³⁾.

والمتطلبات والحاجات الوظيفية فبقاء النظام في النسق الاجتماعي واستمراره بمتطلبات وظيفة لا بد من توفرها، هي:

- 1- الحاجة الوظيفية للتكيف Adapation.
- 2- الحاجة الوظيفية لتحقيق الأهداف Goal Attainment.
- 3- الحاجة الوظيفية للتكامل Integration.
- 4- الحاجة الوظيفية لصيانة الأنماط القائمة وإدارة التوترات، وأن النسق الاجتماعي في رأي بارسونز يتكون من أربعة أنساق:

- 1) النسق الثقافي، ويشمل معتقدات والمعرفة والقيم والمعايير وغيرها.
- 2) النسق الاجتماعي، ويمثل البناء الاجتماعي، ومكوناته وما فيها من علاقات نمطية النسق الاجتماعي.
- 3) النسق الشخصي، ويسهم في الشق الثقافي والاجتماعي في تشكيل النسق الشخصي.
- 4) النسق العضوي، امتلاك القدرات، والاستعدادات الفطرية.

وبهذا يصبح المفهوم المركب للدور والمكانة أداة معرفية تحليلية لكل من هذه الأنساق الفرعية، وفي الوقت نفسه أداة لدراسة وتحليل العلاقات بينهما.

ويرى ميرتون أن النظرية يجب أن ترتبط بالواقع الإمبريقي، ليس فقط في بنائها، وإنما في إمكانية التحقق من صحتها ودرقتها⁽¹⁴⁾.

والجدير بالذكر هنا ما يسمّى بالوظيفية الجديدة، وهذا المصطلح يشير إلى الجهود التي بذلت ولا تزال تبذل في إعادة بناء الوظيفة على المستويين؛ النظري، والإمبريقي، وقد جاءت هذه المحاولات التجديدية نتيجة تطور المعرفة في علم الاجتماع، واستجابة للتغيرات الموضوعية في الحياة الاجتماعية، ويرى ألكسندر أن الأعمال في الحياة الاجتماعية، يحدها من جهة النظريات الشاملة التأميلية والميتافيزيقية، ويقابلها في الجهة الأخرى الأعمال الميدانية والإمبريقية ويتطلب تطوير نظرية اجتماعية علمية تجمع بين الجانبين؛ النظري، والإمبريقي⁽¹⁵⁾.

ومن الجهة الأخرى، ذهب الوظيفيون إلى توليف اتجاهات الصراع والاتجاهات الوظيفية، باقتراض علاقات التكامل والصراع، وبتناول البعد الموضوعي والذاتي وجهين لحقيقة الواقع الاجتماعي، وإن هذا الواقع يدخل في تشكيله وتطوره عوامل مادية اقتصادية، وأخرى سياسية واجتماعية وثقافية. فالتفسير المادي ضروري، ولكنه غير كاف؛ وكذلك الأمر بالنسبة للتفسيرات المثالية التي تقصر حقيقة الواقع على المعنى.

ومن أمثلة الاستجابة لمثل هذه الانتقادات ما طوره سميلر Smeler من برامج أطلق عليها نظرية التباين؛ أي الأخذ بوظيفة النظم والأدوار العامة، وذلك بالتركيز على وظائف خاصة للوحدات الاجتماعية وتقسيم دورها الوظيفي، فعندما تفشل هذه في تحقيق متطلبات الوظيفية، فإن هذا يؤدي إلى ظهور التناقض والتباين⁽¹⁶⁾.

نظرية الصراع:

وكان التركيز لدى الصراعيين على علاقات التناقض واللامساواة والصراع، وهم يختلفون حول العامل الأساسي، كما يختلفون في نظراتهم إلى النتائج التي يمكن أن تترتب على عملية الصراع، فماركس يرى أن علاقات الإنتاج تتضمن لامساواة في الملكية، تشكل أساس اللامساواة والاستغلال واحتمال الصراع، وبهذا يجعل من التوزيع غير العادل في عملية الإنتاج أساساً للصراع الطبقي.

ويرى ماركس أن الصراع الطبقي مسألة حتمية تاريخية، ما دام هناك لا مساواة في الملكية وأن نتيجة الصراع تمثل تطوراً إلى الأفضل، وأما زيمل وكوزر من بعده، فقد رأوا أن الصراع يمكن أن يؤدي إلى نتائج إيجابية، في حين أن آخرين اعتبروا الصراع عملية مخلة بالنظام، وقد تناول ابن خلدون الصراع بين التجمعات العصبية، التي أدت مع التغير في سبل العيش إلى قيام الدولة وفي إطار الدول يظهر الصراع كما حدث في الدولة الإسلامية بين شعوبها من ناحية، وبين البدو المستقرين من ريفيين وحضر من جهة أخرى، وتلعب العصبية دوراً مهماً كمصدر للقوة، وكان الواقع الاجتماعي وطنياً وعالمياً قد شهد بروز مشكلات كبرى كالتميز العنصري، والتميز ضد المرأة، وزيادة الهوة بين الفقراء والأغنياء، وظهور حركات تنادي بتغيير الواقع، مثل: الحركات الشبابية والنسائية.

وأما سي رايت ميلز ركز على قوة النخب The power Elite في اللامساواة في توزيع القوة والثروة، مؤكداً التناقض بين مصالح مجموعة النخبة، وما تحمله من عقائد مقابل المصالح الشعبية وتوجهاتها، فتشكل النخب الاقتصادية والسياسة والعسكرية صاحبة القرار مجموعات متداخلة المصالح لها وضع طبقي⁽¹⁷⁾. (2000 mills)

وكذلك ميكافيلي اهتم بالصراع السياسي في كتابه "الأمير والخطاب" خاصةً بين المتطلعين للحكم وبين الحاكم والشعب، أما هوبس Hobbes فقد ربط مبدأ الصراع بالطبيعة الإنسانية، وخاصة في الحالة الطبيعية؛ فالإنسان أناني بطبعه، ولنظرية داروين أثرها البالغ في ترسيخ مفهوم الصراع بمعناه العام، وتضمن المفهوم لديه الاختيار الطبيعي والبقاء للأصلح، حيث تم تصنيف الصراع بالنسق الاجتماعي في جانين متداخلين:

- 1- الصراعات الداخلية، مثل: صراعات الجماعات، مثل: الجماعات العرقية والاثنية والدينية والطبقية، وأحياناً الصراعات على مستوى الأفراد، وما بين الفرد والجماعة.
- 2- الصراعات الخارجية وشملت الصراع بين المجتمعات والتكتلات الدولية، وتمثلت الغزو والحروب والصراعات الثقافية والأيدلوجية⁽¹⁸⁾.

ومفهوم الصراع من المفاهيم التاريخية القديمة، وتعددت المصادر المعرفية لنظرية الصراع الحديثة المعاصرة، ويمكن اعتبار هذا التباين في المصادر المعرفية أحد أسباب التباين بين مفكري الصراع المحدثين والمعاصرين .

ويرى ماركس في تناوله المادي للتاريخ الاجتماعي أن الوجود يقرر مستويات الوعي، مما يجعل القاعدة الاقتصادية في قوى الإنتاج وعلاقاته أساساً لتشكل نمط الإنتاج، وتمثل العلاقة الجدلية في علاقة البنية التحتية Infrastructure بالبنية الفوقية Super Structure. حيث تشمل هذه الأخيرة النظم السياسية والتشريعية والمعرفية والأفكار، فينقسم المجتمع إلى طبقتين: طبقة مالكة، وأخرى غير مالكة تعمل بأجر⁽¹⁹⁾.

ويؤمن ماركس بأهمية العامل الاقتصادي في تشكيل وتطور الرأسمالية، ولكنه يعطي القيم والأفكار مكانة ودوراً أساسياً ومستقلاً في جمهور الرأسمالية، ويرى أن البروتستنتية وخاصة الكلفانية، كحركات إصلاح ديني تضمنت قيماً جديدة، عززت أهمية العمل الجاد وأخلاقياته، وساعدت هذه القيم على تعظيم قيمة العمل.

بينما رأى زيمل إمكانية وجود دور وظيفي لعمليات الصراع، حيث يمكن أن يترتب على وجودها تعزيز النظام والتضامن، كما يمكن أن تتحول عملية الصراع إلى أشكال أخرى من العمليات الاجتماعية، كأن يتحول الصراع عبر الزمن إلى عمليات التنافس أو تعاون⁽²⁰⁾.

واهتم زيمل بوظائف الصراع من حيث علاقاتها الوظيفية بتعزيز النظام، وكان ثورستين فييلين واحداً من القلة الذين اهتموا بتحليل جذور القوة والصراع في إطار تاريخي، وعلى أساس المصالح المتضاربة في الولايات المتحدة، وقد افترض أن الإنسان يسعى بطبيعته للحصول على الاحترام وتحقيق الاعتبار، مما يجعلهما مع المكانة الاجتماعية مجالات للصراع.

ويعد رالف داندروف أهم رموز نظرية الصراع في كتابه الطبقة والصراع الطبقي في مجتمع صناعي، وقد رأى أن عملية الصراع ترتبط بتطور الوعي والتنظيم، وهي دائمة بدوام اللامساواة في توزيع السلطة، فحل بعض المشكلات والتناقضات يولد دائماً مشكلات وتناقضات جديدة⁽²¹⁾.

وعرّف لويس كوزر Lewis Coser الصراع في كتابه الوظائف الاجتماعية للصراع The Functions of Social Conflict بأنه عملية نضال حول القيم أو الموارد النادرة كالقوة والثروة والمكانة، يسعى كل طرف إلى الإضرار والتخلص من الطرف الآخر.

وينظر كوزر إلى المجتمع كوحده نسقية تتكون من أجزاء مترابطة، ولكنه يختلف عن الوظيفيين في قوله بإمكانية اللامساواة أو التباين في البناء الاجتماعي، وبهذا يمكن تجاوز التوترات في العلاقات، وترتبط حدة الصراع عند كوزر بالجانب الوجداني؛ فتأجج العواطف يبعد إمكانية الحلول العقلانية⁽²²⁾.

ويرى كولينز Colins أن دراسة الصراع يجب أن تعتمد على الواقع وأن تتضمن عملية التحليل العلاقات السببية التي يمكن أن تعكس الواقع وتظهر ارتباطات وعلاقات الوحدات فيه، واعتمد كولينز على مصادر مختلفة، أهمها: كتابات فيبر، وماركس، ودوركايم، وبناء على ذلك توصل إلى الافتراضات التالية:

- 1- الإنسان كائن اجتماعي، ولكنه كائن صراعي.
- 2- يوزع النظام الاجتماعي الأفراد حسب المصادر المتاحة لكل منهم.
- 3- تتنافس الجماعات على تملك أكبر قدر مما هو مرغوب فيه.
- 4- يحاول كل فرد تعظيم مكافأته لذاته بما يحصل عليه من الموارد النادرة المرغوب فيها وذات القيمة⁽²³⁾.

2- مفهوم البحث الميداني (الإمبريقي):

البحث الميداني: هو ذلك النوع من البحوث التي يتم إجراؤها بدافع طبيعي، وغير متكلف، بواسطة مشاركة الباحث الفعلية (الملاحظة بالمشاركة) لجميع وقائع السلوك في الحقل، دون أي نوع من الضبط المسبق، أو قصر المتغيرات، أو تحديدها دون غيرها.

ويعرف (كيرلنجر) البحث العلمي، بأنه: تساؤلات علمية ارتجالية تهدف إلى اكتشاف العلاقات والتفاعلات ما يتعلق بعلم الاجتماع أو علم النفس، والتقلبات الثقافية في المؤسسات الاجتماعية.

ف (كيرلنجر) يقول بأن: أي دراسة سواء كانت صغيرة أو كبيرة، تهدف إلى معرفة العلاقات، وتقام في حقول معينة، مثل: الجمعيات والمدارس والمصانع والمؤسسات، وتعد دراسة ميدانية.

فالبحث الميداني بكل اختصار: هو دراسة الواقع كما هو بطبيعته.

1-2 خصائص البحث الميداني:

يتميز البحث الحقلّي عن غيره من البحوث بعدة خصائص، منها:

- 1- البحث الحقلّي غير خاضع للضبط المسبق، ولا للواقع المتكلف، وإنما يهدف إلى الاستفادة من كل ما يجري في الحقل؛ لأن طبيعته طبيعة كيفية لا كمية.
- 2- تعد مصادر المعلومات مهمة للباحث الذي يستخدم هذا النوع من البحوث سواء، كانت هذه المعلومات من الملاحظة أو المقابلات أو السجلات.
- 3- البحث الحقلّي يعطي صورة كاملة للبيئة المدروسة، قلما يعطيها أي أسلوب بحث آخر.
- 4- يمكن بواسطة هذا النوع من البحوث التوصل إلى نتائج دقيقة وواقعية.
- 5- اكتشاف الظواهر الخفية (سلوكيات عفوية غير مقصودة، ولا موجهة).

ويذكر (موريس زيدك) مثلاً لذلك ما قاله (لورنس) العرب في كتابه (أعمدة الحكمة السبعة) جاء نتيجةً لمعايشته العرب آنذاك: "لم أجد لدى العرب سوى أثرًا ضعيفًا للتعصب الديني في ثورة الحسين بن علي، إذ كان طابعها طابعاً قومياً، والظاهرة الخفية هي: "عدم تعصب المسلمين للمسلمين، وذلك بتحالفهم مع النصارى ضد الأتراك المسلمين".

نماذج الدراسات الميدانية:

يقسم (كاتز) Kats دراسات الميدان إلى قسمين:

- 1- استكشافي (تمهيدي).
 - 2- فرضي (نظري).
- والنوع الاستكشافي: يهدف إلى دراسة واكتشاف ما هو أفضل من العلاقات التنبؤية؛ ومثال ذلك:

أ- اكتشاف التقلبات المهمة في وضع الميدان.

ب- اكتشاف العلاقات بين هذه التقلبات.

أما النوع الافتراضي: فيهدف إلى تنظيم الفرضيات اللاجئة بناء على النتائج⁽²⁴⁾.

أهمية البحث الميداني:

يستخدم أسلوب البحث الميداني، وذلك: لعجز المناهج الأخرى من البحوث عن الوصول إلى قياس دقيق للظواهر الإنسانية؛ ولذلك فإن أسباب البحث الميداني يستخدم للإجابة عن الأسئلة التالية:

1- ماذا يحدث في الميدان؟

يساعد البحث الميداني الباحث على رؤية الأشياء التي لا يستطيع الناس رؤيتها بسبب العرف اليومي الرتيب.

2- ماذا تعني الوقائع التي تستخدم في الحقل بالنسبة للأشخاص ذوي العلاقة بها؟

لا بدّ من إدراك تفصيلات الوقائع وكيفية وقوعها، مثلاً: "لا يمكن وصف المدرس بأنه يدرس، بل لا بدّ من معرفة كيفية أدائه في التدريس".

3- ما المعاني المقصودة من السلوك المختلفة؟

يكشف الباحث في الدراسات الميدانية عن تفسيرات السلوكيات المشاهدة.

4 - هل هناك تناسق بين ما يحدث في الميدان، وما يحدث للبيئة المحيطة به⁽²⁵⁾؟

نتائج الدراسة ومناقشتها:

الإجابة عن السؤال الأول: ما العلاقة التي تجمع بين الأبحاث الميدانية والنظرية الاجتماعية؟

العلاقة بين البحث الميداني والنظرية الاجتماعية:

تعرف النظرية بأنها مجموعة من المفاهيم والقضايا التفسيرية التي تفسر ظاهرة معينة، وتساعد من خلال ذلك على التنبؤ بحدوث الظاهرة عند وجود شروطها، أو أسبابها؛ وتمكن المجتمع في التحليل النهائي من ضبط الظاهرة والتحكم بمسارها من خلال سياسات اجتماعية مدروسة أما البحث الإمبريقي فإنه من خلال خطواته وأدواته يقدم الأدلة، وهي: الإحصائيات والعلاقات، والمعلومات، والتي يشار إليها عادة بالنتائج التي تدعم التفسيرات النظرية وتؤكدها، وتدعم المفاهيم النظرية وتزيدها وضوحاً، أو تقلل من أهميتها⁽²⁶⁾.

وكلما أدت النتائج المكتشفة إلى زعزعة بعض التفسيرات وبعض المفاهيم النظرية، توجهت جهود الباحثين لتقديم مزيد من النتائج حول هذه التفسيرات والمفاهيم. كما أن السياسات الاجتماعية تصل

أيضاً على توجيهه - جهود الباحثين نحو المواضيع التي يتوجه إليها اهتمام المجتمع؛ لما لها من أهمية تطبيقية في الدرجة الأولى، وأهمية نظرية في الدرجة الثانية.

من هنا يبدو الارتباط الوثيق بين النظرية والبحث؛ فكلاهما عنصر أساسي في تراكم المعرفة ونمو العلم وتطوره، ولعل أشهر من حل العلاقة المتبادلة بين البحث الإمبريقي والنظرية الاجتماعية هو العالم روبرت ميرتون الذي يؤكد وجود علاقة وثيقة بين النظرية والبحث الميداني، على الرغم من حدوث انقسام بين النشطين: التنظير؛ أي صياغة النظرية والبحث الإمبريقي، أي اكتشاف العلاقات، وتقديم الأدلة على وجودها. وهو أن مثل هذا الانقسام يؤدي إلى إيجاد ثغرات ونقاط ضعف في كل من نظرية. والبحث الإمبريقي إذ من الضروري أن ترتبط الأدلة الإمبريقية، أو النتائج بإطار نظري متماسك محدد، ومن الضروري أيضاً أن ترتبط القضايا التي عليها بأدلة ميدانية تعطيها قوة، ومصداقية.

ومن الضروري بعد ذلك توجيه الدراسات الميدانية نظرياً؛ أي حسب حاجة النظرية الاجتماعية لما يؤدي إلى معالجة الثغرات في بعض جوانبها، وتدعيم الجوانب الأخرى؛ كما أنه من الضروري أن تكون القضايا النظرية مدعمة إمبريقياً. وبناءً على ذلك يقترح ميرتون عدداً من الخطوات المحددة لدمج النظرية والبحث الإمبريقي، كما هو موضح فيما يلي:

- 1- ذكر الفرضيات بشكل واضح في تصميم البحث الإمبريقي، إضافة إلى توضيح التراث النظري الذي استمدت منه هذه الفرضيات.
- 2- عند إتمام اختبار هذه الفرضيات يجب أن تنافس بربطها التراث النظري، وذكر جوانب هذا التراث الذي يدعم من قبل الفرضيات، والجوانب الأخرى التي لا تدعم.
- 3- اشتقاق المفاهيم والمصطلحات المستخدمة في صياغة الفرضيات من تراث نظري معين، وهو ذلك التراث الذي يرتبط به موضوع البحث.
- 4- التفسيرات النظرية الجديدة التي تقدم نتيجة للأدلة والنتائج الإمبريقية الجديدة، وبخاصة المتعلقة بعلاقات غير متوقعة بين المتغيرات يجب أن تبرر بشكل يؤدي إلى اقتراح تعديلات في نظريات قائمة. ويؤدي إلى مزيد من الأبحاث الإمبريقية المتعمقة لتقديم مزيد من النتائج والأدلة حول هذه العلاقات بين المتغيرات⁽²⁷⁾.

وخير مثال هاتان الدراسات حول الانتحار في العالم العربي والغربي اللتان تظهر فيهما جلياً قدرة البحث العلمي المدعم إمبريقياً في تقديم نتائج ودلائل حقيقية مغايرة لما هو شائع ومتداول في المجتمع كما في دراسة لمديرية الشرطة (2015) (حول الانتحار) التي تهدف للتعرف إلى أهم الأسباب وراء الانتحار في الأردن، وأكثر الفئات المنتحرة، والأدوات المستخدمة، وتمت

الدراسة على رصد المنتحرين في جميع أقاليم المملكة من عام 2012-2015، والذين بلغ عددهم 837، والنتائج التي توصلت إليها الدراسة، هي أن السبب الرئيسي وراء الانتحار في الأردن هو الفشل والإحباط والاضطرابات النفسية للأشخاص المنتحرين، وأكثر الفئات المنتحرة هي (18-27) سنة، وعدد المنتحرين من الذكور أعلى من الإناث، وأن أكثر الأدوات المستخدمة هي الشنق من قبل الذكور، وشرب الأدوية والمواد الكيماوية من قبل الإناث.

ودراسة Caok.o (2015) بعنوان (منع الانتحار بين النساء الكبار بالسن في آسيا) حيث تمت مقابلة سيدات كبار في السن 65 فما فوق، حاولن الانتحار وقد تعرضن لمشاكل اقتصادية واجتماعية، وعند سؤالهن عن محاولتهن الانتحار ذكرن أن السبب الرئيس؛ هو شعورهن بالاكئاب العالي والقلق، حيث 40% من هؤلاء النساء أثناء مقابلهن كانت لديهن أعراض اكتئاب ما بين المتوسطة والحادة.

وأثبتت الدراسات؛ سواء العربية والغربية أن السبب الرئيسي وراء الانتحار هو الشعور بالإحباط والفشل والاضطرابات النفسية التي يشعر بها الفرد ، وتجعله يلجأ إلى الانتحار كوسيلة للتخلص من المعاناة التي هو فيها، ومن هنا نستطيع أن نرى أن الدراسات والأبحاث تغير حقائق ومعتقدات سائدة وشائعة بين المجتمع، حيث الفكرة السائدة حول السبب الرئيسي للانتحار هو الوضع الاقتصادي؛ سواء كان متدنياً أو مرتفعاً، والبعض الآخر رأى أن البطالة والفقر همت السببان الرئيسان للانتحار في معظم الأحيان؛ لذا جاءت الكثير من الأبحاث الإمبريقية لسد ثغرات النظريات القديمة نحو هدمها وتغييرها إلى نظريات جديدة مدعّمة ميدانياً.

وفيما يتعلّق بوظائف البحث في خدمة النظرية الاجتماعية فإن ميرتون يحددها بالوظائف الأربع الرئيسية التالية، وهي:

- 1- إنتاج نظريات جديدة.
- 2- تنقية المفاهيم والمتغيرات.
- 3- إعادة التركيز والتوجيه النظريين.
- 4- تعديل النظريات القائمة.

وسيتّم توضيح هذه الوظائف والتعليق عليها بشيء من التفصيل فيما يلي من صفات:

1- إنتاج نظريات جديدة:

قد يؤدي أحد البحوث الميدانية إلى اكتشاف علاقة سببية غير متوقعة بين ظاهرتين أو متغيرين، مما يوجه الأبحاث الاجتماعية لمزيد من التركيز على هذه العلاقة بغرض التعمق في

توثيقها. وينتج ذلك حاجة إلى تفسير نظري جديد من خلال مفاهيم ومقولات جديدة بهدف فهم هذه العلاقة، وينتج عن ذلك كله تطوير نظرية جديدة لم تكن موجودة من قبل. ومن الأمثلة التي يقدمها ميرتون على ذلك ما قام به سيجموند فرويد من إيجاد نظرية حول الكبت والأفعال العرضية، بالاعتماد على ما لاحظه من زلات اللسان، أو زلات القلم، وهي تصرفات لاحظها أناس آخرون، لكن فرويد بقدراته النظرية استطاع أن يعطي تفسيراً نظرياً لهذه الملاحظات، واستطاع من خلال ذلك تطوير نظرية الكبت.

2- تنقية المفاهيم والمتغيرات:

ترتبط عملية تعريف المفاهيم والمتغيرات بعملية التنظير التي تستخدم هذه المفاهيم بعد تحديد معانيها النظرية والإجرائية، في بناء مقولات تفسيرية للظاهرة الاجتماعية، وتستفيد النظرية من هذه العملية التي تتم من خلال البحث الإمبريقي، إذ يتم تعريف المفهوم نظرياً، وتطوير تعريفات إجرائية له يمكن قياسها وجمع معلومات كمية عنها. كما أن عملية التعريف هذه تمكن الباحث من صياغة فرضيات محددة تخضع للقياس الكمي.

ويدرك الباحث المجرب أن قياس المفاهيم دون تعريفها إجرائياً عملية تبدو مستحيلة. فمثلاً إذا أراد أحد الباحثين قياس مفهوم (التماسك الداخلي للأسرة) وهو مفهوم نظري وليس إجرائياً، فسيجد صعوبة في ذلك، ولكن حينما يقوم الباحث بتطوير المؤشرات الإجرائية التي تقيس هذا المفهوم على ما يلي: ما درجة تكرار الخلافات بين الزوجين، وما طرق حل الخلافات إن وجدت، وما مدى مشاركة الأبناء الذين يعملون في ميزانية الأسرة، فإنه يجد طريقة قياس المؤشرات أسهل له.

حيث يمكن قياس كل مؤشر من هذه المؤشرات بسهولة عن طريق سؤال الأسرة مباشرة الاسئلة، ثم تجمع الإجابات عن هذه المؤشرات لتقدم لنا تصنيفاً لدرجة التماسك الداخلي في الأسرة، وهي عملية تفني النظرية الاجتماعية، فهي تؤدي إلى تنقية المفاهيم والمتغيرات التي تشكل القضايا النظرية، مما يزيد من قدرتها على التفسير، والتنبؤ والضبط.

3- إعادة التركيز والتوجيه النظريين:

يربط ميرتون بين تطوير مناهج وأدوات جديدة لجمع المعلومات، وبين زيادة القدرة على اكتشاف العلاقات السببية الجديدة بما يؤدي إلى إيجاد وتطوير تفسيرات جديدة لها، فمثل هذه العملية تؤدي إلى الوصول إلى معلومات جديدة لم تكن معروفة من قبل، وهذا بدوره ينقل بؤرة الاهتمام في النظرية لتقديم مفاهيم وتفسيرات لهذه المعلومات الجديدة. وقد طرأ الكثير من

التطوير والتركيز بالنسبة لنظرية الشخصية والبناء الاجتماعي نتيجة لتطوير مناهج موضوعية مثل اختبار الورشاخ، أو نقطة الحبر، واختيار كتابة القصة.

ولا شك أن الأساليب الإحصائية المستخدمة في تحليل وتصنيف البيانات تساعد على تقديم الإحصائيات بشكل يتناسب والنظرية الاجتماعية. ويستطيع الباحث أن يصمم أدوات جمع المعلومات بنفسه للحصول على بيانات إحصائية توقع سلفاً علاقاتها بالنظرية، تقدم لفئات محددة تخضع للمقارنة. وقد تؤدي هذه الإحصائيات التي تجمع بشكل دقيق إلى تعميق تفسيراتنا أو تغييرها فيما يتعلق بعلاقات السلطة داخل الأسرة، والطلاق، والتماسك الأسري الداخلي، والعلاقة بين الجماعات داخل المجتمع. أما الإحصائيات الرسمية، التي تجمع من قبل مؤسسات الحكومة فهي تقدم مؤشرات إحصائية مهمة عن حركة المجتمع وأداء مؤسساته. لكن هذه الإحصائيات ليست مبوبة على شكل فئات متميزة بما يسهل قياسها كمياً والمقارنة بينها، وتوثيق العلاقات بينها أيضاً، مما يعيق استخدامها، لإغناء النظرية الاجتماعية⁽²⁸⁾.

4- تعديل النظريات القائمة:

يؤدي البحث الميداني -كما اتضح من قبل- إلى تعديل، وتدعيم النظريات الاجتماعية القائمة من خلال اكتشاف العلاقات غير المتوقعة. كما تؤدي هذا الدور من خلال إعادة اكتشاف علاقات معروفة، لكنها تعرضت للإهمال والتجاهل لفترة طويلة لعدم ربطها بنظرية معينة.

ولتأكيد أن الأبحاث الميدانية تعمل على تعديل نظريات اجتماعية قائمة، كما في دراسة مجد الدين ودراسة ثناء صالح.

(1) دراسة مجد الدين (1994) بعنوان: (الأسرة والأقارب) وهي دراسة ميدانية على عينة من الأسرة النواة في مدينة عمان. تهدف هذه الدراسة إلى تحليل أنماط العلاقات المعاصرة بين عدد من الأسر النواة وبقية وحدات النسق القرابي، خاصة الأسر الممتدة والحمولة، وكانت العينة (274) أسرة من نواة حضرية من الأسر التي تقطن في مدينة عمان، والعينة عرضية، استخدمت لأغراض المسح الاجتماعي، قدمت بيانات إمبريقية تتعلق بجانبين.

الجانب الأول: تتعلق الخصائص والمميزات البنائية التي تتصف بها الأسر النواة الأردنية المدرسة، وتميزها عن الأسرة الممتدة.

ويوضح لنا الجانب الثاني أن الأسر النواة مثلها في المجتمعات ليست منعزلة أو معزولة اجتماعياً.

وأظهرت الدراسة أن دارسي الأسرة العربية أكدوا أن ظهور الأسرة النواة وانتشارها يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتحضر والتصنع والسياسات الحكومية خصوصاً في مجال الإسكان، ويرتبط بعوامل أيولوجية، وتؤكد هذه الدراسة أن انتشار الأسرة النواة العربية له علاقة بنمو والتنظيم البيروقراطي الرسمي وسيادته في المجتمع العربي، فتمو التنظيم البيروقراطي، خصوصاً الدولة ومؤسساتها المختلفة وتركيز هذا التنظيم على الكفاءة الإنتاجية من خلال التخصص، أخذ العديد من وظائف الأسرة التقليدية، مثل: إنتاج السلع والحماية وتعليم الأطفال، وجعلها محور عمل مؤسسات رسمية متخصصة.

وتؤكد هذه الدراسة أن جميع الدراسات التي ربطت ظهور الأسرة النواة بالتصنيع ونمو قطاع الخدمات في المجتمع العربي لم تستطع تفسير التغيرات الحاصلة؛ لأن العديد من المجتمعات العربية لم تبدأ حركة تصنيع واسعة بعد، ومع ذلك نلاحظ منها التغير البنائي في النمط الأسري الممتد إلى النمط النووي.

فالمجتمع العربي لم يدخل بعد مرحلة تصنيع واسع، وبالتالي فإن فرضية التصنيع لا تستطيع تفسير التغيرات الحاصلة في انتشار الأسرة النواة ورأت هذه الدراسة أن نشوء وتطور التنظيم البيروقراطي في المجتمع العربي قد يكون العامل الأساسي في ظهور الأسرة وانتشارها على أنها النواة العربية.

2- دراسة ثناء صالح (2007) الموسومة ب (الأسرة والعولمة جدل وحوار)، هدفت هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على تغيرات الأدوار للأسرة العربية من خلال دور العولمة على السوق العربية؛ أي تلاشي سلطة الأب داخل الأسرة لصالح الزوجة والأبناء، نتيجة التغيرات التكنولوجية والاقتصادية وانتشارها في المجتمع، فلم يعد الأب صاحب القرار الوحيد في الأسرة، بل إن المرأة تتحمل جزءاً من المسؤولية الاقتصادية والاجتماعية، حيث تشارك المرأة الرجل في القرارات داخل الأسرة، أي أن السلطة الأبوية تلاشت، وحلت محلها علاقة تشاركية بين الزوج والزوجة.

وأثبتت الدراسات التي تم تناولها أن الأبحاث الميدانية تعدل نظريات قائمة.

وقد بدأت النظرية الاجتماعية بالتأثر بهذه النتائج الإمبريقية وغيرها التي تسير في الخط نفسه، وهذا دليل قاطع على أن الأبحاث الميدانية قادرة على تعديل نظرية قائمة وتغيير النتائج المترتبة عليها بناءً على الأدلة الإمبريقية، وبذلك يجب أن تستند النظرية إلى أدلة قادرة على أن تعطيها المصداقية، ومثال ذلك الكثير من الأبحاث التي غيرت حقائق منتشرة؛ فدراسة حطيم وكذلك ثناء وعنصر، كلها تؤكد تلاشي النظام الأبوي وتظهر التغيرات التي طرأت على الأسرة العربية من تقلص سلطة الأب وزيادة تمكين المرأة، ودخول التكنولوجيا وانتشارها؛ كلها مؤشرات نحو تشاركية الرجل والمرأة بعيداً عن سلطة الرجل المطلقة في اتخاذ القرار.

وأفضل دليل على أن الأبحاث قادرة على دحض النظرية القديمة، سواء كان ذلك في الوطن العربي أو الغربي كما في الأبحاث حول أسباب انحراف الأحداث، فمعظم التوجهات العربية والأجنبية تعزو سبب الانحراف إلى التفكك الأسري كمسبب أساسي؛ لكن بعد الدلائل الإمبريقية والدراسات الميدانية تم التأكد أن معظم الأحداث المنحرفين يأتون من أسر غير مفككة؛ أي أن الأم والأب موجودان داخل الأسرة؛ أي غير مطلّقين أو منفصلين، بل يعيشان مع بعضهما، ولكن الإشكالية في طبيعية العلاقة بينهما من مشاحنات وتوترات حيث تسود علاقة مضطربة تؤثر على الأطفال داخل الأسرة، وجميع الدراسات العربية والأجنبية، ومنها دراسة رطروط وهينس و Banham أكدت أن السبب وراء انحراف الأحداث، سواء عند العرب أو الغرب هو الاضطرابات التي تسود العائلة، والتي تؤثر على أفرادها، وهناك عوامل أخرى، مثل: الفقر، وإهمال الوالدين لأبنائهم، ورفاق السوء، وغير ذلك.

وكذلك الحال في الأبحاث التي تدرس ظاهرة الانتحار، حيث تؤكد أن السبب وراء الانتحار في الدول العربية والغربية ليس الوضع الاقتصادي المتدني أو المرتفع، بل هو الشعور بالإحباط والفشل والاضطرابات النفسية التي ترافق الشخص لفترة من الزمن، وتحول دون قدرته على التكيف مع البيئة المحيطة، ومن ثم يفضل التخلص من حياته؛ كما في دراسة مديرية الشرطة لعام 2015 في الأردن حول معرفة أهم أسباب الانتحار في الأردن، فكانت النتائج أن شعور الأشخاص بالإحباط والفشل هو المبرر لانتحارهم، ودراسة كوك حول أسباب محاولة النساء للانتحار؛ فكانت النتيجة أن شعورهن بالإحباط والاضطرابات النفسية هو سبب تفكيرهن في الانتحار؛ لذا جاءت كل هذه الدراسات جاهدة لتغيير الحقائق وراء مواضيع قائمة، إذ لا بد من رد اعتقادات قديمة سائدة وإثبات حقائق قائمة، بناءً على النتائج الإمبريقية والميدانية التي تثبت صحة الاعتقادات الأنية.

The Impact of Empirical Research on Sociological Theory

Nadia I. Hyasat, *Sociology and Social Service Department, Yarmouk University, Irbid, Jordan.*

Abstract

The study aims to show the impact of empirical field research on social theories, to find a close relationship between theory and field research, and to explore how some field research modifies, supports, or deconstructs a theory. In this way, this research highlights the power of field studies to guide social theory towards addressing some gaps existing in the social theory.

The study has found significant results. Some of these significant results include: field research can produce, support, or modify an existing social theory; field research can provide theorists with new information through empirical evidence; there is a close relationship between field research and social theory as both are vital components of any research, knowledge, and scholarship. Hence, any theoretical issues should be empirically supported, enhanced by empirical evidence or statistical results, and related to field studies as such evidence and studies contribute to empowering these issues and increasing their credibility.

الهوامش

- (1) ابن خلدون، 2013، ص ص524-525.
- (2) عثمان، 2008، ص16.
- (3) خمش، 2005، ص326.
- (4) شرابي، 2005.
- (5) حجازي، 1986، ص ص70-77.
- (6) عثمان، 2008، ص ص15-16.
- (7) تيرنر، 1978.
- (8) عثمان، 2008، ص ص16-17.
- (9) وليامز، 1970.
- (10) عثمان، 2008، ص ص46-47.

- (11) تيرنر، 1978.
- (12) بارسونز، 1951.
- (13) ريتز، 1983.
- (14) عثمان، 2004.
- (15) Alexander, 1981 p.p80.
- (16) Luhmann, 1985 p.p5-20.
- (17) mills, 2000.
- (18) Turner, 1978.
- (19) زالتين، 1989.
- (20) Mills, 2000.
- (21) دارندوف، 1959.
- (22) زايكلن، 1989.
- (23) عثمان، 2008، ص101.
- (24) البخيت، وآخرون 1997، ص243-244.
- (25) البخيت وآخرون، 1997، ص245.
- (26) جیدنز، 2005.
- (27) خمش، 2005، ص372.
- (28) Merton, 1957p.p156-171.

المراجع العربية

- ابن خلدون (2013) مقدمة ابن خلدون - تحقيق حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة، ط 2.
- البخيت، محمد عدنان، خمش، مجد الدين وآخرون (1997). أساليب البحث والمكتبة، منشورات الجامعة الأردنية.
- بوتومور (1985)، علم الاجتماع منظور نقدي، ترجمة عادي الهواري، الإسكندرية، دار المعارف.
- جیدنز، انتوني (2005)، علم الاجتماع، ترجمة فايز الصياغ، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.

- حطيم، علي حسين (2012)، السلطة الأبوية في الأسرة العراقية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد.
- خمش، مجد الدين (2005)، علم الاجتماع الموضوع والمنهج، دار مجدلوي للنشر والتوزيع، عمان.
- رطروط، فواز (2015)، انحراف الأحداث بين النظرية والتطبيق، تقرير وزارة التنمية الاجتماعية، عمان.
- زالتن، أرفينج (1989)، النظرية الاجتماعية في علم الاجتماع (ترجمة محمود عودة إبراهيم عثمان، الكويت، ذات السلاسل.
- شرابي، هشام (2000)، المجتمع العربي في القرن العشرين، بحث في تقرير الأحوال العلاقات، مركز دراسات الوحدة العربية.
- صالح، ثناء محمد (2007)، الأسرة والعولمة جدل وحوار، دراسة استطلاعية، جامعة دمشق.
- عبد الرحمن، طه (2001)، ما بعد الأخلاق انقلاب في قيم الحداثة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط.
- عثمان، إبراهيم (2004)، مقدمة في علم الاجتماع، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان.
- عثمان، ابراهيم (2008)، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان.
- علي، سعيد إسماعيل (1995)، فلسفات تربوية معاصرة، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون.
- عنصر، عياشي (2008)، آفاق التحول من الأبوية إلى الشراكة، مجلة عالم الفكر، مجلد عالم الفكر، مجلد 3، عدد 3.
- مديرية الشرطة (2015)، الانتحار في الأردن، تقرير حول معدلات وأسباب الانتحار، عمان.
- مصطفى حجازي، (1986)، التخلف الاجتماعي: سيكولوجية الإنسان المقهور، بيروت، معهد الإنماء العربي.

المراجع الإنجليزية

- Alexander.Jeffery (1981) Reaction –Re from The change (*Theory of parsons sociological*).
- Caok.O (2015) (*preventions suicide among older adult Asian women*) ,san Francisco.cA. American o ,CA, society on Aging.
- Darhen dorf-Ralph-(1959) class And (*class conflict of Industrial society*), Stanford univer sity press.
- Deves.metaboles (2003) (*Delinquency and criminal be haviour and delinquency*) world youth report.
- Henes.T.H. (2013) report about (*Dellinguency and criminal behaviour*) uinted states department –jurneile .
- k.m Banham (2012) *journal of crinminal law and criminology*, 531 volume 17, Article3.
- Luhman ,N. (1985) (*society meaning Rrligion*), Based on self Re ference sociological –Analysis 4.
- Mills,c. wright(2000) (*The power Elite*) oxford, university press.
- Parsons-Talcot(1968) (*The structure of social Action*) V0l. I. Nyork, The free press university press.
- Robert K. Merton (1968) (*Social Theory And Social Structure Theoretical Sociology*), New York, The Free Press, , Pp. 15: 155.
- Terner,J.(1978) (*The structure of sociological Theory*) Homewood.The Darscy press.
- Willim.Robin (1970) (*American society*) Nyork-Knopf1970.

الانزياح التركيبيّ في لامية العرب للشنفرى: دراسة أسلوبية

أحمد عبد الرحمن الذنبيات ورائد وليد جرادات *

تاريخ الاستلام 2016/5/31

تاريخ القبول 2016/8/4

ملخص

تسعى هذه الدراسة إلى الوقوف على ظاهرة الانزياح التركيبي في قصيدة لامية العرب بوصفها ظاهرة أسلوبية، وقد تناولت هذه الظاهرة من خلال ثلاثة محاور:

- التقديم والتأخير
- الحذف.
- الالتفات.

وقد اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، في الكشف عن الملاحظ الأسلوبية الانزياحية، في المحاور أعلاه، وتحليلها وفق ما تتيحه الأسلوبية، من كشف لما بين المعيارية والانزياح من أثر واضح على القصيدة؛ من حيث الجمالية الشكلية، وكذلك البنية المعنوية، وتشكيل الرؤى الشعرية في القصيدة.

تمهيد:

يعمد الشعر إلى اجتياز المهمة الأولى للغة، والمتمثلة في التوصيل ولذا تميز الشعر بلغة خاصة تقوم على الاختلاف، والمغايرة؛ لتوفير الجمالية والمتعة واللذة للمتلقى أثناء قراءة النص، متأملاً في المفردة والتركيب والجملة متدوقاً للنص، معيداً تشكيله في بنية لغوية وفكرية جديدة، من نتاج لغة مشتركة بين المنتج والمتلقي، تمتزج فيها الثقافة القبلية للمتلقى مع فضاءات المبدع المنتجة للنص.

ومن هنا يمكن القول: إن النص الأدبي " فعالية لغوية انحرفت عن مواصفات العادة والتقليد، وتلبست بروح متمردة رفعتها عن سياقها الاصطلاحي إلى سياق يخصها ويميزها"⁽¹⁾، ولا شك في أن هذا التمييز في أسلبة الكتابة، أو النظم اللغوي، يحمل هموم الإنسان، والشاعر – منذ القدم –

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2017.

* قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الطفيلة التقنية، الطفيلة، الأردن.

جاء حاملاً لهذا الهم، الذي يمر عبر مراحل عدة، فعقل الشاعر، مرجل يغلي فوق الواقع، بمستوياته المختلفة، من الهم الفردي والقبلي والقومي والإنساني، تنسكب في بوتقة الرؤيا، وتمتد إلى لحظة التنوير أو الولادة، لتذر تلك الرؤيا؛ رؤيا العالم، في النص، والنص رؤيا فكرية وتعبيرية، تلج المسرح أمام المتلقي بثوب اللغة وروحها، واللغة هنا مستويات ودرجات، ونقصد بذلك التوظيف اللغوي الأسلوبي، والمبدع هو الأقدر على امتلاك اللغة، أو هو ساحر أداته اللغة، بمعياريتها وقواعدها، ولامعياريتها واختراقها وكل انحرافاتها، وربما كان هم الشاعر، اقتناص القارئ الضمني الذي يبقى نصب ناظره، ولكن المبدع يأبى التقديم المباشر والمستهلك، إذ إن رسالته تحمل العقل الجمعي في موافقة الموجود والعادي والواقع أو معارضته والثورة عليه، ولذلك كله، تأتي الاختراقات والتجاوزات والانزياحات عن القاعدة والنسق المعهود في اللغة، لأن ما يُقدّم يُغيّرُ النسق المعهود في الحياة.

ويبدو أن هذا الخروج أو الانزياح يتأتى من خلال الأسلوب، فاللغة مشتركة وإذا كان علم اللغة " يدرس ما يقال، فإن الأسلوبية هي التي تدرس كيفية ما يقال، مستخدمة الوصف والتحليل في أن" (2).

ومن هنا توجهت هذه الدراسة إلى الانزياح (3) بوصفه معياراً نقدياً، يمكن من خلاله الكشف عن جماليات النص، كما أن فهم ما في النص من انزياح، يفضي إلى فهم جوانية النص، وفهم بنيته الشكلية والمعنوية، ويحتاج ذلك إلى قراءة النص "قراءة استبطانية جوانية تبتعد عن القراءة السطحية والهامشية، وبهذا تكون ظاهرة الانحراف ذات أبعاد دلالية وإيحائية تثير الدهشة والمفاجأة، ولذلك يصبح حضوره في النص قادراً على جعل لغته لغة متوهجة ومثيرة تستطيع أن تمارس سلطة على القارئ من خلال عنصر المفاجأة والغرابية" (4) ويتأتى ذلك من اعتماد الانزياح على الخفاء والتجلي، فكلمة ضربت اللغة في الخفاء من غير تعمية - دخلت في باب اللغة الشعرية، وخرجت من اللغة المستهلكة عند المتلقي، ومن ثم استحقت الوقوف منه؛ بل وأوقفته يرنو ويتأمل فيها، لما تقدمه من لذة فكرية ومتعة جمالية وتشويق للمتابعة، إذ تشكل باعثاً على التفتيش، والتفكير، وما في نفس المتلقي من رغبة في كشف المخفي، وعزوف عن المكشوف والمعهود لديه.

ولذا يعمل الانزياح على خلق تعالقات جديدة تشي بالتمرد على اللغة المعيارية في سياق النص، لتعود وتلتئم في ذهن القارئ "فالنص الأدبي يفرز أنماطه الذاتية وسننه العلامة والدلالية فيكون سياقه الداخلي هو المرجع لقيم الدلالات" (5). وعلاوة على ذلك فإن النص الجاهلي " يكتسب ألقه ووجهه من كونه نصاً مراوفاً لا يفصح عما يريد بسهولة متناهية، ولذلك فإن هذه المراوغة تحتاج إلى أدوات ووسائل للوقوف على أبعادها وحدودها" (6).

ويبدو أن الانزياح إحدى أدوات تلك المراوغة؛ فهو "خروج التعبير عن السائد أو المتعارف عليه قياساً في الاستعمال؛ رؤية، ولغة، وصياغة وتركيباً"⁽⁷⁾، ومنهم من عرفه "بأنه: يكون خرقاً للقواعد حيناً ولجوءاً إلى ما ندر من الصيغ حيناً آخر"⁽⁸⁾ وفي كلتا الحالتين نرى سمة مشتركة، وهي تجاوز المباشرة والتقريرية إلى المراوغة، واللغة التأثيرية الانفعالية.

وتعمد الدراسة إلى لامية العرب للشنفرى ميداناً للتطبيق، ولم يأت الاختيار من قبيل المصادفة، وإنما القصيدة وما اتصفت به من انزياحات تركيبية؛ هو السبب الذي دفع الباحثين لاختيارها، كما أخذت حيزاً واسعاً من اهتمام الشراح⁽⁹⁾ ربما لم يشاركها فيه غيرها من قصائد الشعر الجاهلي، ولعل ذلك عائد إلى ما امتازت به من بنية شكلية معنوية أنتجها الانزياح.

الانزياح التركيبي:

من الممكن القول بأن ألفاظ اللغة ملك مشترك لناطقها، وربما كان علماء اللغة الأكثر معرفة بتراكيبها ونظمها، ولكن الشاعر هو من حباه الله ميزة تجعله يفارق غيره تلك الموهبة، التي تتيح له مزج الفكر بالخيال والمعنوي بالمحسوس، لينتج لنا القصيدة، بكيونتها التي تشغلنا بنظمها تركيباً وبصورها خيلاً، ثم إذا جئناها ألفتنا مفرداتها معروفة في أذهاننا ومعاجمتنا وصورها قريبة بين أيدينا، وإذا ما حاولنا إيجادها استعصت علينا وأبت انقياداً لنا، وإذا ما كررنا فيها البصر، تكشف لنا سر الإعجاب ولغز المفاجأة، فذلك كله عائد إلى النظم بين المفردات، وتركيبها في الجمل وبنية البيت في القصيدة، وقد تنبه عبد القاهر الجرجاني إلى ذلك عند قوله "الألفاظ المفردة التي في أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها، ولكن لأن يُضم بعضها إلى بعض، فيعرف ما بينها من فوائد، وهذا علم شريف وأصل عظيم"⁽¹⁰⁾. ومن خلال التركيب المفرداتي للشعر تحدث مفارقة النثر التوصيلي، ويمكن تسمية هذا الاختلاف بالانزياح التركيبي، الذي ظهر في لامية العرب بصور متعددة منها:

1. التقديم والتأخير 2. الحذف 3. الالتفات.

1. التقديم والتأخير:

تشكل هذه السمة إحدى أدوات الشاعر المتبعة في الارتقاء على اللغة المعيارية، وإحداث الغرابة ولفت انتباه المتلقي، وقديماً فطن العلماء لهذه السمة؛ يقول عبد القاهر الجرجاني: "ولا تزال ترى شعراً يروك مسمعه ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء، وحول اللفظ من مكان إلى مكان"⁽¹¹⁾.

وينظر ابن جني لهذه الخروجات على معيارية اللغة، بأنها شهامة وشجاعة لدى الشاعر حيث يقول: "ومتى رأيت الشاعر قد ارتكب مثل هذه الضرورات... فهو وإن كان ملوماً في عنفه وتهالكه فإنه مشهود له بشجاعته وفيض منته... إدلالاً بقوة طبعه ودلالة على شهامة نفسه"⁽¹²⁾.

ويتنوع التقديم والتأخير في الكتابة الفنية، يقدم ما حقه التأخير، ويؤخر ما حقه التقديم، وذلك في العلاقة الإسنادية بين المفردات، والتنوع في هذا الضرب من الانزياح في لامية العرب، فمنه ما بين المفعول والفاعل والمبتدأ والخبر، والنواسخ واسمها وخبرها.

- المفعول وفاعله:

وفي مثل هذه الحالة، يتجاوز الشاعر القاعدة النحوية في ترتيب أركان الجملة، التي تأتي على النحو الآتي: (الفعل - الفاعل - المفعول به) ليقوم بتقديم المفعول به على الفاعل، ولعل ذلك عائد لرؤية الشاعر النفسية في ترتيب معانيه، ومنحها الرتب وفق ما يشغل خاطره، ووفق هذا يمكن فهم قول سيبويه: "يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم أعنى ببيانه وإن كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم"⁽¹³⁾.

ومما ورد في اللامية قوله:

وأعدمُ أحياناً وأغنى وإنمأ ينالُ الغنى ذو البعدة المتبذلُ⁽¹⁴⁾

تم تقديم المفعول به (الغنى) للفعل (ينال) على الفاعل (ذو البعدة)، ولم يكن هنالك من عازل لفظي بين أركان الجملة الثلاثة، ولكن المدقق في صدر البيت، يتبين له أن الحديث دائر حول (العدم والغنى) ولذا جاء عجز البيت مفسراً قضية الغنى، والوصول للكمال فجاءت آلية الانزياح لخدمة الفكرة؛ فقدم المفعول به (الغنى) على فاعله، لأن الفاعل قد تتعدد مسمياته وآلياته في حين يبقى الغنى ضديد الفاقة والعوز والعدم، وهو ما يشغل نفس الشاعر ولذا منحه رتبة على الفاعل، ويظهر أثر الانشغال النفسي الداخلي للشاعر في مثل هذا النمط الانزياحي في قوله:

وليلةٍ نحسُ يصطلي القوسَ ربُّها وأقطعهُ اللّاتي بها يتنبلُ⁽¹⁵⁾

قدم المفعول به (القوس) وجاء بين الفعل (يصطلي) والفاعل (ربها)، ونلاحظ ضمير الهاء العائد على المفعول به، وهذا كله عرض بين- ولكن التعداد المفرداتي للبيت يظهر التبئير حول القوس، فالشطر الثاني يرتبط بكامل مفرداته أسماء وأفعالاً وحروفاً بالقوس؛ فالواو في وأقطعه، تعطف الأقطع على القوس والأقطع هي السهام المستخدمة في القوس، واللاتي جاءت صفة للأقطع (وبها) تتعلق بالسهام والجملة الفعلية في (يتنبل) ترتبط كذلك بالقوس، وكذلك في الشطر الأول ف (يصطلي) يتحقق فعل الاصطلاء فيها، بالقوس. ثم ربها الفاعل للاصطلاء تتحقق فاعليته في القوس بدليل الضمير (الهاء) العائد عليها، ومن هنا فإن القوس الممثل للسلاح الفردي وألة

القنص قبل هذه الليلة، تتحول إلى وسيلة (على المستوى اللغوي) للتدفئة، وفي البعد التأويلي للمدلول الشعري، تتموضع علامة سيميائية، دالة على شدة تلك الليلة ببردها ونحسها ليضحي بأعظم ما لديه اتقاء شرها، فيشكل القوس قرباناً يقدمه بين يدي الظلمة والنحس والبرد، ليحقق النجاة، وبهذا الفهم يمكن تفسير هذا الانزياح، الذي حدث فتقدم المفعول به رتبة على فاعله إن الترتيب القاعدي للبيت كالاتي: وليلة نحس يصطلي الرب قوسه وأقطعه...، مثل هذا الضرب من الانزياح نجده في الأبيات رقم (22- 28، 30- 36).

الفعل - والفاعل: وقد يحدث التقديم والتأخير بين الفعل وفاعله، حيث يتقدم الفاعل على فعله مما يشكل انقلاباً في الجملة من فعلية (فعل + فاعل) إلى اسمية (مبتدأ + خبر)، وإذا اتسمت الجملة الفعلية بالحركية فإن الاسمية تنتج الثبات، ولا نقصد به الجمود، وإنما تبدأ بالمركز أو القطب الرئيس الذي تصدر عنه الحركة أو تدور في قطبه، وهو بذلك " لا يكسر قوانين اللغة المعيارية بل يبحث عن البديل، ولكنه يخرق القانون بما يعد استثناءً نادراً"⁽¹⁶⁾.
يقول الشنفرى:

وتشرب أساري القطا الكدر بعدما سرت قريباً أحنائها تتصلصل⁽¹⁷⁾

فأصل الجملة الأخيرة في عجز البيت (تتصلصل أحنائها) جملة فعلية، فعمد الشاعر إلى تقديم ما رتبته التأخير، لتتحول الجملة من فعلية إلى اسمية (أحنائها تتصلصل)، والأحناء جمع حنو وهو الجانب، والتصلصل؛ أخذ من الصلصال أي الفخار، والمعنى أن جوانبها -أجوافها- أخذت تصدر صوتاً كصوت قرع الفخار، لشدة ما تعاني من الظمأ، وبما أن المقصود هو التعبير عن الظمأ، فلا بد من الاهتمام بمصدر الصوت لا بنوعه ومن هنا جاء تقديم الفاعل ليتحول إلى مبتدأ، مركزاً للجملة يُخبر عنه، فهو مصدر الصوت، وإلا فإن مصدر الصوت يكون عادة من الأفواه، الذي تمثله المناقير في الطيور، والتعبير عن العطش يكون بالحديث عن الأحناء، جوانب الجوف.

وثمة مثل آخر يظهر نكتة الانزياح التركيبي في تقديم الفاعل على فعله في قول الشنفرى:

ويوم من الشعرى يذوب لعابُهُ أفاعيه في رمضائه تتلمل⁽¹⁸⁾

والشاهد في الشطر الثاني، والكتابة المعيارية له تكون على النحو الآتي (تتلمل في رمضائه أفاعيه) فلما أحدث هذا التقديم والتأخير انقلبت الجملة من جملة فعلية إلى اسمية، مع وجود الاعتراض بينهما، وعند إعادة النظر يتبدى لنا مكن السر، والمتعلق في صدر البيت، إذ يرمي الشنفرى إلى الكشف عن شدة حرارة ذلك اليوم، الذي شبه كثافة سراه باللعاب الذائب، وإذا سألت ما علاقة هذا بتأويل الشاهد؟ قلنا بأن الأفاعي عرفت بشدة احتمالها للحرارة، ومع هذا

فهي لا تحتمل حرارة ذلك اليوم، ثم قدمها في الرتبة، وأخر ما حقه التقديم؛ إذ يفجأ المتلقي في المبتدأ ثم هو- المتلقي - يبحث شوقاً عن خبر هذا المبتدأ الذي فاجأه، فتكتمل الصورة لديه كما أرادها الشاعر.

وربما كانت اللفظة في تقفي القافية بين المتاح من المفردات هو الباعث لهذا الانزياح أو الداعم له - على أقل تقدير " فتأثير القافية مثلاً لا يقف عند حد النظام الموسيقي الصوتي، وإنما نجده وثيق الصلة بالنظم الصرفية والنحوية والأسلوبية وحتى بمعجم الشعر وكلماته" (19)، ولعل هذا ما يفسر الانزياح الذي يحدث التبديل بين المفردات مكانياً كقوله في اللامية:

ولولا اجتنابُ الذأم لم يُلَفَ مشربٌ يُعاش به إلا لديّ ومأكلٌ⁽²⁰⁾

فثمة تبديل بين عروض البيت (مشرب) مع ضربه (مأكل) حيث الاعتقاد بأن الأكل هو الأقرب للمعاش- في الذهن - من المشرب، ونرى أنه قريب مما ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى "ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله" (21) فالسكن والسبات مختص بالليل، أما ابتغاء الفضل، من عمل وانتشار فهو في النهار، ونرى أن توزيع الشنفرى للمفردات في هذا البيت جاء موافقة لبنية القافية اللامية فأخر (المأكل) وقدم المشرب، كما نلاحظ ما بين المفردتين من توازي في الإيقاع مأكل - ب - ومثلها مشرب - ب - فلم يبق من داع سوى القافية.

- المبتدأ والخبر:

يبدو أن المبتدأ أخذ اسمه من الابتداء به، ثم يؤتى بالخبر، ليخبر عنه، وهذا من فائض القول- فالقاعدة المعيارية تقدم المبتدأ رتبة على الخبر، لأنه محور الحدث، وحوله يكون الحديث. وإلى هذا أشار عبد القاهر الجرجاني حين قسم التقديم والتأخير إلى قسمين جعل أولهما تقديماً يقال إنه على نية التأخير، وذلك في كل شيء أقررت مع التأكيد على حكمه الذي كان عليه، وفي جنسه الذي كان فيه، كخبر المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ، والمفعول الذي قدمته على الفاعل⁽²²⁾. إذاً لنية قائمة على الإبقاء على الرتب والمسميات، ولا تغيير على الحكم الإعرابي، ولا على المسميات، سوى أن تشير إلى ما قدمت، وما أخرت، فما العلة إذن في التقديم والتأخير؟! قد يذكر بأنه الاهتمام والعناية بالمقدم على المؤخر، وهذا مما يقلل من شأنه الجرجاني ويستنكره⁽²³⁾ فلا بد من مسوغ يظهره السياق في كل حالة من حالات التقديم والتأخير. وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا التقديم لا يحدث خرقاً للقاعدة المعيارية، بمعنى الذي يدل على مخالفة ما هو معهود عند العرب الصرخاء - أهل اللغة - ولذا جعلوه وجوباً في بعض الحالات⁽²⁴⁾ ومع هذه الحالات أو العلل فإن الشاعر لا يلجأ إلى هذا الانزياح إلا وفي قريحته ما يدعوه لذلك الاختيار في النظم من بين ما هو متاح.

وقد ورد غير مثال على ذلك في لامية الشنفرى مثل قوله:

وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى وفيها لمن خاف القلى متعزلاً⁽²⁵⁾

يظهر تقديم الخبر وتأخير المبتدأ مرتين في البيت، تقدم الخبر في مفتتح صدر البيت (وفي الأرض) وتلاه المبتدأ (منأى) والمرة الثانية في مفتتح العجز متمثلاً بشبه الجملة (وفيها) وتبوأ المبتدأ موقع الضرب من البيت في قوله (متعزلاً)، فالكتابة المعيارية للبيت، تكون على النحو الآتي: (ومنأى للكريم في الأرض عن الأذى ومتعزلاً فيها لمن خاف القلى) وبعد توضيح الكيفية للبيت، يأتي السؤال لماذا؟ وهنا نقول علينا تجاوز فكرة الرخصة أو التستر خلفها، وأقصد - رخصة وجوب تقديم الخبر والمتمثلة في كونه شبه جملة والمبتدأ نكرة -علينا تجاوز ذلك؛ لعلنا بالانفتاح المفرداتي أمام الشاعر عند الاختيار، لو أن الأمر يختصر في قضية تقديم وتأخير، ولكن الشاعر لا ينظر للأمور من منظارنا، وهو في حل مما يشغلنا، إن من شعره استقرنت القواعد وتموضعت المعيارية، ومن خلال تعالق هذا البيت مع النص تتفتح أفق التلقي وتتضح سنن الكلام، وعلل الاختيار، فالبيت - قيد الدراسة - يأخذ الترتيب الثالث بين أبيات القصيدة، فهو من المقدمة، وفهم الترتيب والبنية فيه، يتأتى من موضعه وتعلقه وفق دائرة المعنى والفكرة من هذه المقدمة، فقد جاء البيتان السابقان له بإعلان الشاعر الخروج عن قومه ودعوتهم للتنبه من الغفلة، إن تكشف الحال، وهذان الأمران يستوجبان أمرين؛ الأول إلى أين الخروج؟ والثاني إلى من؟ وفي هذا المقام ينفرج النص عن الإجابة، وبما أنه نص شعري فإن الإجابة لا تحصر ولا تثبت؛ وإنما تنفرج على انفتاح جديد ويتمثل في الخبر قوله (وفي الأرض) فالخبر المتقدم هنا يكتنه إجابة عن السؤال الأول الضمني ولأنه يحتوي المبتدأ (منأى) ومن ثم فإن الخبر الثاني (فيها) متضمن في الخبر الأول من جهتين الأولى أن الواو جاءت عاطفة والثاني الضمير العائد على (الأرض)، ولما كان الأمر كذلك فقد تقدم الخبر الثاني على مبتدئه (متعزلاً) وكلا المبتدأين تضمنهما الخبر الأول في قولنا:

(وفي الأرض منأى ومتعزلاً للكريم ولمن خاف القلى).

الخبر الأول <----> (في الأرض) <----> منأى <----> عن الأذى

الخبر الثاني <----> (فيها) <----> متعزلاً <----> لمن خاف القلى

والتأطير الآخر يظهر سيميائياً من خلال افتتاح البيت بالخبر الأول (وفي الأرض) وختمه بالمبتدأ الثاني (متعزلاً) ولا تغفل عن الإشارة إلى متطلبات القافية، ودفعها لتحقيق الانزياح في الجملة الثانية حيث تأخر المبتدأ (متعزلاً) ومما يؤكد مركزية الخبر الأول (في الأرض) في هذا البيت تكراره خبراً مقدماً في البيت الذي يليه، في قوله:

لعمرك ما في الأرض ضيقٌ على امرئٍ سرى راغباً أو راهباً وهو يعقل⁽²⁶⁾

ولم يؤكد فكرة المركزية بتكرار الخبر المقدم (في الأرض) على مبتدأ (ضيق) في هذا البيت فقط، بل سبق الخبر بالقسم الذي يعني تركيز الشاعر عليه كمفتاح للطروحات في البيتين الأول والثاني، ولذا لجأ إلى هذه الأسلبة، إذ الترتيب المعياري للشطر على النحو الآتي (لعمرك ما ضيق في الأرض على امرئ) إذ المقصود بالنفي الضيق ولا يخص الأرض، ويأتي الشطر الثاني من هذا البيت، استدارة مرآتية تتضمن البيت السابق مع الشطر الأول من هذا البيت، فنفي الضيق يتحقق في اتساع (في الأرض) الخبر المقدم، والاتساع يتحقق بمفتتح العجز المتمثل في الفعل (سرى) والذي يعني السير ليلاً، وفيه تتحقق حركية الحركة - مع ما فيه من مصاعب - فهو أفضل منه في النهار- وعلى وجه الخصوص، إذا اعتمدنا الإشارة في البيت الثاني (والليل مقمر) ثم إن هذا الفعل (سرى) يتضمن ضميراً (هو) يعود إلى (امرئ) عروض البيت وهو نفسه (الكريم) و(من خاف القلى) في البيت الذي يسبقه، وثمة حالان في عجز البيت نفسه يرتبطان بهذا الضمير (هو) في الفعل (سرى) والحالان هما (راغباً) و (راهباً) وهو تأطير للانفتاح المطلق - الذي أشرنا إليه في تحليل البيت السابق - فالحال الأولى (راغباً) تتضمن الشطر الأول من البيت السابق أعني (الكريم عن الأذى) والحال الثانية (راهباً) تتضمن المعنى في الشطر الثاني (لمن خاف القلى) ونحن في غنى عن تفسير ارتباط الكرم مصدر (كريم) بالرغبة، وارتباط الخوف مصدر (خاف) بالرهبة.

وثمة انزياحات في القصيدة من نمط تقديم الخبر وتأخير المبتدأ وقعت في الأبيات رقم (5-14، 64).

- تقديم خبر كان على اسمها:

ترمي لغة الشعر إلى تحقيق الجمالية، وتحقيق الدلالة بأسلوب خاص، ولذا خرجت على معيارية اللغة، فإن "تحريك كلمة أفقيًا إلى الأمام أو إلى الخلف يساعد مساعدة بالغة في خروج اللغة من طابعها النفعي إلى طابعها الإبداعي"⁽²⁷⁾ وفي مثل هذا المعنى جاء تقديم خبر كان على اسمها في اللامية في قول الشنفرى:

وما ذاك إلا بسطةً عن تفضلٍ عليهم وكان الأفضل المتفضل⁽²⁸⁾

وتفسير جمالية تقديم الخبر، يأتي من وجهين، الأول: يتضح من فهم البنية المعنوية للمبتدأ (المتفضل) والخبر (الأفضل)، فالمبتدأ (المتفضل) وإن أفاد معنى صاحب الفضل، إلا انه يعني مدعي الفضل، فقدم عليه الخبر الذي يقطع الشك في إعلانه اسم التفضيل (أفضل) - (أفعل) ومقدماً (أل) التعريف موقناً له بالصفة (الأفضل) - (الأفعل). ومن جهة الارتباط بالسياق فإن

البيت - محل الدراسة - يأتي قفلة لما ورد من معانٍ مسرودة في الأبيات السابقة، فمنذ تحوله عن (بني أمه) إلى عالم الحيوان ووصفه لهم، ثم خروجه عليهم أيضاً في البيت السابع (.. غير أي.. أبسل) ثم البيت الثامن (وإن مدّت الأيدي...) حتى صدر هذا البيت (وما ذلك إلا بسطة..). يأتي الشاهد كنتيجة للحوارية الذاتية، أو خاتمة للسرد، وكان الأفضل المتفضل؛ فالخبر (الأفضل) إقرار الأفضلية لذاته عن كل ما سبق الحديث فيه.

ونجد مثل هذا التقديم في البيت العاشر، مع تقدير (ليس) في قوله: "بحسن ولا في قربه متعلل" أي (وليس متعلل في قربه)⁽²⁹⁾، وربما سوغت القافية ذلك، وكذلك يرد التقديم والتأخير في البيت السادس عشر في قوله "يظل به المكاء....".

2- الحذف:

إن الأصل في الكلام، حضور الأطراف فيه، لتأدية المعنى المراد، ولكن المرسلين للكلام ليسوا سواء، والانزياح لغير القاعدة، يكون لغاية مرجوة من الحذف، والحذف "باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجذب أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبين"⁽³⁰⁾. فالحذف إحدى الآليات التي يلجأ إليها المبدع في توفير أفق التوقعات؛ مشركاً القارئ في عملية إعادة إنتاج النص في خلق المتعدد من التأويلات - أحياناً - للمتلقى الواحد، علاوة على التغيرات في التأويل مع التغير في الثقافات القبلية المتعددة والمتباينة بتعدد المتلقين، وقد تتجاوز عملية الإشراف إلى الإقحام وتبني الآراء حتى في المسائل النحوية، وذلك واضح في تعدد المدارس النحوية، وتقدير المحذوف وتأويله.

وتكثر مواطن الحذف في لامية العرب؛ بين المسند والمسند إليه والتوابع، وتعتمد الدراسة إلى تقديمه مقسماً على أنواعه:

- حذف المبتدأ

تتشكل الجملة الاسمية من المبتدأ والخبر والأصل وجودهما معا في الجملة، ولكن اللغة الفنية تعتمد إلى الانزياح - أحياناً - بحذف أحدهما لنكتة تكمن في السياق الذي ترد فيه، أو لغاية يقصد إليها المبدع، ومما ورد في اللامية قوله:

ولي دونكم أهلون سيد عملسُ وأرقتُ زهلولُ وعرفاءُ جبالُ⁽³¹⁾

والشاهد في الشطر الأول من البيت فقد وقع قوله: (سيد عملس) خبراً لمبتدأ محذوف تقديره (هم) أي هم سيد وأرقت وعرفاء⁽³²⁾ ولعل مسوغ ذلك ما سبق الخبر من قوله (أهلون) قاصداً بها تلك الوحوش الثلاثة، منزلهم منزلة الأهل الحقيقيين⁽³³⁾، فاستغنى عن الإشارة بالضمير

(هم) الواقع موقع المبتدأ تقريباً أو إشعاراً بالقرب النفسي، ويشير إلى ذلك الحالة النفسية، التي بادر فيها الشاعر مخاطبة قومه، ويتكرر مثل هذا الحذف في الأبيات رقم (11، 14، 25، 52، 57، 58، 59) وثمة حذف للمبتدأ يتصدر الأبيات مثل قوله: (أديم مطال الجوع... بيت رقم (21) ومثله: (هتوف من الملس... بيت رقم 12) وكذلك قوله (طريد جنابات... بيت رقم 45)

وثمة حذف للمبتدأ في "القطع والاستئناف" في قوله:

ولولا اجتنابُ الذأمِ لم يُلفَ مشربٌ يُعاشُ به إلا لديّ ومأكلٌ⁽³⁴⁾

وهو من المواقع التي أشار إليها عبد القاهر الجرجاني في قوله: "من المواضع التي يطرد فيها حذف المبتدأ، القطع من الاستئناف"⁽³⁵⁾ أي: (إلا هو لدي..).

- حذف الخبر

ودواعي حذف الخبر ليست ببعيدة مما يتعلق بالمبتدأ، ولا بد أن يكون في الكلام ما يدل على المحذوف⁽³⁶⁾ ومما ورد فيه حذف الخبر قول الشنفرى:

ولا خالفِ داريةً متغزلاً يروخُ ويغدو داهناً يتكحلُّ⁽³⁷⁾

والشاهد في قوله (يروخ) فإذا عملت ناقصة فإن اسمها ضمير تقديره (هو) وخبرها محذوف دل عليه خبر يغدو⁽³⁸⁾ (داهناً) وتقدير القول: (ويروح داهناً ويغدو داهناً).

وتذكرنا قيمة الحذف بالمتلقي ودوره في تفعيل المعنى في النص، بعد أن نتحقق له المشاركة، وفي البيت الآتي يتضح مشاركة المتلقيين من حيث توجيه الشاعر الخطاب للمتلقي من خلال القسم، يقول:

لعمرك ما في الأرضِ ضيقٌ على امرئٍ سرى راغباً أو راهباً وهو يعقل⁽³⁹⁾

وهذا القسم الذي توجه فيه الشاعر إلى المتلقي يشكل مبتدأ خبره محذوف تقديره (قسمي) أي (لعمرك قسمي ما في... والمبتدأ دال على خبره المحذوف المتضمن له. وثمة مثال آخر على حذف الخبر في اللامية جاء في قول الشنفرى:

ولولا اجتنابُ الذأمِ لم يُلفَ مشربٌ يُعاشُ به إلا لديّ ومأكلٌ⁽⁴⁰⁾

والشاهد في قوله (لولا اجتناب الذأم) والمحذوف هو خبر (لولا) وتقدير الكلام (لولا اجتناب الذأم موجود) فتقدير الخبر هو (موجود)، فدخل (لا) على (لو) أوجب رفع ما يليها من اسم، وثابت خبرها جائز، ولكنه يحذف لطول الكلام بلولا والاسم المرفوع بعدها وجوابها، فلزم الحذف⁽⁴¹⁾.

- حذف الفاعل:

ويكثر حذف الفاعل في اللامية مع الفعل المبني للمجهول حيث ينوب المفعول به - في المعنى - عنه ويعرب نائب فاعل، وندرك في مثل هذا السياق ضرورة الحذف، إذ ظهوره يبطل التركيب نحوياً، ويحرم المتلقي من حسن الكلام ورونقه، ويمنع عنه المشاركة والتأويل ويغلق النص، كما أن علات حذف الفاعل مع الفعل المبني للمجهول تتعدد وتتباين منها عدم ذكر الفاعل تحقيراً له كقول الشنفرى:

وأطوي على الخمصِ الحوايا كما انطوتْ
خيوطه ماريّ تغارُ وتُفتلُ⁽⁴²⁾

فقد حذف فاعل الفعلين (تغارُ وتُفتلُ) ولتقدير الفاعل هنا، يتوجب الإشارة إلى ما في البيت من صورة تمثيلية؛ المشبه فيها صدر البيت، والعجز مشبه به، ثم إن مفتتح البيت (وأطوي) معطوف على البيت السابق (وأستف..). فالأمر يتعلق (بالخمص) الجوع؛ القطب الذي يدور حوله البيت والبيت السابق، فشد الخيوط وإحكامها صورة للطن الضامرة والأمعاء الفارغة المشدودة، وكل ذلك صبر من الشاعر على الجوع، فحقر الجوع وأضره دون ذكر.

وقد يحذف الفاعل تعظيماً له ورفعاً عن الذكر في مقام ما، كقوله:

ولولا اجتنابُ الذأَم لم يُلفَ مشربُ
يُعاش به إلّ لديّ ومأكلُ⁽⁴³⁾

فيجنب الشاعر نفسه المذمة، فالترفع عن كل مأكل أو مشرب قد يجره إلى الرذيلة، فجعل الفعلين (يلف ويعاش) في صيغة المبني للمجهول حتى لا تقترن به عند بناؤها للمعلوم ولذا حذف الفاعل فيهما⁽⁴⁴⁾ وقد يكون حذف الفاعل بسبب الاهتمام بالمفعول، فيحدث الشاعر الانزياح بحذف الفاعل وإقامة المفعول مكانه وقد يكون ذلك مراعاة لغرض السامع؛ قول الشنفرى:

هتوفُ من الملسِ المتونِ يزيئُها
رصائعُ قد نيظتُ إليها ومحملُ⁽⁴⁵⁾

يدور اهتمام المتلقي حول القوس، الصفراء الهتوف ولا يهمه ما علق بها ورصعت به⁽⁴⁶⁾ ولذا أخفى الفاعل مُحلاً للمفعول محله، ويتكرر ورود المبني للمجهول وحذف الفاعل وعلله في اللامية ويطول الحديث فيه ولذا نشير إلى وروده في الأبيات الآتية أرقامها: (2،8،14،45،53).

- حذف القسم:

والقسم يلمح في السياق وإن حذف، وقد يبرز الدور الأسلوبى لبعض العناصر اللغوية بحذفها أكثر من ظهورها⁽⁴⁷⁾ واكتشاف العنصر المحذوف من قبل المتلقي تشعره بنشوة، تدفعه للبحث عن متعلقاته، من إعادة تشكيل النص، وهذا ما يشعره بالمشاركة في البناء ولذة القراءة.

ومما ورد فيه حذف القسم في اللامية قوله:

فإن تبتئس بالشنفري أم قسطلٍ لما اغتبطت بالشنفري قبل أطول⁽⁴⁸⁾

والشاهد في قوله (لما اغتبطت بالشنفري) والتقدير (والله لما اغتبطت...) ومثل ذلك الحذف في قوله:

فقالوا لقد هرت بليلٍ كلابنا فقلنا أذنبُ عسُّ أم عسُّ فرعل⁽⁴⁹⁾

فاللام في (لقد) جواب قسم محذوف، أي (والله لقد هرت..). ويلحظ أن الحذف من أدوات الإيجاز التي تساعد على الخفة في القول، والقسم فيه ثقل التعظيم الذي يصاحبه حركة الخفض مما يتطلب الوقفة التي لا تتناسب مع الحديث عن خفة حركة الشنفري التي حيرت القوم، فلم يضبطوا سببها.

- حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه:

ورد حذف الموصوف في غير موضع من اللامية من ذلك قوله:

وآلف وجه الأرض عند افتراشها بأهدأ تنبيه سنانس قحل⁽⁵⁰⁾

قوله في عجز البيت (بأهدأ تنبيه..). فأهدأ صفة المحذوف قامت مقامه؛ والتقدير (بمنكب أهدأ) أي ثابت، وقد تكرر حذف الموصوف في الآيات الآتية أرقامها: (22،23،63).

- حذف المضاف إليه:

وربما تزيد أهمية الحذف، عندما لا يورد المبدع ما ينتظر المتلقي من ألفاظ يكتنفها السياق ضمناً، ولما حجبت عن المتلقي فإنها تحدث عصفاً ذهنياً وشحنة فكرية توقظ ذهنه، وتدفعه لتخيل المقصود، وفي الجانب الآخر علينا التنبيه إلى عدم فساد المعنى أو التركيب، فالحذف لا يحسن في كل حال. ولا بد أن يتحوط المرسل لوضوح المحذوف في ذهن المتلقي وإمكان تخيله⁽⁵¹⁾.

ولا يعدم الباحث أمثلة على حذف المضاف إليه في لامية العرب، من ذلك قوله:

وكلُّ أبيِّ باسلٍ غير أنني إذا عرضتُ أولى الطرائد أبسل⁽⁵²⁾

والشاهد في قوله (وكلُّ أبيِّ باسلٍ) والتقدير (وكل واحد أبي باسل) حذف المضاف إليه، مريداً له ويبقي حكم الإضافة وهو تعريف (كل) يؤيد ذلك، قولهم جاءني القوم، كل راكباً، ورأيت كلاً مصلياً، فنصب الحال عن كل في الحالين جميعاً، وذهب أكثر الناس إلى امتناع دخول الألف واللام على (كل) لأن الإضافة مقدرة فيه حكماً⁽⁵³⁾ وهناك حذف لإضافة لفظية مقدرة في البيت الثاني عشر والشاهد فيه قوله: (هتوف من الملس المتون) والتقدير (من الملس متونها)⁽⁵⁴⁾.

- حذف المضاف:

حذف المضاف في اللامية لقيام المضاف إليه مقامه، من مثل قوله:

إذا الأمعز الصوان لاقى مناسمي تطايرَ منه قادحٌ ومفللٌ⁽⁵⁵⁾

والتقدير (إذا الأمعز ذو الصوان) فالصوان صفة للأمعز ولا يصح هذا إلا بتقدير المضاف المحذوف (ذو) لترابط بين الصوان والأمعز، إذ ثمة تغاير بينهما فالأمعز: الأرض، والصوان: الحجارة، ولا تكون الحجارة صفة للأرض دون أن تربط بينهما بالمضاف المقدر فنقول (ذو الصوان) أي الأمعز ذو الحجارة⁽⁵⁶⁾ ومن حذف المضاف قوله:

كأنَّ وِغاهَا حَجَرَتِيهِ وَحَوْلِهَا أَضَامِيمٌ مِنْ سَفَرِ الْقِبَائِلِ نَزَلٌ⁽⁵⁷⁾

والشاهد يتوزع في البيت لامتداد المعنى بين صدر البيت ومفتتح عجزه، والتقدير هو (كأن وِغاهَا... صوت أضاميم...) فالتشبيه الوارد في البيت - على الظاهر - (بين وِغاهَا وأضاميم) وهذا لا يستوي فيه المعنى، إذ (وِغاهَا) تعني أصواتها وجلبتها، وأضاميم جمع إضمامة أي تجمع القوم إلى القوم ينضم بعضهم إلى بعض، ومن البين الواضح انعدام وجود الشبه بين وِغاهَا وأضاميم، وإنما الشبه يحصل بين صوت القطا (وِغاهَا) المجتمع من شتى الأماكن، وبين صوت الأضاميم أي صوت الأقباط المجتمعة على منهل الماء أيضاً. ومثله ما ورد في البيت رقم (40).

3- الالتفات:

لا يفتأ الشاعر يداخل وينوع في آليات الانزياح، ويشكل الالتفات إحدى هذه الآليات، وتمتد غايتها من جمالية التنويع إلى التشويق، وتوتير أفق التوقع لدى المتلقي، من خلال حراكية الأسلوب والتبدل والانتقال من حالة إلى حالة ومن شكل إلى آخر.

وفي هذا المعنى ورد قول الزمخشري: "والكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن طريقة إلى نشاط السامع وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد"⁽⁵⁸⁾ ولا يعني هذا أن الهدف الوحيد من الالتفات، تحقيق التنميق الأسلوبي، أو إثارة نشاط المتلقي، وإنما يكشف أيضاً عن "كثير من إمكانات المبدع في استعمال الطاقات التعبيرية الكامنة في اللغة"⁽⁵⁹⁾ ويتجلى الانزياح في النص، من خلال "تحول الأفعال وأزمنتها أو الضمائر بين الأفراد والجماعة أو الحضور والغياب"⁽⁶⁰⁾.

وندرس الالتفات في محورين: - الالتفات في الضمائر. - الالتفات في الصيغ.

- الالتفات في الضمائر:

ونبدأ بتحول الضمير من صيغة المفرد إلى الجماعة والتحول من المتكلم إلى المخاطب والغيبة أو العكس، يقول الشنفرى في مطلع اللامية:

أقيموا بني أمي صدورَ مطيكم فإني إلى قوم سواكم لأميل⁽⁶¹⁾

تتلبس ظاهرة التفات الضمائر في هذا البيت ما يشبه نوعاً من الحجاجية يديرها الشاعر، موجهاً الخطاب إلى قومه، يظهر ذلك في مفتتح البيت من خلال إسناد فعل الأمر إلى ضمير الجمع المخاطب (أقيموا) ولتحديد كنه الضمير ينسب القوم إلى أمه (بني أمي) - (أنا) ولتحقق الفائدة في الجملة يأتي بالمفعول (صدور) ليضيفها إلى (مطيكم) وتشكل إضافة مطي إلى ضمير الجمع المخاطب التفاتاً آخر؛ من المتكلم إلى المخاطب و(الفاء) في بداية العجز تربط بين الشطرين بمعنى التعليق، وتنبه أن ما قبلها علة لما بعدها، ويؤيد ذلك وقوعها في جواب الشرط⁽⁶²⁾.

ونخلص من هذا إلى الربط بين الشطرين، والتحول من الشطر الأول إلى الثاني بالالتفات من ضمير المخاطب في (مطيكم) إلى المتكلم الواقع اسم إن (إني) وهذا الالتفات يحمل إعلاناً آخر - بعد تنبيه قومه- وهو عزم الشاعر على الرحيل والفرار، ويؤكد هذا الإعلان والقرار بالتفات جديد، يوظف فيه ضمير الجمع الغائب المتمثل في (قوم) نكرة (هم) ويتلوه التفات إلى ضمير المخاطب الجمعي في (سواكم) ويختتم بالعودة إلى ضمير المتكلم في الفعل (أميل) أنا، ويتضح الالتفات في الخطاطبة الآتية:

أقيموا بني أمي صدور مطيكم فإني إلى قوم سواكم لأميل

أنتم <----- أنا <----- أنتم أنا <---- هم <---- أنتم <---- أنا

يشكل هذا البيت مفتتح القصيدة أو عتبة النص، وبنية الالتفات فيه تمثل البنية المعنوية للقصيدة ثلاثية الرؤوس والتي تمثل قضية الشاعر؛ خلافاً مع قومه وعدم الاطمئنان لجانبهم، ثم خروجه إلى قوم آخرين وعالم آخر، لذا جاء نكرة دون تعريف أو إضافة؛ فمثلُ عنه بضمير الغائب (هم) وبتركه الإفصاح عنهم في هذا المفتتح، يدفع المتلقي للمتابعة بحثاً عن هذا الإيحاء غير المكشوف، ولا نقصد بذكر هذه الثلاثية أن القصيدة لا تحوي غير هذه الضمائر؛ وإنما نشير بها إلى القطب الرئيس الذي قامت عليه.

ويشير الإحصاء اليسير في هذا المفتتح؛ إلى تكرار ضمير المخاطب ثلاث مرات، وكذلك ضمير المتكلم، في حين لا يشير إلى الغائب سوى مرة واحدة، تلك التي عملنا على تجريدتها من لفظ (قوم) وهذا يعني أن الإشكال القائم ينحصر بين الشاعر وقومه، أما من اختارهم فهم يشكلون

له جانب الألفة، والذي يتنامى ذكره كثيراً في حين يتلاشى أو يقل ذكر قومه أو الإشارة إليهم، وترتفع وتيرة الأنا التي توصلنا إلى سعي الشاعر وانشغاله في تحقيق الذات وسط ظروف صعبة. وفي البيتين الخامس والسادس تظهر هذه الثلاثية بشكل أكثر وضوحاً وإعلانه عن (هم) - قوم) يقول:

ولي دونكم أهلون سيدٌ عملسُ وأرقتُ زهلولُ وعرفاءُ جِيألُ
هم الأهلُ لا مستودعُ السرِّ نائِعُ لديهم ولا الجاني بما جرَّ يُخذَلُ⁽⁶³⁾

يبدأ بضمير المتكلم (لي) ثم ضمير المخاطب (كم) الذي يعني به قومه، ولكنه يضع حاجزاً بين الضميرين يتمثل في (دون) والتي تفيد القرب -أي: إنهم أقرب منكم- ثم يأتي ضمير الغائب (هم) مبتدأ محذوفاً " للخبر (سيد) أي: هم سيد وأرقت.. " ومع الضمير الغائب المقدر، إلا أنه يعلن عنهم بالأسماء الصريحة وهنا تتكشف الأمور؛ وأن الشاعر بان عن قومه وفارقهم وكشف عن البديل الذي وقع عليه الاختيار، وهم عالم الوحوش ومفارقة الإنسان، ويؤكد هذا الانتماء بإظهار ضمير الغائب الجمعي في بداية البيت التالي (هم الأهل) ويقدم أوصافهم، ولكن نفس الشاعر لا تطمئن إلى المساواة أو الانطواء والذوبان في الأهل الجدد، فلا بد من التميز وهذا ما تظهره بنية الالتفات في البيت السابع:

وكلُّ أبي باسلٍ غير أنني إذا عرضتُ أولى الطرائدِ أبسلُ⁽⁶⁴⁾

وضمير الغيبة (هو) يتلبس قوله: "وكلُّ أبي باسلٍ" لأن التقدير: وكل واحد أبي باسل، فالإضافة مقدرة (أي كل واحد) فحذف المضاف إليه مريداً له وبقي حكم الإضافة وهو تعريف كل⁽⁶⁵⁾ وهو ضمير الغائب المرتبط بالمضاف والمضاف إليه المقدر (وكل واحد) وأعني بذلك أنه يشير إلى كل الوحوش التي ذكرها في البيت الخامس، ويكون الالتفات بالتحول لضمير المتكلم في أنني، وعلينا التنبيه لما بينهما من استثناء منقطع في (غير) أي (لكن أنا أبسل منهم)⁽⁶⁶⁾ ويبرهن ما ذهبنا إليه، استمرارية الالتفات إلى ضمير المؤنث الغائب (هي) في قوله: (إذا عرضت أولى الطرائد) لتغلق الدائرة بالالتفات ثانية إلى ضمير المتكلم، الذي يحسر الأهلية لصالح الشاعر في أبسل.

ثم معركة أخرى مع عدو آخر وهو الجوع، يسهم فيها الالتفات في تحقيق الفوز للشاعر، يقول:

أديمُ مطالِ الجوعِ حتى أميتهُ وأضربُ عنه الذكرَ صفحاً فأذْهَلُ⁽⁶⁷⁾

ينطلق الالتفات من ضمير المتكلم أنا (أديم) والفاعلية في الفعل بينة، ويتكرر الضمير (أنا) في (أميت) ويحدث التحول عن قرب في نفس التركيب (أميته) إلى ضمير الغائب (هو) العائد على الجوع، ويبعد الكرة نفسها في الشطر الثاني حيث يضع ضمير الغائب بين ضميرين للمتكلم ليحكم النتيجة (أضرب) أنا (عنه) هو (أذهل) أنا. فتكون خطاظة الالتفات في البيت على النحو الآتي:

أنا <--- أنا <--- هو <--- أنا <--- هو <--- أنا

ويتجلى الالتفات في منافسة أخرى، يدخل الشاعر فيها سباقاً مع القطا من عالم الطير، ويصف ساعة الانطلاق بقوله:

هممتُ وهمتُ وابتدرنا وأسدلتُ وشمّرَ مني فارطُ متمهَلٌ⁽⁶⁸⁾

يبدو أن اللعب على خط الالتفات هو قوام البنية المعنوية وكذلك الإيقاعية في هذا البيت أيضاً، يفتتح السرد بـ (هممت) أنا ضمير المتكلم يتلوه بضمير المؤنث (همت) هي، ثم يحدث اندماجاً لم نره مع عالم الإنسان أو الحيوان في سابق أبيات القصيدة، ولعل ذلك عائد لتمييز القطا في هذا الضرب من السباق، ولذا أدمج نفسه مع سرب القطا إيهاماً للمتلقى بالمقاربة أو المساواة فيقول (وابتدرنا) (أنا -هي) نحن، ولكن الأمر لا يبقى على حاله، فليس من متسع أمام نفس الشاعر التي تطمح إلى تحقيق الذات في كل مقام، ومن هنا يدخل الكلل إلى جناحها (وأسدلت) هي أي أرخت جناحها، ويستثمر الشاعر العازل الزمني في الإيقاع بين شطري البيت، ليجرد من نفسه غير واحد، ويكون الالتفات بأن ينيب ضمير الغائب مكان ضمير المتكلم؛ وشمّر - هو - (هو) هنا هي نفسها (أنا) في (مني) و(فارط) وإن استخدمت في الحديث عن الإنسان، كما في حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم): "أنا فرطكم.. " إلا أنها لازمت سرب القطا في الشعر الجاهلي، والفرار المتقدم عن السرب السابق له، (متمهل) (هو) تعود على (أنا)، " والمتمهل في الأمر من يأتيه على تودة"⁽⁶⁹⁾ ومفاد البيت أنني دخلت في سباق مع القطا - إلى مشرب الماء - فكلت وأرخت جناحها وخفت أقدامي فتقدمت، وعلى الرغم من أنني لم أبذل كامل طاقتي فقد سبقتها.

وتظهر خطاظة الالتفات الذي اكتنه المنافسة، التي حقق فيها الشنفرى الفوز على النحو الآتي:

هممتُ - همتُ - ابتدرنا- أسدلتُ / شمّر - مني - فارط - متمهل.

أنا - هي - نحن - هي / (هو- أنا الشاعر)- أنا- (هو - أنا الشاعر) - (هو - أنا الشاعر)

ومثل هذا التجديد المفضي لإقامة التناوب بين الضمائر؛ يتكرر في القصيدة من ذلك قوله:

طريدُ جنائياتٍ تياسرنَ لحمه عقيرتَه لأَيِّها حُمُّ أول⁽⁷⁰⁾

وقبل الإشارة إلى حركة الالتفات في البيت لا بد أن نلفظ لما يهوم في فكر الشاعر ويشغله، وقد ذكرنا أن الشاعر يسعى جاهداً لتحقيق ذاته، وهذا الأمر الذي لا يقر في ذهن المتلقي الضمني - الذي هو الآخر يأخذ حيزاً من انشغال الشاعر - بعرض المواقف المهولة التي دخلها وتعرض فيها للخطر، وفي هذا البيت تكثيف للأحداث، ولما ينتظره بسبب ماضٍ مملوء بالكوارث والمصائب، التي جرها على غيره والجنائيات التي ارتكبتها، ومن ثم فهو بوتراً مطارداً لأخذ ثأرها منه.

ومرة أخرى نجده يجرد من نفسه شخصاً آخر يروي عنه بضمير الغائب هو - والرواية بضمير الغائب تمنح الراوي مسافة كافية عن المروي لإظهار الحيادية التي ترمي إلى إيقاع المتلقي في شباك الإيهام والتصديق بأن ما يحكى حقيقة واقعة، وكأنه يتحدث عن شخص آخر لا عن نفسه ويسير الالتفات على النحو الآتي:

طريد جنائيات - تياسرن - لحمه - عقيرتَه - لأَيِّها - حُمُّ

(هو. الشاعر) - (هن. الجنائيات) - (هو. الشاعر) - (هو. الشاعر) - (هو. السهم) - (هو. السهم)

(أنا الشاعر) - (هن الجنائيات) - (أنا الشاعر) - (أنا الشاعر) - (هو السهم) - (هو السهم)

وعلاوة على ما قدم الالتفات من جمالية في البيت، فإنه أدخل المتلقي في شيء من الغموض أو الإبهام المحبب الذي يستدعي إعادة القراءة للقبض على المعنى في النص، ولعل هذا ما أشار إليه ابن الأثير ورفضه: توقف الالتفات عند مهمة التطرية والترويح عن المتلقي وجذبه⁽⁷¹⁾ وثمة ملحظ آخر على عمل التناوب بين الضمائر دعا إليه المقام إذ يتحدث عن الجنائيات، وهو مطلوب للآخرين (طريد) ومن ثم يستوجب الأمر التخفية وعدم الظهور والإعلان ومن أجل ذلك سلك في الحديث عن نفسه ضمير الغيبة، التي توحى بعدم المعرفة وتبعد الدلالة.

التفات الصيغ:

نقصد بالتفات الصيغ، التحول بالصيغ الزمنية للأفعال من الماضي إلى المضارع، ومن المعلوم إلى المجهول أو العكس في هذه التحولات الصيغية.

ويكثر هذا النوع من الالتفات في لامية العرب، ومنه قوله:

إذا زلَّ عنها السهمُ حنَّتْ كأنَّها مُرْزأةٌ تكلَى ترنُّ وتعول⁽⁷²⁾

يبدأ الشاعر بيته في وصف القوس بـ (إذا) الشرطية ليتبعها بفعل ماضٍ (زلَّ) بمعنى انطلق أو خرج منها "و(إذا) ليست واقعة لاختيار، كما لو قلنا: إذا طلعت الشمس أكرمتك فطوع

الشمس لا خيار فيه"⁽⁷³⁾ فالإكرام حاصل، وتعني أن الفعل الماضي -زل- يرتبط به الفعل الماضي (حنت) إن وقوعها حاصل لا خيار فيه وحتما على الحقيقة، زل --- < حنت ويأتي الالتفات إلى المضارع في الشطر الثاني وهو تمثيل أدواته (كأن) - كأنها ليتحول القوس في ذهن المتلقي إلى (مرزأة) تعتادها الرزايا، ثم تكون خلاصة هذا الالتفات أن هذه القوس يكثر الرمي عنها، ومن ثم فصاحبها فارس فيكثر استخدامها، وتكون الموازة بين الحقيقة والصورة متشكلة من الالتفات من الماضي إلى المضارع على النحو الآتي:

(زل - حنت) (السهم - المرزأة) (ترن - تعول)

(ماض - ماض) (التحول إلى الصورة - الحقيقة) (مضارع - مضارع)

وهذا النوع من الالتفات- أي من الماضي إلى المضارع- مكرّر في القصيدة ومنه:

فولّيتُ عنها وهي تكبو لعقره يُباشره منها نقونٌ وحوصل⁽⁷⁴⁾

وتكون البداية - كما في البيت السابق - من الماضي (ولّيتُ) إلى المضارع (تكبو/ يباشر)

ومثله أيضا:

إذا وردتُ أصدرتها ثم إنها تثوب فتأتي من تحيتٍ ومن علُ

ماضٍ (وردتُ) --- ماضٍ (أصدرتها) --- مضارع (تثوب) --- مضارع (تأتي)

نلاحظ أن الالتفات من الماضي إلى المضارع يتبعه الشاعر بأكثر من مضارع واحد، ولعل ذلك عائد إلى همة الشاعر التي تدفعه للأمام دوماً، متجاوزاً الماضي، ولا يعني هذا أننا لا نجد حركة الالتفات من المضارع إلى الماضي فمن ذلك قوله:

تنامُ إذا ما نامَ يقظى عيونها حثاثاً إلى مكروهه تتغلغل⁽⁷⁵⁾

فالالتفاف - هنا - يبدأ من المضارع (تنام) ويتحول إلى الماضي (نام) ثم يستتبع التحولات إلى المضارع (تتغلغل) ومثله أيضا:

فإن تبتئس بالشنفري أم قسطلٍ لما اغتبطت بالشنفري قبل أطول⁽⁷⁶⁾

الالتفات: مضارع (تبتئس) - ماض (اغتبطت)

ولكن ما يفهم من البنية المعنوية للبيت، هو قصد الشاعر إلى قلب معنى الماضي فيه (اغتبطت) إلى المضارع، إذ يستنكر عليها أن (تبتئس بالشنفري) حيث حقق في الماضي (اغتبطت) ما يوجب عليها دوام الاحتفاء به وتجاوز لحظة الوهن والبؤس الحالية.

وقد يأتي الالتفات في صور أخرى حيث يكون التحول من الماضي المبني للمجهول إلى المضارع المبني للمعلوم كقوله:

وإن مُدَّت الأيدي إلى الزَّادِ لم أكنُ بأعجلهمِ إذ أجشعُ القومِ أُعجلُ⁽⁷⁷⁾

يتجلى الالتفات هنا في التحول من الماضي المبني للمجهول (مُدَّت) إلى المضارع المبني للمعلوم (أكنُ) وثمة نكتة نود إيضاها؛ وهي وقوع المضارع (أكنُ) بعد النفي، رده إلى الماضي (كنت). وقد يحدث ذلك إشكالاً في الالتفات من حيث المعنى، نقصد الالتفات في الحركة من الماضي (مدت) إلى الماضي (كنت) ولكن ما نريد تأكيده هنا؛ أن عمل النفي (لم) يبطل في مثل هذا الموقع، وهو ممتنع، لوجود إن الشرطية (إن مدت - لم أكنُ) لأن حرف الشرط يفيد الاستقبال، وكذلك فإن (لم) هنا بمعنى (لا).

ومن خلال ما تقدم يتضح لنا أن الالتفات لم يتوقف عند حد الرينة أو الجازبية في النص، بل له "أهمية كبيرة في تحقيق المعنى، ومنحه جماليات إضافية لا تتأتى له إن ظل الكلام يسير على خط ثابت لا يخرج عنه"⁽⁷⁸⁾.

الخاتمة:

وقبل الانتهاء من الدراسة لا بد من القول إن لغة الشعر، أو بشكل أدق، إن الشعر في توظيفه للغة ينحو منحى آخر غير ذلك الذي يسلكه الكاتب في رسالته التوصيلية النفعية، إذ يميل الشاعر إلى الإيحاء والتأثير، لا إلى النصح أو التقرير، ومن ثم جاءت لغته مكثفة، يعتربها الكثير من الخروجات على المعيارية واللغة الاعتيادية، ولا نعني بذلك مخالفة القواعد، وإنما التوسع في استخدام أقصى ما في اللغة من طاقات يحتاج فيها إلى مخالفة خط سير الزمن الفيزيائي للجملة، ولذا ظهرت الاختراقات المتمثلة في التقديم والتأخير، والحذف والالتفات، وهي بمجملها من سمات الانزياح التركيبي، وتبين أن أثر ذلك يتجلى في جماليات البنية الشكلية للقصيدة، وانفتاح النص على أفق التوقعات لدى القارئ والتتبع الحثيث للرؤى، وإشراكه في التأويل من خلال التوقيفات التي تحدثها هذه الانزياحات، كما كشفت الدراسة عن حاجة القصيدة - لامية العرب - إلى دراسة الانزياحات الدلالية وغير اللغوية فيها؛ إذ تشكل بنية انزياحية اعتمدها الشاعر في التعبير عن رؤاه.

Structural Deviation in Laimat Al-Arab for Al-Shanfaraa: A Stylistic Study

Ahmad A. Althunebat and Raed W. Jaradat, *Department of Arabic Language and Literature, Tafila Technical University, Tafila, Jordan*

Abstract

This study addresses the phenomenon of structural displacement in the poem of Lamiyat Al Arab by Al Shanfara. Four aspects of this stylistic phenomenon are addressed:

- Advancement and deferment
- Ellipsis
- Tense and Pronoun shifting

The study used the analytical descriptive methodology to explore stylistic displacement in the aforementioned aspects, based on Stylistics. The aim is to show the clear influence of qualitativism and displacement on the poem in terms of its aesthetics, semantic structure, and poetic imagery.

الهوامش

- 1- الغدامي، عبد الله: الخطيئة والتكفير، من البنيوية إلى التفكيكية، دار القارئ العربي، الرباط، المغرب، ط1، 1985، ص6.
- 2- أبو العدوس، يوسف: الأسلوبية، الرؤية والتطبيق، دار المسيرة، عمان، ط1، 2007م، ص40.
- 3- تعددت تسميات هذا المصطلح واختلفت، ولعل ذلك عائد إلى تباين اللغات التي أطلقت المسمى وكذلك الترجمات المتباينة، وكان المسدي ممن عمل على تتبعها في كتابه الأسلوبية والأسلوب ويحصي لها اثني عشر مسمى: ("الانزياح، التجاوز" لفاليري، "الانحراف" لسيترز، "الاختلال" والاك وفاران، "الإطاحة" لبايتار، "المخالفة" لتيري، "الشناعة" لبارث، "الانتهاك" لكوهن، "خروق السنن" لتودوروف، "العصيان" لارقون، "التحريف" لجماعة مو، ينظر عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت- لبنان، ط5، 2007م، ص100-101، وثمة مصطلحات أخرى يذكرها الربابعة كـ "التشويش، والبعد، والفارق، والخروج، والخرق، والابتعاد، والشذوذ، والتشويه، والمجازة،

- والانتهاك، والنشاز، والانتساع" ينظر موسى الربابعة: الانحراف مصطلحاً نقدياً، مؤتة للبحوث والدراسات، م 10، ع 4، 1995، ص 145، وقد تتعدد المسميات عند الناقد الواحد ويقع ذلك في مؤلف واحد كما يشير الربابعة في المرجع السابق في الصفحة نفسها.
- 4- الربابعة، موسى: الانحراف مصطلحاً نقدياً، مؤتة للبحوث والدراسات، م 10، ع 4، 1995، ص 154.
- 5- المسدي، عبد السلام: الأسلوبية والأسلوب، دار سعاد الصباح، القاهرة 1993، ص 14-15.
- 6- الربابعة، موسى: قراءة النص الشعري الجاهلي، مؤسسة حمادة ودار كندي، إربد- الأردن، 1998، ص 6.
- 7- اليافي، نعيم: أطياف الوجه الواحد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1995، ص 92.
- 8- المسدي، عبد السلام: الأسلوبية والأسلوب، دار العربية للكتاب، تونس، ط 3، ص 103. (والتعرف لـ < ريفاتير >).
- 9- ينظر العامودي، محمود محمد: شرح لامية العرب لعبد القادر بن عمر البغدادي، مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية، 2011م، م 13، ع 1 (8) ص 39-41.
- 10- الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز، تحقيق محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1، 1995، ص 391.
- 11- الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز في علم المعاني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1981، ص 84.
- 12- ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت 392 هـ): الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، د.ت، ط 2، ج 2، ص 392.
- 13- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان: الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ج 1، ص 34.
- 14- الزمخشري، محمود بن عمر: كتاب أعجب العجب في شرح لامية العرب، مناظرة الأشغال بمصر، ط 3، ص 59. (اعتمدت الدراسة هذا الشرح مصدراً رئيساً، يشار إليه بـ " شرح اللامية").
- 15- المرجع نفسه، ص 61.
- 16- الرواشدة، سامح: فضاءات شعرية، دراسة نقدية في ديوان أمل دنقل، المركز القومي، الأردن، 1999، ص 121.

- 17- الزمخشري، شرح اللامية، ص 51.
- 18- المرجع نفسه ، ص 66.
- 19- فضل، صلاح: نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط3، 1987، ص 119-120.
- 20- الزمخشري، شرح اللامية، ص 31.
- 21- سورة القصص الآية 73
- 22- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر، ص 106.
- 23- المرجع نفسه، ص 108.
- 24- ابن هشام، عبد الله بن جمال الدين(761هـ): أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين، دار التراث العربي، بيروت- لبنان، ط8، 1986م، المجلد الأول، ص 149-151.
- 25- الزمخشري، شرح اللامية، ص 9.
- 26- المرجع نفسه ، ص 10.
- 27- عبد المطلب، محمد: جدلية الأفراد والتركيب في النقد العربي القديم، مكتبة لبنان، الشركة المصرية للنشر، لونجمان، ط1، 1995، ص 161.
- 28- الزمخشري، شرح اللامية، ص16
- 29- المرجع نفسه ، ص 19.
- 30- الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز في علم المعاني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1981، ص 170.
- 31- الزمخشري، شرح اللامية، ص 11.
- 32- العامودي، محمد محمود: شرح لامية العرب لعبد القادر البغدادي، مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية، 2011، م 13، ع 1(A) ص 48.
- 33- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- 34- الزمخشري، شرح اللامية، ص 31.
- 35- عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص 147.
- 36- ابن الأثير، ضياء الدين: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع، القاهرة، ج 2(د. ط) (د.ت) ص 268.

- 37- الزمخشري: شرح اللامية، ص 25.
- 38- المرجع نفسه، ص 25.
- 39- المرجع نفسه، ص 10.
- 40- المرجع نفسه، ص 31.
- 41- المرجع نفسه، ص 33.
- 42- المرجع نفسه، ص 34.
- 43- الزمخشري: المرجع نفسه، ص 31.
- 44- حمريط، جلول سليم: دلالات أبنية الفعل في لامية العرب، ص 69.
- 45- ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، ط2، ج 2، ص 379.
- 46- الزمخشري: شرح اللامية، ص 62.
- 47- عبد المطلب، محمد: جدلية الأفراد والتركيب في النقد العربي القديم، ص 182.
- 48- الزمخشري، شرح اللامية، ص 55.
- 49- المرجع نفسه، ص 64.
- 50- المرجع نفسه، ص 54.
- 51- ينظر: سليمان، فتح الله أحمد: الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2008م، ص 137.
- 52- الزمخشري، شرح اللامية، ص 14.
- 53- المرجع نفسه، ص 14-15.
- 54- المرجع نفسه، ص 20-21.
- 55- المرجع نفسه، ص 27.
- 56- المرجع نفسه، ص 28.
- 57- المرجع نفسه، ص 52.
- 58- الزمخشري، أبو القاسم، محمود بن عمر، الكشاف، تحقيق عبد الرزاق عبد الهادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص 56.
- 59- عبد المطلب، محمد: جدلية الأفراد والتركيب في النقد العربي القديم، ص 188.

- 60- الرواشدة، سامح: " قصيدة إسماعيل " لأدونيس صور من الانزياح التركيبي وجمالياته، مجلة دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، سنة 2003، م 30، عدد 3، ص477.
- 61- الزمخشري، شرح اللامية، ص 4.
- 62- المرجع نفسه، ص 6.
- 63- المرجع نفسه، ص 11.
- 64- المرجع نفسه، ص 14.
- 65- المرجع نفسه، ص 14.
- 66- المرجع نفسه، ص 15.
- 67- المرجع نفسه، ص 29.
- 68- المرجع نفسه، ص 52.
- 69- المرجع نفسه، ص 52.
- 70- المرجع نفسه، ص 56.
- 71- ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ص 184.
- 72- الزمخشري، شرح اللامية، ص 21.
- 73- المرجع نفسه، ص 22.
- 74- المرجع نفسه، ص 52.
- 75- المرجع نفسه، ص 57.
- 76- المرجع نفسه، ص 55.
- 77- المرجع نفسه، ص 15.
- 78- الرواشدة، سامح: جماليات التعبير في القرآن الكريم، الصايل للنشر والتوزيع، ط1، 2013م، ص118.

قائمة المصادر والمراجع

- ابن الأثير، ضياء الدين: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانه، دار نهضة مصر للطبع، القاهرة، ج 2 (د. ط) (د. ت).
- الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز في علم المعاني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1981.
- ابن جني، أبو الفتح: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، ط 2.
- حمريط، جلول سليم: دلالات أبنية الفعل في لامية العرب للشنفرى (رسالة ماجستير مخطوطة) جامعة وهران، 2015.
- الرواشدة، سامح: جماليات التعبير في القرآن الكريم، الصايل للنشر والتوزيع، ط 1، 2013م.
- الرواشدة، سامح: فضاءات شعرية، دراسة نقدية في ديوان أمل دنقل، المركز القومي، الأردن، 1999 م .
- الزمخشري، أبو القاسم، محمود بن عمر، الكشاف، تحقيق عبد الرزاق عبد الهادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الزمخشري، أبو القاسم، محمود بن عمر: كتاب أعجب العجب في شرح لامية العرب، مناظرة الأشغال بمصر، ط 3. (اعتمدت الدراسة هذا الشرح مصدراً رئيساً).
- أبو زيد، نصر حامد: إشكالية القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 5، 1999.
- سليمان، فتح الله أحمد: الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، دار الأفاق العربية، القاهرة، ط 1، 2008م.
- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان: الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت.
- عبد المطلب، محمد: جدلية الأفراد والتركيب في النقد العربي القديم، مكتبة لبنان، الشركة المصرية للنشر، لونغمان، ط 1.
- أبو العدوس، يوسف: الأسلوبية، الرؤية والتطبيق، دار المسيرة، عمان، ط 1، 2007م.

الغذامي، عبد الله: الخطيئة والتكفير، من البنيوية إلى التفكيكية، دار القارئ العربي، الرباط، المغرب، ط1، 1985.

فضل، صلاح: نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط3، 1987.

ابن هشام، عبد الله بن جمال الدين(761هـ): أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث العربي، بيروت- لبنان، ط8، 1986م.

الدوريات

الرواشدة، سامح: "قصيدة إسماعيل" لأدونيس صور من الانزياح التركيبي وجمالياته، مجلة دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، سنة 2003، م 30، عدد3.

العامودي، محمد محمود: شرح لامية العرب لعبد القادر البغدادي، مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية، 2011، م13، ع1.

نص القصيدة: (لامية العرب)

أقيموا بني أمي صدور مطيكم
فإني إلى قوم سواكم لأميل
فقد حمت الحاجات، والليل مقمر
وشُدت، لطيّات، مطايا وأرْحُلُ
وفي الأرض منأى، للكريم، عن الأذى
وفيهما، لمن خاف القلى، متعزّل
لَعْمَرَك، ما في الأرض ضيق على أمرئ
سَرى راغباً أو راهباً، وهو يعقل
ولي دونكم، أهلون: سيّد عمّلس
وأرْقَطُ زهلول وعرفاء جِيَالُ
هم الأهل لا مستودع السرّ ذائع
لديهم، ولا الجاني بما جرّ، يُخْذَلُ
وكل أبيّ، باسل غير أنني
إذا عرضت أولى الطرائد أبسل
وإن مدت الأيدي إلى الزاد لم أكن
بأعجلهم، إذ أجتغ القوم أعجل
وما ذاك إلا بسطة عن تفضل
علّهم، وكان الأفضل المتفضّل
وإني كفاني فقد من ليس جازياً
ثلاثة أصحاب: فؤاد مشيع،
هتوف، من الملس المتون، يزينها
إذا زل عنها السهم حنت كأنها
ولست بمهيف يعشّي سوامه
ولا جبا أكهى مربّ بعرسه
ولا خرق هيق كأن فؤاده
ولا خالف داريّة متعزّل

فإني إلى قوم سواكم لأميل
وشُدت، لطيّات، مطايا وأرْحُلُ
وفيهما، لمن خاف القلى، متعزّل
سَرى راغباً أو راهباً، وهو يعقل
وأرْقَطُ زهلول وعرفاء جِيَالُ
لديهم، ولا الجاني بما جرّ، يُخْذَلُ
إذا عرضت أولى الطرائد أبسل
بأعجلهم، إذ أجتغ القوم أعجل
علّهم، وكان الأفضل المتفضّل
بِحسنى، ولا في قربه متعأل
وأبيض إصليت، وصفراء عيطل
رصائع قد نيطت إليها، ومخمل
مرزاة تكلّى ترن وتغول
مجدعة سقبانها وهي بهل
يطالعها في شأنه كيف يفعل
يطلّ به المكاء يعلو ويسفل
يروخ ويغدو داهناً يتكحل

ولستُ بِعِلْ شَرَّةٍ دُونَ خَيْرِهِ
 أَلْفٌ إِذَا مَا رَعْتَهُ اهْتِاجٌ أَعَزْلُ
 ولستُ بِمَحْيَارِ الظَّلَامِ إِذَا انْتَحَتِ
 هَدَى الْهَوَجِلِ الْعَسِيفِ يَهْمَاءُ هَوَجَلُ
 إِذَا الْأَمْعَزُ الصَّوَّانُ لَاقَى مَنَاسِمِي
 تَطَايِرٍ مِنْهُ قَادِحٌ وَمُقَافِلُ
 أَدِيمٌ مِطَالُ الْجُوعِ حَتَّى أَمِيَّتِهِ،
 وَأَسْتَفَى تُرْبِ الْأَرْضِ كِي لَا يَرَى لَهُ
 وَلَوْلَا اجْتِنَابُ الدَّمَ، لَمْ يُلَفْ مَشْرِبُ
 وَعَلَى الْهَوَجِلِ الْعَسِيفِ يَهْمَاءُ هَوَجَلُ
 لَكِنَّ نَفْسًا مُرَّةً لَا تَقِيمُ بِي
 وَأَطْوِي عَلَى الْخُمَصِ الْحَوَايَا، كَمَا انْطَوَتْ
 وَأَعْدُو عَلَى الْقَوْتِ الزَّهِيدِ كَمَا غَدَا
 غَدَا طَاوِيًا ، يِعَارِضُ الرِّيحَ ، هَافِيًا
 فَلَمَّا لَوَاهُ الْقَوْتُ مِنْ حَيْثُ أُمُّهُ
 مَهْلَهَلَةً، شَيْبُ الْوَجْهِ، كَأَنَّهَا
 أَوْ الْخَشْرَمَ الْمَبْعُوثُ حَثَّ ثَدْبِرَةَ
 مَهْرَتَّةً فُؤُوهَ كَأَنَّ شُدُوقَهَا
 فَضَجَّ، وَضَجَّتْ، بِالْبِرَاحِ، كَأَنَّهَا
 وَأَغْضَى وَأَغْضَتْ، وَاتَّسَى وَاتَّسَتْ بِهِ
 شَكَا وَشَكَّتْ، ثُمَّ ارْعَوَى بَعْدَ وَارْعَوَتْ
 أَلْفٌ إِذَا مَا رَعْتَهُ اهْتِاجٌ أَعَزْلُ
 هَدَى الْهَوَجِلِ الْعَسِيفِ يَهْمَاءُ هَوَجَلُ
 تَطَايِرٍ مِنْهُ قَادِحٌ وَمُقَافِلُ
 وَأَضْرَبُ عَنْهُ الذِّكْرُ صَفْحًا فَأَذْهَلُ
 عَلَيَّ مِنَ الطُّوْلِ امْرُؤٌ مُتَطَوَّلُ
 يَعْشَاشُ بِهِ، إِلَّا لَدِيَّ، وَمَأْكَلُ
 عَلَى الضَّمِيمِ، إِلَّا رِيثِمًا أَتْحَوْلُ
 خِيُوطَةٌ مَارِي تَغَارُ وَتَفْتَلُ
 أَزَلُّ تَهَادَاهُ التَّنَائِفُ، أَطْحَلُ
 يَخُوتُ بِأَذْنَابِ الشَّعَابِ، وَيَعْسِلُ
 دَعَا، فَأَجَابَتْهُ نَظَائِرُ نُحْلُ
 قَدَاخٌ بِكَفِي يَاسِرٍ، تَتَقَلَّقَلُ
 مَحَايِيضُ أَرْدَاهُنَّ سَامٌ مَعْسَلُ
 شُقُوقُ الْعِصِيِّ ، كَالْحَاتِ وَبَسَلُ
 وَإِيَاهُ، نَوْحٌ فَوْقَ عَلِيَاءِ، تُكَلُ
 مَرَامِيْلُ عَزَاهَا، وَعَزَّتَهُ مُرْمِلُ
 وَللصَّبْرِ، إِنْ لَمْ يَنْفَعِ الشُّكُوْ أَجْمَلُ !

وَفَاءَ وَفَاءَتْ بِإِدْرَاتٍ، وَكُلُّهَا،
 وَتَشْرَبُ أَسَارِي الْقَطَا الْكُدُنُ؛ بَعْدَمَا
 هَمَمْتُ وَهَمَمْتُ، وَابْتَدَرْنَا، وَأَسْدَلْتُ
 فَوَلَّيْتُ عَنْهَا، وَهِيَ تَكْبُو لِعَقْرِهِ
 كَأَنْ وَغَاهَا، حَجْرَتِيهِ وَحَوْلَهَا
 تَوَافِينَ مِنْ شَتَى إِلَيْهِ، فَضَمَّهَا
 فَعَبَّتْ غَشَاشاً، ثُمَّ مَرَّتْ كَأَنَّهَا،
 وَآلَفَ وَجْهَ الْأَرْضِ عِنْدَ افْتِرَاشِهَا
 وَأَعْدَلُ مَنْحَوْضاً كَأَنْ فَنُوصَصُهُ
 فَإِنْ تَبْتَسُّ بِالشَّنْفَرَى أَمْ قَسَطَلِ
 طَرِيدُ جَنَائِاتٍ تِيَّاسِرْنَ لَحْمَهُ
 تَنَامُ إِذَا مَا نَامَ، يَقْطِي عُيُونَهَا
 وَإِلْفُ هَمُومٍ مَا تَزَالُ تَعُودُهُ
 إِذَا وَرَدَتْ أَصْدَرْتَهَا، ثُمَّ إِنَّهَا
 فَإِمَّا تَرِينِي كَابِنَةَ الرَّمْلِ، ضَاحِيَاً
 فَإِنِّي لِمَوْلَى الصَّيْرِ، أَجْتَابَ بَزَّهُ
 وَأَعْدَمُ أَحْيَانَاً، وَأَغْنَى، وَإِنَّمَا
 عَلَى نَكْظٍ مِمَّا يَكَاتِمُ، مُجْمِلُ
 سَرَتْ قَرِيْباً، أَحْنَاؤُهَا تَتَّصِلُ
 وَشَمْرٌ مِنِّي فَارِطٌ مَنَّمَهُلُ
 يَبَاشِرُهُ مِنْهَا ذُقُونٌ وَحَوْصَلُ
 أَضَامِيمٍ مِنْ سَفْرِ الْقِبَائِلِ، نُزَلُ
 كَمَا ضَمَّ أذْوَادَ الْأَصَارِيمِ مِنْهَلُ
 مَعَ الصَّنِيحِ، رَكِبُ، مِنْ أَحَاطَةِ مُجْفِلُ
 بِأَهْدَأُ تَنْبِيهِهِ سَنَاسِينُ قُحْلُ
 كِعَابُ دَحَاهَا لَاعِبُ، فَهِيَ مَثَلُ
 لَمَّا اغْتَبَطْتُ بِالشَّنْفَرَى قَبْلُ، أَطْوَلُ
 عَقِيرْتُهُ لَأَيُّهَا حُمُّ أَوْلُ
 حِثَّائاً إِلَى مَكْرُوهِهِ تَتَغَالَقُلُ
 عِيَاداً، كَحَمَى الرَّيْبِ، أَوْ هِيَ أَثْقَلُ
 تَشُوبُ، فَتَأْتِي مِنْ تَحْيَتُ وَمِنْ عَلُ
 عَلَى رِقَّةٍ، أَحْفَى، وَلَا أَتَنَعَلُ
 عَلَى مِثْلِ قَلْبِ السَّمْعِ، وَالْحَزْمِ أَنْعَلُ
 يَنَالُ الْغِنَى ذُو الْبُعْدَةِ الْمَتَبَذَلُ

فلا جَزَعُ من خِلَةِ مُتَكشِفِ
 ولا تَزدهِي الأَجْهالِ حِلْمِي،
 وليلَةٍ نَحسٍ، يصْطلي القوسِ ربها
 دعستُ على غَطْشٍ وبِغْشٍ، وصحبتِي
 فأيَّمتُ نِسواناً، وأيَّمتُ وِلْدَةً
 وأصيح، عني، بالغميصاءِ، جالساً
 فقالوا: لقد هَرَّتْ بِلِيلِ كِلابِنَا
 فلم تَكْ إلا نِباءَةً، ثم هَوَّمتُ
 فإن يَكُ من جنِّ، لأبرح طارقاً
 ويومٍ من الشَّعْرى، يذوبُ لُعباهُ
 نَصَبْتُ له وجهي، ولاكنْ دُونَهُ
 وضافٍ، إذا هبتْ له الرِّيحُ، طيَّرتُ
 بعيدي بمسِّ الدَّهْنِ والفُلَى عَهْدُهُ
 وخَرِقَ كظْهرِ الترسِ، قَفَّرَ قِطْعَتَهُ
 وألحقتُ أولادهُ بأخْراه، مُوفياً
 تَرودُ الأراوي الصَّخْمَ حَولي كأنها
 ويركُدنْ بالأصْمالِ حَولي كأنني

ولا مَرَحُ تحتِ الغِنَى أتخيلُ
 سؤُولاً بأعقابِ الأقاويلِ أنمِلُ
 وأقطعهُ اللاتِي بها يتنبِلُ
 سَعارُ، وإرزيزُ، ووَجْرُ، وأفكُلُ
 وعُدْتُ كما أبْدأتُ، والليلِ أيلُ
 فريقيان: مسؤُولُ، وآخرُ يسألُ
 فقلنا: أذنبُ عَسْ؟ أم عَسْ فُرْعُلُ؟
 فقلنا قِطْاةَ رِيحٍ، أم رِيحَ أَجْدَلُ؟
 وإن يَكُ إنْساءً، ما كها الإنْسُ تَفْعَلُ
 أفاعيه، في رمضائه، تتملَّمُ
 ولا سترَ إلا الأتحمي المرعَبِلُ
 لبائِدَ عن أعطافِهِ ما ترَجُّلُ
 له عَبَسُ، عافٍ من الغسلِ مُحْوَلُ
 بعاملتين، ظهرهُ لَيْسَ يعمَلُ
 على قُنَّةٍ، أقعي مِراراً وأمُثَلُ
 عَدَارَى عَلَيَّهِنَّ المُلأءُ المَذْيَلُ
 مِنَ العُصْمِ أدقِي يَنْتَحِي الكِيحِ أَعْقَلُ

صُورَةُ الْإِرْهَابِ فِي الرُّوَايَةِ السُّعُودِيَّةِ

"الْإِرْهَابِي 20، نَعْبُدُ اللَّهَ ثَابِتَ أُنْمُودَجًا"

عائشة يحيى عثمان حكيم *

تاريخ الاستلام 2016/5/31

تاريخ القبول 2016/10/26

• مَلْخَصٌ:

يُحَاوَلُ الْبَحْثُ دِرَاسَةَ مَنَابِعِ الظَّاهِرَةِ الْإِرْهَابِيَّةِ فِي الْمَجْتَمَعِ السُّعُودِيِّ؛ مِنْ خِلَالِ الْأَدَبِ الرَّوَايِيِّ، لَيْسَ يُوَصِّفُ الظَّاهِرَةَ خُطَابًا سِيَاسِيًّا بَلْ يُوَصِّفُهَا جُزْءًا مِنْ حَرَكِيَّةِ الْمَجْتَمَعِ؛ تَعْلِقُهُ وَتَشْدُهُ إِلَى الْخَلْفِ، سَعْيًا إِلَى تَفْكِكِ خِيُوطِهَا؛ لِيَقِفَ الْمَتَلَقِيُّ عَلَى سَيْرُورَتِهَا وَطَبِيعَتِهَا.

كَمَا تَطْرَحُ فِكْرَةَ الْبَحْثِ عِدَّةَ تَسْأُولَاتٍ؛ مِنْهَا: لِمَاذَا أَصْبَحَ مُصْطَلِحَ الْإِرْهَابِ يَحْتَلُّ صَدَارَةَ الْاهْتِمَامِ؟ وَكَيْفَ شَاعَ وَتَغَلَّغَ فِي ثَقَافَةِ الْمَجْتَمَعِ؟ وَهَلْ تَعَامَلُ الرَّوَايِيُّ السُّعُودِيُّ مَعَ الظَّاهِرَةِ عَلَى سَبِيلِ الْخَدَائِثِ أَوْ لِمَجْرَدِ مُوَآكَبَةِ الْأَحْدَاثِ وَالتَّجْرِيْبِ الْفَنِيِّ.

الكلمات المفتاحية: الرواية، الأدب، السعودية، الإرهابي، النقد الأدبي، السرد، القصة، الإرهابيون، الإرهاب، مواجهة.

• مَدْخَلٌ:

رُبَّمَا نَتَّفَقُ لَوْ قُلْنَا إِنَّ مُصْطَلِحَ (الإرهاب) نال حظًا كبيرًا من الانتشار والرواج والعالمية، منذ سبعينيات القرن العشرين إلى وقتنا الحالي، وَعَقِدَتِ الْمُؤْتَمَرَاتُ وَالنَّدَوَاتُ وَالْمُحَاضِرَاتُ، وَقَدِّمَتْ الْبُحُوثُ وَالدَّرَاسَاتُ؛ لِلْوُقُوفِ عَلَى ظَاهِرَةِ الْإِرْهَابِ عَلَى جَمِيعِ الْأَصْعَدَةِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْاِقْتِصَادِيَّةِ، وَفِي مَجَالِ التَّرْبِيَةِ وَالثَّقَافَةِ وَالْأَدَبِ وَفَنُونِهِ، وَلَا سِيَّمَا الْفَنُونَ السُّرِّيَّةِ، وَفِي الْأَوْتَةِ الْأَخِيرَةِ تَضَاعَفَ انشغال فنون السرد بتلك الظاهرة بعد أن أصبحت مُشْكَلَةً اجْتِمَاعِيَّةً؛ لَهَا تَدَاعِيَاتُهَا الْفِكْرِيَّةُ وَالْاجْتِمَاعِيَّةُ وَالْاِقْتِصَادِيَّةُ؛ بِصُورَةٍ لَمْ تَعْهَدِهَا الْمَجْتَمَعَاتُ، زَادَ خَطَرُهَا؛ مِمَّا جَعَلَ الَّذِينَ يَقُومُونَ بِالْعَمَلِيَّاتِ الْإِرْهَابِيَّةِ يَعْتَقِدُونَ بِأَنَّ أَعْمَالَهُمْ بَطُولِيَّةٌ. وَصَعِدَ الْمَوْقِفُ تَجَاهَ الْمَشْكَلَةَ وَانْعَكَسَاتِهَا

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2017.

* قسم اللغة العربية وأدائها، جامعة تبوك، تبوك، السعودية.

السُّلبيَّة على المجتمع بَكلِّ مجالته، فانشغل المعنيون برفع حالة الوعي لدى الأفراد؛ خاصة المجال التربوي والفكري والديني، من أجل الإسهام في ضبط السلوك الإنساني وتطوير وعيه وإبعاده عن المزالق.

وإذا بحثنا الأسباب المؤدية إلى الإرهاب والعنف والتطرف فإنها- كما ترى سارة الخمسي- قد تتنوع وتتضافر كلها أو أغلبها في الظهور لدى الشخص، والتي تتطور انعكاساتها إلى زعزعة النظام المجتمعي والأمان النفسي الذي يعدُّ من أهمِّ الضُّرورات الإنسانية لدى البشرية. وتقوم الأسرة على بناء ذلك النظام والأمان؛ من خلال تعميق قيم الانتماء لدى الأفراد، وتجنب الآباء الأفعال التي من شأنها أن تشعر الأبناء بأنهم غير مرغوب فيهم، وإهمالهم وتوبيخهم ونبذهم بصورة متكررة؛ يؤثر على صحتهم النفسية، فإذا حرم الفرد روح الانسجام الأسري فإنه يحاول الانتماء إلى جماعات أو عصابات لتعويض نقص الانتماء والألفة لتلك العشرة والتوافق والانسجام عند التعامل⁽¹⁾، وكلما انعزل الفرد عن أسرته تضاعف شعوره بالحاجة إلى تلك الجماعات البديلة.

وهذا يعني أن تلك الجماعات الإرهابية تحاول سدُّ حاجة الفرد وتغذيته بقيم الجماعة ومعاييرها؛ لإشباع شخصيته، وتلك القيم تتعارض مع أعراف اجتماعية ودينية في المجتمع. وستظهر هذه الحال على لسان السارد/البطل في الرواية حين تحدث عن أدوات جذب الجماعة للأخريين بمفردات تنمُّ عن رفض تلك السلوكيات (سحبني، يُغريني) في ظل غياب كامل من الأهل، ولعدم شيوع حركة مثل هذه الجماعات. ويذهب أحد الباحثين إلى أنه إذا تفاعل الآباء وأعضاء الأسرة مع الشباب لوقت أطول وبانتباه الحريص؛ فإنه يؤدي إلى اضمحلال تفاعل الشباب مع الرفاق⁽²⁾.

ومن الصُّعوبة إغفال دور الرفقاء والجماعات في النزوع نحو الإرهاب والعنف والتطرف، ولا سيما عندما يكون تأثير هذه الجماعات قوياً في وجود شخصية ضعيفة أو إيحائية أو غير مستقرة أسرياً في بعض مراحل العمر؛ مثل (زاهي/بطل الرواية موضع الدراسة في مرحلة اليقظة). كما أنها تسمح للفرد بالتعبير عن رأيه بحرية حتى لو كانت آراؤه خاطئة، بل ربُّما وجد فيها الفرد متنفساً للكبث الداخلي لديه أو محرِّصاً على سلوك لا يقرُّه المجتمع أو المنطق⁽³⁾.

ونظراً لأهمية معرفة أسباب الإرهاب والعنف والتطرف حاول كثير من الباحثين التفكير في الظاهرة، ويسطها والوقوف على تاريخها وجذورها وتفصيل وجودها، وكيفية التعامل معها؛ يظهر ذلك في الأبحاث والدراسات والأعمال الإبداعية والفنون؛ ومن هؤلاء الباحثين أسماء عبد العزيز الحسين، إذ ترى أن الإرهاب أصبح ظاهرة منتشرة في بلاد العالم كله، تهدد سلامة الجماعات والأفراد وأمنهم، وحيث إن الإرهاب بهذا الشكل وفد من الغرب في أساسه عقب الحرب العالمية الأولى وبعد الثانية، وبدءاً بالعشرينيات مروراً بالثلاثينيات إلى نهاية الأربعينيات؛ حيث شنت

المنظمات اليهودية الرعب الصهيوني في فلسطين عن طريق جماعات إرهابية في دير ياسين وغيرها⁽⁴⁾. وهذا المنطلق عينه الذي تسعى الباحثة إلى الوقوف عليه من خلال السرد الروائي كوسيط احتفى كثيراً بالإرهاب وتطوره ونبذه.

لقد اختار الأدب في مختلف العصور أن يواجه الإرهاب، لكن هل بإمكان الرواية العربية الحديثة والرواية السعودية تحديداً مواجهة هذه الظاهرة؟ تشير الإصدارات الروائية على امتداد الوطن العربي إلى تقدم فنون السرد في استيعاب قضية الإرهاب، وتنافس الكتاب في مواجهتها، كما واجهوا من قبل قضية السجون، نحو: (شرق المتوسط لعبد الرحمن منيف، والسجينة لمليكة أوفقيير، وتلك العتمة الباهرة للطاهر بن جلون و(السنوات الرهيبة) للروائي التركي جنكيز ضاغجي تصور مأساة المسلمين في شبه جزيرة القرم السوفيتية إبّان الحرب الثانية.

أشرنا سابقاً إلى احتفاء فن الرواية بالظاهرة، منها:

(الإرهابي) لجون أبدايك، و(شيكاغو) لعلاء الأسواني، و(القاهرة الصغيرة) لعمارة لخص، و(سنونات كابول) لياسمين خضراء، و(الزلزال) للطاهر وطار، و(سوق الإرهاب) لمحمد قواسمة.

كما حظي موضوع الإرهاب في الرواية السعودية في الحقبة الأخيرة باهتمام لافت، فكان له أثر في الرواية السعودية، فتناولت الرواية الإرهاب معالجةً وسرداً ونقداً، وهناك روايات تصدّت للقضية كموضوع رئيس، وأخرى طرقت الإرهاب ضمن سياقات قضايا أخرى. فإذا وقفنا على عناوين من تلك الروايات تلوح أمام القارئ رواية (ريح الجنة لتركي الحمد، و(جانجي) لطاهر أحمد الزهراني، و(تلك العتمة) لمحمد المزيني، ورواية (حب في زمن الإرهاب) لعبد الكريم محمد المهنا، (الانتحار الماجور) لآلاء الهذلول، وهي الأولى أيضاً في تصديها لظاهرة الإرهاب على مستوى كتاب الرواية وكاتباتها ... واستطاعت الرواية احتواء موضوع الإرهاب وتداعياته، إذ تلمح تجارب الكتاب أن الروائي لم يُقدّم على طرح ثيمة الإرهاب إلا بعد أن عاش في حمى التجربة أو ضاق ذرعاً بالعنف ومحاصرة إنسانية الإنسان، والمعالجات الروائية للظاهرة أقرب إلى النقل والتسجيل.

• توصيف الإرهاب Terrorism:

وقبل الدخول إلى موضوع البحث وكيفية معالجة الروائي للظاهرة "نتلمس أصول مصطلح (الإرهاب)؛ نفكر فيه كمصطلح يخص حالة معينة. من صاغه ودفع به إلى الساحة العالمية؛ "لينتشر ويعمّ بالشكل الذي أصبح عليه الآن، وبالوظيفة التي أنيطت به؛ بشكلٍ مدروسٍ ومبرمجٍ من جهاتٍ سياسيةٍ وإعلاميةٍ عالميةٍ، وهي وظيفة شنيعة ألصقت بنا - نحن العرب - بخاصة، والإسلام بعامّة حتى باتت أشبه بالهوية التي تحمل أسماءنا ووجوهنا وملامحنا دون غيرنا من الناس جميعاً⁽⁵⁾.

وتحاول هذه الورقة عرض حالة من حالات الإرهاب في الرواية السعودية ومشاركة الباحثين والمهتمين في تعميق مفاهيم الظاهرة والإجابة عن بعض الأسئلة المهمة؛ منها: ما تعريف الإرهاب؟ وهل ثمة علاقة بينه وبين العنف والتطرف؟ وهل ثمة تعريف مُحدّد للإرهاب يمكن أن يكون أممياً ومُتفقاً عليه، وبالتالي الاتفاق على سبل مواجهته؟ أليس من الأبجديات المفهومية أن يتم التفرقة بين الإرهاب بوصفه عنفاً أعمى مُوجّهاً إلى الناس عامة لغايات سياسية أو غيرها؟

• تعريف الإرهاب في معاجم اللغة:

الإرهابُ ينحدرُ من جذر رهب يرهب. رهبة، ورهباً بمعنى الخوف مع تحرز واضطراب، ويقابلها في اللغة الإنجليزية لفظة (terror) وهي الأكثر تداولاً، وتأتي بمعنى: الترويع أو الرعب. كذلك تستخدم كلمة (إرهاب) بكسر الهمزة بمعنى الإزعاج والإخافة⁽⁶⁾. وفي مختار الصحاح: رَهَبَ: خاف، ثم نرى رهبة ورهباناً؛ بالفتح والضم، فيقال رجل رهبوت (يفتح الهاء) بمعنى: مهروب، والأفضل أن نقول: رهبوت، ولا نقول: رحموت: أي أن نرهب خير من أن نرحم⁽⁷⁾. وترد المفردة (رهب) في القاموس المحيط مثل علم -رهبة- ورهباً- بالضم والفتح؛ بنفس معنى مختار الصحاح (خاف)⁽⁸⁾، وفي معجم المصباح المنير (رهب) من تعب خاف (راهب من الله) يتناولها من الوجهة الدينية؛ وهو خوف العبد من ربه⁽⁹⁾.

• تعريف الإرهاب في الاصطلاح:

لم يظهر إلى الآن تعريف مُحدّد ينسجم مع مسار البحث الأدبي، أو دراسة تتناول الإرهاب في السرد القصصي؛ فمعظم التراكم اللغوية للمفردة تتوقف عند حدود (الإرهاب الفكري أو السياسي أو العسكري...)، ومن أمثلة تلك الصيغ: "الإرهاب: استراتيجية عنف، تحفزها دوافع عقائدية، وتتوخى بثّ عنف مرعب في كيان فئة خاصة من مجتمع معين"⁽¹⁰⁾، و"التي تقع تنفيذاً لمشروع إجرامي، فردي أو جماعي، مما يسفر عنها حالة شعور بالخوف والرهبّة بين الناس، أو تسبب لهم الضرر، بشكل مباشر أو غير مباشر"⁽¹¹⁾.

في مقدمة (قراصنة وأباطرة) يذكر ناعوم شومسكي مصدر كلمة (إرهاب)، فيشير إلى أن هذا المصطلح ظهر في نهاية القرن (18م) وأدى إلى الإشارة بشكل أساسي إلى عمليات عنف حكومية، ترمي إلى ضمان الخضوع الشعبي، إلا أن هذا المعنى مع مرور الزمن أخذ يقتصر على الذين يُضايقون الأقوى، وأخذت عبارة (الإرهاب) تطبّق بشكل أساسي على "الإرهاب المفرق" الذي يقوم به الأفراد أو الجماعات⁽¹²⁾.

ولفظة الإرهاب ليست من مُبتكراتِ العَصْرِ الحَدِيثِ أو مُبتكراتِ الصياغة والتوظيف اللغوي الجديد في المصطلح، شيوع استخدام التراكيب اللغوية المُفسّرة لمفهوم الإرهاب عبر كل اللغات، فانتشرت بصورةٍ مُكثّفةٍ ومُتسارعةٍ في لغة الخطاب خلال العشر السنوات المنصرمة، مثل مكافحة الإرهاب، الحرب على الإرهاب غزت جميع جوانب حياتنا اللغوية والإعلامية والسياسية⁽¹³⁾. وننتهي من التعريفات السابقة إلى أن الإرهاب هو: ما خرج من دائرة الفكر والرأي إلى دائرة السلوك؛ سواء أكان فعلياً؛ كالقتل، أم قولياً؛ كالتهديد بالعنف، وإلقاء الرعب بين الناس، وعدم التسامح في المجال الفكري. والإرهابي هو الشخّص الذي يقوم بتطبيق تعاليم الإرهاب تطبيقاً منهجياً⁽¹⁴⁾.

والقاموس الفرنسي هو الوحيد الذي أطلق "إرهابي" على الأشخاص، والمجموعات، والأعمال في حدّ ذاتها، ما يبيح إمكانية إدخال أية ممارسةٍ مُخلّةٍ بحقوق الإنسان ووصمها بالإرهاب"⁽¹⁵⁾.

لقد حاول المُستشرقون على مرّ العقود الماضية تسخير فكرهم بمساندة وسائل الإعلام للنيل من الإسلام وأتباعه؛ من خلال تأكيد ربط الإرهاب بالدين الإسلامي، وهذا ينحدر من رؤية "تزعّم بأنّ القرآن الكريم يتضمّن دعاوى إلى العنف واستخدامه ضد غير المسلمين"⁽¹⁵⁾.

وتوصّلت الباحثة بعد استقراء عدد من المصادر اللغوية والدراسات الفكرية إلى أنّ المفهوم الإجرائي للإرهاب هو: الإفراط في التمسك بجملة من الآراء والأفكار والإصرار عليها، وإقصاء آراء الآخرين وأفكارهم، والحجر عليها؛ الأمر الذي يصل في نهاية الأمر إلى محاولة فرض تلك الآراء على الآخرين، باستخدام الضغط المعنوي أو المادي لتبني آرائه وأفكاره.

والتعريف يتضمّن مظاهر الإرهاب الفكري الذي يمكن من خلاله الحكم على الظاهرة؛ بأنّها إرهابٌ فكريٌّ، ومظاهره ممكن تحديدها في ثلاثة عناصر (التعصّب الفكري، الإقصاء الفكري، التسلّط الفكري). وأخطر أشكال الارهاب حيث يتعمد الأقوى نفي الآخر الأضعف، وتكميم الأفواه وحصار الأفكار، ومنّ يحاول إطلاق سراح حرية الفكر والرأي بما هو مُخالفٌ للسائد دينياً أو سياسياً يُمارسُ الإرهابُ ضده بالاضطهاد أو القتل؛ مثل (نصر حامد أبو زيد في مصر، ومحمود محمد طه في السودان).

إنّ عجزَ الوسائل الأخرى عن كشف تداعيات الأفكار الضالّة ناتج عن تأويل مُتعصّبٍ لكلّ الرؤى الدينية، وعن تعاليم مشوشة تبعث التجهيل، وتفتك بالأرواح، وتقضي على مباحج الحياة. وحين نقرأ النصّ الروائي لا نمسُ النصّ الديني في ذاته، ولا نساغل الاعتقاد الديني ورؤاه، بل نقرأ النصّ الروائي بصفته نماذج أيديولوجية دينية ركانتها الاختزال (الاستقراء الناقص)، حيث

النص الديني يُمائلُ قراءةً مُنعصبةً وحيدة، فالقراءة تُنتجُ قارئاً واحداً يُمثلُ الحقَّ، وتطمئنُ إليه الحقيقة، أمّا التَّعصُّبُ فيكفِّرُ الأدبَ والفنَ والاجتهادَ؛ أي: يحجر على التفكير المُخالفِ.

ومُعَوَّقاتِ التَّجْهِيلِ هذه ما هي إلا بصمات اجتماعية نابعة عن ممارساتٍ سلطويةٍ تحتمي بالمقدَّسِ، وكلُّ تطرُّفٍ يهيئُ فساداً ويضعافُ الفاسدين الذين يتفانون في زرع فقر العقل والثقافة والأرواح. إنَّ الوجود الاجتماعي الموعول في القدم يفتقر إلى الاندماج مع الأجيال، فيلجأ إلى مُصادرةٍ بعض مكونات حاضريهم؛ مثل معاني الانتماء للوطن والمجتمع والدين المُتسامحِ.

• التعريف بالرواية والروائي:

الروائي: عبد الله ثابت روائي وشاعر وإعلامي سعودي، حصل على جائزة بيروت 39، وعلى المركز الأول في جائزة المفتاحة 2004، ولد في منطقة عسير عام 1973، درس في مدارس تحفيظ القرآن الكريم في منطقته، أنهى الدراسة الثانوية في ثانوية الملك فهد، أكمل تعليمه الجامعي في جامعة الملك خالد مُتخصِّصاً في اللغة العربية، كاتب في صحيفة الوطن، صدر له ديوان شعر بعنوان (هتك 2004)، ورواية الإرهابي 20 عام 2006، ثم رواية حرام CV، ثم توالى أعماله، وكان آخرها كتاب (يردن المشرب مرتين 2014) (16)

والرواية موضوعُ البحثِ: (الإرهابي 20) لا تتَّجهُ إلى إنتاج إجابات تُعلل الظاهرة أو تحللها، وإنما تبدو حقيفةً، أكثر من أيِّ شيءٍ آخر، ببذر الأسئلة ونثرها في اتجاهات مختلفة، وهي لذلك لم ترتعن لموضوع الإرهاب، وإنَّ ظل مفتاح موضوعها وأساس محورها النصي. واستوعبت الرواية 254 صفحة، مقدمة طويلة عن منطقة عسير في حدود 50 صفحة، وهي الجزء الأول، الجزء الثاني تقريباً 100 صفحة، موضوع الرواية الصفحات اللاحقة موضوعها دراسة الشخصية في الجامعة، وإعادة تأهيل ذاتها الدينية والاجتماعية بعد تحريرها، وتصالحها مع البيئة: "وحتى صيف تلك السنة الجامعية الأولى لم أبلغ حدَّ التخلص النهائي من انتمائي للمتوحشين السابقين... انتهيت منهم وصرت إنساناً جديداً عليه أن يعتني بدراسته..."⁽¹⁷⁾ ثم السَّفَرُ إلى بلد عربي مجاور بعد التخرج لم يُسمَّه؛ نظراً لضرورة ذكر تفاصيل غير جيدة في ذلك البلد، وإن كان أبسط قارئ يستطيع تحديده... والحديث عن زواجه من فتاة تهوى اللغة وتكتب الشعر... وقصته مع (م.ن) الذي ينتمي إلى الجماعة المتشددة التكفيرية....

• البطل/زاهي الجبالي والكتابة والشعر:

بدايةُ الكتابةِ كانت تستحوذُ عليها تجربة الالتحاق بالجماعة المُتطرِّفة لا سيما أحداث 11 سبتمبر 2001م، والتركيز على التَّنْفِيرِ من هذه الجماعات برصد سلوكياتهم وتعاملهم البعيد عن الدين، وجاء في الجزء 25 من الرواية حكايته مع المثقف الحدائي (ع.ن) وصفه بالأب الأكبر

لجيل الحداثيين السعوديين، وجلس معه كثيراً على فتراتٍ مُتقطعة، وحين عرف المثقف حكاية زاهي مع المتدينين الحركيين صَفَّقَ له، ووصف فراره منهم بالمُعجزة، وذكره "بأنَّ العبقرية هي أن يستطيع المرء الحصول على ذاته، والتخلُّص من استعمار... الآخرين"⁽¹⁸⁾، لعلَّ ذلك هو السَّبَبُ الذي دفعه لكتابة تجربته مع الجماعات الإرهابية في قالبٍ روائي، وتندرجُ روايةُ الإرهابي 20 ضمن تيارات الكتابات الواقعية الهادفة من أجل التعبير عما يحدث فيه من أزمات. وأبرز ظاهرة هي ظاهرة الإرهاب التي تجسدت في الأعمال السردية منذ التسعينيات؛ وجاءت بشكلٍ صريحٍ في رواية "الإرهابي 20"، إذ وضعت يدها على أيديولوجية تحاكمُ التَّطَرُّفَ والغُفَّ.

• دلالاتُ الإرهابِ في رواية الإرهابي 20:

أ - الدلالاتُ الموضوعية:

اتَّضحت منذ الثمانينيات الميلادية مواقف التيارات الاجتماعية والفكرية في المملكة، وامتدَّت بِقُوَّةٍ في التسعينيات، فوضعت بصمَّتها على مناحي الحياة؛ متأثرةً بما يحدث في البلدان المجاورة (مصر، الجزائر) من حركة نشطة للتغيير الفكري، فوجد الروائي نفسه وجهاً لوجهٍ معها، فراح يكتبها مُحاذاً إلى جانبِ مُحاربةِ الإرهابِ، مُركِّزاً على كيفية استدراج الجماعة المتطرفة للشخصية المُستهدفة، جسده في الرواية ليدينه، ويحمله مع النظام ما يحدث من خلال حركة الجماعة ومظهرها وبنيتها الفكرية:

- البنيةُ الشكليةُ للجماعة: تتمثَّلُ في (القميص، اللحية، ثياب قصيرة، شماغ، سواك، تعلمُ كلمات ودعوات خاصة (الله يُثيبك... إلخ)⁽¹⁹⁾.

- البنيةُ الفكريةُ للجماعة: حفظ القرآن ليصبح شيخاً، يُحبُّك الناسُ، ويطلبون من المتدين أن يدعو لهم، ويروحون عن أنفسهم. (جلسات الشاي جرياً على طريقتهم ساعة وساعة...)⁽²⁰⁾. فالبنية الفكرية ترتكز على النقل لا العقل، وهناك ارتباطٌ عضويٌّ بين الفكر والمظهر؛ لتكتمل صورة المنتمي للجماعة؟؟ وبهذا المظهر يحاول الروائي جاهداً تنفير المتلقي من هذا النموذج البشري، وتزداد الصورة نفوراً إذا ضاق السلوك العنيف الذي تمارسه الجماعة ضد الآخرين.

• الغُفُّ في المُحيطِ الأسريِّ والتعليمي:

الغُفُّ ضدَّ الطفولة، مارسه الأخ، الأب، المُعلِّمُ، مديرُ المدرسة، ومن ثمَّ الجماعاتُ المُتطرفة.

• عُنْفُ الْمَنْزِلِ:

حرصَ الكاتبُ على التوقُّفِ كثيراً على مشاهدٍ دقيقةٍ للعنفِ في المنزلِ من وجهةِ نظرِ السَّاردِ، فالأبُ لا يقبلُ العِبثَ والصُّراخَ" .. إذا عاد إلى المنزلِ.. ستتغيرُ أشكالُ جلساتنا، وستتوقفُ كلُّ ألعابنا البدائية"⁽²¹⁾، يشعرُ الكاتبُ بغُصَّةٍ تجاه هذه المواقفِ، تَرافقُهُ في كلِّ مراحلِ العمرِ، فها هو يُتيحُ للسَّاردِ أن يعلقَ: "كان أبي وما زال قاسياً على نفسه وأسرته، قسوةً يظنُّ أنه يحميهم بها، ممَّا تعرَّضَ له من عُنْفٍ. يمارسُ الأبُ العُنْفَ مع الكبيرِ والصَّغيرِ، فقال الأخُ الأكبرُ نصيبه على مرأى إخوته كان يضربه والده حتى لا يستطيعَ الحراكَ من مكانه، وكيف أنه مرَّةً هم بقتله؛ لأنَّهُ ضيَعَ الأغنامَ.." ⁽²²⁾.

واقترحاً الأبُ غرفةَ نومِ أبنائه وهم نيامٍ وقت صلاةِ الفجرِ، "استيقظُ فزعاً كلُّ فجرٍ على صُراخِ والدي الذي ينادي لصلاةِ الفجرِ، كان يدعونا والدي بصرخةٍ واحدةٍ لِنَهَبِ جميعاً ولنصطفُ وراءه..." ⁽²³⁾.

يكاد يكون العنف والمكابرة من الصفات اللصيقة في شخصية والده "إذ يستحيل أن يكون في هذا الوجود رأي خير من رأيه، وفكرة أكثر صحةً من فكرته.." ⁽²⁴⁾.

ويلتمس السارد زاهي من المتلقي لحكايته أن يعذره إذا تخلقت شخصيته "شيئاً ما بينهما أو مُتطرفاً في حالتَيْهما، يمكن أن أكون جباراً أو حنوناً..." ⁽²⁵⁾، كان المنزلُ يُعاملني كمرهقٍ يجبُ أن تحاصرَ كلُّ أفعاله "يهيئُ نفسه دائماً لكلِّ طارئٍ، ضربٍ، وشتائمٍ، وصراخٍ..." ⁽²⁶⁾.

أكد الكاتبُ الجُذورَ الأولى في تكوينِ فكرِ شخصيةِ زاهي بالرَّصدِ التاريخي، ابتداءً من عالمه الصَّغيرِ في أواخر السبعينيات تديُّنُ أخي "تديُّناً حاداً جداً، متأثراً بالمتطرفين الوافدين من بلدانٍ مُجاورةٍ، كذلك تأثُرُهُ بعمله في المدارس القرآنية مع مجموعة من المُغالين، الذين استطاعوا أن يضمُّوه إليهم، فحمل فكرهم، وتحمس لهم، كان أخي يُحرِّمُ كلُّ ما يدور في المنزلِ..." ⁽²⁷⁾.

ثم يلتفت الكاتبُ إلى بدايةِ تكوُّنِ خلايا المتطرفين في الجزيرة العربية، من خلال استقراءهم تحولاتِ أحوالِ المجتمعِ الطبيعيَّةِ، واتخاذها كبراهينٍ وحججٍ للثورة على النظام السعودي الذي يعتقدون فساده، بعد أن فشلوا في استيعاب تلك التحوُّلاتِ بحكم ارتهانهم في نظرتهُم إلى الدين، وممارسته في الحياة على منهج النقلِ البحتِ، ففتشوا عن الفساد الذي عمَّ المجتمعَ - كما يرون - فوجدوه في ظهور النساء والأغنيات على التلفاز، ونفذوا ذلك عملياً في ثورة جهيمان واحتلال الحرم⁽²⁸⁾، وكان الأخُ الأكبرُ المتديُّنُ لزاهي نموذجاً للتشدُّدِ داخل كلِّ أسرةٍ، وإخضاع الجميع لقناعاته الأحادية، ونبد كلِّ اعتراض، من ذلك فرض الأخ على أسرته أن يلتحق (زاهي) بالمدرسة القرآنية التي كان يعمل فيها معلِّماً، مُستخدماً أساليب إقناعٍ للطرفين الأب والصَّغيرِ، وكان والده -

لوعيه بما ستؤول إليه الأمور... يُخيفه أن يصبح هذا الطفل الصغير مثل أخيه... مُتديناً مُؤدياً.. ونجحت الإغراءات وامتلأت نفس الطالب بالأحلام داخل المدرسة..⁽²⁹⁾.

كما يظهر، يُعوّل الكاتبُ على وعي المجتمع في التعامل مع موجة حِدّة التّدِين، فصورُ مراقبة الأب، وحذره من التأثير المتسارع بين أبنائه.

• المدرسة ومظاهر العُنف:

بدأت خفايا المدرسة القرآنية تتكشف أمام الصغير، فيذكر الساردُ أنه كان يُحبُ الفَرَاشاتِ، فقبض على فراشة ورسمها في حصة الرسم فهوت عصا المعلم على يده، وحين سحب يده من شدّة الألم قال له المعلم: " (إن رسم زوات الأرواح حرام) "، فأمره أن يرسم المساجد والكعبة...، ويسجل السارد موقفاً آخر وقع فيه الصغير، حيث كان يُفتت المندبل وينفخه بفمه، فيجيء أحد المعلمين فيجلده بعصا الخيزران في يده، يقول السارد/الصغير: " كنت في تلك السنين الابتدائية أرى من الممارسات ما يُفجعني...⁽³⁰⁾، وتوقع الصغير أن يعيش في المدرسة حياةً مُبهجة، كما صورها أخوه، لكنّ عُنف المعلمين يتبعه ألم وحزن، فلجأ الطالب إلى مقاومة الخوف؛ كردة فعل إيجابياً، بمعنى أنه كان يتعامل مع القسوة والعنف بوعي، حين فكر في الغياب لجأ إلى التمثيل على والده "أذكر أنني حاولت التمثيل على والدي؛ بأنني أعاني من بطني، وأني مريض جداً، وما كان بي من شيء، ولم يكن بي سوى أنني لم أحفظ الواجب المُحدّد من القرآن، وكنت أعرف أنّ جلدًا وحشياً بانتظاري...، وحين اكتشف والده كذبه طلب من المدير ضربه، فمكث يضربه ساعتين، يضربه في يده، فإذا لم يفتح يده يضربه في جسده كله، حتى يتمدد على الأرض، بعض الأساتذة قاموا "بمنعه من مواصلة تعديبي، ما كان ليكيف عن تلك البشاعة.."⁽³¹⁾.

يكشف السارد للقارئ مواقف خطيرة داخل الأفراد الذين يتعرّضون للعنف التربوي، فيذكر الصغير أنه كان في المدرسة يلبس ثياباً قصيرة وشماعاً، ويستخدم السواك، وتعلم كلمات ودعوات خاصة "لكنني كنتُ كائناً آخر في داخلي، أحب الأغنيات والصور والرسم.. ولا أتمكّن منها... كنتُ أصلي واقفاً والسواك بطني، لكنني لم أكن على وضوء، كنتُ أصلي وأجلسُ بالمسجد لكنني كنتُ أكرههم"⁽³²⁾. وبعد أن انتهى زمن الحدث بوقتٍ طويل يُعلّق الكاتب على خطورة الأساليب التربوية الخاطئة: من الممكن أن يقبل الكبار الخدعة، ويمكن احتمالها "لكنّ الطفل أبداً لا يستوعب الخدع" ..

فالهدف التربوي الديني هو الذي يقف خلف العُنف، ويدفع إلى التعذيب؛ ليُعيد صياغة، وتشكيل البيت والمدرسة كمكان، أولاً روائي له وظيفته الفنية تتمثل في تأخير الحدث ضمن حيزٍ ضيقٍ مُغلق، ومن جهةٍ يسلبه وظيفته الرئيسية، ويمنحه وظيفة جديدة من حيث التفسير.

البطل/ السارد يُؤكِّدُ استنكارَ كُلِّ عُنْفٍ باعْتباره سُلوكًا اجتماعيًّا، يُسبِّبُ إحساسًا دائِمًا بالخوفِ والرُّعبِ، فينمو داخل الشخصية.

مديرُ المدرسة المتوحشُ رأى طفلًا شامياً يلبس بنطالاً، فصرخ في وجهه صرخةً أسكتت جميعَ الطُّلابِ، "فجاءه الطُّفلُ يكاد يُغشى عليه من الخوفِ، ثم قال له: (أين الثوب الذي يسترك؟)"⁽³³⁾ وكان ردُّ فعل السارد/ زاهي الهروب إلى فصله، والاختباء تحت إحدى الطاومات.. لقد كانت صدمة عنيفة.. كانت كُلُّ الكلمات الأخرى عن اللُّعبِ والمرح تتحوَّل في هذه المدرسة إلى أشباح عنيفة.

ويُعلِّقُ على واقع المدارس القرآنية من خلال تجربته.. كانت في بداية تعرضها لموجة التدين "إكراه جميع الصغار على التدين وبمنتهى القسوة"⁽³⁴⁾، فتكوَّن في داخله عالمٌ مُتناقضٌ؛ رهبانية ومخاوف وكراهية في المرحلة الابتدائية، وحرية ولهو في المرحلة المتوسطة" .. لا ضرب بها ولا عصى ولا حفظ للقرآن، إنهُ لا رعب ولا مخاوف"⁽³⁵⁾، لمس الطفل/ الطالب الفروق التربوية بين اتجاه المدرستين فلا عنف في المتوسطة ولا إكراه: "برغم أن المدارس جميعاً كانت في بداية تعرُّضها لموجة التدين إلا أنها كانت أخفَّ وطأةً ممَّا كان يحدث بالمدارس القرآنية؛ من إكراه جميع الصغار على التدين وبمنتهى القسوة"⁽³⁶⁾.

وفي المرحلة الثانوية "الأكثر انضباطاً.." انخفضت بواعثُ الخوف وتحوَّلت إلى أساليب أخرى في المحتوى، لكنها شكَّلت تهديداً نفسياً جديداً، تمثَّلت في عملياتِ تشدِّدِ المُعلِّمين في مراقبة الطلاب "يرون أيُّ أمرٍ في هذه السنِّ بأخطر مراحل المراهقة، ولذا فإنهُ لا بدُّ من قمعي ومراقبتي، وحمائتي حيناً آخر"⁽³⁷⁾، وفي هذه المرحلة تحوَّل (زاهي) إلى عابِدٍ وفسقٍ فاضلٍ سافلٍ عبثيٍّ، هكذا المنزل والمدرسة بيئةٌ جذرت صورةً عميقةً للخوف حملته ذاكراً الطُّفل؛ لتسترجعه مع كُلِّ ذكرى أليمة وحزينة. يتتبع السارد تفاصيل قسوة الأب ومدير المدرسة المتمثلة في جريمة العنف بلغة تشكُّلها ملفوظات تدلُّ مباشرةً على العنف في قمة ذروته عبَّر عنها بقوله: "ومرَّت السنة الأولى، وعلمتُ أنني ناشبٌ في دائرةٍ من الخوفِ والعذابِ والألم"⁽³⁸⁾.

البيئة المحيطة هيأته وأعدته لممارسة العنف والخضوع لأيِّ عواملٍ تدعمه، العنف داخل المنزل جعله يتقبَّل ما عداه ولا يستنكره، أحياناً يلجأ "الطفل/زاهي إلى أساليب التمثيل والتصنع كردِّة فعلٍ تجاه العنف ضده ... ويُعمِّقُ الساردُ في ثنايا النصِّ عوامل عديدة شكَّلت شخصية زاهي؛ منها وصف سنوات الدراسة في المرحلة الابتدائية "كانت ستُّ سنين من أفزع ما يُمكن.." ⁽³⁹⁾.

عوامل كثيرة شكَّلتني.. وأشياء كثيرة شكَّلت بداخلي القمعية العنيفة التي واجهتها نفسياً وجسدياً.. "أنا الطُّفلُ الذي تحاصره المخاوفُ من والده وإخوته وأقاربه وأبناء حيِّه.." ⁽⁴⁰⁾.

السارد يستنكر هذا المنهج؛ مستخدماً ألفاظاً قاسيةً، وفي الوقت ذاته يغفل عن آرائه، ويصفُ النُزوعَ نحو تطبيق الشريعة بالغلو والقسوة، وهذه نتيجةٌ مُحتملةٌ للموقف ما بعد الخروج من أحضان الجماعة، فالحجابُ سماءٌ عادةٌ جديدةٌ دخيلةٌ، وهي ثقافةٌ شائعةٌ رسَّخها مَنْ يُفسِّرُ الحِجَابَ على هَوَاهُ.

إنَّ القراءات الفكرية لتحوُّلات المجتمع السعودي تصفُ عودة المجتمع إلى حالة التَّدِينِ وتطبيق مبادئ الدين؛ بأنها عاداتٌ جديدةٌ ليست من الدين في شيءٍ، تناسوا أنَّ المجتمع ران عليه الجهلُ عقوداً عديدةً قبل ظهور الدَّعوة السُّلفيَّةِ؛ للتصحيح، وحين استيقظ فكره بدأ يعي ما يفعل، يقولون ذلك للتقليل من شأن المجتمع الحديث وتوجُّهاته.

حاول الروائي التَّدقيقَ في التفاصيل التي سجلها عن البنية الفكرية للجماعات الإرهابية في مشروع اصطياد فئة الشباب؛ بالتركيز على صغار السن، واختيار البيئة المدرسية للوصول إلى العناصر الجديدة، تتبع الطلاب الذين تتسم حياتهم الأسرية بالصراع فيظهرون مع العناصر تعاملًا مُغايراً، وبما أنَّ زاهي الجبالي/ السارد وقع في أيديهم فقد كون رؤية واقعية نتيجة معايشة ورصد دقيق لتفكيرهم.

إنَّها تجربةٌ جيلٍ بأكمله - كما أشار سابقاً في صحيفة الشرق الأوسط، أو أجيال التحقت بالتعليم بعد عام 1979م وأحداثه، الذي كان تحوُّلاً خطيراً ومؤلماً في سير نمو المجتمع السعودي، بما لحق بذلك من استحواذ الخطاب الديني القاسي والمتطرف على كلِّ شيءٍ في حياة الناس، خصوصاً في سائر مؤسسات التعليم. نتج عن ذلك صعود حركات الإسلام السياسي واستغلالها لذلك الظرف، وغلبت ثقافة الموت والقبور والنار والإمعان في تضيق دائرة المباحات، وتوسيع دائرة المحرِّمات.

• العنفُ تجاه المرأة:

يذكر السارد أنَّ الذكر يمتلك الحقَّ "على النساءِ من أهله سيكون رقيباً فظيماً، لن يسمح لهنَّ ولو بالنظر إلى غير مواضع أقدامهنَّ..."⁽⁴¹⁾، فيستنكرُ الكاتبُ تزويج الفتاة بمنَّ يكبرها بعشرات السنين، لا سيما في منطقتة، إذ اعتاد الناسُ رؤيةَ الفتاةِ بجوار المُسنِّ، مُؤكِّداً رفضه الواقعِ بوصفِ الحالةِ؛ بأنها كارثةٌ لم يتخلَّصوا منها "يتعاملون مع النساءِ كفرصٍ مُحتملةٍ للشراء" ⁽⁴²⁾.

وحين وقف على أحوال الزواج في مرحلة الآباء والأجداد أشاد بالعلاقات الحميمة بين الطرفين قائلاً: "تزوَّجوا عن حُبِّ قبل خمسين عاماً، التقوا بزوجاتهم، واتَّفَقوا على الزَّواج واختيار بعضهم. وفي زمن أحداث الرواية تغيَّرت الأحوال، فنشأ (زاهي) في بداية هذا الواقع؛

وهو تغييبُ المرأة عن عالم الرجل، لا يمكنُ التقاء الشباب بأية امرأةٍ إلا سراً، وإذا وُجِدَتْ علاقةٌ بين رجلٍ وامرأةٍ فإنها ستكون على سبيل التَخْفِي والمُغامرة "نشأتُ أنا في بداية هذا الاعتسافِ وحدّيته، فكانت المرأة مُعَيَّبَةً تماماً عن عالم الذكّر، والذكّر مُعَيَّبٌ عن حياة الأنثى" (43).

ويُمعنُ الروائي في تسجيلِ السائدِ عن المرأة بصفته أمراً عادياً؛ لا اعتراض عليه "كانوا لا يذكرون اسم المرأة في حديثهم، وإذا ورد حديثٌ عنها اعتذروا لبعضهم وللمجلس من هذه القذارة بقولهم: أكرمكم الله" (44).

تطالعنا الروايةُ بجوانبٍ أكثرَ خصوصيةً لصورة القَهْر الذي تُعانيه المرأة في مجتمع الرواية؛ وهو القَهْر النفسي. يصفُ الروائي الواقع على أنه عُنْفٌ وقسوةٌ بمقياس مرحلته وثقافته، ويظهر في ثنايا السردِ في صيغ العبارات وانتقاء المفردات المُعبّرة عن رؤية جيله، فيقدّم صور الإرهاب النفسي تجاه المرأة دون استنكارٍ لتقدم صورة مثل هذه النظرة، والاعتقاد على مثل هذه الخطابات.

وتعاملُ النصِّ مع موضوع المرأة انطلاقاً من وجهة نظر المثقفِ المعاصر الذي ما يزال يتباكى على منهج الأجداد مع المرأة مُمتناً لذلك المنهج، وهو صوتٌ مُعلنٌ على كل حينٍ على معظم ألسنة المثقفين منذ بداية الإصلاح والتغيير، مُتناسين حالة الجهلِ الديني والأمية المهيمنة والفقر، وهي قضايا وجدوا أنفسهم قد ورثوها دون وعي، ودون حلول، وحين عمّ التعليم وتحوّل المجتمعُ فكرياً إلى المعرفة وضبط أحوالهم بعد تصحيح مسارات العقيدة الإسلامية.

لكن الروائي ينظرُ لذلك الواقع على أنه عُنْفٌ وقسوةٌ بمقياس مرحلته وثقافته، نلمسُ ذلك في ثنايا السردِ في صيغ العبارات وانتقاء المفردات المُعبّرة عن استنكار الجيل الجديد، فيدقق في اختيار مصطلحاتهم تجاه المرأة، يتباهون باستخدام أفسى المفردات؛ لتجربتها من إنسانيتها حين تردُّ على ألسنتهم بقولهم: (أكرمكم الله....)...وأحياناً نلحظُ اهتمام المثقف السعودي - خاصة الروائي - بترديد رؤى الآخرين الذين تتلمذ عليهم فكرياً كـ(مؤج (زاهي) السارد في وصفه المشايخ ورجال الدين بالغلاة والشرسين" فالغلاة والشرسون والعادات الجديدة القادمة أقنعت الناس بأن يكبلوا نساءهم بهذه الأقمشة السوداء حتى الصغيرات منهن... (45).

ب- الدلالاتُ الفنيّة:

• من خلال العنوان:

على المستوى اللغوي نجدُ العنوانَ في الرواية دائماً الحُضورَ كعلامةٍ سيمائيةٍ مُشعّةٍ قبل البدء في قراءة النصِّ، وهي مرحلة البرمجة الخارجيّة، وينتهي أفقُ الانتظار منذُ النظرة الأولى في العنوان من خلال الصياغة النحويّة والبلاغيّة؛ لأنّ العنوانَ الأدبيّ يتشخّح ببلاغةٍ فضفاضة، عكس

العنوان العلمي الذي يلتزم الدقة في مطابقة الدال للمدلول، كما أن العنوان يتعالق مع مضمون النص، إضافة إلى بيانات أخرى تقصي أفق الانتظار الأولى، وتؤسس أفقاً جديداً، فالمتلقي يمكنه التعرف على النص بمجرد أن يلامس بصره الورق، وفي هذه اللحظة يتشكل أفق الانتظار، وهذه هي البرمجة الخارجية.

من أهم دلالات الجذب نحو الرواية هو العنوان الرئيس الذي حدده المؤلف (الإرهابي 20)، يعلن عن نفسه كعتبة أولى مؤكداً تبعيته للنص، فالحكاية لا تخص الإرهابي وحده، إذ قد يكون (زاهي/ البطل هو رقم 20 أو فرد آخر، فمن الممكن أن نقول نيابة عن الكاتب (أنا الإرهابي 20) أو (هو الإرهابي 20)، وكأنه يدق ناقوس الخطر والتحذير من القادم، تبعاً للإشارات التي يبعثها الروائي في مقابلاته الصحفية، من ذلك قوله: "لم تكن تجربة شخص واحد، سواء كنت أنا هذا الشخص أم آخر، إنها تجربة جيل بأكمله"⁽⁴⁶⁾، فهو فرد ضمن أفراد، ضمن مجتمعه، وبيئته التي يعيش فيها، وهي بيئة نبتت فيها شخصيات إرهابية عديدة، خطت لمستقبل الشباب وفق رؤيتها وخطتها، في العقود الثلاثة الأخيرة أصبح الإرهابي حاضراً في أذهان الناس تصريحاً أو تلميحاً، فكل فرد يستطيع أن يسخر من نفسه، أو من آخر بثقة؛ ويقول: "أنا إرهابي، أنت إرهابي؛ كأقصر أسلوب للعنف. وحين تكتب حكاية الإرهابي روائياً بتفاصيل الزمان والمكان، يكتب كل شيء عن صناعة الخلايا الإرهابية؛ كفعل مكروه ومنبوز وتجربة مريرة. إرهاب يقتل الأبرياء، ويروغ الأمنيين ...".

ويقدم الإرهابي 20، حكايته بغلاف أسود وأبيض ورمادي. هذه المفارقة في الألوان تتضح في الألوان المتعددة كخلفية لنص العنوان؛ هذا اللون الأحمر الغامق، رمادية مشوشة لم تكن الصفحة خالصة البياض، مرفق بها من الأسفل توقيع يشير إلى أن الشخصية كادت تكون هي الرقم 20. هندسة العنوان بهذه الصورة هيأته لأن يكون نصاً موازياً، يسهم في إضاءة الموضوع.

بنية العنوان إذا اعتمدت على الصورة اللغوية واللونية والبنية الحرفية والرقمية التقريرية المباشرة، متجاوزة إلى الصورة البصرية على غرار العناوين السينمائية ذات الوظائف الإيحائية والسيميولوجية، فالسينما الحديثة حرصت على اختيار عناوينها من كلمة أو كلمتين أو من حرف. أما السينما التي اعتمدت الروايات البوليسية وأعمال الخيال العلمي فإن مكوناتها ظلت كما هي؛ تحتفظ بالعنوان الحدسي المؤسس لبؤرة الرواية؛ قصد تزكية العنوان البصري (الصورة). كما أن سينما الخيال العلمي ظلت تنحو منحى تتخذ فيه الزمان والمكان مكونين للعنوان، قصد الإيحاء الوظيفي، وأداء مهمة تحيل على المستقبل. ونستنتج مما سبق تميز العنوان الفني بخصائص محددة؛ تميل نحو ما هو بلاغي في محاولة التقاط جوهر الشيء، وليس الشيء في ذاته.

وتظهرُ لفظةً (رواية) على أولِ غلافٍ، وفي الغلافِ الثاني تأتي رسالة التقديم: "هذا كتاب اجتهدتُ ألا أصنّفه، قصدت منه أن تعرفوا زاهي الجبالي الذي كان احتمالاً أكيداً لتمام الـ 19 قاتلاً في أمريكا، فهو الإرهابي الـ 20"⁽⁴⁷⁾.

الملاحظُ أنّ الكاتبَ تعمّد اللُجُوءَ إلى التقديمِ كحالةِ استباقيةٍ يُبرّرُ فيها مُراوغةً مقصودةً؛ لتحديدِ جنسِ النصِّ، مع يقينه أنّهُ قادرٌ على ذلك، لكن خشي أن يقع في فخّ التّحديدِ، فلو قال (رواية) سيخلق مشاعر كراهية بينه وبين المُتلقي للاستخفاف به؛ كون دلالات النصِّ تبتعد عن انحراف العمل إلى حدٍّ ما عن مساراتِ تقنيّاتِ الروايةِ، ولو قال سيرة ذاتية سيضع نفسه في قفص الاتهام، وقد يكون الكاتبُ على علمٍ بأنّ دار النشر ستجنس النصِّ؛ لذلك حاول التخلُّصَ من مُبادرةِ دار النشرِ المؤكدة في تجنيسِ النصِّ؛ باعتبار جنس الرواية محط أنظار القراء في المرحلة الحالية، لا سيما الخارجة من وراء أسوار المجتمع السعودي....

هروبُ الكاتبِ، وإظهار العجز لا ضرورة له؛ فالمتلقي سيذكرُ بسهولةٍ ووضوحٍ حضور ذات الكاتب في النصِّ بقوة، والواقع أنّ تصريحه بالاجتهاد لن يفصح عن التصنيف، وتكشف قصيدة متعمدة لعلمه أنّ القارئ يستطيع اكتشاف هوية النص، مع العلم أنّ أعمال الكاتب اللاحقة تصرح بجنس النص، مثل (الحرام/2007)، لا شك أنّهُ قد تحركَ ضمن تصوّر الإطار العام للنص، فحين نقرأ الرواية ونتلمس الظاهرة، نسعى إلى الاستعانة بالنصّ الأدبي كوسيلةٍ مُهمّةٍ لكشفها، فالنصُّ هو الذي يترجمُ هويته الذاتية، وأنّ القراءة الملائمة ستستدرج أعماق النص إلى الخارج وتسقط عليه معلومات مساندة مهما كانت هذه المعلومات موثوقة.

ثم يتلو التقديم الإهداء وجّهه الإرهابي 20 إلى

أرواح القتلى... الإنسان... نبضه الجديد

إهداء يُفسّرُ رؤى ومواقف الكاتب تجاه الأحداث

ثم مقدمة في 47 صفحة

أول ظهور للعنوان في النصِّ جاء ضمن عنوانٍ واضحٍ وصريحٍ (الثلاثاء 2001/9/11) إذن فالتسعة عشر، الذين فجعوا العالم في هذا اليوم من سبتمبر، كان من المفترض أن أكون عشرينهم لو أنّي بقيت معهم... " في هذا التاريخ كان قد عاد إلى حياته الطبيعية موظفاً، يُعيد الأمر إلى حسن تفكيره في كلِّ تغيير في حياته.... فلقد كنت وحدي من يعرف الشرّ الذي يختفي وراء هؤلاء " ... مُدافعاً عن قراره ترك تلك الجماعة في الوقت المناسب... فلطالما قلتُ بأنني ضللت، وأنّي انحرفتُ، وأنّي تركتُ الهداية والدين، واتّجهتُ لحرب الله والخير..."⁽⁴⁸⁾.

• من خلال المعجم اللغوي:

تعد اللغة ركناً أساسياً و«رئيسياً في التعبير عن الأفكار، ومكوناً من مكونات الخطاب الروائي» وبما أن النصوص تلونت بلون العنف، فاللغة جاءت حميمية؛ انطلاقاً من أنها في نص يطرح حالة إرهاب الفكر «تكون حميمية، وتكون حامية مليئة بالمتناقضات والألم النفسي على حالات وأوضاع جارية أو حالات وأوضاع مقبلة»⁽⁴⁹⁾، فاللغة بذلك تلعب دور الكاشف عن الرؤية..

لذلك نجد أسلوب التعجب والاستفهام، إضافة إلى ألفاظ التمرّد والنقد العنيف والتضجر التي وُظفت بشكل لافت للانتباه: "افعلوا ما شئتم، فوالله لأنكم عندي أحقر من أن أدافع عن نفسي بينكم"⁽⁵⁰⁾. ومعجم الروائي اللغوي كله يُعبّر عن خلاله عن فجاعة الإرهاب بلامحها الدالة عليها؛ العنف، الخوف، القهر... وهذا ما يوضح أكثر أن اللغة هي «ذاتها العمل، فلا يمكن سلبها عن جسد العمل الأدبي، ومن خلال الرواية تجسيم حقيقي للمسألة اللغوية الإبداعية، حيث لا تنسلخ اللغة عن المحتوى وبناء العمل»⁽⁵¹⁾. ويبقى التميز صفة كل مُبدع، ليجعل نفسه معجماً خاصاً به، وأسلوباً يميزه باعتباره «الوظيفة المركزية المنظمة للخطاب، وهو يتولد من ترافق عمليتين متواليتين في الزمن، متطابقتين في الوظيفة هما: (اختيار) المتكلم لأدواته التعبيرية من الرصيد المعجمي للغة ثم (تركيبها) تركيباً يقتضي بعضه قواعد النحو، كما يسمح لبعضه الآخر التصرف في الاستعمال»⁽⁵²⁾، أخيراً نُؤكد أن رؤية الكاتب قد تجلّت من خلال كل مكونات الخطاب، فرواياته تحكي العنف بعمق، لذلك فهو محور ثابت، بينما الشكل أو البناء ظل محورياً متغيراً عنده. ومع ذلك يفتح الكاتب نوافذ؛ هي بمثابة إشارات يترقب من خلالها القارئ شعاعاً للأمل⁽⁵³⁾.

• من خلال الشخصيات:

تقوم شخصيات الرواية على فكرة المحاكاة والمطابقة بين المتخيّل والواقع. فتلونت في النص شخصية الإرهابي بلون العنف والاضطهاد... فأصبحت بذلك نهباً للقسوة والخوف والحيرة والضجر، ومن أمثلة ذلك في نص الشخصية الرئيسية شخصية زاهي الجبالي: تحكي واقعها مع حاضرها المحاصر بالخوف والعنف قائلة: "أنا الطفل الذي تحاصره المخاوف من والده وإخوته وأقاربه وأبناء حيّه"⁽⁵⁴⁾.

ومن سمات هذه الشخصية أنها أكثر قرباً إلى الشخصية المدوّرة؛ دورها يستدعي الحركة والتغيير من جزء إلى آخر على امتداد السرد، تؤثر في الحوادث وتتأثر بها، وتتغير مع الزمن فلا تبقى على نسق واحد، فزاهي في أول الرواية طفل يشعر بالوحدة، مضطهد، يعجز عن تحقيق أي أمر حتى ولو كان حلماً، فها هو يعيش الوحدة داخل أسرته في بيتهم الجديد، حين أبدى إخوته استياءهم مشاركته غرفهم "لقد كنت وحيداً وحيداً... وحدثني هذه تحمل حكاية بغاية الألم"⁽⁵⁵⁾.

وَيُمنِّي نفسه أن يُرافقَ والده في سفره إلى مكة، فاصطحب إخوته الأكبر منه، وحرّم هو "فلا أنسى توسلاتي وبكائي وألمي... كان حلمًا أن أسافر" (56).

شخصية زاهي شخصيةٌ عاديةٌ مألوفةٌ في الحياة اليومية (نموذج صلاة الفجر ووالده)، ويستطيع القارئ رؤية الشخصية/ زاهي من جوانب متعددة، شخصية جاذبة، ويتعاطف معها في كلِّ المواقف، ولعلَّ صبر الشخصية هو الذي يدفع القارئ للانجذاب إليها في أهم جزءٍ من الرواية، وهي مرحلة الطفولة. ثم مرحلة الانضمام إلى الجماعة المتطرفة، ودخوله في مرحلة التدبُّن، ثمَّ خروجه، والنجاح بعد الفشل "إذن فبالرغم من كلِّ هذه التحوُّلات، على المستويات الشخصية والدينية والاجتماعية، إلا أنني بقيتُ في غالب أموري شخصية محافظة... انتهيت منهم، وصيرتُ إنسانًا جديدًا، عليه أن يعتني بدراسته، وأن يتمتَّع بالحياة... (57)".

الفراغ الفكري وأساليب الإرهابيين في الجذب والإغراء، وقسوة الأسرة، خاصة الأب، وعدم ميله إلى احتواء ابنه، وبناء شخصيته بعيداً عن العنف، هو الذي قاده نحو التنظيم، هيأ (زاهي) إلى أن يُسلم نفسه طواعيةً للجماعة. والجهل بهذه الجماعة وأدواتها الجاذبة ووسائلها أسهمت في انقياده إليهم بسهولة.

وشخصية زاهي تتمتَّع بحضور قوي، تنصبُّ عليه اهتمامات السارد، حاضرة بكثرة الحديث عنه من خلال استعراض ثقافته: أقبلت على القراءات والكتابة والشعر، قرأت الفلسفة الغربية، ثم وقعت مجموعة من كتب عبدالله القصيمي ".. قرأت فقه السنة لسيد سابق، والحلال والحرام في الإسلام ليويسف القرضاوي، واطلعت على فقه ابن حزم للشوكاني.. (58)". و"شاركت في أمسية شعرية حضرها ألف طالب... شفعت مرة لأصدقائي عند أحد الدكاترة... وتخرجت سنة 1997م.. (59)". أو بذكر أعمالها خاصة حين انخرط في الإعلام والكتابة والشعر، أو التذكير الدائم بها، وبأنها السبب في الكثير مما يجري في الواقع. فهي هنا بعض الغرض الذي ينشده المؤلف في الرواية (ذات وموضوع) محور عناية الكاتب، ومحور انتباه القارئ. ويقدم السارد الشخصيات الأخرى، بشكل غير مباشر، عن طريق الوصف الخارجي (السرد من الخلف) أو (النقل الإخباري)، وهو ما يُشكل هوةً بين النصِّ والمُتلقي، ويضعف عنصر التعايش والتعاطف معها، فتبقى مجرد شخصيات ورقية مسرودة! لكنَّ الروائي (عبد الله ثابت) لم يُقدِّم كلَّ شخصياته بهذه الطريقة، بل منها ما قدَّم بشكل مباشر، كأنَّ تُقدِّم الشخصيات نفسها بنفسها عن طريق الاستعراض الحوارية أو المناجاة الذاتية... ظهر ذلك حين أشاد بتجربة خلاص من برائن متشددي التكفير، إن كان ينتمي إلى الإخوان الدينيين الذين ثاروا على الملك عبد العزيز، وانشقوا عليه بفعل خضوعهم إلى مرجعية التجهيل المُحتمي بالمقدس، هذه الفئة حاربت التعليم؛ لاعتقادها بأنه مؤسس على طريقة غريبة، امتنعوا عن استخراج بطاقات شخصية؛ بحجة احتوائها على صور.

وهذا يعني أن المثقف يراهن على (الوثيقة الأدبية)، يُعيد ترتيب هيكلها، والقراءة المتمكنة تُعدُّ كتابةً أخرى للنص المقروء، تحتويه، وتفسّر علاقاته، وتضيف إليه، فما فكر فيه المبدع ولم يستطع التصريح به يكمله المتلقي/ الناقد جلياً.

والملاحظ أن المؤلف يعرف كل شيء من أمر الشخصية؛ أي أن الشخصية ولدت جاهزة، ثم وضعها في مواقف معروفة، إذ إنها تظهر في الرواية بسمات ومواقف حاضرة في ذاكرة مؤلف الرواية، وهو في هذا التعامل مع الشخصية يُعبر عن استسلام الشخصية للكاتب، ولكل ما خطط لها، وتخضع للكاتب وشروطه، وفي هذه الحال يُعدُّ الكاتب غير موفق في رسم الشخصية الفنية، حتى لتبدو لصيقة به، مسلوبة الإرادة، لا يتعامل بحيادية مع الشخص، يقف مع الشخصية، يدافع عنها، يتعاطف معها دون مبرر؛ ليظهر رؤاه وأيدولوجيته، ويمكننا ملاحظة ذلك في حالة الشخص الذي ضبطته الهيئة يرفع صوت الغناء. "تساءلت ليلتها أية نصيحة التي تبرر إهانة الآخرين، وطعن كبريائهم وكرامتهم، وأي حق هذا الذي يجعل من الدين سوطاً يذل الناس..."⁽⁶⁰⁾، تلك العلاقة بين الكاتب والشارد وشخصية زاهي ترجح اقترابها من كتابة السيرة الذاتية، لأن كاتب السيرة يُقدّم شخصية حقيقية، لا تشبه أحداً محدداً، بكشفه المستمر عن حياتها المستترة.

• دلالات الراوي:

استخدام ضمير المتكلم لم يكن مجرد تقديم نموذج واقعي، وإنما كان لغايات تقنية وفنية؛ تتيح للعمل السردى أن يتخذ أبعاداً جمالية ودلالية تفضي به إلى أبعد الحدود. وفي مواضع محدودة تظهر أساليب الخطاب الأخرى مثل: (أنت تصلي حاسر الرأس، وهذا ما لا ينبغي...)⁽⁶¹⁾.

والانتقال من ضمير إلى ضمير من التقاليد العريقة في تاريخ الأسلوبية العربية جسدها خصوصاً القرآن الكريم، حيث نجده ينتقل من الغياب إلى المتكلم، خصوصاً في سورتي الفاتحة والإسراء.

ويتحدث الكاتب على لسان البطل أو البطلية، أو تسند عملية السرد إلى الراوي، أو على لسان شخصية ثانوية، وهي أبسط طريقة لعرض حوادث القصة وتطويرها. خاصة وهو العمل الأول للكاتب، ومن أشهر من كان سابقاً إلى اصطناع ضمير المتكلم في فرنسا، بروست وسيلين من أجل الارتقاء بالعمل السردى إلى مستوى الشهادة. والغاية من هذا الضرب من السرد هي وضع بُعد زمني بين زمن الحكي، وهو زمن الحدث حال كونه واقعاً، والزمن الحقيقي للشارد وهي اللحظة التي تسرد فيها الأحداث عبر الشريط السردى، فالسرد ينطلق من الحاضر نحو الوراء، فكأن الحدث في الحالة الأولى (السرد الغائب) هو بصدد الوقوع، أما في الحال الثانية فإنه قد وقع بالفعل. ولهذا السرد القدرة على إزالة الفروق الزمنية والسردية بين السارد والشخصية والزمن، ويجعل الحكاية المسرودة مندمجة في روح المؤلف، فيذوب الحاجز الزمني الذي هو بين زمن

السرد وزمن السارد، كما أنه يجعل المتكلم يلتصق بالعمل السردى، متوهماً أن المؤلف هو إحدى الشخصيات التي تقوم عليها الرواية، التي لا تعرف من تفاصيل السرد المستقبلية وأسرارها إلا بمقدار ما تعرف الشخصيات الأخرى.⁽⁶²⁾ فالراوي يتدخل على لسان شخصياته؛ ليبرز لنا آراءه وأيديولوجيته، والفكرة التي يود إيصالها للقارئ، ومن ذلك قوله "أمّا الآن... فإن هي إلا رحلة، لا أدري ما إذا كان من الممكن اعتبارها رحلة عقل، أم رحلة وهم... رحلة شهدت الكثير من التأمل والتفكير والشجن والألم.." ⁽⁶³⁾، فهذا ما يبرز لنا تخلصه من الفتنة والفسق والضلال، والرجوع إلى الطريق الصحيح، ومواصلة حياته الطبيعية في الأسرة والمدرسة والمجتمع.

كما نجد حضور هذا الرأي، والفكرة تبرز في المثال "لم يعد لهذا المكان في نفسي فتونه السابق، بل إنني اعتدت الوحدة والبقاء مع كتيبي... والجلوس مع أهلي الذين تراجعت عن الاصطدام بهم وتركت تكفيرهم وشتيمتهم..." ⁽⁶⁴⁾. ولم يعد "يعينني كل ما تعلمته من التكفير والتفسيق للناس... بقيت مُدنياً إلا أن علاقتي بأفراد الأنشطة والعمل السابق اهترأت" ⁽⁶⁵⁾.

فصوت المتحدث هنا هو صوت الراوي/ زاهي يكشف جوانب من مرحلة تفكير وأيديولوجية الكاتب التي عبرها. ومن هنا نستطيع القول إن الرواية أكثر اقترباً من السيرة الذاتية لمؤلفها، وأنها وقعت بالتفصيل، وفي هذا يمكننا القول: الراوي هو صاحب النص، وأنه يلعب الدور الذي يلعبه الفاعل في الجملة، وهو الذي يرينا الأحداث من وجهة نظر هذه الشخصية أو تلك.

ومن مميزات الفن الروائي الترحيب بكل تساؤلات القراء؛ بصفتها تاريخ أفراد وجماعات، وهو تاريخ عول عليه علماء الاجتماع كثيراً؛ بطرح التساؤلات، مثل (ابن خلدون)⁽⁶⁶⁾، فلا ضير من الاستمرار في طرح التساؤلات، من مثل: ما الذي يسعى الكاتب إلى بلورته من خلال النص، هل في مسيرة الحياة حقيقة أو غاية تسعى الجماعة إليها؟

ما صورة العلاقة عند الكاتب بين النظرة إلى الفرد والنظرة إلى الجماعة؟ إذا نحن أمام تحليل يظهر دافع (الشهادة على العصر) هو أقوى الدوافع التي كانت وراء كتابة (الإرهابي 20)، فالطالب (زاهي) راقب كمشارك تفاصيل البنية الفكرية للجماعات المتدينة الخارجة عن الجماعة والسلطة، شارك في حواراتهم وجلساتهم الخاصة وأوقات جدهم ولهوهم، استمع إلى أفكارهم وتجاربهم؛ والالتناء المبكر إليهم، والاقتراب منهم سمح له بمراقبة ما يجري عن تلك الجماعة.

أمّا التخيل والخيال فيتسللان إلى طقوس قول الحقيقة بشكل يتعذر منعه من أجل صالح الموضوعية. وفي اعتقادي أن أي كاتب يُصرح بوقائع بصورة مكشوفة تنتهي هذه الوقائع إلى الابتدال؛ لأنها فاقدة التدفق الشعوري الذي يُساند رسالة الكاتب، ويُغذي رغبات المتلقي في استيفاء فكرة قد يبحث عنها في ثنايا الرواية. فالقارئ وهو يلج عالم رواية (الإرهابي 20)، يكتشف أنها تجمع بين زمانين، زمن قد مضى؛ وهو زمن القرية/الوطن أيام كانت تنعم بالحسن

والجمال والطهارة، قبل أن تُدَنِّسها يدُ الإرهاب، وتستمر رؤية الكاتب: تلك إدانة واضحة للزمن الحاضر.

• دلالات الفِضَاءِ الرَّوَائِي:

يكتسبُ الفِضَاءُ مكانةً كبيرةً في أيِّ عملٍ روائيٍّ، فهو يفسحُ لكلِّ مُكوّناتِ النَّصِّ بما في ذلك الفكرة الإرهابية؛ أي تلك التي يتمحور حولها النَّصُّ الروائي، ويريد تبليغها وتوصيلها إلى القارئ، كتعرية المخبوء وكشف المعمي، وانتقاد حالات الضياع والتردي واهتراء الأفكار والرؤى.

الفِضَاءُ الذي تدورُ فيه أحداثُ الرَّوَايَةِ فِضَاءَاتٌ مُتَنَوِّعَةٌ؛ دائرة القرية والجبال، الأماكن المفتوحة المتعددة المدارس، المراكز الصيفية، الاستراحات؛ هذا منح الحيزُ بعداً رُويويّاً للرواية، ووسعَ من أفقها الفكري والاجتماعي. فكانت الأحداثُ تصلُ من خلال فِضَاءَاتٍ حَقِيقِيَّةٍ، وبالتالي يُتاحُ للمتلقِّي مُعَايشَةُ هذه الأحداث، ومشاهدتها من خلال وجود الشخصية، فكثيراً ما كان الروائي يعتمد على الفِضَاءِ في نقل الأحداث وبناء السرد.

فالفِضَاءُ الروائي فِضَاءٌ يحمل سمات الفاجعة (والفاجعةُ هُنَا بمعنى الشُّعُورِ بالمأساة، شعور بالأسى نحو شيء غالٍ، والشَّيْءُ الغالي في الرواية) هو الإنسان (الطفل والمرأة) وما وقع عليهم تجسيدٌ لفاجعة فكرية تسرّبت في المجتمع من نافذة غياب الوعي، وهيمنة الصُّحُوة الدينية، فاشتدَّ الصَّرَاخُ بغير تكافؤ، إنَّه فِضَاءٌ مَفْجُوعٌ، نفخت رؤية الكاتب الفجائية من روحها فيه، والنماذج السابقة تقرب ذلك.

• دلالات الحِوَارِ:

أمَّا الحِوَارُ فقد جاء على خطِّ واحدٍ ومُسَطَّحٍ؛ نظراً لتقاربِ مُستوى الشَّخْصِيَّاتِ، بل إنَّ هذه الشُّخُوصَ في حدِّ ذاتها لم نلمسْ ثقافتها بشكلٍ مُبَاشِرٍ، بل هي أوصاف وألقاب ألبسها السارد لشخصياته (شخصياته) دون محسوسٍ فنيٍّ وسرديٍّ مُقنِعٍ! (كما هو الحِوَارُ بين السارد/زاهي صديقتة)⁽⁶⁷⁾، وهو حوارٌ باهت؛ لانتزاعه من حَدَثٍ مُفْتَعَلٍ.

قدّم الروائي جذور الإرهاب، مُحلِّلاً الظاهرة اجتماعياً ونفسياً من واقع تجربة تفصيلية، والقراء بحاجة إلى كتابة من هذا النوع؛ لأنَّ الرواية التي تناولت ظاهرة الإرهاب بشتى الصُّور، لاسيما المنبثع عن تطرف تلك البذرة التي زرعت في أعماق الكاتب، هي التي جعلته يضيق ذرعاً بها وبتبعاتها، ويدون الرواية؛ مُراهنًا على المُحتمل... يرى المثقف أنه لا بُدَّ من المُضي قُدماً في مواجهة الإرهاب، أشار إلى ذلك في الرواية "بدأت بالكتابة عن المفاهيم الدينية المغلوطة..."⁽⁶⁸⁾.

إنَّ ما يُميِّزُ هذه الرواية هو أسلوبها الواقعي الذي يعتمدُ الوصفَ المُباشِرَ والتَّقْرِيرِي، الذي يبتعد عن المساحيق اللغوية التي تغطِّي الواقع، وتنقله مُزيِّفاً للمتلقِّي، وهذه الواقعية تبيِّنُ بأنَّ

الروائي يمتلك ناصية الأحداث، ويعرف كيفية إيصالها إلى القارئ بمراقبة سير الأحداث، وتسلسلها بكل تفاصيلها، كما أنه يتحكم في خصوصية شخصية السارد الذي يحكي ويمارس لعبة الحكى الروائي، ويمنحه الحرية في التعبير عن هذا الواقع الذي تعيشه على مضمّن، وتحاول البحث عن وسائل ممكنة تساعد على خلق واقع أحسن صورة وأبهى حالة.

هذه العفوية في نقل أحداث الرواية، وهذه الطريقة المباشرة في نقل الوقائع، تكشفان عن رغبة الراوي في التعبير عن ذاته وذات من وقع مثله في فخ تلك الجماعات، لنقلها للقارئ من أجل أخذ العبرة والموعظة، وفتح كتاب منابع الإرهاب التي يمقتها الراوي ولا يرضى عنها، لكن ظروف الحياة ومعاشرة أصدقاء السوء تفرض عليه قبولها وأخذ المزيد من جرعاتها.

إنها رواية تدخل في إطار الواقع الذي ينقل نبذة عن السيرة الذاتية، تنهض وتتحرّك على أحداث الماضي، لكنه من حين لآخر يُعبّر عما يريد أن يحققه في المستقبل، إنها رحلة تنتقل من الزمن القريب للدخول إلى زمن المستقبل، مستخدماً أفعال الماضي بشكل لافت للانتباه؛ للدلالة على قسوة التجربة، والرغبة في معانقة المستقبل، وتحقيق حياة أفضل. "استمر الحال هكذا...، كانت تلك الفترة بداية حقيقية للتكفير... اشترى لي أخي سيارة... ثم سارت الأمور على ما سارت عليه.."⁽⁶⁹⁾.

نلاحظ أن الراوي يتابع أحداث الرواية من داخل الأحداث، يحرك الشخصية بالطريقة التي يريد، بل يتدخل في سيرها وفي مواقفها، وغالباً ما نجدّه متعاطفاً مع الشخصيات (المضطهدة) تعاطفه مع المرأة؛ من خلال رؤية واقعية، شمولية إلى العالم. ويظهر هذا من خلال تعاطفه مع سلوى ".. لقد باتت سلوى اليوم مُحطمة تماماً، فتاة في الثلاثين من عمرها، مُطلقة، بائسة، حزينة، تكره الرجال جميعاً.."; بسبب زواجها الإجباري من رجل في الأربعين حين كانت في الرابعة عشرة.

إن رواية (الإرهابي 20) رواية تنقل الواقع المرير؛ للوصول إلى أهداف تربوية وأخلاقية لم يفلح في إيصال الخطاب الديني المباشر، بل وصل إليها البطل من خلال التجربة والحياة مع شخوص يصنعون جذور الإرهاب، ويخططون لمستقبله كعقيدة دينية بالعمل والمواقف. كما أننا نلاحظ بأن الرواية بدأت بعد أن حدد الكاتب شكل نهايتها، تحمل رسالة فكرية عميقة يحملها الروائي، ويحاول إيصالها إلى القارئ؛ لمعرفة مصير من ينقاد وراء الجماعات أحادية الفكر والتفكير!

إن قارئ رواية "الإرهابي 20" سوف يكتشف منذ البداية أنها تعتمد على الشخصية في بنائها. إن الشخصية هي المركز المحوري داخل الرواية، ومن خلاله تدور الأحداث وتعرف.. فهي رواية الشخصية بامتياز! وقد اختار الكاتب نمطاً معيناً من الشخصية (الشخصية المثقفة)، إذ كل

شخصياته الفاعلة من الوسط الثقافي بداية من بطلها زاهي الجبالي. وصورة الإرهابي تُعرض من خلال تجربة شخصية تواجه ظروفها (هل بشجاعة أو انهزام)؟

الرواية لم تغفل مواقع الأحداث مثلها مثل رواية (سوق الإرهاب) المشار إليها سابقا- صرح الكاتب باسم بيبة البطل/زاهي، وحركة الشخصية في كثير من الأمكنة الحقيقية" .. وفي اليوم الذي سافرت فيه، تاركاً أبها، ومُتجهاً لوظيفتي بالمنطقة الشرقية بمدينة الخبر... " (70).

إذن الرواية تُدينُ العُنفَ بكلِّ أصنافه، مثل العنف الذي تعرض له البطل وصديقه الكويتية " هناك في مركزهم حبسوني في إحدى الغرف، وكنت أسمع بكاء الفتاة... فأنا عندهم الكاتب العلماني بالصحيفة العلمانية... " (71). والتهمة الاختلاء غير الشرعي في مكان عام، وبعد خروجه هاتف رفيقته، أخبرته أنها عادت إلى الكويت؛ مؤكدة له أن مخاوف الحرف في بلادها "أهون على نفسها من هذه الإهانة" التي تعرضت لها.

هذا يعني أن الرواية تقاوم الظلم، وتتصدى له " .. وفي اليوم التالي أخذت مقعدي بالطائرة عائداً لأبها، وناقماً على كل هذا الشر، مقسماً أي لن أسكت على من اغتال في دواخلنا أبجديات الإنسانية" (72). يحاول مقاومة الإرهاب والظلم والتصدي للعدوان.

قدم الكاتب اغتيال الشاعر اليمني جار الله عمر "وهو يتحدث عن الإنسان والأرض، ونزع السلاح.. لقد اغتيل على يد أحد المتطرفين المغالين، الذين عشنت فكرهم وثقافتهم كل السنين الماضية" (73). وسرد وقائع المواجهات مع الإرهابيين في كثير من مدن المملكة، بدءاً من العاصمة، حيث أفرد الكاتب الجزء لصناعة الإرهابيين وانقلابهم على من صنعهم؛ كنوع من التحذير لكل من يحابي الإرهاب أو يدعمه، وربط ذلك بتجربته " .. وأنا في أقصى حالات الغلو الديني... وحياتي يديرونها كلهم إلا أنا، هذه الأنا الغائبة، لقد كنت أدارُ بكلمة فلان، ومقولة فلان... " (74).

بعد هذه الرحلة السريعة في الرواية يحق لنا أن نسأل: هل في (الإرهابي 20) واجه الروائي إرهاباً يتوالد نتيجة مراجع مهيمنة ومكينة أم إن البطل (زاهي) كنموذج نجح في أن يكون البذرة السليمة التي حاول الإرهاب زرعها ليحطم بها آمال المثقفين ورواياتهم والمجتمع ومؤسسته؟

والملاحظ أن الرواية وهي تعالج ظاهرة الإرهاب احتفت كثيراً بالمظهر (الملبس واللحية، والمشية والضحك والقاموس الدعائي وغيرها)، فاتها أن الإرهاب غير ذلك، وأنه ليس فعلاً دموياً، وإنما الإرهاب وضع مُعطى فرضته أحوال عالمية على العرب والمسلمين في إطار ديني حضاري، بعدما كان الإرهاب لا يتجاوز الإطار السياسي، والنضال الاجتماعي، ولم تلمس الرواية في الإرهاب التحويلات الكبيرة من السياسي إلى الحضاري، وأن العالم قد تحول من وعي إلى آخر، وأنه اليوم يدور الصراع لا على مستوى الدويلات والحدود، ولا على مستوى الانتماء والأيدولوجيات، وإنما يدور الصراع اليوم على مستوى الحضارات.

• دَلَالَاتُ السَّيْرَةِ الذَّاتِيَّةِ فِي الإِرْهَابِي 20:

الرواية تُطلُّ على حياةِ الكاتبِ في مرحلة الطفولة والبيئة والمرحلة التاريخية للمجتمع، ومن أهمِّ ملامحِ شخصيَّةِ الكاتبِ؛ وضوحُ رغبةِ سردِ معلومَاتٍ عن طفولته وحياةِ العائلة، وانطباعاته وتأملاته تجاه الأحداث، والتكيز على تفاصيل وقائع تجربة يصعب خروجها للوجود بقلم غير روائي.

من دوافع اتكاء الكاتب على سيرته (الاعتراف بالذنب) وفي "الإرهابي 20" هذا الدافع غير موجود، لكن وجد الكاتب الشاهد على المرحلة، وهذا مبررٌ قويٌّ لكتابة الذات. وهناك ملامحٌ أخرى تشيرُ إلى هذا المبرر. فالرواية تُعبِّرُ عن الجوانبِ الخفيَّةِ في شخصيَّةِ (زاهي) وحياةِ التنظيمات الإرهابية لا عن الجوانبِ الظاهرة، وهذا ما يفرِّقُ بين كاتب الرواية والمؤرخ الذي يكتبُ بتسجيل الحوادث. فانشغال الشخصية زاهي/السارد؛ بالخوف وترقب المصائب والحرمان من الهدوء والاستقرار، مظهرٌ من مظاهر العنف، بأن رؤية الكاتب الفجائية توحدت عبر هذه الانشغالات، من خلال الشخصية، بصفته المكون الأساسي في العمل الأدبي، لعل القارئ لمس معنا أن الشخصية طغى عليها الخوف والاضطهاد والحيرة واليأس، فهي تعاني الوحدة والاعترا ب... كما قدّمت الرواية البنيات الفكرية لقادة الإرهاب، وتجربة تأهيل الإرهابيين واضحة للعيان. وترى الباحثة أن الروائي لم يسع إلى توظيف الظاهرة الإرهابية لمجرد مواكبة الأحداث أو مجازاة المؤضة؛ بل الإرهاب مُستقرٌ في ذاكرته. ارتضينا ذلك أم أبينا، ولذلك كان لا بد أن تقدّم رواية (الإرهابي 20) عالماً يعيش ظاهرة شغلت العالم منذ بداية ق 20 تحديداً من أحداث 11 سبتمبر. وإن ملامح الإرهاب في الرواية (الإرهابي 20) بدأت سطحيةً باهتة، لم يجعل الروائي منها محرّكاً للتاريخ، بل ظاهرة طارئة قد تعيق الحركة، كما تعيق متابعة القراءة، وستبقى بقعة داكنة في مسالك التاريخ.

• الخاتمة وأهم النتائج:

قدّمت الدراسة إجابةً على كثيرٍ من الأسئلة المهمة حول تعريف الإرهاب وأنواعه ومصادره وجذوره وأنواعه، ومن أنواعه إرهابُ الأفراد والجماعات والدول والحكومات. وأكّدت الدراسة التأثيرَ البالغ السوء للإرهاب على منطقتنا العربية والإسلامية والعالم أجمع؛ سواء أكان الإرهاب الخارجي أم الداخلي؛ بشتى أنواعه. وترى الباحثة أن كلاً من الأسرة والمدرسة والمجتمع مسؤول عن تربية الإرهاب؛ وفي الوقت ذاته محاربه ودره.

كما أكّدت الدراسة أهمية الأدب ودوره الفعّال في مقاومة الإرهاب وفصحه ومحاولة تجنبه وتجنب آثاره الكارثية المدمرة. ورصدت رواية الإرهابي 20 بعض أسباب الإرهاب ووسائله في التغلغل والانتشار بين صفوف مكونات المجتمع.

وعرّفت الدراسة برواية الإرهابي 20 وظروف كتابتها. وعدت الدراسة رواية "الإرهابي 20 لعبد الله ثابت" نموذجاً أدبياً لكشف محاولات الإرهاب وتجنيد مخالفه، وشحذها والإلقاء بها في أتون الحروب والنيران. وفندت الدراسة مظاهر الإرهاب الذي رصدته رواية الإرهابي 20، كما قدّمت الدراسة نبذة عن الرؤية القرآنية للإرهاب. وقدّمت الدراسة تحليلاً أدبياً لكثير من مكونات الرواية (العنوان، والحوار، والشخصيات،.. إلخ).

وأكدت الدراسة الحاجة الماسة لتكاتف الجهود وتوحيد الصف لصدّ خطر الإرهاب الداهم، وهذا ممكن بفضل الله تعالى ثم عن طريق اتخاذ الوسائل والتدابير اللازمة؛ ومنها حسن توظيف الأدب وقيّمته ومكانته في النفوس.

The Image of Terrorism in Abdullah Thabit's *The 20th Terrorist*

Aisha Y. O. Hakami, *Department of Arabic Language and Literature, Tabuk University, Tabuk, Saudi Arabia.*

Abstract

The research aims to explore the sources of terrorism in the Saudi society through studying fiction. In this research, the idea of terrorism is not studied as a political discourse but as a part of social dynamics, in which terrorism holds the society back while the latter is trying to untangle the threads of terrorism so the recipient can make sense of the nature and evolution of terrorism. The research poses some questions as well: why does the term "terrorism" become an issue of primary significance? How does the term "terrorism" spread and become culturally hegemonic? Does the Saudi novelist deal with "terrorism" as a modernist phenomenon or as just keeping up with contemporary events and artistic experimentation?

Key words: Novel, Literature, Saudi Arabia, Terrorist, Literary criticism, Narration, Narrative, Story, Terrorists, Terrorism, Confrontation.

الهوامش:

- (1) الخمشي، سارة صالح (2004م)، " دور التربية الأسرية في حماية الأبناء من الإرهاب"، بحث مقدم للمؤتمر العالمي لموقف الإسلام من الإرهاب، ص 10.
- (2) السيف، محمد إبراهيم (2003م)، " المدخل إلى دراسة المجتمع السعودي"، دار الخريجي، الرياض، ص 45.
- (3) الحسين، أسماء عبد العزيز (2010): "أسباب الارهاب والعنف والتطرف دراسة تحليلية"، كلية التربية، الرياض، موقع حملة السكنية الإلكترونية، 17 ديسمبر، ص14.
- (4) الحسين، أسماء عبد العزيز: المرجع السابق، ص 3.
- (5) عبد الرحمان عمار، " قضية الإرهاب بين الحق والباطل"، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003، ص: 36، ومجموعة خبراء أميركيين (1999م): "مواجهة الإرهاب الجديد"، راند كوربوريشن، كاليفورنيا، ط1، ص98.
- (6) الخفاجي، حسين عكا (د.ت): "الإرهاب: دراسة مقارنة بين القانون والشريعة"، د.ط، ص45.
- (7) الرازي، محمد بن أبي بكر (1419هـ): "مختار الصحاح"، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط1، ص161.
- (8) الفيروز آبادي، مجد الدين (1407هـ)، "القاموس المحيط"، بيروت، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، ص98.
- (9) المقري، أحمد محمد (1987م): "المصباح المنير"، مطبعة لبنان ، بيروت، ص92.
- (10) شكري، محمد عزيز (1412هـ): "الإرهاب الدولي دراسة قانونية ناقدة"، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، ص48.
- (11) الظاهري، خالد صالح (1423هـ): "دور التربية الاسلامية في مواجهة الإرهاب"، دار عالم الكتب، الرياض، ص53.
- (12) تشومسكي، ناعوم (2009م): "قراصنة وأباطرة"، مركز الكاشف للمتابعة والدراسات الاستراتيجية، أيلول، ص53.
- (13) عبده، أشرف محمد، (2006م)، " مصطلح الإرهاب من وجهة نظر علم اللغة الاجتماعي"، بحث منشور بدورية جامعة الفارابي، كازخستان.
- (14) الظاهري، خالد صالح، " دور التربية الإسلامية في مواجهة الإرهاب"، ص20.

(15) سيف، أحمد عبد الكريم (2009م): "الإرهاب.. إشكالية المفهوم"، مركز سبأ للدراسات الاستراتيجية، ط1، ص27.

(16) تم نشره في 2014/05/13، برنامج إضاءات مع تركي الدخيل <http://www.edaat.com> كذلك انظر: <http://www.facebook.com/yahalashow>

<https://twitter.com/yahalashow>، برنامج يا هلا 13 مايو/2013.

(17) الرواية: 147.

(18) ثابت، عبد الله (2006م): (الإرهابي 20)، ص 185، 177.

(19) الرواية: 79.

(20) الرواية: 79.

(21) الرواية: 59.

(22) الرواية: 59.

(23) الرواية: 59.

(24) الرواية: 59.

(25) الرواية: 46 ، 48 ، 58.

(26) الرواية: 72 - 78.

(27) الرواية: 72 - 78.

(28) الرواية: 31.

(29) الرواية: 31.

(30) الرواية: 53-54.

(31) الرواية: 56.

(32) الرواية: 56.

(33) الرواية: 53.

(34) الرواية: 65.

(35) الرواية: 63.

(36) الرواية: 65.

(37) الرواية: 69.

- (38) الرواية: 53,54.
- (39) الرواية: 58.
- (40) الرواية: 56, 57, 58, 49, 50, 61, 51, 98, 100, 52, 153, 200, 202, 203, 178, 179, 214.
- (41) الرواية: 55, 64, 66, 69, 70, 55, 60, 59, 60.
- (42) الرواية: 49.
- (43) الرواية: 46.
- (44) الرواية: 159, 160.
- (45) الرواية: 49, 50, 61, 51, 98, 100, 52, 153, 200, 202, 203, 178, 179, 214.
- (46) ثابت، عبد الله، (1431هـ): "الثقافة السعودية أفضل اليوم.. لكن المثقفين وضعهم أسوأ"، الشرق الأوسط، الأحد 20 رمضان.
- (47) ثابت، عبد الله (2006م): (الإرهابي 20)، التقديم.
- (48) الرواية: 207.
- (49) اليوسف، إبراهيم (2002م)، "المثقف والسلطة، ثنائية الوثام والتناحر"، جريدة الزمان العراقية، العدد 1373، بتاريخ: 2002/11/25، ص9.
- (50) الرواية: 145.
- (51) معتصم، محمد (2004م): "الرؤية الفجائية في الرواية العربية"، دار أزمنا للنشر، سورية، ط1، ص22.
- (52) ذريل، عدنان (1998م): "النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق"، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ص 46.
- (53) عمار، عبد الرحمان (2003م). "قضية الإرهاب بين الحق والباطل"، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ص: 36.
- (54) الرواية: 58.
- (55) الرواية: 27.
- (56) الرواية: 27.

- (57) الرواية: 143.
- (58) الرواية: 134.
- (59) الرواية: 146.
- (60) الرواية: 38، 80، 147، 72، 168، 186، 138، 150، 169، 165، 119، 120.
- (61) شلقي، أحلام (2000م): "تحليل الخطاب الأدبي في رواية الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزاكي للطاهر وطار"، جامعة ورقلة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية / قسم الأدب العربي.
- (62) الرواية: 213.
- (63) الرواية: 131.
- (64) الرواية: 131.
- (65) الرواية: 131.
- (66) عبد الغني، محمود (2006م): "فن الذات"، دار أزمينة، عمان، ط1، ص114-115.
- (67) الرواية: 225 وما بعدها.
- (68) الرواية: 169.
- (69) الرواية: 97،98،99.
- (70) الرواية: 149.
- (71) الرواية: 197،198،199.
- (72) الرواية: 201، 202.
- (73) الرواية: 201.
- (74) الرواية: 214.

• المصادر والمراجع:

- البخاري، أبو عبد الله محمد إسماعيل، (1422هـ)، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير ناصر، ط1، طوق النجاة، بيروت.
- تشومسكي، ناعوم، (1995م)، قرصنة وأباطرة، ترجمة: محمود برهوم، ط1، مركز الكاشف للمتابعة والدراسات الإستراتيجية.
- ثابت، عبد الله، (1431هـ)، الثقافة السعودية أفضل اليوم.. لكن المثقفين وضعهم أسوأ، الشرق الأوسط، الأحد 20 رمضان.
- ثابت، عبد الله (2006م)، الإرهابي 20، دار المدى للثقافة والنشر، سورية ، ط1.
- ثابت، عبد الله، إضاءات: عبد الله ثابت 2/5 <http://www.facebook.com/yahalashow>
- الحسين، أسماء عبد العزيز ، (2010)، "أسباب الإرهاب والعنف والتطرف"؛ دراسة تحليلية، (بحث مخطوط) كلية التربية، الرياض، موقع حملة السكنية www.assakina.com/files/books/book19.pdf
- الحسين، أسماء عبد العزيز: المرجع السابق.
- الخفاجي، حسين عكا، (د.ت): الإرهاب: دراسة مقارنة بين القانون والشريعة، د.ط.
- خليل، إبراهيم، (2020م)، بنية النص الروائي، الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، ط1.
- الخمشي، سارة صالح، (2004م)، دور التربية الأسرية في حماية الأبناء من الإرهاب، بحث مقدم للمؤتمر العالمي لموقف الإسلام من الإرهاب.
- الدخيل، تركي، إضاءات مع تركي الدخيل <http://www.edaat.com> تم نشره في 2014/5/13م، كذلك انظر برنامج يا هلا 13 مايو/2013 <http://www.facebook.com/yahalashow> .<http://twitter.com/yahalashow>
- ذريل، عدنان، (1998م)، النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د. ط.
- الرازي، محمد بن أبي بكر، (1419هـ)، مختار الصحاح: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1.

- راي، وليم، (1987م)، المعنى الأدبي من الظاهرية إلى التفكيكية، ترجمة: يوئيل عزيز، دار المأمون، بغداد، ط1.
- سيف، أحمد عبد الكريم، (2009م)، الإرهاب.. إشكالية المفهوم، مركز سبأ للدراسات الاستراتيجية، ط1.
- السيف، محمد إبراهيم، (2003م)، المدخل إلى دراسة المجتمع السعودي، دار الخريجي للنشر، الرياض.
- شرودر، موريس، (1980م)، نظرية الرواية، تر: جاسم الموسوي، بغداد، مكتبة التحرير، ط1.
- شكري، محمد عزيز، (1412هـ): الإرهاب الدولي دراسة قانونية ناقدة، دار العلم للملايين، بيروت، ط1.
- شلفي، أحلام، (2000م)، تحليل الخطاب الأدبي في رواية الولي الطاهر يعود إلى مقامة الزاكي للطاهر وطار، جامعة ورقلة، كلية الآداب والعلوم الانسانية / قسم الأدب العربي.
- طرايشي، جورج، (2006م)، هرطقات عن الديموقراطية والعلمانية والحدائثة والممانعة العربية، بيروت: دار الساقى بالاشتراك مع رابطة العقلانيين العرب، ط1.
- الظاهري، خالد صالح، (1423هـ)، دور التربية الاسلامية في مواجهة الإرهاب، دار عالم الكتب، الرياض.
- عبد الغني، محمود، (2006م)، فن الذات، دار أزمنة، عمان، ط1.
- عبد، أشرف محمد، (2006م)، مصطلح الارهاب من وجهة نظر علم اللغة الاجتماعي، (بحث منشور بدورية جامعة الفارابي، كازخستان.
- عمار، عبد الرحمن، (2003م)، قضية الإرهاب بين الحق والباطل، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق.
- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، (1407هـ)، القاموس المحيط، بيروت، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2.

مجموعة خبراء أميركيين، (1999م): مواجهة الإرهاب الجديد، راند كوربوريشن، كاليفورنيا، الطبعة الأولى.

معتصم، محمد، (2004م)، الرؤية الفجائية في الرواية العربية، دار أزمنة للنشر، سورية، ط1.

المقري، أحمد محمد، (1987م)، المصباح المنير، مطبعة لبنان، بيروت.

الهوري، أحمد (2003م)، نقد الرواية في الأدب العربي، الكويت، الدراسات والبحوث، ط2.

اليوسف، إبراهيم، (2002م)، المثقف والسلطة، ثنائية الوثام والتناحر، جريدة الزمان العراقية، العدد 1373 بتاريخ: 2002/11/25م.

تقاطع السرد مع الشعر في نماذج

من شعر محمود درويش

©

افتخار سليم محيي الدين وعبد المهدي الجراح*

تاريخ الاستلام 2016/6/13

تاريخ القبول 2016/8/4

ملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة ظاهرة تقاطع السرد مع الشعر في نماذج من شعر محمود درويش؛ وذلك لإبراز طبيعة السرد وأغراضه البنائية والدلالية في نماذج من شعر محمود درويش، تناول البحث بداية ظاهرة تداخل الأجناس الأدبية، وكذلك مفهوم السرد وعناصره، ثم انتقل بعد ذلك لدراسة السرد ودلالاته ووظائفه في شعر درويش. خلص البحث إلى أن للسرد دوراً مهماً في نمو القصيدة وتكوينها وبنائها، فهو عنصر فاعل في شكلها ودلالاتها الجزئية والكلية، كما أنه تقنية انفعالية تواصلية، تدفع المستقبل (القارئ) إلى المتابعة والانفعال الإيجابي تجاه النص المقروء.

الكلمات المفتاحية: تقاطع، السرد، درويش، وظيفة، دلالة.

توطئة

يمثل درويش تجربة شعرية جادة تدعو إلى التأمل، إذ يظهر شعره تجليات كثيرة تعكس شاعريته الحاملة العاشقة، التي تسعى دوماً إلى التحول، وهي في سعيها إلى التحول لا تسير بسرعة بلا نظام، فتكسر وتشوه، وتعلق ما يحتمل على ما لا يحتمل، وإنما تسير هادئة بلا صخب كشعاع الشمس الذي يخترق الأزهار صباحاً، يعطيها وهجاً وطاقاً وجمالاً لا نظير له، يعبر عن الحياة، والثورة، والأرض، الصراعات، والإنسان كل ذلك بلغة عذبة شفافة تتسلل إلى الحياة من قلب المأساة.

إن هذه اللغة تستحق الوقوف والتأمل والدراسة، وجد البحث أن ظاهرة تقاطع السرد مع الشعر من الظواهر اللافتة للنظر في دواوين درويش؛ ف جاء هذا البحث لدراستها دراسة دلالية تسعى إلى

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2017.

* قسم العلوم الإنسانية، جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية، إربد، الأردن.

توضيح الفاعلية الدلالية للسرد في معنى القصيدة، فما الذي يوفره السرد للمعاني النصية؟ أو بعبارة أخرى: ما المعاني التي يمكن استنتاجها من استثمار الشاعر للظاهرة السردية؟ ثم إبراز الجوانب الوظيفية البنائية للسرد وجمالياتها، وفي ما يلي بحث وإجابة على هذه التساؤلات.

أولاً: أدبيات الدراسة

حظي السرد باهتمام الباحثين وعنايتهم الفائقة، وألفت حول هذا الموضوع الكثير من المؤلفات، وكتبت أبحاث كثيرة حول هذا الموضوع، وما يعني البحث هو الدراسات التي تناولت السرد في شعر درويش، ومن ذلك: دراسة عبد الرحيم حمدان، الموسومة بـ "البنية السردية في ديوان لمانا تركت الحصان وحيداً للشاعر محمود درويش"⁽¹⁾، إذ تناول الباحث فيها العناصر السردية في النصوص الشعرية وبنيتها وتقاطعاتها ثم كشف عن التقنيات السردية التي استعان بها الشاعر في نسج خيوط هذه البنية مثل: الاستهلال الزمني والمكاني والخاتمة السردية وضمائر السرد ومفرداته وما إلى ذلك من العناصر السردية الأساسية مثل: الحدث والشخصيات والمكان والحوار. وهناك أيضاً مقالة رمضان عمر المفصلة والموسومة بـ "قراءة في سردية المشهد الشعري عند درويش"⁽²⁾، والتي وقف فيها على ديوان "لماذا تركت الحصان وحيداً" الذي اتخذ شكل الحكاية (الذات / الوطن/ النكبة)، إذ بين فيها كيف استعار درويش تقنيات الرواية المتمثلة بالحكي والقص في بناء الجانب الدرامي للقصيدة.

ثم هناك دراسة خضر محجز "البنية السردية في قصيدة محمود درويش"⁽³⁾، التي تناولت فيها نماذج شعرية استثمر فيها درويش الديالوج، وكيف أنه واصل رحلته من الغنائي الخاص إلى السرد العام المتمثل بالقصصي والدرامي والملحمي. وكذلك دراسة عيسى قويدر العبادي "أنماط الحوار في شعر درويش"⁽⁴⁾، التي درس فيها أنماط الحوار التي استثمرها درويش في بناء قصيدته وهي: الحوار المباشر وتعدد الأدوار والحوار الداخلي (المونولوج).

أما دراسة يوسف حطيني الموسومة بـ "القصيدة الحكائية وأنماط الحكاية في شعر درويش"⁽⁵⁾، فتناولت فيها الحكايات العامة في القصيدة الدرويشية ثم الحكايات الشخصية، وأخيراً معالجة البناء الدرامي للقصيدة من خلال تتبع المواقف السردية إلى غيرها من المقالات الموثقة هنا وهناك، التي حاول باحثوها دراسة الملمح السردية في نماذج من شعر درويش، ومما يلحظ على هذه الدراسات أنها -في معظمها- كانت قد ركزت على ديوان "لماذا تركت الحصان وحيداً"، هذا من جهة، وركزت أيضاً على آلية توظيف تقنيات السرد في البناء الدلالي للقصيدة من جهة أخرى، فهي لم تغط أعمال درويش، ثم لم تعر الجانب البنائي للسرد في شعر درويش كبير اهتمام، نقصد: التركيز على بنائية السرد في القصيدة الدرويشية؛ لهذا يأتي هذا البحث ليكمل مسيرة البحث

السرد في شعر درويش مركزاً على أعماله جميعها، ثم مبرزاً الجانب البنائي للسرد في شعر درويش، وبعض المعاني والدلالات الخاصة بالسرد.

ثانياً: تداخل الأجناس الأدبية

ما يلحظه المرء على المشهد الأدبي هو التداخل الواضح بين الأجناس الأدبية، والحديث حول تداخل الأجناس الأدبية قديم حديث، وفكرته واضحة وجلية في الأذهان، وما يهم البحث هنا هو الإشارة إلى أن تقاطع السرد مع الشعر من أهم ثمرات هذا التداخل، فالشاعر يستعير التقنيات الروائية من الرواية، والروائي يستعير تقنيات شعرية محددة، ترتقي بنصه الروائي إلى أعلى درجات الشعرية، التي هي دراسة ما يجعل من الأدب أدباً⁽⁶⁾، وقد ركز ياكوبسون في بحثه للشعرية على أن القيمة المهيمنة هي التي تحدد الأجناس الأدبية، فالشعر يتحدد بالوزن أو بالصورة أو بالنبر أو بالتوازي أو بالتكرار أو بخاصية بنيوية ما، وتختلف هذه القيم المهيمنة من حقبة إلى أخرى⁽⁷⁾، ويؤيد ذلك قول صلاح فضل إن الكلمة في السرد إذا انتزعت "دور البطولة من بقية العناصر واستقلت بشعريتها عن شبكة العلاقات السردية أخذ العمل الروائي يميل تجاه الغنائية ويصبح شعراً بالمعنى المحدد للكلمة، وهذا ما يحدث غالباً في النصوص المختلطة التي لا تقوى على توظيف الخواص النوعية للرواية"⁽⁸⁾.

يعود هذا التداخل إلى حركية الأجناس الأدبية من جهة، والرغبة في التحول والتطور في الفكر الإنساني من جهة أخرى⁽⁹⁾، هكذا هو منطق الأدب الذي يمثل الحياة ويعبر عنها، فالأدب إنساني والإنسان كائن حي يبحث عن الحركة والتطور؛ لذا لا نستغرب أن تتداخل الأجناس الأدبية، ويكون تصنيفها خاضعاً لأنماط أدبية نوعية للبنية والتنظيم، إذ يرى رينيه ويليك وأوستن واري: أن نظرية الأجناس الأدبية تعنى بتصنيف الأعمال الأدبية فهي ذات مبدأ تنظيمي، إذ لا تصنف الأدب حسب الزمان والمكان، وإنما التصنيف يكون بحسب أنماط أدبية نوعية للبنية والتنظيم⁽¹⁰⁾. وكما تمت الإشارة سابقاً، فإن السرد وتقاطع مع الشعر يمثل مظهراً من مظاهر تداخل الأجناس الأدبية؛ لذا لا يتسع المجال للإطالة في الحديث عن التداخل الحاصل بين الأجناس الأدبية، فيتوجه البحث إلى بحث السرد وعناصره، فما هو السرد؟ وما هي أهم عناصره؟

ثالثاً: السرد وعناصره

قبل الولوج إلى السرد في شعر درويش، فإن منهجية البحث تقتضي تحديد معنى السرد ثم توضيح عناصره؛ فالسرد في اللغة هو ضمك الشيء بعضه إلى بعض، وفيه تضمن لمعنى النظم وما أشبهه. ومنه قولهم: سرد الدرع أي ضم بعضها إلى بعض، وفي القرآن الكريم: "وقدر في السرد" [سبأ: 11]⁽¹¹⁾. إذن دلالاته اللغوية هي التابع والترابط والتوالي، وهو في الإصطلاح: "العملية التي يقوم بها السارد أو الراوي وينتج عنها النص القصصي المشتمل على اللفظ، أي الخطاب القصصي

والحكاية أي الملفوظ القصصي...⁽¹²⁾. يقول عبد الملك مرتاض: "السرد الطريقة التي يختارها الروائي أو القاص أو حتى المبدع الشعبي (الحكي) ليقدم بها الحدث إلى المتلقي، مكان السرد إن كان هو نسيج الكلام ولكن في صورة الحكي..."⁽¹³⁾.

إن هو الطرق التي يلجأ إليها الراوي أو القاص في إنتاج النص القصصي أو الروائي، وقد استخدم النقاد المحدثون مفهوم السرد "ليكون المفهوم الجامع لكل التجليات المتصلة بالعمل الروائي أو الحكائي، وتأتي أهميته باعتباره مصطلحاً وجنساً يستدعي أن تكون له أنواع، كما يستدعي أن يكون له تاريخ"⁽¹⁴⁾. وقد ذكر حميد لحداني "أن السرد هو الكيفية التي تروى بها القصة"⁽¹⁵⁾. نستنتج مما سبق أن السرد مصطلح معني بالطريقة (الكيفية) والمضمون (الموضوعات)، فهو رصد شمولي - إن صح التعبير - للمشروع التكويني الخاص بالعمل الروائي أو القصصي، فهو جانب إنتاجي تأثيري، أما عناصر السرد فهي متنوعة، وقد شهد بحثها تعدد الركامات المتضمنة لمجموعة من الخطاطات، التي تنطلق من زوايا محددة وخاضعة للنظم الإيدولوجية التي ينطلق منها المنظرون أمثال: تودوروف، وبارت، وإيكو وغيرهم. إذ قدموا آراء كثيرة حول العناصر السردية لا يتسع المجال هنا لبحثها؛ لأن بحثها يحتاج إلى صفحات طويلة، ولكن بعد دراسة ما تم تقديمه في هذا الميدان يمكن إجمال القول عن عناصر السرد. وفي البداية يجب أن نميز الشعر عن النثر إذ جعل النقاد القدماء "صفات تميز الشعر عن النثر من خلال الموضوعات والألفاظ، ولكل منهما عالمه الذي ينفرد به، فيطرح ألفاظه وتراكيبه، فألفاظ الشعر ينبغي أن تتميز بالكثافة، وتخضع للمقام والغرض، ولا تكون مطروحة بين العامة ومبتدلة، وتكون متجانسة مع معناها، كما يرى بعض النقاد أن من الألفاظ ما يعاب استعماله نثراً ولا يعاب نظاماً"⁽¹⁶⁾.

وهذا التمييز يأتي لإدراك حقيقة أن تقنيات السرد النثري تختلف عن تقنيات السرد الشعري؛ لأن السرد يشكل روح النثر، بينما هو في الشعر تقنية تعبيرية مجتلية، وقد اختلفت الرؤى والتطلعات تجاه تصنيف عناصر السرد وذلك تبعاً - كما تمت الإشارة سابقاً - لمنطلق المصنف، ولكن على وجه العموم، يمكن أن نلاحظ العناصر السردية في الشخصيات والوصف والحوار والتصرف الزمني في أحداث القصة، وتكرار الأحداث، واختيار الصفة الخاصة بالعمل في القصة، ثم علاقة القصصي بما يكتب أصلاً⁽¹⁷⁾.

وهذه العناصر تجدها حاضرة في كل عمل أدبي يقوم على أسلوب القص والسرد، ويستثمر تقنية الحكي، وهي عناصر قديمة قدم الإنسان، يقول رولان بارت: "فإن المحكي حاضر في الأزمنة والأمكنة والمجتمعات كلها، لقد بدأت الحكاية مع تاريخ الإنسانية نفسها، فلكل الطبقات الاجتماعية، ولكل الجماعات البشرية حكاياتها الخاصة بها..."⁽¹⁸⁾.

وتعد ظاهرة توظيف السرد والقص في العملية الإبداعية الشعرية ظاهرة قديمة، استخدمها شعراؤنا القدماء وأجادوا فيها أيما إجادة، فتجد في أشعارهم تسريداً وقصاً وتركيزاً على الحوار، ولم يكن غرضهم -شأن شعرائنا المعاصرين- كتابة شعر قصصي، إنما كان الهدف هو استثمار القص في العملية التعبيرية، يقول الدكتور عز الدين إسماعيل: "ومن الأساليب الدرامية التي شاع استخدامها في تجربة الشعر الجديدة الأسلوب القصصي. وهو أسلوب مألوف كذلك في شعرنا القديم..."⁽¹⁹⁾. فالشعراء المعاصرون يميلون إلى استثمار عنصر السرد القصصي في العملية التعبيرية، فهناك نماذج شعرية نحا شعراؤها بها نحو الحس الدرامي الملحمي -إن صح التعبير- مع الوعي الكامل بكيفية الاستعمال للتقنيات السردية في العملية التعبيرية البنائية، فبقيت القصيدة الشعرية عندهم ذات طابع بنائي رأسي، فلم تتجه نحو الاتجاه الأفقي العرضي؛ لمجرد استعمال القص؛ لأن هذا يعود إلى مهارة الشاعر، وأشير هنا إلى الشاعر محمود درويش الذي تم اختياره ميداناً للبحث، لأن الحس السردية في قصائده يمثل تقنيات بنائية تم استثمارها بمهارة عالية جداً، والحق أن الشاعر المعاصر استثمار تقنيات السرد ممثلة: بالتسلسل المحكم للأحداث، وتعددية الحدث، وتراتبها، وتتابعها، فهناك شخوص وحوار بنوعية -كما تمت الإشارة.

سادساً: السرد ودلالاته في شعر درويش

الدلالات التي يفرزها السرد في شعر درويش هي بلا شك دلالات كثيرة ومتنوعة، تثبت غنى تجربة درويش -كما تمت الإشارة سابقاً- وتثبت أن وظيفة الفن لا تقتصر على تحقيق المصالحة الأيدولوجية والنفسية وحسب، بل تتعدى كل ذلك رافضة التقوقع ضمن هذا النطاق يقول روبرت هولب: "لن يكون من الجدلية في شيء تقليص وظيفة الفن، بحيث يقتصر دوره على تحقيق السلام الأيديولوجي والنفسي..."⁽²⁰⁾. ونتيجة لعدم الخضوع لمبدأ المصالحة الأيدولوجية والثبات النفسي؛ فإن درويش يسعى نحو المقاومة بكل أبعادها، إذ قاوم الأنا الشاعرة وعاد إلى الإنسان، واستثمر السرد نحو إعلان يحدد المقاومة وتوجهها من جديد، ففي كل مرحلة من مراحل شعره هناك أفق متوهج، هناك مرحلة انبعاث جديدة؛ هناك رغبة جامحة في التحول فتظهر الأنا الشاعرة التي تمثل فعالية حضورية تشبيكية في رؤية الشاعر، وهذه الأنا تدخل في عملية تفاعلية مع إمكانات الوجود الشعري عند الشاعر، ومن ثم فهذا ما يعطي للشعر إمكانات التحول⁽²¹⁾. وأداته الرئيسية هي السرد بجميع تجلياته.

وثبت عن طريق التحليل لكثير من قصائد درويش أن السرد يؤدي وظيفتين متداخلتين متكاملتين، الأولى: بنائية، والأخرى دلالية، وفيما يلي بحث لهاتين الوظيفتين.

أ. بنائية السرد القصصي في شعر درويش (جماليات السرد)

في هذا العنوان الذي يبدو مطاطياً واسعاً، ولكنه محدود ومحدّد في الوقت ذاته، يحاول البحث دراسة أثر السرد في بنية القصيدة أو هيكلها العام، وهنا نلامس بعض تجليات المنهج البنيوي من جهة، وبعض مفاتيح التأويل العقلاني من جهة أخرى. ويعلن البحث منذ البداية أن النص الدرويشي -إن صح التعبير- رغم انكشافية مدلوله الكلي أو بنيته الكبرى في كثير من الأحيان، هو نص عميق ويحتاج إلى مقارنة نصية هادفة؛ وحقاً "إن مقارنة النص الشعري لا تعد نزهة أو رحلة تقف عند حدود السطح، وإنما تعني الغوص في أعماقه والكشف عن تقنياته التي تعين في الوصول إلى رؤية، ولذلك فإن القراءة التأويلية قراءة لا تعتمد الدلالية الظاهرة أو السطحية، وإنما تتغيا الكشف عن تجرد الدلالات وتعددها، فإذا كان الناص واحداً والنص واحداً، فإن القراءة متعددة، وتعدد القراءة مرتبط ارتباطاً وثيقاً بتعدد الدلالة وتوالدها وتناسلها وتفاعلها"⁽²²⁾. لذا فإن البحث سيقدم تحليلاً بنيوياً تأويلياً، أي يهتم بالبنية والعلاقات البنيوية ثم لا يكتفي بذلك بل سيبحث في الجوانب التفاعلية النصية.

ويثبت عن طريق التحليل البنيوي الدلالي المفتوح لكثير من النماذج الشعرية التي قدمها درويش أن السرد القصصي يقوم بمهام بنيوية نصية متنوعة، وعلى رأسها «التمفصل»، والتمفصل مصطلح سردي، ولكنه عند درويش حركة شعرية تكوينية ترتد إليها كل البيئات الأخرى، يقول في قصيدة له وهي: "قال المسافر للمسافر: لن أعود كما":

وفي الصحراء قال الغيب لي:

اكتب!

فقلت: على السراب كتابةً أخرى

فقال: اكتب ليخضر السرابُ

فقلت: ينقُصني الغيابُ

وقلت: لم أتعلّم الكلمات بعدُ

فقال لي: اكتب لتعرفها⁽²³⁾.

ويجعل درويش من الدالّ السردي القائم على مبدأ الحوار والقولية وإبراز الأنا أساساً لبناء هذه القصيدة، بل إن الحوار والقولية يوظفهما توظيفاً لافتاً للنظر في عملية البحث عن نفسه، وهو حذر جداً في عملية التوظيف هذه، وهذا الحذر -إن صح التعبير- عفوي، تغذيه وتكونه التجربة الشعرية الناجحة التي لا تميل إلى استثمار تقنية، وإهمال باقي التقنيات البنائية الأخرى،

إنه حذر من أن تنزلق هذه القصيدة برمتها نحو الحيز القصصي، فهو سرعان ما ابتعد عن القولية وياشر قائلاً:

وتعرف أين كنت، وأين أنتَ"

لا أعرف الصحراء،

لكني أودعها: سلاماً

للقبيلة شرف أغنيتي: سلاماً...

أنا أنا؟

أنا هنالك... أنا هنا؟

في كل "أنت" أنا"⁽²⁴⁾.

حقاً في كل "أنت" أنا، وإنها الرغبة والإصرار على الوصول إلى الذات وهذا التواتر السردى للغير الذي يحمل "الأنا" يعكس مهارة الشاعر في التنويع حتى على مستوى التقنيات السردية، فهو يستثمر في هذا المقطع ضمير المتكلم؛ وهذا الضمير يستطيع في "الخطاب الشعري أن يحقق مساحة سردية بوصفه شكلاً سردياً متطوراً، وقد تولد غالباً عن رغبة السارد في الكشف عما في طيات نفسه للمتلقي عن تطلع إلى تسجيل ذكرياته على قرطاس ليلم عليها الناس"⁽²⁵⁾، هنا درويش يريد أن يكشف عن عمق الانكسار الذي يعاني منه، ولكنه يحاول أن يقف ويواجه، وينادي إلى "وحدة الذات"، توحد الذات، فلا مواجهة للانكسار دون وحدة في الذات، من هنا نجد أن درويش يتطلع نحو النظر إلى أوسع مدى بصري وإدراكي يمكن أن يصل إليه، فيمد بصره وإدراكه نحو المكونات الإيدولوجية والثقافية والاجتماعية للإنسان الذي يتطلع إليه والذي هو الإنسان العربي - الفلسطيني - الذي هو في النهاية محمود درويش (الصحراء - القبيلة - الأغنية - ابن الأم - المعلقة - الشعوب)، والملحظ الظريف في هذه القصيدة أن درويش في النهاية انفتح نحو الشعوب: "للسعوب تمر ذاكرة لذاكرتي: سلاماً"، لعلمه أن "السرد يساعدنا على إدراج تجربتنا الفردية المحدودة في الزمان والمكان ضمن دائرة أوسع وأشمل هي ذاكرة الإنسانية جمعاء من خلال تلك القدرة التي تتوفر عليها والتي تساعدنا على استيعاب عوالم تنتمي إلى ثقافات أخرى لا نعرف عنها في غالب الأحيان أي شيء"⁽²⁶⁾.

ويركز درويش على الحوار في كثير من قصائده تركيزاً مباشراً بوصفه تقنية لا هدفاً، يقول عز الدين إسماعيل: "وطبيعي أن القصيدة لن تكون من أولها إلى آخرها حواراً، وإنما يستغل الشاعر أسلوب الحوار في جزء أو أجزاء منها، يدرك هو بحاسته الدرامية أن الانتقال فيها من

صوته التقريري إلى أصوات المشهد أنسب، وأنه يوفر للقصيدة في مجملها حيوية أكثر⁽²⁷⁾. إن الحوار يعطي القصيدة عمقاً إدراكياً تواصلياً وتفاعلياً، إنه حياة بالنسبة لها، وامتداد، وتفصيل، إنه عرض للأحداث بطريقة تفاعلية تنحو نحو التدرّج والتصعيد⁽²⁸⁾، فالغرض ليس الإبانة عن طبيعة الشخصيات المتحاورة فحسب، بل بناء التدرّج وسلمية التصعيد. إن "يعد الحوار الدرامي عنصراً محورياً في بناء العمل الشعري ذي النزعة السردية، وهو تقنية فنية متميزة تسهم في جعل المتلقي يصغي إلى أصداء أفكار الشاعر وإيقاع أحاسيسه، والحوار حديث الشخصية الإنسانية المنبعث من أعماقها، والمعبر عنها أدق تعبير؛ لأن الشخصية الصامتة تبدو مثل لوحة ساكنة، ولكن ما إن تتأخر حتى تنبض ملامحها، وتتحرك الحياة فيها، حينذاك يتكون الانطباع الأول عنها"⁽²⁹⁾. أما الوظيفة البنائية الثانية للسرد في شعر درويش فهي العمل على ترابط الجمل وتتابعها ضمن سلسلة التحولات السردية، إذ يحمل السرد هيمنة علاقاتية بين الجمل والتراكيب وتتابعاتها الدلالية عبر جسم النص، ففي السرد روابط منطقية، وزمانية ومكانية⁽³⁰⁾، وهذه كلها تسهم في العملية التأثيرية الخاصة بالمتلقي؛ لأن الكشف عنها هو محاولة تفسير لكثير من الجوانب التي تبدو غامضة في النص، إنها محاولة لتجاوز حالة الاغتراب التي يمكن أن نستشعرها إزاء عدم الفهم لكثير من المضامين⁽³¹⁾. يقول في قصيدته "وأن للشاعر أن يقتل نفسه":

آن للشاعر أن يقتل نفسه

لا لشيء، بل لكي يقتل نفسه.

قال: لن أسمح للنحلة أن تمتصني

قال: لن أسمح للفكرة أن تقتص مني

قال: لن أسمح للمرأة أن تتركني حياً على ركبتيها.. "⁽³²⁾.

يوفر المقصد السردى لهذا النص الشعري روابط منطقية متمثلة في عملية ارتداد القولية: قال وقال، وقال إلى مقصدية أن الشاعر بدأ يحس بأنه في مأزق حقيقي بل ثورته كلها في مأزق، فهو يرفض أي شيء من شأنه أن يؤثر في تقدمه؛ فخطواته متتابعة سريعة، وفكره سام صاعد، لا تؤثر فيه نخله ولا فكرة ولا امرأة، فلا بد للشاعر أن يقتل نفسه؛ لأنه يجب أن يقتل نفسه، وقد يكون قتل النفس هنا هو محاولة الخروج من مرحلة تفكير إلى مرحلة أخرى، الخروج من الأنا الشاعرة إلى الأنا الإنسانية، إذا ما أخذنا بالحسبان أن حياته وبقائه في فلسطين وخروجه منها على مراحل، ويلحظ هنا أن السرد قد جمع عناصر الزمان والمكان جميعها في عملية تحقيقية واحدة، الزمان الذي يتمثل في مرحلة مثل النفس، ثم كتابة الشعر من ثلاثين سنة، ثم لحظات النسيان، ثم مرحلة تبئير الزمن وحصره في الموت، وكذلك المكان الذي يتمثل في رمزية الحكاية

أو شفافيته، تتجه الرغبة في عدم تحديده في بداية القصيدة وذلك حينما أعلن الشاعر أن الشاعر أن له أن يقتل، لِمَ يقتل نفسه؟ ربما المكان هنا هو الذي يجيب عن هذا السؤال، وذلك لأننا خسرنا الأمكنة؛ باختصار إن درويش هنا في هذه العملية السردية الرائدة يحاول أن يبرز الصراع بين (أنا الشخص) و(أنا الشاعر) والمفارقة أن كليهما؛ الشخص والشاعر، قد خسر الأمكنة ولم يتبق نتيجة هذا الخسران سوى الصور، ويستمر درويش في هذا المنحى السردى الذي ينحو بالأحداث والزمان والمكان نحو الترميم والجمع والإصلاح:

"من ثلاثين شتاءً

يكتب الشعر ويبني عالماً ينهار حوله

يجمع الأشلاء كي يرسم عصفوراً وباباً للفضاء

كلما انهار جدارٌ حولنا شاد بيوتاً في اللغة

كلما ضاق بنا البرُّ بنى الجنة، وامتدَّ بجملة

من ثلاثين شتاءً، وهو يحيا خارجي" (33).

فهذا الإنسان (محمود درويش الشخص) يحيا خارج خارجه (خارج درويش الشاعر)، ونتيجة هذا السلوك الأركامي القسري ينبثق غياب المكان والخراب، فتبدأ الأرض بالكذب، ولكن الحلم لا يكذب فهو يتدلى في كل مكان، ولا يوجد سواه:

"قال: إن جننا إلى أولى المدن

ووجدناها غياباً

وخراباً

لا تصدق

لا تطلق

شارعاً سرنا عليه... وإليه.

تكذب الأرض ولا يكذب حلمٌ يتدلى من يديه" (34).

وكأن درويش يرفض الخنوع لفكرة الخيال والأحاسيس التي لا تعالج أمراً خاصاً بقضيته وقلنا (كأن) ولم نقل (إن)؛ لأنه شاعر ومن المستحيل أن يتخلى عن شاعريته وإنسانيته، ولكنه

ابن فلسطين، ابن القضية، فيعلن مستخدماً ضمير المتكلم وسارداً تأكيده لخروج الشاعر منه إلى الأبد قائلاً:

"أن للشاعر أن يخرج مني للأبد.

ليس قلبي من ورق

أن لي أن أفترق

عن مراياي وعن شعب الورق"⁽³⁵⁾.

إن فاعلية السرد هنا استطاعت أن تجعل العلاقات البنائية داخل هذه القصيدة على أعلى درجات التأثير، أو نجاح في الجانب اللغوي في صنع "الدهشة بالمنطق المتماسك"⁽³⁶⁾، وهذا يدفع إلى "اكتشاف الغريب بالمفاجأة الواعية"⁽³⁷⁾، حقاً، إنها سلسلة مفاجآت وجهها للقارئ العربي بوساطة هذه اللغة السردية الفاعلة التي تقوم في جوهرها على البعد الاستدلالي⁽³⁸⁾.

ب. الوظائف الدلالية للسرد في شعر درويش

استطاع درويش بوساطة السرد أن يعبر عن سلسلة من المضامين والمعاني الوجدانية، واستطاع البحث رصد هذه المضامين والدلالات التي تمثلت بتمثيل حالة الإنكسار والثورة على الواقع، وإظهار حب الحياة والإنسانية ورفض العدا، ثم السعي نحو التحول، والتعبير عن الصراع.

ولا يتسع المجال لبحث هذه الدلالات جميعها؛ لذا سيقتصر البحث على بحث حالتين، هما: السعي نحو التحول، والتعبير عن الصراع: أما السعي نحو التحول، فقد عبر عنه درويش، بخيط سردي شفيف، خفيف الوقع على ذهن القارئ وانفعالاته في كثير من قصائده، وهنا يركز البحث على مسألة التحول في الخطاب الشعري النسقي، والتحول بوصفه بنية مرتبطة بالمعاني التي تطرحها القصيدة، إذ نلاحظ أن مسألة التحول هي مسألة دلالية ملحة في قصائده، فيبتدئ القصيدة بنسق دلالي محدد ثم يتحول عن النسق نفسه إلى نسق دلالي آخر وهكذا، وهذا التحول النسقي - كما يرى البحث - هو بعد حاجي يسعى إلى التأثير في نفس المتلقي وإبعاد الملل، وغرضه يكون الإقناع⁽³⁹⁾؛ لأن درويش يتبنى أصلاً قضية؛ يقول في قصيدة "لصوص المدافن":

"لصوص المدافن لم يتركوا للمؤرخ شيئاً يدل عليّ.

ينامون في جثتي أينما طلع العشب منها، وقام الشبح.

يقولون ما لا أفكر. ينسون ما أتذكر. يعطون صمتي

ذرائعهم. فاستريحوا قليلاً، لصوص المدافن، في الوقت متسعاً للضحية...

ألا تستطيعون أن ترتدوا غير قبري القديم/ الجديد.. هُوِيَه؟
ألا تستطيعون أن تجدوا فارقاً واحداً بين ظلي المذهب والنرجسية؟
إذن، مَنْ هو الحيّ فينا ؟ مَنْ الحيّ في هذه المسرحية؟"⁽⁴⁰⁾

يبتدئ الشاعر قصيدته بحدث رامز، فلصوص المدافن لا يقتلون البشر فحسب، بل يقتلون التاريخ والعشب والحوار، والأهل والأطفال، إنهم يقتلون القبر نفسه، ويقتلون الظل، إن الشاعر بدأ بقوله: "لصوص المدافن"، وسرعان ما تحول إلى أسلوب السرد القائم على الحوار وتتابع الأحداث، وتحريك الضمائر، ثم بعد ذلك عاد واستخدم (متحولاً) أسلوب الاستفهام: (إذن، مَنْ هو الحيّ فينا ؟ مَنْ الحيّ في هذه المسرحية؟)، إن هذه التحولات مهمة في القصيدة، إنها تبعد شبح قتل ما أسماه جريماس "بالعقد القولي" والذي "يفترض في التحول السردية عملية معرفية يتم عقبتها اقتراح وقبول قيمة ما"⁽⁴¹⁾؛ لأن درويش هنا يرسم لنصه هذا خطاظة تحويلية - إن صح التعبير - تقوم على الانتقال من (أ) إلى (د) وفق بؤر سردية متناغمة متحوّلة، وشعر درويش - كما تمت الإشارة سابقاً - هو شعر تحولي يثبت رغبته في التحول على مستوى المضامين والفكر الكلي له، وكان في كثير من الأحيان ينحو نحو التحول حتى داخل المقطع السردية نفسه، يقول في قصيدته "ليتني حجر":

"لا أحنّ الى أيّ شيء

فلا أمس يمضي ولا الغد يأتي

ولا حاضري يتقدم أو يتراجع

* * *

ليتني حجرٌ - قلتُ - يا ليتني

حجرٌ ما ليصقلني الماءُ

أخضرٌ، أصفرٌ... أوضَعُ في حجرةٍ

مثل منحوتةٍ، أو تمارينَ في النحت...

يا ليتني حجرٌ

كي أحنّ الى أيّ شيء!"⁽⁴²⁾

يعيش درويش في هذه القصيدة لحظات عصبية، ربما هي من أصعب اللحظات التي يعانها الإنسان ويحيهاها، إنها لحظات الإحساس بالواقع الثقيل الذي يتصالح معه، إنه واقع ثقيل يشعر

الشاعر بالاعتراب فيحاول التحول ولكن هناك عقبات، فبعد أن قرر أنه لا يحن إلى الأمس ولا إلى الغد، ولا إلى أي شيء أعلن رغبته في التحول قائلاً: ليتني...، ولكن هنا التحول يقوم على مبدأ التشابه، وهو تحول مرير جداً فهو يتحول من السيء إلى الأسوأ، ومن القسوة إلى القسوة إلى الحجر، ثم يتابع التحول التماثلي قائلاً، يا ليتني حجر.

أما الصراع والتحدي فيمثل النفس الدرويشي في مجمله؛ لأنَّ النَّفس الشعري الدرويشي في مجمله يقوم على الصراع والتحدي، وهذا يضم في جنباته استثمار السرد في عملية الاستبصار للمسائل، والسعي نحو تحدي الثيمات التي يمكن أن تعرقل مسيرته الفكرية أو الـثيمية، وهو في قصائده أو مقاطعه الشعرية التي يستثمر فيها السرد تتوهج الرؤيا عنده وتتفجر وهذا لا يخضع عنده -كما تنبئ قصائده- ألياً بمجرد التهيئة التعبيرية، وإنما يدل على تحضير عميق عند الشاعر؛ لأنه في عمليات التعبير عن الصراع يحدث صراع أصلاً بين الأفكار والتقنيات، فتتغلب تقنية على أخرى، وقد يحدث التعادل والتوازن، يقول صلاح فضل: "توهج الرؤيا أو تفجرها لا يتم ألياً بمجرد التهيئة التعبيرية، بل يتطلب شرطاً لازماً هو أن تكون العناصر الدالة في الخطاب الشعري، قد تم تحضيرها لدى المبدع والمتلقي في فترة حضانة سابقة وكافية، أي بحيث يكون للكلمات تاريخ رمزي عميق في سياق الخطاب الشعري الكامل للمبدع..."⁽⁴³⁾. ولعل أبرز النماذج الشعرية التي يذكرها درويش ممثلةً الصراع، هي الصراع مع "الهم" الذي لا يفارقه في قصيدة "الظل"، وهي بلا شك قصيدة تنحو منحى إنسانياً رائعاً، وتبرز صراع الإنسان مع فكرة ما بداخله، يقول فيها:

" الظل لا ذكّر ولا أنثى

رمادي، ولو أشعلت فيه النار...

يتبعني، ويكبر ثم يصغر

كنت أمشي. كان يمشي"⁽⁴⁴⁾.

تبدو فاعلية السرد في أن الشاعر يستثمر خيوطه في عملية التعبير عن وجود شيء لصيق به ملازم له، لا يستطيع الفكاهة منه مهما حاول الالتفاف عليه، (استدرت إلى الطريق الجانبية)، يبدو أن الشاعر في صراع مع نفسه حول أفكار معينة ويحاول أن يتناسى، ولكن يجد أن الهم يسبقه في الوصول إلى الأماكن التي يهرب إليها، ويتابع قائلاً:

" فقلت: أعود متكئاً على عكازتين

فعاد متكئاً على عكازتين

فقلت: أحمله على كتفي

ما ستعصى....

فقلت: إذن، سأتبعه لأخذه

سأتبع ببغاء الشكل سخريّة

أقلد ما يقلدني

لكي يقع الشبيه على الشبيه

فلا أراه ولا يراني" (45)

وهذا يشير إلى ملازمة الهم له في جميع مراحل العمر، حتى بعد أن عاد متكئاً على عكازتين، فعاد الهم واستعصى حمله، فلم يقدر على حمله، حتى بعد مرور كل هذا الزمن، ويعلن أنه يريد أن يلهي الهم بهم آخر فيشغله به وينساه (الشاعر)، فلا أحد يرى الآخر.

وكأن الشاعر أراد الخلاص من الهم الموجود- والذي قد يكون (القضية الفلسطينية - فكرة محدّدة - فكرة توارثه - موقفاً محدداً - شعوراً يلزمه - مبدأً مرفوضاً)- بهم آخر أي بقضية أو مسألة أخرى. وعبر عن كل ذلك بأسلوب سردي يبعث في النفس الجانب الانفعالي فيعززه.

وقد تغنى درويش في دواوينه بالضياح وقد شكّل هذا الأمر هاجساً عنده، أبقاه في عملية صراع، هذا الصراع يحمل جانباً من الإحساس المستمر بالضياح، وانعدام القدرة على معرفة الأشياء وتفسير ما يجري، وإن وجدت تكون ممهوه غير واضحة المعالم، فيقع في حيرة من أمره، فيشبهها بأشياء فيها غموض لا يحدد ولا يسمى، أو لا يستطيع التعبير عنها وإن اتضحت الفكرة في ذهنه، فالصراع الداخلي يجعل الألفاظ والتراكيب عاجزة عن التعبير والوصول إلى كنهها، يقول في قصيدته:

"لا أعرف اسمك":

"- لا أعرف اسمك

سَمَنِي ما شئتَ

- لستِ غزاةً

كلا. ولا فرساً

- ولستِ حمامة المنفى" (46).

يعبر درويش عن مرحلة الضياح بضياح الهوية؛ لأن الاسم هو الذي يميز الإنسان عن الآخر، فمن لا يملك اسماً لا يكون معروفاً، وهو حينما يقول: " لا أعرف اسمك" فكأنه بتر حديثاً أو حواراً سابقاً لم يجد منه جدوى؛ لأنه يتحدث مع مجهول، لا يعرف من هو؛ ليحاوره، فهي ليست

غزالة ولا حمامة المنفى ولا حورية؛ إنها "لا أحد"، ومن فتح المجال لهذه الاحتمالات المفتوحة اللامتناهية هو قولها له: سمّني ما شئت، وكأن الاسم ليس مهماً بالنسبة إليها، فالأصل ليس الاسم، وإنما ما يعبر عنه الاسم بالنسبة إليها. يبدو الشاعر في صراع مع نفسه بحيث لم يعد يعرف أحدهما الآخر ولا يستطيع تحديد كنهه وطبيعته، فترد هي في المقطع الثاني:

"# لا أعرف اسمك، ما اسمك؟"

- اختاري من الأسماء أقربها

إلى النسيان. سمّني أكنّ في

أهل هذا الليل ما سمّيتني!

لا أستطيع لأنني امرأة مسافرة

على ريح. وأنت مسافر مثلي،

وللأسماء عائلة وبيت واضح

- فإذن، أنا «لا شيء»...

قالت «لا أحد»: "(47)".

وردّها هذا يدل على أنها تتخذ منه نداً لها، وتتحداه بقولها: إنها ليست الضائعة الوحيدة وأن من يسألها عن اسمها لا يستطيع حتى تسمية نفسه، والرد على أبسط الأسئلة: "ما اسمك"، فكان ردهُ بناء على نعته لنفسه بالريح في السفر وعدم الاستقرار والتقلب، فأراد أن يختار اسماً له يناسب كل هذه الصفات، ويكون نسيانه سهلاً لئلا يلتصق به الاسم ويلازمه.

*خاتمة:

بعد هذه الرحلة مع السرد في شعر درويش، يؤكد البحث أن درويش قد استثمر السرد استثماراً ناجحاً ولافتاً للنظر في قصائده، ويدل هذا على أمور كثيرة جداً، لعل أبرزها أن السرد عنده يرتبط باكتمال التجربة الشعرية غير المرتبطة بمجال فكري دون آخر، إنها تجربة يظهر فيها الحس التكاملي، وقصيدته تعبر عن ذلك خير تمثيل، كما أن طبيعة القضايا التي يطرحها درويش تحتاج إلى نمط سردي متفاعل؛ لأن السرد تم توظيفه بوصفه تقنية، متضمنة تقنيات إلى جوار تقنيات أخرى.

لقد تجلّى أسلوب السرد بوصفه تقنية نصية أو إستراتيجية بناء نصي في شعر درويش بمظهرين كبيرين هما: بناية السرد، ثم الدلالات النصية له. إن أثبت البحث أن السرد عند درويش

يقوم بمهام بنائية نصية كثيرة مرتبطة ببناء القصيدة، مثل: التمفصل وترابط الجمل وتتابعها ضمن سلسلة التحولات السردية، كما أن السرد قد أفرز دلالات ومعاني متنوعة، وقد أسهم في تكوينها، وهي دلالات تحتضن بين جنباتها دلالات وجزيئات كثيرة، وهذه الدلالات هي: تمثيل حالة الانكسار والثورة على الواقع، ثم إظهار الحب للحياة والإنسانية ورفض العدا، والسعي نحو التحول، ثم أخيراً الصراع والتحدي، وهذا كله أسهم في المنحى التواصلية والتأثيري (الانفعالي) بالنسبة للمتلقي.

ويبقى درويش -والحق يقال- ظاهرة رائدة في الشعر العربي الحديث، تستحق البحث والدراسة، لذا فإن البحث يوصي بإجراء دراسات مشابهة في شعره.

The Intersection of Narration with Poetry in Mahmoud Darwish's Poetry

Iftikhar M. Selim and Abdel Mohdy H. Aljarah, The Department of Humanities, Jordan University of Science and Technology, Irbid, Jordan.

Abstract

This research aims to study the phenomenon of the intersection of narration with poetry in some pomes by Mahmoud Darwish to highlight the nature of narration and the structural and symbolic objectives in Darwish's poetry. This study has examined the overlapping genres, the concept of narration and its elements, the significance and functions of narration in Darwish's poetry. This paper has concluded that narration has an important role in the poem's formation, growth, and structure as narration is an active element in the form and meaning of the poem. Moreover, narration has been seen as a communicative, emotive technique, pushing the reader to continue reading and interacting with the text.

Key words: intersection, narration, Darwish, function, symbol, meaning, poetry.

الهوامش والحواشي

- (1) تم استرجاع هذه الدراسة بتاريخ 2016-7-21م، من الموقع الإلكتروني:
<https://drabedhamdan.wordpress.com>
- (2) تم استرجاع هذه الدراسة بتاريخ 2016-7-21م، من الموقع الإلكتروني:
www.darwishfoundation.org/atemplate.php?id=992
- (3) تم استرجاع هذه الدراسة بتاريخ 2016-7-21م، من الموقع الإلكتروني:
aborzg.hooxs.com
- (4) تم نشر هذه الدراسة في مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 41، العدد 1، 2014م.
- (5) تم استرجاع هذه الدراسة بتاريخ 2016-7-21م، من الموقع الإلكتروني:
www.thaqafa.org/site/pages/details.aspx?itemid=6197
- (6) ايخناؤوم: نظرية المنهج الشكلي، نصوص الشكلايين الروس، ترجمة: إبراهيم الخطيب، بيروت، الأبحاث العربية، الشركة العربية للنشر، الرباط، ط1، 1982م، ص 35.
- (7) انظر: حمداوي، جميل: رومان ياكوبسون بين قضايا اللسانيات وأسئلة الشعرية، مجلة أدب فن ثقافية إلكترونية، تم استرجاعه بتاريخ: 2016-7-21م، من الموقع الإلكتروني:
www.adabfan.com
- (8) فضل، صلاح: بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، عدد 164، الكويت 1992م، ص 294.
- (9) خليل، لؤي: تداخل الأنواع بين القاعدة والخرق (دراسة نظرية)، مجلة جامعة دمشق، م (30)، العددان (3+4)، 2014م، ص 142.
- (10) انظر: ويليك، رينيه ووارى، أوستن: نظرية الأدب، ترجمة: محيي الدين صبحي، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، ط3، 1987م، ص 238.
- (11) ابن دريد أبو بكر محمد بن الحسين: الاشتقاق، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991م، ج1/ص143.
- (12) سمير المرزوقي وجميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة، دار أقطاب الفكر (د.ت.)، (ط1)، ص77.
- (13) عبد الملك مرتاض، ألف ليلة وليلة (تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1993م، ص84.

- (14) د. مولاي بو حاتم، مُصطلحات النقد العربي السيميائي (الإشكالية والأصول والامتداد)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005م، ص252.
- (15) حميد لحداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت-الدار البيضاء، ط2، 1992م، ص45.
- (16) عبدالناصر هلال، السرد في الشعر العربي المعاصر، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2006م، ط1، ص17. (17) يُنظر: وليد النجار، قضايا السرد عند نجيب محفوظ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1985م، ص6.
- (18) رولان بارت وجيرار جينيت، من البنيوية إلى الشعرية، ترجمة: غسان السيد، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2001م، ص13.
- (19) عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، دار الثقافة، بيروت، ص300.
- (20) روبرت هولب، نظرية التلقي مقدمة نظرية، ص91، ترجمة: عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 2000م.
- (21) عبد الواسع الحميري، الذات الشاعرة في شعر الحداثة، المؤسسة الجامعية للنشر، بيروت، 1999م، ص7.
- (22) موسى رابعة، آليات التأويل السيميائي، مكتبة الأفاق، الكويت، ط1، 1432هـ- 2011م، ص21.
- (23) محمود درويش، الأعمال الجديدة، لماذا تركت الحصان وحيداً، ص387.
- (24) نفسه 379.
- (25) عبد الناصر هلال، مرجع سابق، ص18.
- (26) أمبرتو، إيكو، نزاهات في عالم السرد، ص13.
- (27) عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، ص ص 299-300.
- (28) عدنان بن دريل، النقد والأسلوبية، ص 108.
- (29) عبد الرحيم حمدان: البنية السردية في ديوان "لماذا تركت الحصان وحيداً" للشاعر محمود درويش، تم استخراج هذه الدراسة بتاريخ 21-7-2016م، من الموقع الإلكتروني: <https://drabedhamdan.wordpress.com>
- (30) See: Teresa A. Ukrainetz "Teaching Narrative Structure: Coherence and Captivation, contextualized language Inter reution, 2006, from website: (www.sih.org.tw)

- (31) انظر: عز الدين إسماعيل، جماليات التلقي والتأويل، المؤتمر الدولي الأول للنقد الأدبي، القاهرة، 1997م، ص 153.
- (32) محمود درويش، الأعمال الأولى (3)، رياض الريس للنشر، ط1، 2005م، ص73.
- (33) نفسه 73.
- (34) نفسه 74.
- (35) نفسه 75.
- (36) أنطون غطاس كرم: "الواقع رؤيا والرؤيا واقع"، ديوان خليل حاوي، دار العودة، بيروت، ط2، 1972م، ص371.
- (37) نفسه ص371.
- (38) محجز، خضر: البنية السردية في قصيدة محمود درويش، تم استرجاع هذه الدراسة بتاريخ 2016-7-21م، من الموقع الإلكتروني: aborzg.hooxs.com
- (39) إيمان درنوبي: الحجاج في النص القرآني سورة الأنبياء أنموذجاً، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجمهورية الجزائرية الشعبية، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية، 2013م- 1434هـ، ص48.
- (40) درويش، ورد أقل، 151.
- (41) صلاح فضل، بلاغة الخطاب، ص408.
- (42) محمود درويش، أثر الفراشة، ص 23.
- (43) صلاح فضل، محمود درويش حالة شعرية، ص66.
- (44) محمود درويش، لا تعتذر عما فعلت، ص83.
- (45) نفسه ص84.
- (46) نفسه ص103.
- (47) نفسه ص104.

المصادر والمراجع

أولاً: بالعربية

إسماعيل، عز الدين: الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهرها الفنية والمعنوية، دار الثقافة، بيروت، (د.ت).

إسماعيل، عز الدين: جماليات التلقي والتأويل، المؤتمر الدولي الأول للنقد الأدبي، القاهرة، 1997م.

إيكو، أمبرتو: نزاهات في غابة السرد، ترجمة: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، بيروت - الدار البيضاء، ط1، 2005م.

بارت، رولان وجنيت جيرار: من البنيوية إلى الشعرية، ترجمة: غسان السيد، دار نينوى للدراسات والنشر، دمشق، ط1، 2001م.

بوخاتم، مولاي: مصطلحات النقد العربي السيميائي (الإشكالية والأصول والامتداد)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005م.

حمدان، عبد الرحيم: البنية السردية في ديوان "لماذا تركت الحصان وحيداً" للشاعر محمود درويش، تم استرجاع هذه الدراسة بتاريخ 21-7-2016م، من الموقع الإلكتروني: <https://drabedhamdan.wordpress.com>

الحميري، عبد الواسع: الذات الشاعرة في شعر الحداثة، المؤسسة الجامعية للنشر، بيروت، 1999م.

درنوني، إيمان: الحجاج في النص القرآني سورة الأنبياء، أنموذجاً، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، كلية الآداب واللغات - قسم اللغة العربية، 2013م - 1434هـ.

درويش، محمود: أثر الفراشة، رياض الريس للكتب والنشر، 2008م.

درويش، محمود: الأعمال الأولى (3)، رياض الريس للطباعة والنشر، ط1، 2005م.

درويش، محمود: الأعمال الجديدة، رياض الريس للطباعة والنشر، ط1، 2003م.

درويش، محمود: لا تعتذر عما فعلت، رياض الريس للطباعة والنشر، ط2، 2004م.

- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسين: *الاشتقاق*، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991م.
- بن دريل، عدنان: *النقد والأسلوبية بين النظرية والتطبيق*، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1989م.
- ربابعة، موسى: *آليات التأويل السيميائي*، مكتبة الأفاق، الكويت، ط1، 1432هـ- 2011م.
- زيادة، رضوان جودت: *صدى الحداثة ما بعد الحداثة في زمنها القادم*، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - بيروت، ط1، 2003م.
- عيلان، عمر: *شعرية السرد والنحو السردية*، تزفيتان تودوروف، بحث منشور ضمن منتديات ستار تايمز على الرابط: www.startimes.com
- فضل، صلاح: *بلاغة الخطاب وعلم النص*، الشركة المصرية العالمية لونجمان، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1996م.
- فضل، صلاح: *محمود درويش حالة شعرية*، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، رمضان 1431هـ- 2010م.
- فضل، صلاح: *نظرية البنائية في النقد الأدبي*، دار الشؤون الثقافية العامة، ط2، بغداد، 1987م.
- كرم، أنطوان غطاس: *"الواقع رؤيا والرؤيا واقع"*، ديوان خليل حاوي، دار العودة بيروت، ط2، 1972م.
- لحمداني، حميد: *بنية النص السردية من منظور النقد الأدبي*، المركز الثقافي العربي، بيروت - الدار البيضاء، ط2، 1993م.
- محجز، خضر: *البنية السردية في قصيدة محمود درويش*، تم استرجاع هذه الدراسة بتاريخ 2016-7-21م، من الموقع الإلكتروني: aborzg.hooxs.com
- مرتاض، عبد الملك: *ألف ليلة وليلة (تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد)*، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1993م.
- المرزوقي، سمير وشاكر، جميل: *مدخل إلى نظرية القصة*، دار أقطاب الفكر، (د.ت).

- النجار، وليد: قضايا السرد عند نجيب محفوظ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1985م.
- هلال، عبد الناصر: السرد في الشعر العربي المعاصر، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط1، 2006م.
- هولب، روبرت: نظرية المتلقي مقدمة نظرية، ترجمة: عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 2000م.
- يقطين، سعيد: الكلام والخبر مقدمة للسرد العربي، المركز الثقافي العربي، بيروت - الدار البيضاء، ط1، 1997م.

ثانياً: بالإنجليزية

- A. Ukrainetz: "*Teaching narrative structure: Coherence, Cohesion, and Capitation*", Contextualized language interention, 2006,
- Crombie, Winifred: *process and relation in discourse and language learning*, Oxford University press, 1986.

ولاية بيروت، القسم الشمالي (طرابلس واللاذقية)، دراسة تاريخية في تطور الزراعة في مطلع القرن العشرين من خلال رحلة رفيق التميمي

أحمد محمد الجوارنة*

تاريخ الاستلام 2016/6/20

تاريخ القبول 2016/6/28

ملخص

تسعى هذه الدراسة التاريخية، حول واقع الزراعة في لواء طرابلس واللاذقية التابعين لولاية بيروت في العهد العثماني، من خلال "رحلة التميمي لولاية بيروت"، إلى إبراز أهمية المكان والسكان والزراعة في تلك المنطقة من ناحية، وتسليط الضوء على "رحلة التميمي لولاية بيروت" بوصفها أهم المصادر التاريخية والجغرافية والإحصائية التي تناولت المنطقة بالبحث التفصيلي الدقيق من ناحية ثانية، ولأن المنطقة المعنية بالبحث تحتل المناطق الساحلية والجبالية الممتدة على طول البحر الأبيض المتوسط من حدود بيروت إلى حدود لواء الإسكندرون، فقد لعبت دورا اقتصاديا مهما خلال العهد العثماني، ونأمل أن تجيب الدراسة على التساؤلات التالية:

- ما الواقع السكاني وتوزيعاته في اللوآين ؟
- ما المساحة الزراعية والتقسيمات الإدارية للمنطقة ؟
- ما الصناعات المرتبطة بالزراعة؟
- كم حجم مداخيل اللوآين من الزراعة من خلال الإنتاج والصادرات إلى الخارج؟

أهمية الدراسة:

1- تأتي أهمية الدراسة من خلال البحث في واقع الأرض والسكان وواقع الإنتاج الزراعي في ولاية بيروت القسم الشمالي "طرابلس واللاذقية"، حيث يعتبر لواء طرابلس واللاذقية من ألوية ولاية بيروت المهمة الواقعة على الساحل الشمالي من لبنان وسوريا، وهما محدودان بلوآي حلب شمالا، وحماة شرقا، ولواء لبنان جنوبا، وغربا البحر الأبيض المتوسط، على أن مساحة هذين اللوآين وفق رواية "ويتال كينه" هي 11779 كم². يكثر في المنطقة الجبال والمرتفعات

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2017.

* قسم التاريخ، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

العالية على ما أكده التميمي في رحلته، ففيها جبال النصيرية التي تبدأ من جنوب أنطاكية، ممتدة من الشمال إلى الجنوب، والجبل الأقرع، الذي يقع على ارتفاع 1769 متراً فوق سطح البحر، وجبال البلغار الواقعة في الجهة الشمالية الغربية، وارتفاعها 1000م عن سطح البحر، وجبل شعر من ناحية الكلبية من قضاء جبلة، وارتفاعه عن سطح البحر 1500م، وجبال عكار من سلسلة جبال لبنان. وفي لوائي طرابلس واللانقية وفترة من الأنهار والأودية المائية، وهي تتكون بفعل تساقط الأمطار أو نوبان الثلوج، ومن تلك الأنهار نهر العاصي الذي ينبع من بعلبك، وهو أهم نهر يمر في القسم الشمالي من سوريا، وهناك جداول وأنهار مائية صغيرة في طرابلس واللانقية.

2- يقع القسم الشمالي من ولاية بيروت على مساحة كبيرة من الأرض، فبلغت في ولاية طرابلس 5969 كم²، وفي لواء اللانقية 5810 كم²، ما مجموعه حوالي 11779 كم²، وهي في أغلبها أراضٍ صالحة للزراعة، سواء الزراعات المثمرة، مثل الحبوب والفواكه، أو الأشجار الحرجية المصدر الرئيسي لصناعة الأخشاب، كما شهدت المنطقة تجمعاً سكانياً كبيراً أيضاً، وهو مجتمع متنوع الأعراق والأديان والطوائف، ومع ذلك سادت بينهم ظاهرة التعايش السلمي بأبهى صورها. أما مجموع سكان لواء طرابلس فبلغ وفق إحصائية سنة 1331هـ/1912م حوالي 176525 نسمة، وتعداد سكان لواء اللانقية حوالي 147698 نسمة، بما مجموعه 324423 نسمة، ويدل ذلك على أن هذه المنطقة التي استوعبت هذا العدد الكبير من السكان من المناطق الأكثر إنتاجاً للزراعة والصناعات المرتبطة بالزراعة، وقد انقسم القسم الشمالي من ولاية بيروت إلى لواءين، هما: لواء طرابلس ولواء اللانقية، فاشتمل لواء طرابلس على مركز قضاء طرابلس، وناحية طرطوس، ثم قضاء عكار، أما لواء اللانقية فانقسم إلى: قضاء اللانقية، وقضاء جبلة، وقضاء صهيون، ثم قضاء مرقب.

3- كما أن الدراسة تسعى إلى الكشف عن واقع الحياة الزراعية، من حيث تطور وسائلها، وتطور صناعاتها، وإنتاجها من الحبوب المختلفة، مثل القمح والشعير والعدس والبقول والحمص والسمسم وغيرها، ثم دراسة واقع الحياة الحرجية في المنطقة، ودورها في إنتاج كفاية المنطقة من الحطب والأخشاب، وتسليط الضوء على إنتاج زيت الزيتون وصناعة الصابون، وصناعة الحرير وصناعة التبغ.

الدراسات السابقة:

تكاد تكون الدراسات حول تاريخ الحياة الزراعية في ولاية بيروت القسم الشمالي "لواء طرابلس واللانقية" قليلة جداً، خصوصاً من خلال رحلة التميمي وبهجت إلى تلك الولاية، إلا أن هناك بعض الدراسات المهمة التي انطلقت من خلال رحلة التميمي وبهجت إلى ولاية بيروت في قسمها الجنوبي، وهي دراسة حملت عنوان "أوضاع الطائفة السومرية في مدينة نابلس من خلال

كتاب ولاية بيروت لمحمد رفيق التميمي ومحمد بهجت، دراسة تاريخية منهجية، للدكتور عدنان ملحم، وهو بحث منشور في مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية) المجلد 16، 2002، وهي من الدراسات التي كشفت النقاب عن واقع الطائفة السومرية في نابلس، ولم تتطرق إلى الحياة الزراعية لا في نابلس ولا في غيرها، وهناك دراسة للدكتور إلياس جريج حملت العنوان: "ولاية بيروت 1887-1914م، التاريخ السياسي والاجتماعي"، نشر في مطبعة عكار سنة 2004م، وهو كتاب طغى عليه الجانب السياسي والإداري لكل ولاية بيروت في قسميها الشمالي والجنوبي، ولم يكن هناك تركيز واضح على واقع الحياة الزراعية في لواء طرابلس واللاذقية، بل اعتبر "إلياس جريج" كتاب "ولاية بيروت" للتميمي، مصدراً غير مهم من مصادر دراسة تاريخ ولاية بيروت في مطلع القرن العشرين، مع أنه ليس كذلك، وثمة دراسة جيدة قام بتحقيقها الباحثان زهير غنايم ومحمد محافظة بعنوان: "فلسطين في نهاية العصر العثماني من خلال الرحلة التي قام بها محمد رفيق التميمي ومحمد بهجت الكاتب، تحت عنوان "ولاية بيروت" الجزء الأول/لواء نابلس"، منشورات الشركة الجديدة للطباعة، عمان، 2000م، عالج فيها الباحثان الأحوال الروحية والصحية والإدارية والثقافية والعمرانية والاجتماعية لقصبة نابلس ونواحيها، سلفيت، جنين، جماعين، طولكرم، وملبس، والسامريون.

التعريف بمؤلف كتاب "ولاية بيروت" وأهميته.

ولد رفيق بن راغب التميمي في مدينة نابلس سنة 1303هـ / 1885م¹، وأتم دراسته الابتدائية والإعدادية في مسقط رأسه، وفي العام 1320هـ / 1902م التحق بمدرسة إعدادية مرجان في الأستانة، ثم دخل الكلية الملكية سنة 1322هـ / 1904م، بعد اجتيازه لمسابقة خاصة²، ولتفوقه في الدراسة، بعثته وزارة المعارف التركية إلى باريس لإكمال الدراسة، فالتحق بكلية الآداب في جامعة السوربون، وتخرج فيها عام 1327هـ / 1909م، حاملاً درجة ليسانس في الدراسات التاريخية³، عين التميمي معلماً للتاريخ في المكتب السلطاني بمناستر في سلانيك، المدينة الرومانية الواقعة إلى الجنوب من مقدونيا على بحر الأرخبيل⁴، ثم عين أستاذاً للتاريخ في المكتب السلطاني في مدينة خربوت الواقعة إلى الشرق من تركيا، وبعد سبعة أشهر عين معلماً للتاريخ والجغرافيا في المكتب السلطاني في بيروت⁵، ثم عين مديراً لنادي الاتحاد والترقي في دمشق، وعينته وزارة المعارف التركية أستاذاً للاجتماعيات في المكتب السلطاني في مدينة أزمير التركية الواقعة على بحر إيجه، وبعد شهرين، نقل إلى المكتب السلطاني في دمشق أستاذاً للأدب والفلسفة، كما عين مديراً للمدرسة التجارية التي أنشأها ناظم باشا والي بيروت، والتي افتتحت عام 1331هـ / 1912م⁶.

التحق التميمي بالجيش العربي الذي قاده الأمير فيصل بن الحسين عام 1337هـ / 1918م نحو الشام، وأصبح أحد المستشارين المقربين منه⁷، ويوم شكل الأمير فيصل حكومة عربية في

عام 1337هـ / 1918م عينه مستشارا مدنيا للمعتمد العسكري في بيروت، حيث ترك بصمة واضحة على تنظيم الحركة القومية في الشام⁸. ومثل فلسطين في المؤتمر السوري العام الذي عقد في مدينة دمشق سنة 1338هـ / 1919م، وانتخب عضوا فيها، وحكم عليه بالإعدام من قبل فرنسا، نظرا لمواقفه القومية⁹، كما اهتم التميمي بالمجال التربوي في فلسطين، وعين سنة 1339هـ / 1920م أستاذا في الكلية الصلاحية في بيت المقدس¹⁰، وعمل مديرا للمدرسة العامرية الخاصة في مدينة يافا¹¹، وسنة 1340هـ / 1921م عين مديرا للمدرسة الإسلامية في مدينة حيفا¹²، والتحق في سنة 1344هـ / 1925م بدائرة المعارف الفلسطينية وأصبح مديرا لمدرسة الخليل الثانوية¹³، ربطت التميمي في ثلاثينيات القرن العشرين علاقات متينة مع البلاط الملكي في العراق، من خلال شقيق زوجته تحسين قدري، الذي كان يعمل رئيسا للتشريفات في الديوان الملكي العراقي¹⁴، وانتخب التميمي بتاريخ 1948/10/1م، عضوا في المجلس الوطني الفلسطيني الذي انعقد في غزة لانتخاب حكومة عموم فلسطين¹⁵، كما لعب في سنة 1368هـ / 1948م دورا بارزا في تأسيس اللجنة القومية في يافا التي أنيط بها مقاومة العصابات الصهيونية¹⁶، وعلى أثر نكبة فلسطين عام 1368هـ / 1948م، انتخب مسؤولا عن مكتب الهيئة العربية العليا في دمشق، وظل يديره مدة ثماني سنوات¹⁷، وأما مؤلفات التميمي فجاءت على النحو التالي:

التاريخ العمومي (8 أجزاء)، وسوق مدحت باشا بدمشق، وولاية مدحت باشا على الطونة، وقد كتبه باللغة الفرنسية، وتاريخ الحروب الصليبية (طبع 1365هـ / 1945م)، وتاريخ أوروبا الحديث، وتاريخ العرب قبل الإسلام وبعده، وتاريخ العصر الحديث، وحوض البحر الأبيض المتوسط، والإقطاع، وأول إقطاع في الإسلام، وولاية بيروت، الذي اشترك في تأليفه مع زميله محمد بهجت¹⁸.

اعتمد المؤلفان في تدوين المعلومات الواردة في الرحلة على الكثير من المصادر والمراجع والدراسات والرحلات المختلفة، وفي مقدمة ذلك رحلتهم المباشرة إلى المناطق المستهدفة بالدراسة، حيث انتدبهم والي بيروت "عزمي بك أفندي"¹⁹ للبحث عن القسم الشمالي لولاية بيروت، استكمالا لعملهم الأول القسم الجنوبي للولاية، فلم يكن منهما إلا أن لبيا دعوة الوالي، وبدءا في جولة ميدانية استطلاعية في أنحاء طرابلس الشام وحلب وتل كلخ وبرمانة وطرطوس وبانياس وجبله وصهيون واللاذقية، واتفق الباحثان على تقسيم مهمتهما العلمية، فكان من نصيب "محمد رفيق التميمي" الكتابة في مباحث، "الجغرافيا وخصائص الشعوب، والتاريخ والآثار، والمعارف، والزراعة والتجارة والصناعة، والمهاجرين، ومذهب النصيرية، بينما اختص "محمد بهجت" بمباحث الأحوال الروحية والأخلاقية، والاجتماعية والصحية، واللغات والأدبيات، والفنون الجميلة، كما دقق في الحركة العلمية وحياة الطباعة والنشر والتأليف، وأحوال الإسماعيلية والترجمان، وضبط المشهودات في القصبات والدروب والأوصاف العمومية²⁰، كما استخدم

المؤلفان القيود الرسمية لسنة 1331هـ/1912م، التي تعالج الوضع السكاني وتوزيع الأراضي على السكان في ولاية بيروت، وتحديد القسم الشمالي منها²¹، واعتمدا على الرحلة الشامية، للأمير محمد علي باشا، سنة 1328هـ/1910م، وقد حررها وقدم لها علي احمد كنعان²²، واستعاننا بمجلة الزهور، وهي المجلة الأدبية والفنية والعلمية التي أصدرها أنطون الجميل سنة 1328هـ/1910م²³، واستفادا من مجلة المشرق التي كانت تصدر في بيروت، ومجلة الكوثر تصدر في بيروت أيضا، ومجلة المباحث التي صدرت في طرابلس الشام، واعتمدا اعتمادا كبيرا على العشرات من المؤلفات الإنجليزية والفرنسية والألمانية التي تحدثت عن ولاية بيروت في جزئها الشمالي، واشتملت على الموضوعات الجغرافية والجيولوجية والسكانية وغيرها²⁴.

الأرض والسكان:

يحتل لواء طرابلس واللانظية موقعا ومكانة مهمين ضمن ألية وأراضي ولاية بيروت العثمانية، حيث يقعان على سواحل لبنان وسوريا الشمالية، يحدهما لواء حلب من الشمال، ولواء حماة من الشرق، بينما يقع لواء لبنان في الناحية الجنوبية، أما غربا فالبحر الأبيض المتوسط، وهنا نقف عند رواية التميمي التي اقتبسها من المؤرخ الفرنسي "ويتال كينه" وهي أن مساحة اللوئين بلغت حوالي "11779 كم²"²⁵، وفي وصف التميمي لتضاريس المنطقة فإنه اعتبرها من المناطق الجبلية الوعرة والمرتفعة، ففيها جبال النصيريين التي تبدأ من أنطاكية على امتداد الشمال إلى الجنوب، والجبل الأقرع، وهو من الجبال القديمة والتاريخية التي اتخذ منها الفينيقيون مكانا مقدسا لممارسة الطقوس والعبادات على قمته، حيث يقع على ارتفاع 1769 م فوق سطح البحر، اما جبال البلغار فهي تقع في الجهة الشمالية الغربية من أراضي اللوئين، وارتفاعها "1000م" فوق سطح البحر، وهناك جبل شعر من ناحية الكلية التابع لقضاء جبلة، وارتفاعه عن سطح البحر حوالي "1500م"²⁶ وجبال عكار التي تعتبر من سلسلة جبال لبنان²⁷.

يتمتع لواء طرابلس واللانظية بوفرة من الأنهار والأودية المائية، التي تكونت بفعل تساقط الأمطار أو ذوبان الثلوج، ومن تلك الأنهار "نهر العاصي" الذي ينبع من بعلبك، ويجري في واد عميق ضيق، محدثا مستنقعات مائية وبحيرات صغيرة، يمر بحمص وحماة وينعطف إلى الجنوب الغربي بين جبال النصيرية وأدلب ليحدث وادي أنطاكية، وهو أهم نهر يمر في القسم الشمالي من سوريا، وهناك جداول وأنهار مائية صغيرة في طرابلس واللانظية، منها، "قنديل"، يصب في البحر بالقرب من قرية صليب التركمان، و"فرشيش"، منبعه من جبال باير، ويصب في منتهى الحد الشمالي للواء اللانظية، و"النهر الكبير"، وينبع من الجبل الأقرع في قضاء جسر الشغور التابع لولاية حلب، مارا بناحيتي باير وبوجاق من أعمال اللانظية، ويصب في البحر، و"صنوبر"، الذي ينبع من جبل الكلية ويصب في البحر بالقرب من قرية صنوبر في قضاء جبلة، و"المضيق وروس" ويخرج من الجبال ويصب في البحر بالقرب من جبلة، و"برغل"، ويخرج من محجر يسمى

بالشيخ حسن في قرية كفرون من ناحية حذور ويصب في البحر جنوب جبلة، و"نهر السن أو الأبترا"، الذي ينبع من جبل الكلبية ويصب في البحر قريبا من قرية عرب الملك التابعة لجبلة، ولوفرة مائه تسقى منه جميع الأراضي المجاورة، ونهرا "حريصون ومرقبة"، اللذان ينبعان من جبال الكلبية ويصبان في البحر قريبا من المتن، ونهر "زمزين" شمالي بانياس، و"النهر الكبير"، وينبع من الجانب الشرقي لجبال لبنان، ويصب في البحر بين طرطوس وطرابلس الشام، و"نهر ابو علي"، الذي ينبع من جبال لبنان ويروي أنحاء طرابلس مارا بقصبته فيشطرها نصفين، ويصب في البحر²⁸.

بلغت مساحة ولاية بيروت الزراعية وفق سياسة الدولة العثمانية التي أخضعت الأراضي الزراعية إلى أكثر من نوع من أنواع الضرائب، مما اضطرها إلى إجراء نظام إحصائي دقيق لقطع الأراضي المزروعة ومساحتها وأماكن وجودها وتوزعها على الدوائر الإدارية التابع لها، وقد بلغ عدد هذه القطع في ولاية بيروت لعام 1298هـ/ 1880م، "601248 قطعة"، بلغت مساحتها حوالي "7603339 دونما"، توزعت على قرى سناجق الولاية على النحو التالي: "سنجق ولاية بيروت" 70683 قطع، مساحتها "775732 دونما"، تملكها "335 قرية"، وفي سنجق لواء طرابلس الشام، فقد بلغ عدد القطع "155042 قطعة"، بمساحة مقدارها "2118480 دونما"، تملكها "937 قرية"، أما في سنجق لواء اللاذقية فكان عدد القطع "209844 قطعة"، بمساحة مقدارها "1406575 دونما"، تملكها "932 قرية"، وفي سنجق لواء عكا بلغت قطع الأراضي الزراعية "39866 قطعة"، ومساحتها "1566584 دونما"، تملكها "247 قرية"، وفي سنجق البلقاء "125813 قطعة"، بمساحة بلغت "1735968 دونما"، تملكها "253 قرية"²⁹، وارتفعت مساحة الأراضي الزراعية في مطلع القرن العشرين، وهو ما يعني من وجهة نظر المؤرخ اللبناني "الياس جرجس" إحياء للأراضي الموات بصورة مستمرة، حيث بلغت مساحة الأراضي الزراعية في مجمل أراضى ولاية بيروت "15608737 دونما"، توزعت على سناجق الولاية على النحو التالي: سنجق بيروت "2928610 دونما"، وسنجق طرابلس الشام "3394668 دونما"، وسنجق نابلس "3320677 دونما"، وسنجق اللاذقية "4045386 دونما"، وفي سنجق عكا "2919396 دونما"³⁰.

وقد أورد المؤرخ الفرنسي "فيتال كونه Vital Cuinet" في كتابه "سوريا ولبنان وفلسطين"، أن معدل منتجات ولاية بيروت السنوية من المحاصيل الزراعية بلغ "83,023,570" فرنكا، منها: "24,121,880" فرنكا من سنجق لواء بيروت، و"21,100,474" فرنكا من سنجق لواء عكا، و"12,194,290" فرنكا من سنجق لواء طرابلس الشام، و"12,412,595" فرنكا من سنجق لواء اللاذقية، و"13,193,931" فرنكا من سنجق لواء البلقاء³¹، حيث تظهر

تلك الأرقام في واردات سنجق لواء طرابلس الشام وسنجق لواء اللاذقية حجما كبيرا لموارد الولاية التجاري والاقتصادي، الذي بلغ " 24,606,885" فرنكا.

أولا: لواء طرابلس:

يقع لواء طرابلس في القسم الشمالي من ولاية بيروت، ويحيط به لواء جبل لبنان من الجنوب، ومن الشرق لواء حماة، ومن الشمال لواء اللاذقية، ومن الغرب البحر المتوسط، وتبلغ مساحته حوالي 5969 كم مربعا³²، ويتكون هذا اللواء من سهول "جون عرقا" الخصبة، التي تمتد على طول الساحل، وتفصل جبال النصيرية هذا اللواء عن ولاية سورية من الشرق وتمتد من الشمال إلى الجنوب حتى تتكون قريبا من مركز قضاء عكار ويصبح اسمها "جبال عكار"، وفيها الكثير من الجبال، منها "ظهر السوداء" من جبال ضنية، التي يبلغ ارتفاعها عن سطح البحر حوالي 3047 مترا، وارتفاع العقدة التي تتصل فيها جبال عكار بجبال لبنان حوالي 2090 مترا³³. أما الأنهار في اللواء فهي، "أبو علي"، "البارود"، "العميق"، "العرقا"، "العويق"، "الشيخ زناد"، "النهر الكبير"، "الشلالات"، "الأبرش"، "الصاروت"، "الغمقة"، و"الحصين"، وجميعها تنبع من جبال عكار وحصن الأكراد، وتصب في البحر المتوسط³⁴.

أما طقس لواء طرابلس فمعتدل وحرار ورطب بشكل عام، بينما هو بارد في ناحية الضنية وقراها الواقعة على السفح الغربي في "جبل القضيبي" من سلسلة جبال لبنان بسبب ارتفاعها عن سطح البحر، حيث يبلغ ارتفاعها حوالي "3035 م"، والحرارة في درجتها الوسطى هي 16,5 درجة، وتكون في الصيف 25 درجة، وفي الشتاء 9 درجات، والحرارة في الربيع والخريف لا تنخفض عن 16 درجة، وفي كانون الثاني تشتد سيرة البرد لتصل درجة الحرارة إلى 1,5 درجة³⁵. وأما رياح المنطقة فهي في الغالب رياح شرقية شمالية، وغربية جنوبية بصورة دائمة، أما رياح الجنوب والشمال والشرق والغرب الشمالي، فتهب بأشكال نادرة، بينما يهب من جهة الغرب الجنوبي رياح السموم³⁶، وقد تشتد سيرة الشتاء في شهر كانون الثاني وشباط حيث تهطل الأمطار بغزارة دون انقطاع ويسقط الثلج على أكثر مناطق اللواء، ويكون بسمك (10 - 15) سم، بينما يصل سمك الثلوج في منطقة ضنية إلى أكثر من ثلاثة أمتار³⁷.

السكان:

يؤكد "التميمي"³⁸ أن القیود الرسمية لسنة 1331هـ/ 1912م أثبتت أن مجموع سكان لواء طرابلس الشام من ذكور وإناث هو (176525) نسمة، منهم (119037) من المسلمين والنصيريين والباقي (59488) من غير المسلمين، حيث يقع لواء طرابلس بالنسبة لألوية الولاية في الدرجة الثانية بعد بيروت، بالنظر لازدحام سكانه، وكثرة غير المسلمين فيه، بينما ثلث السكان

المسيحيين من الروم الأورثوذكس، أما عدد الموارنة فبلغ 15 ألفاً، وبما أن مساحة اللواء تبلغ 5969 كم مربعاً، فيكون بهذا نصيب كل كم مربع (29,6) نسمة، مما يدل على الكثافة السكانية الكبيرة التي كانت تعيش في هذا اللواء، الأمر الذي أسهم في تطور الزراعة والتجارة والحياة العامة في هذه المنطقة، والجدول التالي يكشف لنا عن كثافة اللواء السكانية، من خلال عدد السكان وعدد القرى التابعة للواء: "قضاء طرابلس، 66548 النفوس، 96 القرى"، "قضاء عكار، 42363 النفوس، 175 قرية"، "قضاء حصن الأكراد، 29701 النفوس، 176 قرية"، "قضاء صافيتا، 37913 النفوس، 355 قرية"، "بمجموع عام بلغ 176525 النفوس، أما القرى فعددها 802 قرية"، وانقسم لواء طرابلس إدارياً إلى مجموعة من المراكز والنواحي الإدارية التي عملت على إدارة الشأن العام في اللواء، وهي:³⁹

1- مركز قضاء طرابلس الشام:

يقع هذا القضاء في القسم الغربي الشمالي من اللواء، وهو محاط بلواء اللاتينية من الشمال، وبقضاء صافيتا وحصن الأكراد من الشرق، ولواء لبنان من الجنوب، وبالبحر المتوسط من الغرب، وفيه ست نواح، هي: ناحية أرواد، وحذور، وطرطوس، والمنيا، وضنية، ومنية، بالإضافة إلى القرى العشر،⁴⁰ أما مساحة القضاء فتبلغ (6,200,000) نراع قديم مربع، منها (5,000,000) أراض أميرية، و(1,000,000) أراض مملوكة، و(200,000) أراض موقوفة، بينما بلغ عدد سكان القضاء في سنة 1331هـ / 1912م حوالي (66548) ذكورا وإناثا، في حين بلغ عدد الذكور (35470) نسمة، والإناث (32078) نسمة⁴¹، بحيث ينقسم هذا العدد على النواحي كما يلي⁴²: "بلدة طرابلس، 24036 النفوس، 4214 البيوت"، "ناحية المنيا، 8535 النفوس، 1612 البيوت"، "ناحية طرطوس، 5169 النفوس، 869 البيوت، 11 قرية"، "ناحية أرواد، 4053 النفوس، 810 البيوت"، "ناحية منية، 3693 النفوس، 1467 البيوت، قريتين"، "ناحية ضنية، 9807 النفوس، 682 البيوت، 36 القرى"، "ناحية حذور، 4736 النفوس، 346 القرى، 37 قرية"، "القرى العشر، 6519 النفوس، 1475 البيوت، 17 قرية"، "بمجموع عام بلغ 66548 نسمة، 11475 بيتا، 105 قرية".

وقد بلغ عدد المسلمين في طرابلس (49560) نسمة، فيهم عدد يسير من النصيريين، بينما بلغ عدد النصارى الروميين (11124) نسمة، والمارونيين (5657) نسمة، واللاتينيين (20) نسمة، والكاثوليك (46) نسمة، والبروتستانت (69) نسمة، واليهود (72) نسمة⁴³، وبلغت نسبة الولادات في القضاء سنة 1332هـ / 1913م حوالي (1158)، والوفيات (3128)، وفي تلك السنة انتشرت الحمى النمشية (تيفوس) وقضت على العديد من السكان، حيث بلغ عدد الوفيات بهذا المرض حوالي (634) نسمة سنة 1327هـ / 1909م، و(318) نسمة سنة 1329هـ /

1911م⁴⁴، أما بلدة طرابلس منفردة فبلغ عدد سكانها سنة 1332هـ/ 1913م حوالي (24036) نسمة، وفي قسبة المينا (8535) نسمة⁴⁵. بينما كان عدد سكان بلدة طرابلس في سنة 1323هـ/ 1905م حوالي (23436)، وعليه يكون مقدار الزيادة في عشر سنين قليلا جدا، أما الولادات فيها فكانت سنة 1327هـ/ 1909م (455) وسنة 1329هـ/ 1911م (190) وسنة 1332هـ/ 1913م (448) نسمة، وأما الوفيات ففي سنة 1327هـ/ 1909م كانت (171) وسنة 1329هـ/ 1911م (126) وسنة 1332هـ/ 1913م بلغت (1231) نسمة⁴⁶. وكان سبب هلاك (1231) نسمة في سنة 1331هـ/ 1912م هو انتشار مرض الحمى النمشية التي أنشبت مخالبتها القتالة في طرابلس وفنكت بسكانها⁴⁷، وخير ما يكشفه لنا الجدول السابق حالة التنوع السكاني العرقي والديني الذي عاشه لواء طرابلس الشام في بداية القرن العشرين، وهو يعكس غلبة الحياة المدنية على معيشة الناس وحياتهم.

ناحية أرواد: هي في الجهة الشمالية على بعد خمسين كم من طرابلس، كما تبعد ثلاثة كيلومترات عن طرطوس، وهي عبارة عن جزيرة يبلغ طولها 800م وعرضها 500 م، وسكانها حوالي 4053 نسمة وبيوتها 810 بيتا⁴⁸.

ناحية طرطوس: يحدها من الشمال نهر الحصين وناحية خوبي، ومن الشرق والجنوب قضاء صافيتا، ويفصلها عن هذا القضاء نهر الغمقة . وطولها أربع ساعات من نهر الحصين إلى قرية عين الزرقة التابعة لقضاء صافيتا، وعرضها ساعة واحدة، ومساحتها حوالي 16 كيلومترا مربعا⁴⁹، تتألف الناحية من 65,000 دونم ، ولا يستفاد إلا من 40,000 دونم، والباقي عبارة عن أراض رملية أو أراض موات⁵⁰. وتتألف من مركزها الكائن على الشاطئ والمسمى باسمها ومن أربع قرى وست مزارع، ومجموع نفوسها من الذكور والإناث حوالي 5169 نسمة، منهم 3816 مسلمون، و808 من الروم الاورثوذكس، و527 من المارونيين، و18 من البروتستانت، وأشار التميمي إلى انتشار الفقر المدقع في هذه الناحية ، مما اضطر السكان إلى الهجرة إلى أمريكا، فهاجر المسيحيون والمسلمون والنصيريون، حيث بلغ عدد المهاجرين في هذا الوقت حوالي 300 نسمة، ويرسل هؤلاء إلى عائلاتهم في كل سنة ما مقداره 5000 ليرة⁵¹.

2 - مركز قضاء عكار

يعد قضاء عكار من المناطق الجبلية الممتدة من الجهة الشرقية إلى الشمال من مركز لواء طرابلس الشام، ويحده من الشمال قضاء صافيتا وحصن الأكراد، ومن الشرق قضاء حمص، ومن الجنوب لواء لبنان ثم البحر الأبيض من الغرب، وطوله سبع ساعات ونصف من قرية (عدوة) الكائنة على حدود ناحية ضنية إلى قرية (خرية الغزال) القريبة من قضاء صافيتا⁵²، أما مساحة قضاء عكار فتبلغ (376841) دونما، منها (285163) دونما من الحقول، و(9028) من أشجار

التوت والزيتون، و(2562) من الكروم والبساتين، وما تبقى (30082) دونما خصصت لمراعي الحيوانات⁵³. أما عدد سكان قضاء عكار لسنة 1332هـ/1913م فيأتي على النحو التالي: "المسلمون، 9770 ذكرا، 10537 أنثى"، "الروم الأرثوذكس، 6967 ذكرا، 5852 أنثى"، "الكاثوليك، 356 ذكرا، 313 أنثى"، "البروتستانت، 185 ذكرا، 175 أنثى"، "فيكون المجموع العام لسكان قضاء عكار من الذكور 21467، بينما بلغت الإناث 20896، بمجموع كلي 42363 نسمة".

بلغ عدد سكان عكار سنة 1323هـ/1905م حوالي (30912) نسمة، فتكون الزيادة في مدة عشر سنين (11451) نسمة، أما الولادات في هذا القضاء فكانت في سنة 1327هـ/1909م (263)، وسنة 1329هـ/1911م (525)، وسنة 1330هـ/1911م (180)، وأما الوفيات فكانت (95) و(164) و(157)، في السنين الثلاث، ومن المؤكد أن هذه الأرقام حررت في سجلات النفوس بحسب الأهواء ورجم الظنون⁵⁴، بينما ينقسم القضاء إلى ثلاثة أقسام حسب طبيعة التكوين، أولها: السهول، وأراضيها عبارة عن أتربة لحقية كما هو الحال في سهول طرابلس وهي تربة غنية وخصبة جدا، وثانيها: الوسط، وثالثها: الجرد، ويرتفع أولها عن سطح البحر ما بين 300 - 600 متر، وثانيهما 1000-1500 متر، وثالثهما أعلى نقاط هذا القضاء، وهي أراض مغطاة بالأشجار الحرجية الكثيفة⁵⁵، وصناعة الحرير أرقى من غيرها من الصناعات في هذه الناحية، وأن ثمانية أعشار الواردات التي تحصل من هذه الناحية، هي من تلك الصناعة، وهي ناحية الوسط، ويوجد في قرية قبيات وعندقيب ستة مصانع للحرير، وتكاد تنحصر في الموارد الذين يعيشون في عكار⁵⁶. إن مركز عكار هي قرية حلبا الكائنة بين (34-35) درجة من العرض الشمالي و(45،33) درجة من الطول الشرقي، وترتفع عن سطح البحر بمقدار ثلاثين مترا، ومجموع عدد سكانها من ذكور وإناث (1170) نسمة، منهم (517) من المسلمين، و(525) من الروم الأرثوذكس، و(128) من المارونيين⁵⁷، ويزعم البعض أن (13790) شخصا من مجموع سكان قضاء عكار يشتغلون بالزراعة، بينما هناك 13 شخصا يتعاطون التجارة، و(1857) شخصا عاطلون من العمل⁵⁸.

ثانيا: لواء اللاذقية

يقع لواء اللاذقية في الشمال الأقصى من ولاية بيروت على (25،33-34) درجة من الطول الشرقي و(35،55-35) درجة من العرض الشمالي، يحده من الشمال ناحية الأوردو من أعمال حلب، ومن الشرق لواء حماة، ومن الجنوب لواء طرابلس الشام، ثم من الغرب البحر الأبيض المتوسط، ومساحته تناهز (5810) كيلو متر مربع⁵⁹، وهي منطقة موفرة الجبال، وإن جبل الأكراد من الجبال التي تفرق اللواء عن ولاية حلب في الشمال، وعن لواء حماة في الشرق،

وينقسم في الشمال إلى قسمين، الغربي والشرقي، فالشعبة التي تتصل بسلسلة جبال دريوس وعمامرة، ثم إن جبال العمامرة والكلبية والشعرة والنواصرة والودي والقراحلة وقدموس، ليست إلا مرتفعات لجبال النصيرية التي تمتد من أقصى شمال اللواء إلى الجنوب، وأن أعلى هذه الجبال هو جبل شعرة الذي يبلغ ارتفاعه عن سطح البحر (1500) متر⁶⁰، أما الأنهار في هذا اللواء فكلها تصب في البحر الأبيض، بسبب امتداد جبال النصيرية من الشمال إلى الجنوب، وأكثر هذه المياه ضيقة المجاري، وأشهر هذه الأنهار: الصنوبر والمضيق والرؤس وعرب الملك أو نهر السن والمرقية ووادي قنديل وكشيش والكبير ونبع العشرة⁶¹، ينقسم لواء اللاذقية إلى ثلاثة أقاليم رئيسية، هي: الإقليم الغربي، وفيه تهب الرياح البحرية، ومعدل الحرارة في الإقليم (17-18) درجة، وتصل درجة الحرارة في أيام الصيف إلى (35)، والقسم الثاني: الإقليم المتوسط، وهو كناية عن التلال والوديان التي لا يزيد ارتفاعها عن (300-400) متر، وهو شديد الحرارة ومنخفض البرودة، أما الإقليم الثالث: الإقليم الشرقي، وهو عبارة عن الجبال والتلال التي يتراوح ارتفاعها عن سطح البحر بين (600 و2000) متر، وتهبط الحرارة إلى (5-7) درجات تحت الصفر، ويكثر فيها الانجماد، أما من حيث الزراعة، فالإقليم الغربي والمتوسط يصلحان لغرس أشجار الليمون والتين والكروم، وزراعة الحبوب المتنوعة، والنباتات الصناعية والزيتية، بينما يصلح الإقليم الشرقي للأشجار غير المثمرة⁶²، أما سكان لواء اللاذقية وحسب القيود الرسمية لسنة 1331هـ/1912م فقد بلغ حوالي (147698) نسمة من الذكور والإناث، منهم (11963) من النصارى، والباقيون من المسلمين والنصيريين، أما النصارى فمنهم (85%) من الروم الأرثوذكس، والباقيون من المارونيين والبروتستانت والأرمن واللاتين، وبما أن مساحة اللواء تبلغ حوالي (5810) كيلو متر مربع، يكون نصيب كل واحد منه (25،25) نسمة⁶³، أما تقسيمات اللواء الإدارية فجاءت على الترتيب التالي:

الأقضية	النواحي	عدد القرى	عدد السكان
مركز قضاء اللاذقية	باير وبسيط	181	51259
قضاء جبلة		306	28651
قضاء صهيون		434	32972
قضاء مرقب	قدموس وخوابي	569	34816
المجموع		1490	147698

وعليه فإن مساحة لواء اللاذقية تبلغ ثلاثة ملايين ونصف من الدونمات، ولأن أكثر القرى لم تدخل أراضيها في القيود الرسمية فاعتبرت التقادير اعتبارية، ولهذا نرى مجموع الأراضي عبارة عن (1447700) دونم، وتتوزع على النحو التالي⁶⁴: "مركز قضاء اللاذقية، 374834

دنماً"، "قضاء جبلة، 253121 دونماً"، "قضاء صهيون، 396092 دونماً"، "قضاء مرقب، 386953 دونماً"، "المراعي، 36700 دونم"، بما مجموعه "1447700 دونم مربع".

1- موقع قضاء اللاذقية: يقع في الشمال الغربي من لواء اللاذقية، ويحده من الشمال ولاية حلب، ومن الشرق قضاء صهيون، ومن الجنوب قضاء جبلة، ومن الغرب البحر الأبيض المتوسط، وتقدر مساحة هذا القضاء بحوالي (374834) دونماً، يزيد المزروع منه على (213900) دونم، أما عدد سكان القضاء وفق القيود الرسمية لسنة 1332هـ/ 1913م، فهو على النحو التالي⁶⁵:

يكون مجموع سكان قضاء مركز اللاذقية حوالي (51259) نسمة، منها (4525) من النصارى، و(107969) من النصيريين، و(25938) من السنين، أما الولادات لسنة 1328هـ/ 1910م فهي (193) نسمة، وسنة 1332هـ/ 1913م فهي (728) نسمة، ومقدار الوفيات في هاتين السنتين (297) و (1393) نسمة، بينما بلغ عدد الأتراك في القضاء وفق القيود الرسمية على النحو التالي⁶⁶: "ناحية قرى الخزينة، 1766 نسمة"، "ناحية قرى البسيط، 2791 نسمة"، "ناحية قرى باير، 3027 نسمة"، بما مجموعه "7584 نسمة".

قصبية اللاذقية: تعد قصبية اللاذقية مركزاً لإدارة اللواء الكائنة في الدرجة (35،31) من العرض الشمالي، وفي الدرجة (33،39) من الطول الشرقي، مبنية على هضبة ترتفع عن سطح البحر مقدار عشرين متراً، جميلة المنظر، والسهول الموجودة فيها في الشرق والجنوب هي سهول خصبة تسقى من النهر الكبير الذي يقطعها على امتدادها، وعدد سكان القصبية وفق إحصائية سنة 1332هـ/ 1911م حوالي (387،20) نسمة من الذكور والإناث، وتأتي تالياً⁶⁷: "المسلمون، 8196 ذكراً، و8358 أنثى"، "الأورثوذكس، 1649 ذكراً، و1524 أنثى"، "اللاتين 12 ذكراً، و9 أنثى"، "المارونيون، 217 ذكراً، و145 أنثى"، "البروتستانت، 41 ذكراً، و43 أنثى"، "الأرمن، 97 ذكراً، و86 أنثى"، "المجموع العام للذكور والإناث 20387 نسمة". بينما بلغت الولادات في سنة 1328هـ/ 1910م، 1930 نسمة، وسنة 1332هـ/ 1913م حوالي (728) نسمة، بينما الوفيات بلغت في تلك الأعوام (297) و(1393)، وفكرة الهجرة إلى أميركا متفشية بين المسيحيين الذين يبلغ عددهم حوالي (3833) نسمة⁶⁸.

2- الزراعة في لواء طرابلس

أ- المحاصيل الزراعية:

تعتبر أراضي مركز قضاء طرابلس خصبة، وغرس في أكثرها شجر الزيتون والليمون، أما معظم الأراضي في النواحي المربوطة بالمركز فهي منقسمة إلى مزارع تزرع إما من قبل أصحابها،

أو بطريق الإيجار وإما بشركة المناصفة، وللشركة شكل آخر، وهو أن صاحب الملك يدفع أراضيه للشريك، وهذا عليه البذر والعمل، ويكون لصاحب الملك من الوارد ثلثه أو رבעه، أما العشر فيكون من المجموع، ولهذه الشركة شكل آخر أيضا، وهو أن صاحب الملك يضع البذور والآلات والحيوانات، ويكون على المزارع العمل فقط، ويأخذ ربع الوارد لقاء عمله، وهذا الشكل معروف من القديم وهو الشائع في هذه الأنحاء⁶⁹، بينما تتراوح الأجرة اليومية التي يدفعها صاحب الملك لمن يستخدمهم في الحصاد بين خمسة قروش وعشرة، أما في الأيام العادية فأجرة العامل أو الحارس أو الراعي تكون مقطوعة وسنوية، ومقدارها الوسطى ثمانية شنابل (180 أقة) من القمح وكيلان (145 أقة) من البرغل، ويعطى لرئيس العمال والشحنة في السنة (10-15) شنبلًا من القمح⁷⁰.

والأراضي التي تستعمل لزراعة البقوليات تثمر مرتين في السنة، بفضل العناية التي تصرف عليها، أما السمد فإنه يستعمل في مشجر الليمون وبعض مزارع الزيتون، أما الأراضي التي خصصت للزرع الخفيف فلا تسمد إلا مرة كل ثلاث سنوات⁷¹، أما الآلات الحراثية التي تستعمل في اللواء فهي على حالة بدائية جدا، ومع هذا فقد شرع أرباب الزراعة يستعملون الآن آلة الغريلة وآلة الحراثة ذات السكك العديدة، وأخذوا يدركون فائدتها، ولم يكن في جميع اللواء قبل خمسة عشر عاما ولا آلة واحدة للحصاد، وفي سنة 1329هـ/1911م ابتاع الأهالي أكثر من مائة واحدة منها⁷²، أما بالنسبة لزراعة المحاصيل الصيفية مثل زراعة الذرة الصفراء والبيضاء والسسم، يكون عادة في شهر نيسان ومارس، وموسم المزروعات الشتوية في شهري تشرين، والحصاد يكون في لواء طرابلس في أول مارس للشعير، وفي أواخره للقمح والسسم، والذرة الصفراء تنضج في شهر أغسطس وأيلول⁷³، أما ناتج اللواء من حيث حجم الأراضي المزروعة بالدونم، والغلة ب كغم: "القمح 290000 دونم، 2180000 كغم"، "الشعير، 130000 دونم، 910000 كغم"، "الذرة البيضاء، 90000 دونم، 210000 كغم"، "الذرة الصفراء، 40000 دونم، 200000 كغم"، "الحمص، 2500 دونم، 15000 كغم"، "الفل، 1900 دونم، 15200 كغم"، "السسم، 30000 دنمًا، 60000 كغم"، "العدس 13500 دونم، 37500 كغم"، "الجلبان، 27500 دونم، 53500 كغم".

كما يوجد في اللواء 190000 شجرة زيتون، يعصر منها في كل سنة (9500000) أقة من الزيت، و66000 كيلو غرام من الشرائق لقاء تربية 22000 علبة بذر⁷⁴، ومن الأمثلة على المستغلات الزراعية في قضاء طرابلس⁷⁵: "القمح 50000 دونم، 500000 كغم"، "الشعير 20000 دونم، 140000 كغم"، "السسم 3000 دونم، 6000 كغم".

المستغلات الزراعية في ناحية طرطوس⁷⁶: "القمح، 500000 كغم"، "الشعير، 150000 كغم"، "الذرة البيضاء، 20000 كغم"، "الفل، 3000 كغم"، "الحمص، 3000

كغم"، "الترمس، 1400 كغم"، بينما تخمن الأراضي المغروسة بأشجار الزيتون والتين فيها بمقدار 15000 دونم، وقد جاء ذكر ذلك ضمن جدول سنة 1331هـ/ 1912م⁷⁷.

ومعلوم أن الأراضي المحيطة ببلدة طرابلس تتألف من الترب الذي يجرفه نهر أبو علي من الربوع اللبنانية، وهي على جانب عظيم من الخصوبة وقوة الإنبات، بسبب ما يتراكم فيها من فتات الأحجار الكلسية والصوانية وذرات الصلصال التي تنهال عليها من أصقاع لبنان يروي بساتين الليمون التي تمتد حتى ساحل البحر، وأن جميع المرتفعات هناك مكسوة بأشجار الزيتون، بينما يبلغ اتساع بساتين الليمون مقدار (2500) فدان (كل فدان خمسة دونمات)، وقيمة كل فدان تتراوح بين 20-25 ألف قرش، وكان يصدر من طرابلس قبل نشوب الحرب العالمية إلى إستانبول ورومانيا وروسيا حوالي 400000 صندوق من الليمون في كل سنة، فإذا اعتبرنا ثمن الصندوق ريالاً مجيدياً على الأقل، نعلم أن طرابلس تربح من الخارج في كل سنة ثمانين ألف ليرة، وأن قيمة ما يصرف من الليمون في بيروت وحمص وحمما وغيرها من البلاد المزدهمة بالسكان تقرب من 25-35 ألف ليرة أيضاً، وعلى هذا يكون ربح أرباب البساتين في طرابلس مقدار 100-130 ألف ليرة سنوياً⁷⁸

الغلال الزراعية في قضاء عكار:

أكثر مناطق قضاء عكار جبليّة، ومع ذلك يوجد فيها سهول جيدة وخصبة، وتجري فيها الأنهار، ومن الأمثلة على مستغلاتها الزراعية⁷⁹: "القمح، 70000 دونم، 490000 كغم"، "الشعير 40000 دونم، 280000 كغم"، "الذرة البيضاء، 20000 دونم، 60000 كغم"، "السمسم، 25000 دونم، 50000 كغم"، في المقابل فقد تم تربية 6000 علبة من بذر الحريز، واستغل منها 18000 كغم من الشرائق⁸⁰.

ب - الأحراج

احتلت الأحراج مناطق كثيرة في لواء طرابلس الشام، وأهم المناطق التي تكاثرت فيها الأحراج، هي عكار وضمنية، تبدأ هذه الأحراج التي تشغل قريبا من (150) ألف دونم من قرى (غابات وتحفت) وتمتد إلى أواخر حدود الضنية، وتوجد على السفوح التي يزيد ارتفاعها عن 1500 متر عن سطح البحر، وأن أحراج قبابات عنعنعت، وأرمون، وعرض الحريق، وروبر، وجورديري، ووادي جهنم، وقاطر فريم، وضمنية هي من فروع هذه السلسلة، أما الأشجار التي توجد في الأذيال، والسفوح القريبة من الأذيال فهي من نوع السنديان، الصنوبر، والععرع وهي تصلح لأعمال الألواح والأخشاب القصيرة التي يمكن استعمالها في الأبنية البسيطة، ثم يوجد في الذرى وفوق مقاسم المياه من شجر الصنوبر والأرز ما يبلغ ارتفاعها عشرة أمتار وقطره مترا ونصف، وهي صالحة لأن يستفاد منها في جميع الصناعات، ويقطع من هذه الأحراج في كل سنة

مقدار (10240) قنطارا من الفحم و(5200) قنطار من الحطب، وقد يدخل ميناء طرابلس الشام على طريق البحر مقدار (7000) متر مكعب من أخشاب الأناضول وألواحها في كل سنة⁸¹.

بينما بلغت مساحة الأحراج في لواء اللاذقية حوالي "179000" دونم، ويتراوح محيط الأشجار في أنحاء الساحل بين 30سم ومتر واحد، أما طولها فيكون 3-4 مترات، وتعمل منها أخشاب صغيرة للأبنية، وألواح لأجل القوارب الصغيرة، وتوجد في المناطق المرتفعة أشجار الصنوبر الأحمر والأبيض، ويصلح خشبها للاستعمال في الأبنية، وأهم ما هنالك من الأحراج، هي الأحراج الموجودة في أنحاء باير وبوجان، وتبلغ مساحتها 32 كم²، وتسعون في المائة من الأشجار يتراوح محيطها بين 30-60 سم، وطولها لا يزيد عن 4-5 أمتار، ويندر وجود الأشجار الجسيمة فيها، وإن مقدار تلك الأشجار الحديثة يبلغ 300000 شجرة بشرط إدخال ما تبعثر في الأنحاء المختلفة منها، ويقطع منها ما يقوم بحاجة تلك الأنحاء والقرى القريبة، من أخشاب وغيرها، ثم تعمل منها الألواح المسماة "مير يوم" وتساق إلى الخارج، وقد كان يقطع منها قبل الحرب مقدار 15 ألف قنطار من الحطب وتساق إلى بلدة بيروت⁸²، ويوجد في منتصف هذه الأحراج على حدود إسكندرون قطعة أرض تسمى "توز" تقرب مساحتها من (1000) هكتار وهي مطوقة بأحراج الصنوبر، والأشجار الموجودة هناك هي من شجر البقس الأسود والأحمر، ويمكن أن يعمل من هذه الأحراج مقدار 300 ألف مفحمة في كل سنة دون أن يمس تلك الأحراج ضرر⁸³.

ثانيا: لواء اللاذقية

مجموع أراضي لواء اللاذقية الزراعية حوالي (1447700) دونم، توزعت على مركز اللواء وأقضيته التالية: مركز القضاء، قضاء جبلة، قضاء صهيون، قضاء مرقب، المراعي⁸⁴، بينما توزعت الأراضي الزراعية على النحو الآتي: "الأحراج 270000 دونم"، "الأشجار المثمرة 120000 دونم"، "أشجار الزيتون 150000 دونم"، "بساتين الخضرة 4000 دونم"، "الكروم 11000 دونم"، "ما خص لأنواع الزروع 892700 دونم"، "ما مجموعه 1447700 دونم مربع.

يزرع في هذا اللواء من الحبوب: القمح، والشعير، والشوفان، والذرة البيضاء، والجلبان، والشوفان الأسود، ومن البقول: الحمص، والفول، والعدس، ويزرع التبغ والتنباك في جميع أنحاء اللواء، ومن عاداتهم في الزرع أن يخصصوا ثلث الأراضي المعدة لزراعة الحبوب للقمح، وبما أنهم يبدلون المزارعين في كل سنة، لا بد للمزارع الجديد أن ينتخب أصلح الأراضي ويترك الأخرى، ولأن الفائدة العائدة إليه تنحصر في سنة واحدة، لا يهتم بتسميد الأراضي ألبتة، وبهذا تفقد تلك الحقول قدرتها الطبيعية على الإنبات، ثم إن السكة التي تستعمل للحراثة عقيمة جدا وغير صالحة، وقبل بضع سنين جمع الأهالي مقدارا من النقد بنصيحة من "إبراهيم أفندي" مأمور

الزراعة⁸⁵ حيث جلبوا بواسطة إدارة الولاية عدة محارث مختلفة الأنواع، بسكك متعددة، واستحضروا من إزمير ومرسين سكا حديدية، وشرعوا يستفيدون من استعمالها، ولكن ما لبثت هاتيك المساعي أن وقفت بسبب الظروف. لا يهتم في هذا اللواء بإحياء الأراضي المواتية وإحضار الحقول الزراعية، وهناك كثير من الأراضي التي لا تحتاج إلا للتفجير فقط، ويمكن أن تزرع فيها الأشجار على اختلاف أنواعها، ولكن الإهمال جعلها ميتة متروكة، ولهذا السبب اضطر أولئك السكان إلى استعمال السرقيين بدلا من المحروقات الشجرية⁸⁶، فإذا كانت الأراضي مقدار 150-200 دونم وخصص لحراستها فدانان تسمى "الصمد"، وإذا كانت مقدار 80-100 دونم وخصص لحراستها فدان واحد تسمى "الجوز"، ثم إذا كان مقدارها 20-50 دونم ولو حرثت بفدان واحد تسمى "شكارة"⁸⁷، وقد أورد التميمي بالتفصيل في رحلته معظم أنواع المحاصيل التي كانت تزرع في لواء اللاذقية فلتراجع هناك⁸⁸، ومن الأمثلة التي يكشفها التميمي في رحلته إلى ولاية بيروت حجم صادرات لواء اللاذقية إلى الخارج سنة 1329هـ/ 1911م⁸⁹ : "البيض، 8228434 بيضة"، "كيس الزيتون، 51144 أقة"، "التين اليابس "القطين"، 623173 أقة"، "الحمص، 569908 أقة"، وزيادة على هذه المقادير فقد بيع في الداخل 50 ألف كغم من القمح، و90 ألف أقة من الذرة، وصدر من التبغ والتبناك الذي بلغ مقداره زهاء مليوني أقة قسم عظيم إلى أوروبا، ثم إلى سائر البلاد العثمانية، بواسطة شركة التبغ وشركة إيميريال⁹⁰، ثم إن الزيتون هو من أهم الغلال الزراعية في هذا اللواء، وله ثلاثة أنواع "الخضيري، الدرملالي، الحريصوني"، ويوجد منه في قضاء المركز (46878) شجرة، وفي جبلة (3000) وفي صهيون (6000) وفي مرقب (65000) شجرة، ويقول مأمور الزراعة إنه يوجد (200000) شجرة غرست أو طعمت حديثا، ويزعم أن مقدار الزيت الذي يعصر من هذه الأشجار في كل سنة يبلغ (640000) أقة⁹¹، أما الغلال السنوية في قضاء مركز اللاذقية من حيث مقدار الأراضي المزروعة بالدونم، ومقدار الغلات /كغم فهو على النحو الآتي:

"القمح، 100000 دونم، 80000 كغم"، "الشعير، 40000 دونم، 280000 كغم"، "الذرة البيضاء، 20000 دونم، 60000 كغم"، "الحمص، 10000 دونم، 60000 كغم"، "الفل، 10000 دونم، 60000 كغم"، "السسم، 3000 دونم، 6000 كغم"، "العدس 1000 دونم، 3700 كغم"، "الجلبان 5000 دونم، 30000 كغم"، ثم يستغل على الحساب المتوسط في كل سنة مقدار (500000) كغم من التبغ في أراض تبلغ مساحتها (15000) دونم⁹².

الصناعات الزراعية:

أ- صناعة الصابون:

كان للمساحات الكبيرة التي تزرع بأشجار الزيتون في طرابلس، والتي بلغت 2500 فدان، وعدد الأشجار ناهز ثلاثين ألفاً، تنتج حوالي (10.500.000) أقة من الزيت، وهو محصول فياض، دور في دفع الطرابلسيين للإقبال على صناعة الصابون من زيت الزيتون منذ أمد بعيد، وكل سنة يطبخ من الصابون مقدار (1200) قدر (طبخة)، تنهياً تلك القدور بالنطرون وكاربونات الصودا في ظرف أربع وعشرين ساعة، لا في ثمانية أو ثلاثة أيام كما هو الحال في نابلس، وقيمة كل طبخة على الحساب المتوسط (120) ليرة، ووزنها يقرب من عشرين قنطاراً، أما في نابلس فإن قيمة الطبخة (287) ليرة، ووزنها 20-22 قنطاراً، فإذا بيع القنطار بألف وخمسمائة قرشا وهو سعره المعتاد في أيام السلم، تبلغ قيمة الطبخة 34000-35000 قرشا، ويكون ربحها المتوسط مقدار 50-70 ليرة، أما طبخة طرابلس فيزعم تجارها أنها لا تربح أكثر من 20-25 ليرة، وأن ربع تلك الطبخات التي تبلغ في عددها مقدار (1200) واحدة يخص آل الذوق، والربع الآخر لأسرة عدرة، والربع الثالث لأسرة عويضة، ثم ينقسم الباقي بين من يشتغل بتلك المهنة من التجار⁹³، وفي طرابلس لا نرى إقبالا على عمل الصابون المعطر كما هو الحال في نابلس.

وفي التقرير الذي أعده "E.Guiot" عن "تجارة جبل لبنان وسورية" من بيروت عام 1308هـ/ 1890، أشار إلى أن عدد المصابين في طرابلس الشام هو إحدى عشرة مصنعة، وكانت هذه المصابين تعمل مدة ستة أشهر في السنة، وقد بلغ ما صدرته طرابلس في العام الواحد "1,664,729 كغم"، بلغ ثمنها "998,837 فرنكا"، وقد جرى توزيعها وفق التالي: "789,398 كغم إلى تركيا بلغت قيمتها 473,639 فرنكا"، وإلى "مصر 480,246 كغم ثمنها 288,146 فرنكا"، وإلى "قبرص 388,985 كغم ثمنها 233,391 فرنكا"، وإلى "مرسيليا 6,100 كغم ثمنها 3,660 فرنكا"⁹⁴.

ب - صناعة الحرير:

تعد صناعة الحرير من الصناعات الرئيسية التي اشتهرت بها طرابلس الشام، بل عدت من أهم ثروات سكان سنجق طرابلس الشام، بل يروى أنه كان في طرابلس قبل هجوم الصليبيين عليها (4000) مصنع لنسيج الحرير، أما اليوم فقد هبط هذا العدد إلى (200) مصنع⁹⁵، نسجت المناطق الحريرية الزرقاء الظريفة، والشالات، وأقمشة القمصان والحبرات الحريرية والمناديل والكك وغيرها من النسيج الحريري، ومع ذلك فإن مصنوعات الشام هي أطرف وأمتن من هذه، بينما يتحصل في لواء طرابلس الشام والقسم الشمالي من لبنان كل سنة مقدار (300) رزمة من بالية من الحرير، و(270000) كغم من الشرائق، وكانت هذه البضاعة ترسل مباشرة إلى معامل

ليون الفرنسية، وقبل الحرب العالمية الأولى بسنتين شرع تجار الحرير ببيع عُشر محصولهم إلى معامل إيطاليا، وتباع في فرنسا رزمة الحرير الطرابلسي الذي هو أقل ظرافة ومثانة من الحرير الياباني والصيني بثمن يتراوح بين 45-60 فرنكاً، وثمن الأفة من الشرائق يتراوح بين 18-28 قرشاً، وتجارة الحرير في طرابلس هي في أيدي الأسرتين الذوقية والعذرية، هذا وإن اشتغل الطرابلسيون في استحصال الشرائق، فإن هذه الصناعة دانت لعادات لبنان وكادت تنحصر بهم، لأن الفرنسيين الذين أدخلوا هذه الصناعة إلى سورية، أسسوا أكثر معاملهم في لبنان وعلموا أهلها تلك الصناعة، وأن الصناعة الحريرية في طرابلس أصيبت في الزمن الأخير بالتقهقر والإهمال فأصبحت اليوم وهي على شفا التلاشي، وحماية هذه الصناعة التي تجني منها البلاد الأرباح الوافرة، هي من الوظائف المحتملة على الحكومة اليوم⁹⁶.

ج - صناعة التبغ:

إن معظم الدخل الزراعي في لواء اللاذقية يكون من التبغ والتبناك، وأهم أنواع التبغ الذي يستحصل هنا هو الجنس الأهلي الذي يسمونه "شك البنت" و"المهلوبي"، ثم ذو الرائحة الذي جلب بذره من سامسون، وتكون كيفية استحصاله كاستحصال التبغ الغلوصي، ثم يستحصلون من تبغ "شك البنت" نوعاً يسميه الأهليون "أبو ريحة" يرغبه الأنجليزيون، وكيفية استحصاله تكون على الطريقة التالية:

"تسلك أوراق التبغ في الأسلاك، ثم يعقلونها في سقوف البيوت، إلى أن يدخل موسم الشتاء، وهناك يحرقون في تلك البيوت حشيش "زندكين" ويبخرون أوراق التبغ بدخان مده، ثم يجمعونه ويكدسونه في الأكياس، وبما أن هذه العمليات التبخرية تكون في داخل بيوت السكنى لا تخلو من الإضرار بصحة الأهليين، ولهذا لا يسوغ إبقاء هذا الأصول على هذه الكيفية، ومن المحتم على الحكومة، بل على شركة الدخان التي تبيع أضعاف ما تؤديه إلى الحكومة من المقادير، أن تلتفت إلى هذا الأمر، وتؤسس لاستحصال "أبو ريحة" معامل خصوصية تراعي فيها القواعد والتدابير الفنية، وتصون ثروة البلاد وحياة العباد من هذا الضرر الملموس"⁹⁷.

ويمكن أن يكون التبغ الذي يستحصل في اللاذقية أحسن من تبغ أزمير، وغيرها من البلاد العثمانية، ولكنه اليوم لا يؤمن للقرويين دخلاً يستحق الذكر، لأنهم محرومون من جميع الوسائط والتدابير الفنية التي يرجع إليها في زرع هذا النبات واستحصاله، وهم يجهلون كيفية أعمال اللفائف أيضاً، ثم إن إهمال شركة الدخان من جانب، وتحاملها على القرويين من جانب آخر جعل استحصال هذه المادة مشكلاً صعباً⁹⁸.

كما وسعت الحكومة نظام شركة التبغ، بمناسبة استقرارها منها مليوناً ونصفاً من الليرات، وذلك بعد انتهاء الحرب الطرابلسية، وأصدرت قانوناً مؤقتاً، في 8 نيسان سنة 1330هـ/

1911م، منعت فيه زرع جميع أنواع التبغ في لواء اللاذقية، واستثنت منه نوع "أبو ريحة" فقط، وقضت على القرويين باستحصال الرخصة قبل الزرع من شعبة الشركة في اللاذقية، واعتبرت الشركة مختارة بإعطاء الرخصة أو عدم إعطائها، على أنها تضطر لأن تعلم صاحب الطلب بسبب الرد، وإن لم تجده فعليها إعلام مختار قريته بالكيفية، ولا جرم أن الواجب في هذا الأمر الإقبال على استثمار هذه الأراضي الصالحة لزرع التبغ، والتذرع بالتدابير الفنية التي تزيد استعدادها، وإلا فإن الحجر والتحديد يضر بمصلحة البلاد الاقتصادية، ثم إن القدرة التي منحها هذا النظام للشركة بخصوص التخمين لا تنطبق على منفعة البلاد، وهي تحتاج إلى التخفيض، وقد جاء في المادة "12" من هذا النظام ما معناه:

"تتألف لجنة التخمين من مخمن تختاره شركة الانحصار، وآخر تختاره إدارة الواردات المخصصة في دائرة الديون العمومية، ومن ثالث يختاره مجلس إدارة القضاء، ليكون مخمنا في جميع ذلك القضاء، ويجب أن تعطى إلى المخمن الذي اختارته إدارة الديون العمومية ثم إلى الذي اختاره مجلس الإدارة، أجرة لا تزيد على عشرين قرشا في كل يوم، ومجلس الإدارة هو المسؤول عن تقدير هذه الأجرة وتعيين مقدارها، والمزارعون هم المكلفون بتأدية هذه الأجرة، ويسوغ لإدارة الشركة أن تدفع هذه الأجرة بشرط التعويض، وعليه فإن الشركة تنظر إلى مجموع الخرج بعد إتمام التحرير، وتوزعه على الزراع بنسبة مقدار أراضيهم، ثم تتقاضى من كل منهم حصته حين بيع المحصول"، وهذا يدلنا على أن الشركة تدفع الأجرة ثم تتقاضاها من الزراع⁹⁹، ونصت الفقرة الثالثة من هذه المادة على وجوب تحليف المخمين قبل الشروع بالوظيفة أمام مجلس الإدارة بأن يتوخوا الحياد في التخمين، ولا يinquادوا إلى سلطة أو تأثير إلا ما أوجبه عليهم الوظيفة، ولا يتقصدا الإضرار بالشركة ولا بالمزارعين¹⁰⁰، ثم على الذين لا يرضون بتخمين هذه الهيئة، أن يبينوا اعتراضهم لإدارة الشركة في ظرف خمسة أيام، اعتبارا من تاريخ تسليم أوراق التخمين إلى مختار القرية، ويطلبوا منها تعيين هيئة ثانية . ثم إن الفقرة الثانية من المادة (26) جديرة بالنظر أيضا، وقد جاء فيها ما معناه:

"يسوغ للجنة التحقيق بعد وزن التبغ الذي يقدمه المزارعون، أن تتحرى مسكنه وسائر أماكنه وما يجاوره من المحلات لتعلم، هل يوجد هناك تبغ مكتوم أم لا؟ وبهذا النص النظامي كان لمستخدمي الشركة حق الدخول على المساكن الخصوصية أيضا، وإذا نقص مقدار ما يسلمه الزراع من التبغ إلى اللجنة الخاصة عن مقدار التخمين، يجبر الزراع على أن يدفع عن كل كيلو غرام ليرة جزاء نقديا"¹⁰¹.

زراعة التبغ وفقا لتقرير مديرية الزراعة في لواء اللاذقية:

"إن زرع التبغ في لواء اللاذقية لم يزل معروفا منذ قرن ونصف، وقد تبين لنا بالتحقيق أن هذه المادة جلبت من ربوع الروم إلي، والتبغ الذي يستحصلونه اليوم لأجل الشرب له أوراق لينة كبيرة وطويلة حمراء تضرب بلونها إلى الصفرة، ورائحتها لطيفة ويسمونه: "شك البنت"، وكان جميع هذا المحصول يرسل إلى أسواق مصر، وقد حدث سنة 1234هـ/ 1818م كوارث عظيمة في البحر لم تمكن أرباب السفن من إجراء السفر، فبقي محصول التبغ في أيدي أصحابه، وبما أنه لا يوجد عندهم مستودعات معدة لهذا الخصوص، اضطر إن ذاك القرويون إلى تعليقه في سقوف بيوتهم، ثم وافاهم الشتاء، فشرعوا يوقدون النار في تلك البيوت على جري العادة، فأصاب الدخان قسما من التبغ وبخره واعتقد القرويون أنه فسد، ولما استحوذوا على المحصول الجديد في السنة الآتية، أرسلوه إلى مصر، وأدخلوا بينه عن غفلة منهم بضعة أكياس من التبغ المبخر، ولما رآه المصريون ظنوه نوعا جديدا وسموه "أبو ريحة" بسبب ما فيه من الرائحة الخاصة التي نشأت عن تبخيره، ولم يلبثوا أن أوعزوا إلى تجار اللاذقية بشراء كمية وافرة منه في الموسم الآتي، وبهذا كان لزراع التبغ الدخل الوافر من هذا النوع الذي ظنوه فاسدا"¹⁰².

إن هذا النوع من التبغ يوضع في بيوت بنيت خاصة لأجله، وهي مستطيلة الشكل ولا يوجد فيها من المنافذ إلا بابا في جهتها الغربية على طول متر وعرض (80 سم) مركوزة في داخلها من الأرض إلى السقف أعمدة رفيعة تبعد عن بعضها مسافة نصف متر، وهذه الأعمدة تنقسم إلى أربعة أقسام، اعتبارا من علو متر عن الأرض، ثم تتصل هذه الأقسام بعوارض، وبهذا يكون داخل البيت عبارة عن أربع شبكات بعضها فوق بعض، وهم ينشرون التبغ على تلك الشبكات ويبخرونه¹⁰³.

رجوعا إلى المؤرخ الفرنسي "فيتال كينه"، فإننا نحصل على أرقام عامة للمحاصيل التي ينتجها لواء طرابلس الشام في سنة 1314هـ/ 1896م، من مختلف أصناف المحاصيل مثل: "القمح 407,856 هكتوليترا، بقيمة 5,077,815 فرنكا"، و"الشعير 44,000 هكتوليترا، بقيمة 412,675 فرنكا"، و"الذرة 24,438 هكتوليترا، بقيمة 244,380 فرنكا"، و"الدخن 19,329 هكتوليترا، بقيمة 193,290 فرنكا"، و"الفول 943,448 كغم، بقيمة 115,100 فرنكا"، و"العدس 393,028 كغم، بقيمة 64,063 فرنكا"، و"الحمص 2,673,950 كغم، بقيمة 355,635 فرنكا"، و"عرق السوس 837,066 كغم بقيمة 184,000 فرنكا"، و"الخضار الطازجة 70,723 كغم، بقيمة 14,000 فرنكا"، و"البطاطا 1,078,382 كغم بقيمة 79,476 فرنكا"، و"البصل 3,524,168 كغم، بقيمة 102,588 فرنكا"، و"ثمار طازجة 452,966 كغم، بقيمة 113,244 فرنكا"، و"الليمون 6,192,948 كغم، بقيمة 588,039 فرنكا"، و"الأترج

8,576 كغم، بقيمة 2,571 فرنكا"، و"التبغ 17,984 كغم، بقيمة 12,408 فرنكا"، و"السّمسم 153,146 كغم بقيمة 115,945 فرنكا"، و"الحريّر 450,000 كغم بقيمة 1,727,390 فرنكا" و"الصوف 1,505,486 كغم بقيمة 1,355,500 فرنكا"، و"قمر الدين 32,800 كغم بقيمة 6500 فرنك"، و"الزبيب 237,990 كغم بقيمة 26078 فرنكا"، و"التين المجفف (القطين) 1,300,000 كغم بقيمة 130,000 فرنكا، و"زيت الزيتون 641,473 كغم بقيمة 705,621 فرنكا"¹⁰⁴. وبذلك يكون إنتاج سنجق لواء طرابلس الشام من المحاصيل الزراعية ما قيمته 12,202,323 فرنكا، أي ما يعادل خمس إنتاج ولاية بيروت كاملة.

أما سنجق لواء اللاذقية فقد بلغت المحاصيل الزراعية كمية وقيمة كما وردت عند "فيتال كينه"، "القمح 400,000 هيكوليتير بقيمة 5,200,000 فرنكا"، و"الشعير 200,000 هيكوليتير بقيمة 1,800,000 فرنك"، و"الذرة 1,000,000 هيكوليتير بقيمة 1,000,000 فرنك"، و"القول 70,000 كغم بقيمة 8,400 فرنك"، و"الحمص 64,000 كغم بقيمة 6,000 فرنك"، و"عرق السوس 1,282,950 كغم بقيمة 250,590 فرنكا"، و"الخضار الطازجة 310,000 كغم بقيمة 49,000 فرنك"، و"البطاطا 350,000 كغم بقيمة 24,000 فرنك"، و"البصل 906,042 كغم بقيمة 25,647 فرنكا"، و"ثمار طازجة 1,500,000 كغم بقيمة 375,000 فرنك"، و"الليمون 2,197,645 كغم بقيمة 196,012 فرنكا"، و"الأترج 12,864 كغم بقيمة 3,856 فرنكا"، و"التبغ 300,000 كغم بقيمة 207,000 فرنك"، و"السّمسم 641,475 كغم بقيمة 192,442 فرنكا"، و"الصوف 500,000 كغم بقيمة 475,000 فرنك"، و"قمر الدين 131,200 كغم بقيمة 26,000 فرنك"، و"الزبيب 118,995 كغم بقيمة 13039 فرنكا"، و"التين المجفف 1,282,950 كغم بقيمة 140,000 فرنك"، و"320,736 كغم وقيمتها 352,809 فرنكا"¹⁰⁵.

خاتمة الدراسة:

بعد هذا التطواف في ثنايا كتاب "ولاية بيروت" في قسمها الشمالي والذي يضم إليه "لواء طرابلس ولواء اللاذقية"، لمؤلفيه "رفيق التميمي، ومحمد بهجت"، تنجلي أمامنا حقيقة تاريخية وهي أن هذا الكتاب يتربع على درجة علمية وتاريخية كبيرة ومهمة، وكيف لا يتمتع هذا الكتاب بتلك القيمة العلمية، ومؤلفاه ممن تمرسوا العمل الرسمي الإحصائي للدولة العثمانية، إلى جانب مهارتهما الكبيرة والواسعة في معرفة اللغات الأجنبية والتي وظائفها توظيفا مجيدا في إخراج الكتاب الأنف الذكر، من خلال الاطلاع على الكتب المعنية بولاية بيروت في فترة الدراسة من مؤلفات فرنسية وألمانية وإنجليزية وعثمانية، يضاف إلى ذلك رحلاتهما الميدانية المباشرة للاطلاع على واقع الحال اطلّعا مباشرا، حيث قاما بمهمة رسمية نزولا عند أوامر الدولة العثمانية التي يمثلها والي بيروت "عزمي بك أفندي"، من أجل البحث والتقصي في القسم الشمالي لولاية بيروت استكمالا لعملهما الأول القسم الجنوبي للولاية، حيث طافا في أنحاء طرابلس وحلب وتل كلخ

وبرمانة وطرطوس وبانياس وجبله وصهيون واللاذقية، ومما زاد من قيمة الدراسة علميا وتاريخيا استخدام الباحثين للقيود الرسمية لسنة 1331هـ/1912م، التي عالجت الوضع السكاني وتوزيع الأراضي على السكان.

وبالطبع، كان لسعة اطلاع "التميمي وبهجت" في دراستهما لأحوال لواءي طرابلس واللاذقية على أمهات المصادر والمراجع، إضافة إلى المشاهدات والمعائنات المباشرة، والاطلاع على السجلات الرسمية للولاية، مع رعاية الدولة العثمانية لعمليهما ومهمتهما البحثية، الأثر الكبير في إخراج دراسة علمية موسوعية دقيقة وشاملة، جاءت لتلبي معظم احتياجات الباحثين في شأن الشام عموما، وولاية بيروت في قسميها الشمالي والجنوبي بوجه الخصوص، بحيث قدمت الدراسة أرقاما إحصائية دقيقة في مساحة الأرض وتعداد السكان، وتعداد الطوائف الدينية، وانتشارها في اللوامين، فبينما مساحة القسم الشمالي لولاية بيروت بـ "11,779 كم²"، منها "5969 كم² هي مساحة أراضي طرابلس"، و"5,810 كم² هي أراضي اللاذقية"، على أن سكان لواء طرابلس وفق إحصائية سنة 1331هـ/1912م بلغت "176,525 نسمة"، منهم "119,037 نسمة" من المسلمين والنصيريين، والباقي من غير المسلمين والبالغ عددهم "59,488 نسمة"، وعليه فيكون لكل كم² ما نسبته "29,9 نسمة"، في حين بلغ عدد سكان لواء اللاذقية "147,698 نسمة"، منهم "11,963 نسمة" نصارى، والباقيون من المسلمين والنصيريين، أما النصارى فمنهم 85% من الروم الأرثوذكس، والباقيون من الموارنة والبروتستانت والأرمن واللاتين، وعليه فيكون لكل كم² ما نسبته "25,25 نسمة".

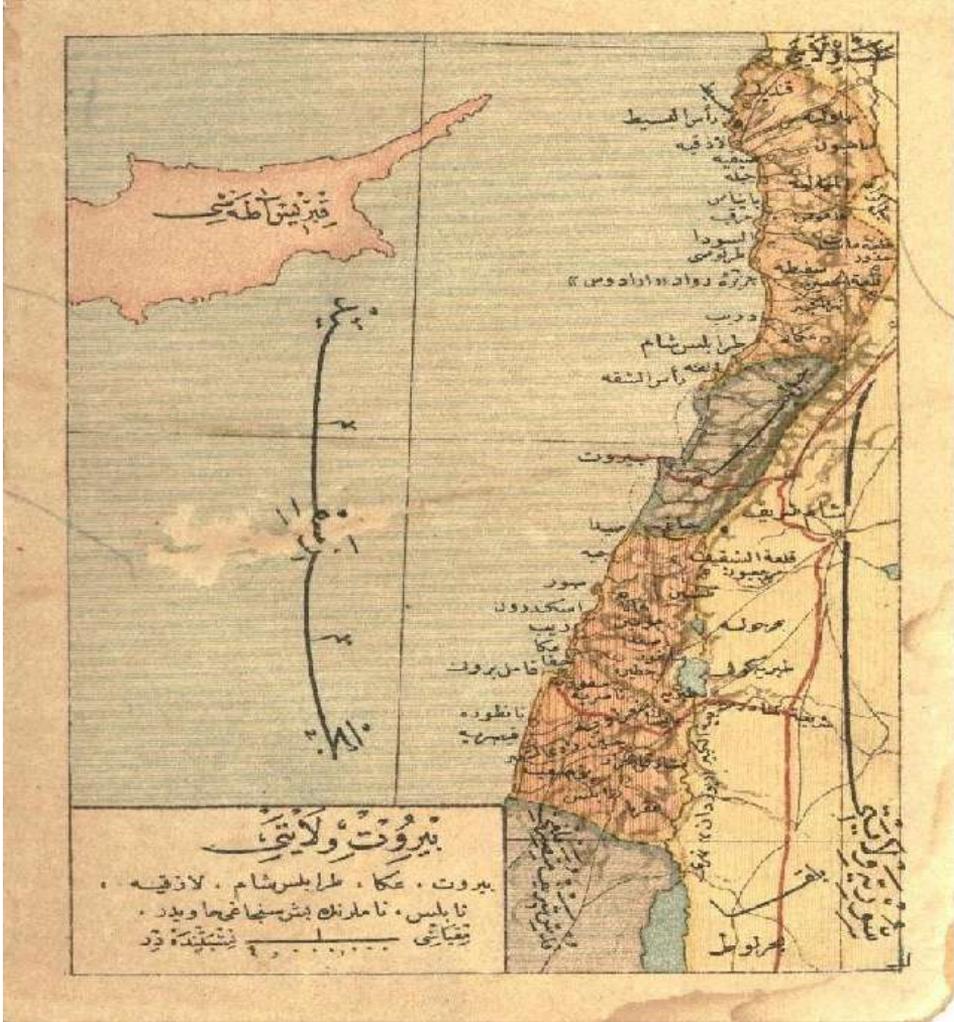
نجح "التميمي وبهجت" في الكشف عن واقع تطور الحياة الزراعية في لواءي طرابلس واللاذقية، وذلك لأسباب كثيرة، منها، طبيعة الأرض الخصبة، ووفرة مياه الأمطار والمياه الجوفية، إضافة إلى الكثافة السكانية التي أسهمت بشكل واضح في دفع عجلة التنمية الزراعية واستثمار أكبر مساحة ممكنة من الأراضي في الزراعة، كان معظمها في زراعة الأشجار المثمرة، كالزيتون والتين والعنب والليمون والمشمش، بالإضافة إلى زراعة الحبوب المختلفة، كالقمح والفول والعدس والحمص والشعير والذرة البيضاء والصفراء والسمسم والجلبان والتبغ والبطاطا، لتبلغ المساحة المستثمرة في الزراعة في لواء طرابلس وحده حوالي "525,400 دونما"، أما المساحة الزراعية في لواء اللاذقية فبلغت حوالي "1,447,700 دونما"، توزعت على مركز اللواء وأقضيته.

قدرت المساحات المزروعة في لواء طرابلس بالزيتون والتين وفق إحصائية سنة 1331هـ/1912م، حوالي "15000 دونم" في ناحية طرطوس وحدها، بينما بلغ اتساع بساتين الليمون حوالي "12500 دونم، لتصدر طرابلس من الليمون قبل الحرب العالمية الأولى إلى إستانبول ورومانيا وروسيا حوالي "400000 صندوق من الليمون في كل سنة، في حين تعتبر زراعة الزيتون من أهم الغلال الزراعية في لواء اللاذقية، وللزيتون هناك ثلاثة أصناف: "الخضيري،

الدرملالي، والحريصوني"، يزرع من الزيتون في قضاء اللاذقية حوالي "46878" شجرة، وفي جبلة "3000" شجرة، وفي صهيون "6000 شجرة"، وفي مرقب "65000 شجرة"، وهناك "200000 شجرة" غرست حديثاً.

كما بينت الدراسة أهمية الزراعات الحرجية في لواء طرابلس واللاذقية، حيث احتلت مساحات واسعة فيها، لا سيما أن هذه المناطق جبلية في معظمها، وبلغت الأراضي المزروعة بالأشجار الحرجية في لواء طرابلس من أمثال شجر السنديان والصنوبر والعرعر والأرز حوالي "150000 دونم"، حيث يقطع من هذه الأشجار ما مقداره "10240 قنطار" من الفحم، و"5200 قنطار" من الحطب، بينما بلغت مساحة الأراضي الحرجية في لواء اللاذقية حوالي "179000 دونم".

كما أوضحت الدراسة مدى تطور الصناعات الزراعية نتيجة لاهتمام لواء طرابلس واللاذقية بالزراعة بشكل عام، ولذلك ظهرت صناعة الصابون المرتبطة مباشرة بشجرة الزيتون، وصناعة الحرير المرتبطة بشجرة التوت ودودة القز، وصناعة التبغ المرتبطة أيضاً بزراعة التبغ والتبناك، فناتج طرابلس من الزيت سنوياً بلغ "10,500,000 أقة" من الزيت، وهذا الناتج الكبير دفع بالطرابلسيين للإقبال على صناعة الصابون منذ أمد بعيد، بينما بلغ إنتاج لواء اللاذقية من الزيت حوالي "640,000 أقة" من الزيت، أما صناعة الحرير فهي من الصناعات الرئيسية في لواء طرابلس، واعتبرت من أهم ثروات طرابلس، حتى روي أنه كان في طرابلس قبل الحملة الصليبية عليها مقدار 4000 مصنع لنسيج الحرير، بين صغير وكبير، وهبط العدد ليصل إلى 200 مصنع فقط، حيث تم نسج الشالات الحريرية والمناطق وأقمشة القمصان والحبرات الحريرية، والمناديل والكك وغيرها من المنسوجات، وقد بلغت حاصلات طرابلس من الحرير سنوياً حوالي 300 رزمة من باليه الحرير، و270000 من الشرائق.



State of Beirut, the Northern Section (Tripoli and Latakia), a Historical Study of the Development of Agriculture in the Early Twentieth Century through Rafik Al-Tamimi Journey

Ahmad Al-Jawarneh, History Department, Yarmouk University, Irbid, Jordan.

Abstract

This historical study tackling agriculture in the district of Tripoli and Latakia, which were a part of Beirut state in the Ottoman era, through the "Tamimi trip to Beirut state", aims to highlight the importance of land, population and agriculture development in that region. Moreover, the study tries to highlight the "Tamimi trip to Beirut state " as one of the most important historical, geographical and statistical sources. This trip explored the area in details as the area in question occupies the coastal and mountainous areas along the Mediterranean Sea from the borders of Beirut to the borders of the banner of Iskenderun. This area plays an important economic role during the Ottoman era. It is our hope that this study is to address the following questions and hypotheses:

- 1- What is the reality of population and its distribution in the two districts?
- 2- Agricultural area administrative divisions of the area
- 3- What industries have been associated with agriculture?
- 4- Incomes of the two states of agriculture through the volume of production and exports abroad.

الهوامش

1 التميمي، رفيق وبهجت، محمد، ولاية بيروت، القسم الشمالي، دار لحد خاطر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، 1335هـ، الجزء الأول، ص 2 .

2 التميمي، المصدر السابق، 2/1 .

3 ملحم، عدنان، أوضاع الطائفة السومرية في مدينة نابلس، من خلال كتاب ولاية بيروت، لمحمد رفيق التميمي، ومحمد بهجت، دراسة تاريخية منهجية، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية) المجلد 16(1)، 2002، ص 190، أبو غزالة، عدنان، الثقافة القومية في فلسطين خلال الانتداب البريطاني، الوكالة العربية للتوزيع والنشر، الزرقاء الأردن، ط1، 1984، ص41.

- 4 أنيس، محمد، الدولة العثمانية والشرق العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط1 1985، ص 256-260.
- 5 التميمي، المصدر السابق، 2/1.
- 6 الزركلي، خير الدين، الأعلام، 18 جزء، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط5، 1980م، 30/3.
- 7 دروزة، محمد عزة، مذكرات محمد عزة دروزة، 6 أجزاء، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1993م، 301/1.
- 8 نويهض، عجاج، رجال من فلسطين، بيروت، لبنان، ط1، 1981م، 38.
- 9 دروزة، مذكرات، 348/1.
- 10 العودات، يعقوب، من أعلام الفكر والأدب في فلسطين، (ب.ن)، عمان ، الأردن، 1975م، 80.
- 11 الزركلي، الأعلام، 30/3.
- 12 زعيتر، أكرم، وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية 1918م-1939م: من أوراق أكرم زعيتر، مؤسسة الدار الفلسطينية، 1984، ص 102.
- 13 ابو غزالة، الثقافة، 41.
- 14 زعيتر، أكرم، يوميات أكرم زعيتر: وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية 1935-1939م، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1980م، ص 167-168.
- 15 دروزة، مذكرات، 659/1.
- 16 الحوت، بيان، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين (1917-1948)، دار الأسوار، فلسطين، ط2، 1984م، ص 601-602.
- 17 دروزة، مذكرات، 591/5.
- 18 ملحم، المرجع السابق، 193.
- 19 "عزمي بيك أفندي" عين واليا على بيروت سنة 1334هـ/1915م، حيث جاء بعد ولاية "بكر سامي بيك"، وكان قبلها يشغل منصب متصرف لواء طرابلس، وقبل ذلك كان يشغل منصب "مدير الشرطة في إستنبول" حدثت في فترة ولايته إصلاحات على شوارع مدينة طرابلس ومدينة بيروت، حيث شق الطرق ونظمها تنظيما حديثا، "انظر الولاة العثمانيون في ولاية بيروت".
- 20 التميمي، المرجع السابق، 3/2.

- 21 التميمي، 260/2.
- 22 باشا، محمد علي، الرحلة الشامية، حررها وقدم لها علي أحمد كنعان، الطبعة الأولى، 2002، بيروت..
- 23 مجلة الزهور، مجلة أدبية فنية علمية، لصاحبها ومديرها أنطون الجميل، سنة 1910م، مطبعة المعارف بمصر، صدر العدد الأول منها في أول مارس (آذار) 1910م.
- 24 التميمي، 299/2-306.
- 25 التميمي، رفيق وبهجت، محمد، ولاية بيروت، القسم الشمالي، دار لحد خاطر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، 1335هـ ، الجزء الثاني، ص 8.
- 26 التميمي، نفس المصدر، ج2، ص 9.
- 27 التميمي، نفس المصدر، ج2 ، ص 9
- 28 التميمي، المصدر السابق، ج2، ص10-11
- 29 سالنامه ولاية سورية لعام 1298هـ / 1880م، دفعة 13، ص 256، إلياس جريج، ولاية بيروت 1887-1914م، التاريخ السياسي والاقتصادي، مطبعة عكار، لبنان، 2004، ص 459.
- 30 "سالنامه ولاية بيروت" لعام 1318هـ، دفعة 2، ص 139، 143، 153، 161، 258، 312. إلياس جريج، المرجع السابق، ص 460.
- 31 Vital Cuinet, Syrie, Liban et Palestine", Paris, 1896, pp.64,95,123,152,180
- 32 التميمي، نفس المصدر، ج2 ، ص 149.
- 33 التميمي، نفس المصدر، ج2 ، ص 150.
- 34 التميمي، المصدر السابق، ج2 ، ص 150.
- 35 التميمي، ج2 ، ص150.
- 36 التميمي، ج2 ، ص 150.
- 37 التميمي، ج2 ، ص 151.
- 38 التميمي، ج2 ، ص 151.
- 39 التميمي، ج2 ، ص 151، للمزيد حول التقسيمات الإدارية في لواء طرابلس والملاذقية وسوريا بشكل عام في العهد العثماني الرجوع إلى أحد أهم المؤلفات الحديثة حول الإدارة العثمانية في ولاية سورية، لـ "عبد العزيز محمد عوض": "الإدارة العثمانية في ولاية سورية 1864م-1914م"، مطبعة دار المعاف بمصر، بدون تاريخ، ص 61-66.

- 40 التميمي، ج 2 ، ص 158 .
41 التميمي، ج 2 ، ص 158 .
42 التميمي، ج 2 ، ص 158-159 .
43 التميمي، ج 2 ، ص 159 .
44 التميمي، ج 2 ، ص 159 .
45 التميمي، ج 2 ، ص 179 .
46 التميمي، ج 2 ، ص 180 .
47 التميمي، ج 2 ، ص 180 .
48 التميمي، ج 2 ، ص 163 .
49 التميمي، ج 2 ، ص 164 .
50 التميمي، ج 2 ، ص 164 .
51 التميمي، ج 2 ، ص 165 .
52 التميمي، ج 2 ، ص 234 .
53 التميمي، ج 2 ، ص 235 .
54 التميمي، ج 2 ، ص 235 .
55 التميمي، ج 2 ، ص 235 .
56 التميمي، ج 2 ، ص 235 .
57 التميمي، ج 2 ، ص 242 .
58 التميمي، ج 2 ، ص 243 .
59 التميمي، ج 2 ، ص 257 .
60 التميمي، ج 2 ، ص 258 .
61 التميمي، ج 2 ، ص 259 .
62 التميمي، ج 2 ، ص 259 .
63 التميمي، ج 2 ، ص 260 .
64 التميمي، ج 2 ، ص 261 .

- 65 التميمي، ج 2 ، ص 268.
66 التميمي، ج 2 ، ص 269.
67 التميمي، ج 2 ، ص 279.
68 التميمي، ج 2 ، ص 280.
69 التميمي، ج 2 ، ص 155.
70 التميمي، ج 2 ، ص 156.
71 التميمي، ج 2 ، ص 156.
72 التميمي، ج 2 ، ص 156.
73 التميمي، ج 2 ، ص 156.
74 التميمي، ج 2 ، ص 156-157.
75 التميمي، ج 2 ، ص 161-162.
76 التميمي، ج 2 ، ص 164.
77 التميمي، ج 2 ، ص 164.
78 التميمي، ج 2 ، ص 184.
79 التميمي، ج 2 ، ص 238.
80 التميمي، ج 2 ، ص 238.
81 التميمي، ج 2 ، ص 156-157.
82 التميمي، ج 2 ، ص 266.
83 التميمي، ج 2 ، ص 266-267.
84 التميمي، ج 2 ، ص 261 .
85 التميمي، ج 2 ، ص 261.
86 التميمي، ج 2 ، ص 262.
87 التميمي، ج 2 ، ص 262.
88 التميمي، ج 2 ، ص 262-263.
89 التميمي، ج 2 ، ص 263.

- 90 التميمي، ج 2، ص 264.
91 التميمي، ج 2، ص 266.
92 التميمي، ج 2، ص 272.
93 التميمي، ج 2، ص 185-184.
94 إلياس جريج، مرجع سابق، ص 548-547.
95 التميمي، ج 2، ص 185.
96 التميمي، ج 2، ص 186-185.
97 التميمي، ج 2، ص 264.
98 التميمي، ج 2، ص 264.
99 التميمي، ج 2، ص 265.
100 التميمي، ج 2، ص 265.
101 التميمي، ج 2، ص 266.
102 التميمي، ج 2، ص 272.
103 التميمي، ج 2، ص 273.
Vital Cuinet, Syrie, Liban et Palestine", Paris, 1896, pp.25, 64, 95, 123, 152, 180 104
Ibid 105

قائمة المصادر والمراجع

- أبو غزالة، عدنان، الثقافة القومية في فلسطين خلال الانتداب البريطاني، الوكالة العربية للتوزيع والنشر، الزرقاء الأردن، ط1، 1984.
إلياس جريج، ولاية بيروت 1887-1914م، التاريخ السياسي والاقتصادي، مطبعة عكار، لبنان، 2004، ص 459.
أنيس، محمد، الدولة العثمانية والشرق العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط1، 1985.

باشا، محمد علي، الرحلة الشامية، حررها وقدم لها علي أحمد كنعان، الطبعة الأولى، 2002، بيروت.

التميمي، رفيق وبهجت، محمد، ولاية بيروت، القسم الشمالي، دار لحد خاطر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، 1335هـ، الجزء الأول، ص 2.

الحوت، بيان، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين (1917-1948)، دار الأسوار، فلسطين، ط2، 1984م، ص601-602.

دروزة، محمد عزة، مذكرات محمد عزة دروزة، 6 أجزاء، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1993م، 301/1.

الزركلي، خير الدين، الأعلام، 18 جزءاً، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط5، 1980م، 30/3.

"سالنامه ولاية بيروت" لعام 1318هـ، دفعة 2، ص 139، 143، 153، 161، 258، 312.

"سالنامه ولاية سورية" لعام 1298هـ / 1880م، دفعة 13.

العودات، يعقوب، من أعلام الفكر والأدب في فلسطين. (ب،ن)، عمان ، الأردن ، 1975م، 80.

"مجلة الأحكام العدلية": من إعداد أحمد جودت، أحمد خلوصي، وأحمد حلمي، وعلاء الدين ابن عابدين، و خليل سيف الدين، ومحمد أمين الجندي، ترجمها عن التركية العثمانية "سليم بن رستم باز سنة 1286هـ.

نويهض، عجاج ، رجال من فلسطين، بيروت، لبنان، ط1، 1981م، 38.

Vital Cuinet, Syrie, Liban et Palestine, Paris, 1896.

البحوث والدوريات

ملحم، عدنان، أوضاع الطائفة السومرية في مدينة نابلس، من خلال كتاب ولاية بيروت، لمحمد رفيق التميمي، ومحمد بهجت، دراسة تاريخية منهجية، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية) المجلد 16 (1)، 2002.

"مجلة الزهور"، مجلة أدبية فنية علمية، لصاحبها ومديرها أنطون الجميل، سنة 1910م، مطبعة المعارف بمصر، صدر العدد الأول منها في أول مارس (آذار) 1910م.

اتجاهات مجتمع مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في الأردن نحو عمل المرأة

رفيق عبد الرحيم خرفان*

تاريخ الاستلام 2016/7/24

تاريخ القبول 2016/10/26

ملخص

هدفت الدراسة إلى تعرّف اتجاهات مجتمع مخيمات اللاجئين الفلسطينيين نحو عمل المرأة من خلال التعرف إلى النواحي الاجتماعية والدينية والاقتصادية وبيئة العمل ومعيقات عمل المرأة تبعاً لمتغيرات الجنس، مكان السكن، العمر، والمستوى التعليمي، وتكوّن مجتمع الدراسة من عينة قوامها (244) فرداً من سكان المخيمات وتمت معالجة البيانات التي تم جمعها إحصائياً باستخدام برنامج الرزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية، وتم استخدام المنهج الوصفي التحليلي للإجابة على أسئلة وفرضيات الدراسة، وذلك من خلال تصميم استبانة لجمع المعلومات والبيانات المتعلقة بموضوع الدراسة، وتوزيعها على مجتمع البحث والدراسة للإجابة عليها، ومن ثم جمع هذه الاستبانات وتحليلها.

وأظهرت الدراسة أن اتجاهات أفراد العينة نحو عمل المرأة كانت إيجابية من الناحية الاجتماعية والاقتصادية بشكل عام، ولكن من ناحية مكان العمل ومعيقات عمل المرأة فقد كانت اتجاهات أفراد العينة موافقة بدرجة مرتفعة؛ على أن المشكلة الرئيسية تكمن في وجود معيقات لعمل المرأة تتلخص فيما يلي: -

- المكان المناسب لعمل المرأة، حيث هناك تفضيل للعمل داخل المخيم وفي القطاع العام.
- بيئة العمل، مثل التحفظ على الاختلاط مع الرجال وساعات العمل الطويلة وتفضيل الفترة الواحدة والصباحية.
- ضعف الرواتب وخاصة في القطاع الخاص.
- محدودية المهن وسيطرة الرجل وثقافة العيب.

وقد كانت نتائج البحث ذات أهمية من الناحيتين النظرية والتطبيقية؛ لما لها من فوائد ذات قيمة لجميع المسؤولين الذين لهم علاقة باللاجئين الفلسطينيين، من حيث السياسات والخطط المتعلقة بعمل المرأة، كما يتضح في التوصيات، لأنه أول بحث يتم إجراؤه في المخيمات يبحث في الاتجاهات نحو عمل المرأة.

الكلمات المفتاحية: معيقات، عمل المرأة، مخيمات اللاجئين الفلسطينيين، الأردن.

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2017.

* مديرية التخطيط والمشاريع، دائرة الشؤون الفلسطينية، وزارة الخارجية، عمان، الأردن.

الفصل الأول: مشكلة الدراسة وأهدافها

مقدمة الدراسة:

أوضحت الدراسات الإحصائية التي قامت بها الوكالة النرويجية "فافو" في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في الأردن في عام 2011 أن المرأة تشكل حوالي نصف المجتمع، ومن ثم فإن تحقيق التقدم والتطور والتنمية المستدامة لا يمكن تحقيقها دون مشاركة فعلية منها في جميع مناحي الحياة، وخاصة الاقتصادية التي هي أساس التنمية في جميع المجتمعات. وقد تنبه الأردن إلى أهمية الاستثمار في عمل المرأة ومشاركتها في الحياة الاقتصادية، من خلال إدخالها إلى سوق العمل ودمجها في العملية التنموية وجعلها عنصراً فاعلاً فيها.

وحيث إن مخيمات اللاجئين الفلسطينيين تعتبر جزءاً من الأردن بمدنه وقراه وبواديها، فقد كان هناك اهتمام بقضايا المرأة والعمل على تنميتها وإدخالها سوق العمل الأردني، حيث دخلت في جميع القطاعات وكان لها دور فعال وبارز، ومع ذلك كان هناك من يعملون على تقليص دور المرأة في تنمية المجتمع من خلال إيمانهم بمعتقدات لا أساس لها، وقد بينت الدراسة التي قامت بها الوكالة النرويجية "فافو" في عام 2011 أن معدل مشاركة المرأة في القوى العاملة في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين لا تتجاوز (9%)، في حين أن نسبة مشاركة الإناث في القوى العاملة في نفس الفترة الزمنية وفقاً للإحصائيات الوطنية بلغت حوالي (14%).

لذلك، جاءت هذه الدراسة لمعرفة اتجاهات مجتمع مخيمات اللاجئين الفلسطينيين نحو عمل المرأة، من حيث المعتقدات الخاطئة التي تدعي أن هناك تعارضاً بين الدين وعمل المرأة، وأن خروجها للعمل يؤثر سلباً عليها وعلى المجتمع، ومن ثم على نسبة مشاركة الإناث بالقوى العاملة. كما ستوضح هذه الدراسة المكان والبيئة المناسبين لعمل المرأة التي تقطن المخيمات وأهم المعوقات والتحديات التي تواجه عمل المرأة من وجهة نظر مجتمعها، من أجل وضع توصيات تعمل على تطوير هذه البيئة ومعالجة المعوقات والتحديات، وتشجيع مجتمع مخيمات اللاجئين الفلسطينيين على تشغيل المرأة التي تشكل نصف المجتمع.

مشكلة الدراسة:

من خلال اطلاع الباحث على الدراسات السابقة المتعلقة بعمل المرأة، واتجاهات المجتمع نحو عمل المرأة، لم يتوصل الباحث لأي دراسة تتعلق باتجاهات مجتمع مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في الأردن نحو عمل المرأة، وإن ضعف مشاركة المرأة في القوى العاملة في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في الأردن، كما بينته الدراسة التي قامت بها الوكالة النرويجية "فافو"، رغم اهتمام الحكومة الأردنية ووكالة الغوث الدولية والمنظمات الدولية العاملة مع دائرة الشؤون

الفلسطينية بهذا الموضوع، خلق مشكلة تتطلب إجراء دراسة ميدانية للتعرف إلى اتجاهات مجتمع مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في الأردن نحو عمل المرأة، وسبب هذا الضعف؛ لإيجاد حلول لهذه المشكلة يتم وضعها أمام أصحاب القرار، وستحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة التالية:

1. ما هي اتجاهات مجتمع المخيمات نحو عمل المرأة من الناحية الاجتماعية والدينية والاقتصادية بشكل عام؟
2. ما هي اتجاهات مجتمع المخيمات نحو عمل المرأة من حيث البيئة والمكان الأمثل لعمل المرأة؟
3. ما هي اتجاهات مجتمع المخيمات نحو عمل المرأة من حيث أهم المعوقات لعمل المرأة؟

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في كونها أول دراسة تهتم باتجاهات مجتمع المخيمات الفلسطينية في الأردن نحو عمل المرأة، والتعرف إلى أسباب ضعف مشاركة المرأة في القوى العاملة في المخيمات الفلسطينية، رغم التشجيع من جهات عديدة، حيث جاءت هذه الدراسة لتكون وثيقة نابعة من أرض الواقع عن عمل المرأة بيد دائرة الشؤون الفلسطينية؛ لتقوم بالإجراءات اللازمة لمعالجة أسباب هذا الضعف. كما يمكن تقديم هذه الدراسة إلى وكالة الغوث الدولية والمنظمات الدولية للمساعدة في معالجة هذه الأسباب والتحديات التي تحد من عمل المرأة.

الهدف من الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف إلى اتجاهات مجتمع مخيمات اللاجئين الفلسطينيين نحو عمل المرأة، وتحديد أثر متغيرات كل من المواقع، الفئات العمرية، المستويات العلمية، والجنس على اتجاهات مجتمع مخيمات اللاجئين الفلسطينيين نحو عمل المرأة، وبالتالي سيكون هناك وثيقة علمية من أرض الواقع تستطيع دائرة الشؤون الفلسطينية من خلالها:

1. بناء إستراتيجية خاصة لتمكين المرأة وتشجيعها على العمل، والحد من الأفكار والمعتقدات الخاطئة عن عمل المرأة عند بعض فئات المجتمع، ومعالجة التحديات التي تحد من عمل المرأة.
2. تشجيع المنظمات الدولية على العمل في مجال تمكين المرأة، جنباً إلى جنب مع دائرة الشؤون الفلسطينية، من خلال الاطلاع على الأسباب التي تحد من عمل المرأة، وتبني الحلول المناسبة لذلك.

3. نشر مخرجات هذه الدراسة على جميع مؤسسات المجتمع المدني في مخيمات اللاجئين الفلسطينية المنتشرة في الأردن؛ للاستفادة منها في تشجيع مجتمع المخيمات على عمل المرأة.

فرضيات الدراسة: -

ستجيب هذه الدراسة عن الفرضيتين الآتيتين:

- الفرضية الأولى: لا يوجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى (0.05) في الاتجاهات نحو عمل المرأة من الناحية الاجتماعية والاقتصادية ومكان العمل تعزى للجنس ومكان السكن والمستوى العلمي والفئات العمرية.
- الفرضية الثانية: لا يوجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى (0.05) في الاتجاهات نحو عمل المرأة من ناحية معيقات عمل المرأة تعزى للجنس ومكان السكن والمستوى العلمي والفئات العمرية.

تعريف المصطلحات:

الاتجاهات: يعرف الاتجاه بأنه "مفهوم يعبر عن التنظيمات السلوكية التي تعبر بدورها عن علاقة الإنسان بجزء معين من بيئته الخارجية، أو الموضوعات الاجتماعية أو الأمور المعنوية، كما يعبر عن ذلك لفظاً وعملاً بالقول التام أو الرفض التام، أو على أية نقطة في البعد المستمر بين نقطتين تمثلان الموافقة التامة أو الرفض التام"⁽¹⁾.

التعريف الإجرائي: يتمثل في الدرجة التي يحصل عليها المستجيبون على استبانة قياس الاتجاهات التي يعدها الباحث.

المرأة العاملة: "هي التي تعمل خارج المنزل وتحصل على أجر مقابل عملها، سواء كانت موظفة في القطاع الخاص أو العام، وتقوم في الوقت نفسه بأدوارها كزوجة وأم، إلى جانب دورها موظفة"⁽²⁾.

التعريف الإجرائي في هذا البحث هو المرأة اللاجئة التي تعمل بأجر في القطاعين العام والخاص وتسكن في أحد مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في الأردن.

مجتمع مخيمات اللاجئين الفلسطينيين: هو قاطنو مخيمات اللاجئين الفلسطينيين الثلاث عشرة المنتشرة في محافظات المملكة الأردنية الهاشمية من رجال ونساء وشباب وشيوخ ووجهاء ورجال دين ومؤسسات مجتمع مدني⁽³⁾.

التعريف الإجرائي: أفراد من المجتمع يقطنون أحد مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في الأردن، ويحملون بطاقة إعاشة صادرة عن وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا).

المستوى التعليمي: هو الدرجة العلمية للفرد، بينما التعريف الإجرائي في هذا البحث هو أعلى شهادة علمية حصل عليها أحد أفراد عينة البحث.

العامل: كل شخص ذكراً كان أو أنثى يؤدي عملاً لقاء أجر، ويكون تابعاً لصاحب العمل وتحت إمرته، ويشمل ذلك الأحداث، ومن كان قيد التجربة أو التأهيل⁽⁴⁾.

التعريف الاجرائي: كل فرد يعمل لدى الآخرين سواء كانوا أفراداً أو مؤسسات لقاء أجر محدد.

العمل: كل جهد فكري أو جسماني يبذله العامل لقاء أجر، سواء كان بشكل دائم أو عرضي أو مؤقت أو موسمي⁽⁵⁾.

التعريف الإجرائي: هو المشاركة في النشاط الاقتصادي بصفة دائمة أو مؤقتة، سواء كانت هذه المشاركة بذل جهد بدني أو فكري مقابل أجر.

الفصل الثاني: الإطار النظري والدراسات السابقة

أولاً: الإطار النظري:

على الرغم من تحسن أوضاع المرأة في العمل، ودخولها معظم القطاعات الاقتصادية، إلا أنها ما زالت تعاني من معضلة التمييز بينها وبين الرجل وعدم التكافؤ بينهما في الفرص والدخل. ويتم تحليل سبب التمييز ضد المرأة بالعوامل الاجتماعية والثقافية التي ترى أن عمل المرأة ينحصر في العمل في المنزل ورعاية الأطفال، والعوامل الاقتصادية التي ترى أن المرأة أقل كفاءة من الرجل، ومعوقات عمل المرأة من حيث مكان العمل وفترة الدوام والاختلاط مع الرجل وغيرها.

وفي هذا البحث سوف أعرض ثلاث نظريات يمكن من خلالها تفسير التمييز والاتجاهات نحو عمل المرأة.

1- نظرية رأس المال البشري:

تنطلق هذه النظرية من فكر المدرسة الكلاسيكية الجديدة، التي تركز على عقلانية أفراد المجتمع المتمثلة بتعظيم الفائدة عند القيام بأي عمل. وفي هذا السياق ينظر إلى جميع أفراد المجتمع (رجالاً ونساءً) نظره متجانسة وبخاصة في القضايا الاقتصادية، ومن هنا جاء مفهوم Home-economics الذي يعني تجانس الإنسان الاقتصادي.

وعند تطبيق عامل رأس المال البشري يكون من الأجدى تشغيل الرجل؛ وذلك بسبب عامل الكفاءة من جهة، والاستمرار بالعمل من جهة أخرى. أما المرأة فتعد أقل كفاءة، وأنها عرضة للزواج والولادة والانقطاع عن العمل. وهذا الانقطاع سيؤدي إلى خسارة اقتصادية، وإلى عدم التمكن من التواصل مع التطورات المهنية والوظيفية.

لقد تعرض هذا الفكر لكثير من الانتقادات، الأمر الذي أدى إلى تطويره، ولكنه بقي في جوهره ثابتاً، فالفكر الجديد الذي يعرف بـ New home economics ينطلق من أسس الاقتصاد الجزئي الذي ينظر إلى الأسرة كمؤسسة أو شركة اقتصادية صغيرة يقف فيها الرجل والمرأة أمام قضية تقسيم العمل وتقسيم الوقت. وتقسيم العمل يعني أن يقوم الرجل والمرأة باقتسام العمل في الشركة والبيت. وهنا لا يتم الحديث عن التمييز ضد المرأة، وإنما التركيز على مبدأ الميزة التفضيلية التي تنص على العقلانية الاقتصادية في عملية الاختيار بين العمل في الشركة والعمل في البيت.

رأس المال البشري (الكفاءة التي يتمتع بها الشخص) هو في حد ذاته استثمار، وينبغي الاستفادة منه في الحد الأقصى (العقلانية) وبما أن المرأة لا تستطيع مواصلة العمل كالرجل؛ للأسباب التي ذكرت سابقاً (الحمل والولادة) فإن عائد الاستثمار يكون أكبر في حالة عمل الرجل منه في حالة المرأة، وبالتالي تكون الاتجاهات سلبية نحو عمل المرأة، فهي قضية حساسية وليست قضية تمييز ضد المرأة.

"لقد تعرض فكر نظرية رأس المال البشري إلى كثير من الانتقاد، وبخاصة من الاتجاه النسوي، كونه يقتصر على عمل المرأة من الطبقة الوسطى في المدينة، ومن ناحية أخرى فليس كل النساء يتزوجن وينقطعن عن العمل بسبب الحمل والولادة والأمومة. كما أنه يتم معالجة الموضوع من منظور عامل العرض وليس عامل الطلب"⁽⁶⁾.

2- اقتصاديات التمييز ضد المرأة:

يرى أصحاب هذا الفكر أمثال Becker أن للإنسان رغبة كامنة في التمييز بين الأفراد والمجموعات بناء على العرق والدين والنوع وحتى الجنسية. وغالبا ما يحمل الإنسان فكرة سلبية عن الآخرين. فالموظفون الرجال مثلاً يفضلون التعامل مع أبناء جنسهم أكثر من التعامل مع المرأة، باعتبارها مختلفة عنهم. وعندما يطلب منهم تبرير ذلك، غالبا ما تكون الإجابة بشكل عفوي أن الرجل واحد منهم. ويؤدي هذا التمييز إلى ضعف التعاون مع المرأة العاملة حتى إن الزبائن الذين يجري التعامل معهم يفضلون استشارة الرجل على المرأة. وينظر صاحب العمل إلى هذا السلوك على أنه خسارة لمؤسسته ويجب تعويضها من خلال إعطاء راتب أدنى للمرأة مقابل الرجل، حتى لو تساوت المرأة مع الرجل في الكفاءة الإنتاجية. وينظر إلى هذا النموذج من التعليل على أنه مؤقت. فالمؤسسات الاقتصادية التي يعمل فيها النساء مثلاً تدفع أجورا أقل، وتصبح منافسة أكثر من تلك

التي يعمل فيها الرجال، ولهذا يزداد الطلب على عمل النساء، أو تضطر المؤسسات التي يعمل فيها الذكور (في القطاع نفسه) إلى الإغلاق.

وهناك من يقوم بالتحيز ضد المرأة من مرجعية إحصائية . فصاحب العمل مثلاً لا يعرف مسبقاً حجم إنتاجية المرأة أو الرجل، ولكن لديه إحصائية عن عدد الأيام التي تنغيبها المرأة عن العمل، وتكون في الغالب أكثر من التي يتغيبها الرجل.

وهنا يقف صاحب العمل أمام خيارين : إما رفض تشغيل المرأة وإما عرض راتب أقل. وفي كلتا الحالتين نلمس بوضوح الاتجاه السلبي نحو عمل المرأة والتمييز ضد المرأة. وفي حالة تشغيل المرأة براتب أقل، فإن ذلك سيؤدي إلى التذمر والشعور بالظلم، ويؤدي إلى انخفاض في الإنتاجية، الأمر الذي سيعود بالضرر على الاقتصاد الوطني⁽⁷⁾.

3- نموذج الدور البديل:

غالباً ما نجد أن نسبة النساء والشباب والمهاجرين العاطلين من العمل هي الأكبر في المجتمع، وبخاصة في الوظائف الثانوية. فعلى الرغم من تفسير النظريات السابقة لهذه الظاهرة، إلا أن هناك تفسيراً آخر مفاده أن الفئات الاجتماعية، ومنها المرأة، قابلة للاستغلال ويمكن أن يمارس عليها الضغط أو الظلم دون أن تبدي مقاومة تذكر. ويعود السبب من وجهة نظر أصحاب العمل إلى وجود البديل لها في السوق لعدم تمتعها برأس مال بشري مميز من جهة، وعدم قدرتها على مواجهة قوة السوق أو قوة رجال الأعمال من جهة أخرى.

وتتشترك هذه الفئات في وجود بديل لها خارج سوق العمل فالمرأة يمكنها العودة إلى المنزل أو إلى الأسرة. كما يمكن للمهاجر العودة إلى وطنه، ونظراً لتفعيل هذه الفئة لهذا الدور البديل، فإن انتماءها لفرصة العمل الممنوحة لها ضعيفة. ولهذا لا نجدها تنخرط في النقابات العمالية أو الاتحادات النقابية بنفس القوة التي ينخرط فيها الرجل، مما يؤدي إلى تكون اتجاهات سلبية في المجتمعات نحو عمل المرأة⁽⁸⁾.

وبعيداً عن النظريات المتعلقة بعمل المرأة لا بد من التطرق الى أمور مهمة تتعلق بعمل المرأة منها:

الثقافة المجتمعية للمخيم الفلسطيني في الأردن (فيما يتعلق بعمل المرأة):

إن مجمل العادات والتقاليد المتعلقة بمختلف مناحي الحياة اليومية تعكس أنماطاً قروية وبدوية، لأن الغالبية الساحقة من سكان المخيمات قرويون وبدو (مع بعض الاستثناءات كما هو حال مخيم الحسين)، ومع مرور الزمن واختلاط العائلات التي تقيم في المخيمات، أو كانت تقيم فيها، وأبناء القرى الأردنية المختلفة، سواء بالعمل أو بعلاقات النسب عبر عشرات السنين،

تداخلت أنماط الحياة والعادات والتقاليد في العديد من الجوانب، وخاصة فيما يتعلق بالمرأة وخروجها إلى سوق العمل.

إلى جانب ذلك، تتسم ثقافة المخيم في الأردن بأنها مجتمعات محافظة في علاقاتها الأسرية واليومية، التي تعد امتداداً لثقافة البلدات والقرى والبادية الفلسطينية، وتتأثر ببعض القوى السياسية الدينية ذات النفوذ الكبير داخل المخيمات، وخاصة فيما يتعلق بدور المرأة في المجتمع، الذي ما زال هامشياً إلى حد كبير، إذ إن ثقافة الرجل في المخيم، والمفاهيم الاجتماعية الشرقية بشكل عام، تعتقد بأن دور المرأة هو القيام بإدارة منزلها ورعاية أطفالها، ولكن هذا لا يلغي وجود بعض التحولات في بعض الجوانب التي أملت حاجات التطور المجتمعي، مثل التحاق المرأة بالمدارس والمعاهد والجامعات، وخروجها إلى سوق العمل وترشحها للانتخابات النيابية⁽⁹⁾.

المرأة العاملة في المجتمعات العربية:

تعاني المرأة العاملة في المجتمعات العربية من صراعات كثيرة، منها ازدواجية الدور، فهي تمارس العمل الوظيفي لمساعدة الزوج والأبناء على الحياة، والمشاركة في عملية التنمية الاقتصادية للنهوض بمجتمعها ووطنها، أما الدور الآخر فهو ممارسة دور ربة المنزل، بقيامها برعاية الأبناء والمنزل وأداء ما عليها من حقوق وواجبات تجاه الأسرة والأبناء.

والمرأة تعاني من ظروف العمل المجهدة جسدياً ونفسياً وذلك بسبب قلقها الدائم على أبنائها وهي خارج المنزل. إن ما تعانيه المرأة العاملة يعد إسهاماً منها في بناء الأسرة، وإن لخروج المرأة للعمل أثراً سلبية عليها تنعكس بشكل غير مباشر على أطفالها، والمرأة العاملة تعاني من كثير من الضغوط النفسية والاجتماعية، حيث تكون أكثر عرضة لمشاكل الصحة النفسية الناتجة عن خروج المرأة لميدان العمل، وعلى الرغم من ترحيب المجتمعات كافة بخروج المرأة للعمل وإعطائها مجالات مختلفة فيه إلا أن دور المرأة الأساسي يبقى في مجال الأمومة ورعاية الأسرة والأطفال وإشباع حاجاتهم العاطفية والاجتماعية والعقلية والجسمية. ونتيجة لعمل المرأة ظهر الكثير من الآثار، بعضها إيجابية كزيادة التفاهم والأنس بين المرأة والرجل، واحترام الرجل للمرأة، وارتفاع مكانة المرأة في المجتمع، والمشاركة الزوجية في شؤون الأسرة، وكذلك الحد من سلطة الرجل في المنزل، ومشاركة المرأة زوجها، بدرجة كبيرة، في شؤون الأسرة، واتخاذ القرارات⁽¹⁰⁾.

دوافع خروج المرأة للعمل:

هناك عدة دوافع لخروج المرأة للعمل، إلا أن الوضع الاقتصادي هو الدافع الأساسي وذلك لتحسين وضع الأسرة، واعتماد المرأة على نفسها، وأحياناً يكون عمل المرأة عاملاً مساعداً في رفع المستوى الاقتصادي والثقافي للأسرة.

أما المرأة من الطبقة العليا فهي تعمل من أجل الاستمتاع بالعمل، وفي بعض الطبقات يكون عمل المرأة من أجل الرقي بمستوى التعليم، والوصول إلى مكانة اجتماعية راقية، وتحقيق الكماليات المختلفة، والوصول إلى تحقيق الذات، وبعض النساء يكون لديهن رغبة في العمل وذلك لشعورهن بالملل والضجر أثناء وجودهن في المنازل⁽¹¹⁾.

المشاركة الاقتصادية للمرأة:

أوصت ورقة عمل أعدها المرصد العمالي الأردني بضرورة تحسين قدرات الاقتصاد الأردني النظامي، بهدف خلق فرص عمل كافية ولاتئة لجميع الداخلين الجدد له، وتحسين شروط العمل في الأردن بشكل عام وخاصة النساء.

وأوضحت "ورقة تقدير موقف" التي أصدرها المرصد بمناسبة يوم المرأة العالمي، أن إلقاء الضوء على واقع المرأة الأردنية في سوق العمل إلى جانب رصد التغييرات في أوضاع المرأة على أرض الواقع سواء في سوق العمل أو في جانب التشريعات والسياسات، يؤدي إلى تحسين شروط العمل للنساء وبالتالي يصبح أكثر جاذبية لهن، بالإضافة إلى عمل مراجعة لمختلف الإستراتيجيات والبرامج الهادفة إلى تعزيز دور المرأة في الحياة الاقتصادية وسوق العمل، سواء تلك الصادرة عن المؤسسات الرسمية أو غير الرسمية، ليس بهدف قوينة حقوق المرأة وحمايتها فحسب، بل لضمان تنفيذ هذه الحقوق على أرض الواقع.

وأشارت إلى ضرورة العمل باتجاهين عمليين، يتمثل الأول في تحسين أداء الحكومة، وبخاصة وزارة العمل لإنفاذ الحقوق، ويتمثل الثاني في تسهيل قيام قوى اجتماعية موازية لقوة أصحاب العمل تتمثل في فتح الباب أمام تشكيل نقابات عمالية لجميع فئات العاملين بأجر، تتمتع بالاستقلالية والديمقراطية لتتمكن من أداء عملها بفاعلية في الضغط لتحسين شروط العمل.

وعلى المستوى المحلي، لم نلاحظ في هذا العام أية تطورات جوهرية على وضع المرأة، لا بل استمر تراجع معدلات المشاركة الاقتصادية المنقح (قوة العمل للإناث منسوبة إلى عدد السكان من الإناث 15 سنة فأكثر)، إذ كان يبلغ في عام 2012 ما نسبته 14.9 %، وسجل 14.1 % في عام 2013 ثم 12.6 % في عام 2014، واستقرت عند 12.4 % خلال الربع الرابع من عام 2015، في حين بلغ المعدل عند الذكور 58.5 %، الأمر الذي يشير إلى أن الجهود التي بذلت، وما زالت

تبدل في سبيل زيادة دمج المرأة في الحياة الاقتصادية الأردنية لم تكن فعالة، ولا تزال دون المستوى المطلوب⁽¹²⁾.

ثانياً: الدراسات السابقة

قام الباحث بالاطلاع على دراسات سابقة باللغة العربية وأخرى باللغة الأجنبية كما يلي:

(أ) الدراسات العربية:

دراسة (حداد، 2000) بعنوان "دور المرأة الأردنية في القوى العاملة في القطاع الحكومي": هدف هذا البحث إلى دراسة دور المرأة الأردنية وتحليله، والتعرف إلى مدى إسهامها في القوى العاملة في القطاع الحكومي، ومدى تأثير هذا الإسهام في العوامل الاجتماعية والاقتصادية، كما تبين الدراسة تطور نمو القوى العاملة النسوية الأردنية في القطاع الحكومي خلال الفترة (1986-1996).

وأهم النتائج التي أظهرتها الدراسة هي أن نسبة إسهام المرأة الأردنية في ردف وظائف القطاع الحكومي تتردد بين (28-32%) من العدد الإجمالي لعدد الموظفين في القطاع الحكومي خلال الفترة (1986-1987) كما توصلت الدراسة إلى أن ثلثي الوظائف الأردنية يعملن في وزارة التربية والتعليم، وأن القطاع الحكومي هو المستفيد الأكبر من العمالة النسوية الأردنية.

دراسة (الدكتورة خلود المرشدة، 2011) بعنوان "المرأة والرجل في أرقام": هدفت الدراسة إلى التعرف إلى وضع المرأة في سوق العمل، حيث كشفت الدراسة أن ضعف المرأة في الحياة الاقتصادية الأردنية يعد من المشكلات الأساسية التي يواجهها الاقتصاد الوطني؛ فهي من جانب تحرم طاقات إنتاجية كبيرة من الإسهام في بناء الاقتصاد الوطني، ومن جانب آخر تزيد من نسبة الإعالة في المجتمع الأردني، حيث يعيل كل مواطن أربعة آخرين وهذه النسبة تعد من أعلى النسب في العالم.

كما بينت الدراسة أن هناك تفاوتاً في الأجور بشكل عام بين الذكور والإناث لصالح الذكور، رغم العمل في المهنة نفسها، كما تركز عمل الإناث في المهن المتخصصة، والفنية، والمتخصصات المساعدات، مثل المهن التعليمية والخدمات الصحية.

وسعت الدراسة إلى الاطلاع على وضع المرأة في سوق العمل الأردني والتعرف إلى الخصائص الديموغرافية للمرأة العاملة في سوق العمل، والخصائص المهنية والتعليمية، والمشاركة الاقتصادية للمرأة، سواء كانت مشغلة أو عاطلة من العمل بالمقارنة مع الرجل،

بالإضافة إلى الاطلاع على الصعوبات التي تواجه المرأة، وتحول دون عملها لحسابها الخاص والتعرف إلى أسباب ضعف مشاركتها في سوق العمل.

وأشارت الدراسة إلى أن معدلات البطالة للإناث أعلى منها للذكور، وهي في الريف أعلى منها في الحضر، حيث بلغت نسبة البطالة لدى الذكور في الريف لعام 2010 ما نسبته 11.3% مقابل 20.4% للإناث. أما في الحضر فقد كان لدى الذكور 10.5% مقابل 18.8% للإناث، كما تبين أن 76.8% من الإناث غير النشيطات اقتصادياً هن ربوات بيوت، وأن نسبة الإناث اللواتي لهن دخل متدنٍ بلغت 0.2% كما أن نسبة الذكور العاملين لحسابهم الخاص أعلى من نسبة الإناث رغم العمل في نفس المهنة.

وأشارت الدراسة إلى أن البطالة تتركز في ثلاث محافظات رئيسية هي عمان وإربد والزرقاء، كما أن أعلى معدل بطالة لدى الإناث كان لدى نوات التعليم الجامعي فأعلى، يليه اللواتي يحملن شهادة الدبلوم، بينما كانت أعلى نسبة بطالة لدى الذكور عند الذين تعليمهم أقل من شهادة الثانوية العامة.

وقالت الدراسة إن معدلات المشاركة الاقتصادية للمرأة في الأردن تتأثر بالحالة الاجتماعية وعدد أعمار الأطفال لديها، ومدى توفر الخدمات المتعلقة بالمرأة العاملة وبخاصة دور الحضنة، كما أن حجم قوة العمل النسائية يتأثر إلى حد كبير بعمر المرأة وزواجها، وأن الانسحاب من سوق العمل بالنسبة للمرأة يزداد طردياً مع ازدياد عدد المتزوجات العاملات، ومع ازدياد الإنجاب للمرأة العاملة، هذا إلى جانب ارتفاع كلفة تشغيلها خاصة بعد زواجها، إذ يتحمل صاحب العمل وحده كلفة إجازات الأمومة والرضاعة، وكونه صاحب القرار بالتوظيف فإنه يحجم عن توظيف المرأة المتزوجة.

كما أن انخفاض العوائد على العمل بالإضافة إلى تفاوت الأجور لصالح الرجل يعد سبباً آخر لتدني المشاركة، وتعاني النساء العاملات في القطاع الخاص من تمييز أكبر في الأجور مقارنة مع نظيراتهن في القطاع العام.

دراسة (هيام كلمات، 2012) بعنوان "معوقات مشاركة المرأة الأردنية في سوق العمل": هدفت الدراسة إلى التعرف إلى معوقات مشاركة المرأة الأردنية في قوة العمل ووضع التوصيات المناسبة لمعالجتها، وقد تم التوصل إلى المعوقات التالية وبحسب المحاور الخمسة المعتمدة:

أولاً: المحور الاجتماعي والثقافي والأسرة:

ما زالت المرأة تعاني من تسلط أفراد الأسرة الذكور في كل ما يتعلق بأمورها الحياتية، من تعليم وعمل ومشاركة في النشاطات الاجتماعية، حيث يصعب على الرجل تقبل المشاركة في تحمل بعض المسؤوليات الأسرية، بالرغم من أن الوضع الاقتصادي يجبر المرأة على البحث عن عمل للمشاركة في تحمل أعباء الأسرة.

ثانياً: المحور التعليمي والمهارات:

إن إقبال النساء على التخصصات الاجتماعية نابع من كونها أقل من حيث الكلفة المالية، لكن لا طلب عليها في القطاع الخاص، والتوظيف في القطاع العام محدود، لذلك لا بدّ من ضرورة نشر وتشجيع ما يسمى " التعليم من أجل التنمية " وليس للشهادة فقط، بمعنى أن يخدم التعليم متطلبات سوق العمل لا أن يسهم في تخريج البطالة، وتعميم مفهوم " التعلم مدى الحياة " بمعنى ضرورة التطوير المستمر للمهارات لمواكبة المتغيرات المستمرة والمطلوبة في سوق العمل، بحيث تواكبها المرأة في حياتها العملية ليسهم في رفع إنتاجيتها وقدرتها على المنافسة. كما أن المؤهل العلمي العالي كالمجستير والدكتوراه يشكل عائقاً آخر أمام المرأة بحجة أنها مؤهلة أكثر من المطلوب، ولتفادي الرواتب العالية.

ثالثاً: محور المشاركة الاقتصادية وبيئة العمل:

تحاول العديد من المنشآت، خاصة الصغيرة والمتوسطة، التحايل على قانون العمل بعدم التقيد بشروط العقود المبرمة مع النساء العاملات، فيما يتعلق بالأجور وإجازة الأمومة وساعات العمل والاشتراك في الضمان الاجتماعي، وتفضل الكثير من المؤسسات النساء العزباوات لتفادي حالات الغياب لرعاية أطفالهن في حالات المرض أحياناً، كما يشكل ارتداء الحجاب عائقاً في توظيف النساء في بعض القطاعات كالبنوك وقطاع السياحة.

كما أن ظروف العمل غير المناسبة؛ كالأضطرار للوقوف طوال اليوم دون توفير مقاعد لهن، أو النقص في التهوية أو التدفئة المناسبة، تشكل عائقاً أمام عمل المرأة.

رابعاً: محور القوانين والأنظمة:

يُعد قانون العمل الأردني من أفضل القوانين العربية، ولكن تكمن المشكلة في التعدي والتحايل عليه، خاصة في العديد من المدارس والمنشآت الصغيرة والمتوسطة، وحيث لا التزام بشروط القانون من حيث الأجور والإجازات وبيئة العمل وشمول العاملات بالضمان الاجتماعي، مما يحد من المشاركة الفعالة للمرأة في سوق العمل.

خامساً: محور المشاريع الصغيرة والمتوسطة:

بالرغم من الجهود المبذولة من قبل المؤسسات الوطنية والدولية والصناديق والمنظمات غير الحكومية العاملة في هذا المجال، إلا أن النساء يعزفن عن الانخراط في هذا القطاع وبخاصة أن الأهل لا يشجعونهن خوفاً من فشل المشروع واضطرار الأسرة لسداد القرض المترتب على المشروع. كما أن النساء يعانين من صعوبة الحصول على التمويل، وخاصة توفير الكفالات المطلوبة للحصول على التمويل اللازم لإقامة المشاريع.

دراسة (رزان الزعبي وأمل الخاروف، 2015) بعنوان "موقف الشباب من عمل المرأة في القطاع السياحي": هدفت الدراسة إلى تعرف الاتجاهات نحو عمل المرأة في القطاع السياحي في الأردن، من خلال التعرف إلى العلاقة بين المتغيرات الاجتماعية والديموغرافية والاقتصادية، ورغبة الشباب في عمل المرأة في القطاع السياحي، والتعرف إلى التحديات التي تحول دون عمل المرأة في القطاع السياحي، وعلاقتها بالعوامل الديموغرافية والاجتماعية والاقتصادية، كذلك التعرف إلى التطلعات والحلول التي قد تسهم في زيادة مشاركة المرأة في قطاع السياحة من وجهة نظر الشباب.

وقد أظهرت النتائج إدراكاً واضحاً من قبل الطلاب والطالبات للتحديات التي تحول دون عمل المرأة في قطاع السياحة، وعن تأثير العوامل الديموغرافية والاجتماعية والاقتصادية على التحديات التي تحول دون عمل المرأة في قطاع السياحة. وأظهرت النتائج اتفاقاً بين الإناث والذكور في هذه التحديات، وبينت النتائج أثر السنة الدراسية الرابعة والعمر من 22-24 سنة، وطلاب وطالبات كليتي التاريخ واللغات، ودخل الأسرة أكثر من 500 دينار، والأسرة الصغيرة وكذلك ارتفاع المستوى التعليمي للوالدين. جميع هذه العوامل كان لها أثر إيجابي على مدى إدراك الطلاب والطالبات لهذه التحديات، وأما مكان السكن فقد كانت الطالبات من سكان القرية لديهن إدراك أفضل، في المقابل كان الطلاب من سكان البادية لديهم إدراك أفضل لهذه التحديات. وعن المحفزات التي تشجع عمل المرأة في قطاع السياحة، بينت النتائج أنه، وبالإجمال، كان هناك تأييد كبير من قبل الطلاب والطالبات لهذه المحفزات.

دراسة (سعيد حمائل، 2002) بعنوان "اتجاهات طلبة الجامعات الفلسطينية نحو عمل المرأة": هدفت الدراسة إلى التعرف إلى اتجاهات طلبة الجامعات الفلسطينية نحو عمل المرأة، إضافة إلى تحديد الفروق في اتجاهات الطلبة في الجامعات الفلسطينية نحو عمل المرأة تبعاً لمتغيرات الجنس، الكلية، عمل الأم، عمل الأب، مكان الإقامة، عدد أفراد الأسرة، المستوى الدراسي، والمعدل الأكاديمي.

وقد تم التوصل إلى النتائج الآتية:

1. إن اتجاهات طلبة الجامعات الفلسطينية نحو عمل المرأة إيجابية حيث وصلت النسبة المئوية للاستجابة على اتجاهات الطلبة (65,61%).
2. وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة على اتجاهات طلبة الجامعات الفلسطينية نحو عمل المرأة تعزى لمتغيرات الجنس، وعمل الأم، وعمل الأب، ومكان الإقامة، وعدد أفراد الأسرة، والمستوى الدراسي، والمعدل الأكاديمي.
3. لم تكن الفروق ذات دالة إحصائية تبعاً لمتغير الكلية.

(ب) الدراسات الأجنبية:

دراسة الوكالة النرويجية "فافو" (FAFO,2011): هدفت الدراسة إلى دراسة الجوانب المعيشية لحياة اللاجئين الفلسطينيين في أماكن سكنهم، حيث أصبح ذلك مطلباً مهماً لما له من آثار وتبعات تنموية مختلفة، بشكل يوضح الظروف الحقيقية لمستويات الحياة التي يحيها أولئك اللاجئين، ومدى تشابه هذه الظروف بتمثيلاتها في قطاعات السكان الأخرى في المجتمع.

وقد توصلت الدراسة إلى العديد من النتائج والاستخلاصات البالغة الأهمية بالنسبة لأوضاع اللاجئين الفلسطينيين في المخيمات في الأردن، وكان لعمل المرأة جانب كبير من هذه الدراسة، حيث تم توفير قاعدة بيانات كبيرة وموثقة ودقيقة ستعزز من قدرات دائرة الشؤون الفلسطينية والمؤسسات الدولية والحكومية في الاعتماد على هذه البيانات والمعلومات لرسم السياسات، واتخاذ القرارات الملائمة لهذه الشريحة الوطنية، وفق معايير المصلحة الوطنية العليا للدولة الأردنية.

ومن أهم النتائج لدراسة فافو أن معدل مشاركة المرأة في القوى العاملة لا يتجاوز 14%، وتزداد هذه المشاركة بشكل واضح للواتي حصلن على التعليم لما بعد المرحلة الثانوية، وترتفع المشاركة للنساء بالتعليم العالي بشكل كبير، ومع ذلك فإن البطالة تزداد لدى النساء كلما ارتفعت درجة التحصيل العلمي، وتنخفض نسبة المشاركة بين غير المتزوجات والمتزوجات من 25% إلى 4%. وتميل النساء إلى العمل لساعات أقل من الرجال، ويفضّلن الفترة الواحدة وال صباحية، كما يفضل مجتمع المخيم أن تعمل المرأة داخل المخيم الذي يقيمون فيه، وأظهر موظفو القطاع العام رضا أكبر من موظفي القطاع الخاص.

دراسة بول (Ball,1991): هدفت الدراسة إلى التعرف إلى مدى تأثير مدة عمل الأم والمساندة الاقتصادية لأبنائها على مستوى الطموح والتحصيل العلمي، ولتطبيق دراسته قام باستخدام عينة تكونت من (111) أمًا عاملة أمريكية ولديهن أبناء في سن (12-18) عاماً،

وأظهرت نتائج الدراسة أنه كلما زادت مدة عمل الأم ارتفع مستوى الطموح والتحصيل التعليمي لأبنائها.

دراسة بيرنات (Biernat,1992): هدفت الدراسة التي أجراها الباحث في الولايات المتحدة الأمريكية إلى التعرف إلى ساعات العمل الزائدة وأثر ذلك في بعض السمات الشخصية، تكونت عينة الدراسة من (334) من الذكور و(189) من الإناث المتزوجات، وقد تبين للباحث أن ساعات العمل الزائدة لدى المرأة العاملة، تؤثر سلباً في بعض سمات الشخصية لديها، مثل المزاج الصعب، وعدم وجود روح معنوية عالية لديها، كما أشارت نتائج الدراسة إلى أن ساعات العمل الزائد تؤثر سلباً في متطلبات الأدوار وعلى الأبناء وإشباع المتطلبات الأسرية.

دراسة كوهن (Cohen,1999): هدفت هذه الدراسة للتعرف إلى ما يعنيه العمل لاثنتي عشرة امرأة في الولايات المتحدة الأمريكية، ولتحقيق ذلك استخدم الباحث أسلوب المقابلات المفتوحة. يبين تحليل البيانات أن العوامل التالية تؤثر على نحو مهم في الرفاهية التي تتمتع بها المشاركات: إكمال التعليم، والدعم المقدم من العائلات والناصحين المخلصين، والمساعدة المقدمة من مصادر لم تكن في الحسبان، والخصائص الشخصية، مزاياهن الشخصية: العناد وحب الاستطلاع والمرونة والذكاء، أسهمت بشكل كبير في نجاحهن، وقد يعد التصميم على تحقيق الأهداف والقدرة على التكيف من العوامل الرئيسية للتغلب على العقبات. وحققن فوائد من إتاحة الفرص رغم معارضة المجتمع والعائلة، وفقدان الأبوين والأزواج والتعصب الديني، فقد أكملن تعليمهن ودخلن مكان العمل ونجحن فيه. وأشارت النتائج إلى أن العمل يعني لهؤلاء النساء الاستقلالية والأمن الاقتصادي والتبجيل الذاتي والتمثين الصحي.

(ج) ملخص الدراسات السابقة:

إن جميع الدراسات السابقة تؤكد أهمية عمل المرأة، وأثر عمل المرأة الإيجابي من الناحية الاجتماعية؛ فهو يحقق للمرأة الاستقلالية ويزيد من ثقافتها واحترام المجتمع لها، ويجعلها قادرة على إحداث تغيير في مجتمعها والارتقاء بعائلتها اجتماعياً وثقافياً.

كما أن لعمل المرأة دوراً اقتصادياً مهماً لمجتمعها وعائلتها، ولكن جميع الدراسات السابقة أظهرت ضعف مشاركة المرأة في القوة العاملة وخاصة في الأردن، حيث لم تزد قوة العمل للإناث بالنسبة إلى عدد السكان من الإناث عن 13% وهي دون المستوى المطلوب.

وقد أظهرت الدراسات السابقة أن ضعف مشاركة المرأة في سوق العمل في الأردن يعود لأسباب كثيرة، بعضها يتعلق ببيئة العمل والمكان المناسب لعمل المرأة، وبعضها الآخر يتعلق بمعيقات كثيرة ومتنوعة، فهناك معيقات اجتماعية تتعلق بتسلط أفراد الأسرة من الذكور في كل ما

يتعلق بأمور المرأة، ومدى تقبل عمل المرأة اجتماعياً في بعض فئات المجتمع الأردني، وهناك معوقات تتعلق بالتعليم والمهارات التي تستطيع المرأة إتقانها، حيث نجد أن هناك نسبة كبيرة من الفتيات يتعلمن من أجل الشهادة فقط، وليس من أجل ان يخدم التعليم متطلبات سوق العمل، إضافة إلى الصعوبات التي تواجه المرأة في القطاع الخاص من تحايل على قانون العمل الأردني، من حيث الأجور وساعات العمل وبيئة العمل وشمول العاملات بالضمان الاجتماعي.

ويتضح من نتائج هذه الدراسة توافق بنسب عالية مع الدراسات السابقة من جميع النواحي الاجتماعية، والدينية، والاقتصادية. وبيئة العمل ومكانه ومعيقاته، مما يدل على أن الاتجاهات نحو عمل المرأة تكاد تكون متشابهة في جميع المجتمعات، بالرغم من اختلاف الظروف والعوامل، وهذه هي الإضافة المعرفية التي قدمتها هذه الدراسة.

إن كل ما سبق يؤكد ضرورة تكاتف الجهود بين جميع القطاعات للنهوض بعمل المرأة ويجب أن يكون هناك تنسيق بين القطاع الحكومي والخاص، ومؤسسات المجتمع المدني، والمنظمات الدولية، ومؤسسة العائلة لزيادة مشاركة المرأة التي تمثل نصف المجتمع في القوى العاملة.

الفصل الثالث: المنهجية وإجراءات الدراسة

منهجية البحث:

لغايات الدراسة استخدم الباحث منهج الإحصاء الوصفي التحليلي للإجابة عن أسئلة الدراسة، وذلك من خلال تصميم استبانة لجمع المعلومات والبيانات المتعلقة بموضوع الدراسة وتوزيعها على مجتمع البحث والدراسة، للإجابة عنها ومن ثم جمع هذه الاستبانات وتحليلها.

مجتمع وعينة الدراسة:

سيكون مجتمع البحث والدراسة خمسة مخيمات هي إربد، وسوف، والبقعة، والوحدات، وحطين؛ كونها تمثل جميع المحافظات التي يوجد فيها مخيمات لاجئين فلسطينيين، وهي الأكبر نسبياً من حيث المساحة وعدد السكان. وتعد ممثلة لباقي المخيمات لوجود تشابه كبير في الظروف المحيطة بين مخيمات الدراسة والمخيمات الأخرى، حيث إن التشابه موجود بين مخيم الوحدات ومخيمي الحسين والأمير حسن، وبين مخيم سوف ومخيم مادبا والطالبية والسخنة، وكذلك الحال بين مخيم إربد ومخيم الزرقاء، في حين تم استثناء مخيم جرش من الدراسة لاختلاف ظروفه المحيطة عن جميع المخيمات الأخرى، حيث إنه بحاجة إلى دراسة مستقلة معمقة، فقد أظهرت دراسة الوكالة النرويجية "فافو" في عام 2011 أن نتائج مخيم جرش كانت الأسوأ في جميع النواحي.

وقد تكونت عينة الدراسة من (244) فرداً من سكان مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في الأردن، وتم اختيارهم بطريق طبقية عشوائية أخذت بعين الاعتبار أعداد الذكور والإناث في كل مخيم، استناداً إلى نسبة عدد الذكور والإناث في كل مخيم من مخيمات الدراسة، اعتماداً على الدراسة التي أجرتها الوكالة النرويجية "فافو" في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في الأردن، وتم تحديد عدد الأفراد من كل مخيم بنسبة فرد لكل (1000) فرد من سكان المخيم ونسبة الذكور والإناث فيه، بحيث لا يقل عدد أفراد العينة من الذكور أو الإناث في أقل مخيم عن (18) لكي تتناسب وعدد المتغيرات المستقلة وبحد أدنى (36) فرداً وحد أعلى (70) فرداً من كل مخيم تم اختياره ضمن العينة، مع مراعاة الفئات العمرية والمستويات العلمية.

جدول (1): توزيع أفراد عينة الدراسة حسب مكان السكن والجنس

اسم المخيم	عدد سكان المخيم	نسبة سكان المخيم عدد أفراد		نسبة (ث) إناث		نسبة (ذ) ذكور	
		لمجموع المخيمات الخمسة %	العينة من المخيم	نسبة (ث) من سكان المخيم %	عدد (ث) من العينة	نسبة (ذ) من سكان المخيم %	عدد (ذ) من العينة
إربد	23248	8.80	36	50.15	18	49.85	18
سوف	20478	7.75	38	51.68	20	48.32	18
البقعة	120121	45.46	70	48.83	34	51.17	36
الوحدات	49959	18.91	50	48.37	24	51.63	26
حطين	50425	19.08	50	48.67	24	51.33	26
مجموع	264231	100.00	244		120		124

المصدر: دائرة الشؤون الفلسطينية / مديرية خدمات المخيمات، ودراسة الوكالة النرويجية FAFO عام 2011

أداة الدراسة: اعتمد الباحث في جمع البيانات على بيانات أولية من خلال جمع المعلومات من عينة الدراسة، وذلك باستخدام أسلوب الاستبانة التي تحتوي على مجموعة من الأسئلة ليتم توجيهها لمجتمع البحث والدراسة.

صدق الأداة:

للتحقق من الصدق الظاهري لأداة الدراسة، تم عرض استبانة الدراسة وأهداف الدراسة وأسئلتها على مجموعة من موظفي دائرة الشؤون الفلسطينية وعددهم (7) من مختلف مديريات الدائرة ومكاتبها المنتشرة في المحافظات، الذين لهم خبرة كبيرة عن مجتمع المخيمات لإبداء رأيهم في مدى صلاحية أداة الدراسة وملاءمتها لقياس أهداف الدراسة، حيث قام الباحث بإجراء

بعض التعديلات على بعض الفقرات وحذف البعض الآخر، لتخرج الاستبانة بالصورة النهائية وبنسبة اتفاق قاربت على 100% .

ثبات أداة الدراسة:

بعد اعتماد أداة الدراسة بصورتها النهائية، تم التحقق من ثبات أداة الدراسة باستخدام معادلة كرونباخ ألفا، وتطبيق برنامج الرزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) حيث تراوحت قيمة معامل الثبات بين (0.898) للناحية الاجتماعية وبين (0.745) لناحية بيئة العمل ومكانه، وبما أن المعدل أكبر من (0.6) فإن ذلك جيد ويفي بأغراض الدراسة.

جدول (2): معامل الثبات (كرونباخ ألفا) لمتوسط درجات أفراد العينة

معامل الثبات	النواحي المؤثرة في اتجاهات مجتمع المخيمات نحو عمل المرأة
0.898	الناحية الاجتماعية والدينية
0.868	الناحية الاقتصادية
0.745	بيئة العمل ومكانه
0.752	معيقات عمل المرأة

دالة إحصائية عند P=0.01

المعالجات الإحصائية:

تم استخدام برنامج الرزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) للحصول على النتائج الإحصائية التالية:

- 1- التكرارات والنسب المئوية.
- 2- الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية
- 3- اختبار تحليل التباين الأحادي One Way ANOVA

ولاستخراج الدرجات على الاستبانة تم إعطاء الإجابات الخمس الدرجات الآتية:

- 1- (5) درجات للإجابة: موافق بشدة
- 2- (4) درجات للإجابة: موافق
- 3- (3) درجات للإجابة: محايد
- 4- درجتان للإجابة: معارض
- 5- درجة واحدة للإجابة: معارض بشدة

ولتفسير النتائج تم تصنيف المتوسطات الحسابية كما يلي:

(1,0 - 1,8) متدن، (1,81 - 2,60) مقبول، (2,61 - 3,40) متوسط، (3,41 - 4,20) مرتفع، (4,21 - 5,00) مرتفع جداً.

الفصل الرابع: عرض نتائج الدراسة وتحليلها

يتضمن هذا الفصل عرضاً تحليلياً للنتائج التي توصلت إليها الدراسة، من حيث أسئلة الدراسة وفرضياتها على النحو التالي:

أولاً: النتائج المتعلقة بالناحية الاجتماعية والاقتصادية ومكان العمل: توضح الجداول رقم (3,4,5,6) اتجاهات أفراد العينة نحو عمل المرأة من الناحية الاجتماعية والاقتصادية ومكان العمل، تبعاً للجنس ومكان السكن والمستوى العلمي والفئات العمرية على التوالي.

وقد كانت الاتجاهات تبعاً لجميع المتغيرات إيجابية بشكل عام وعلى النحو التالي:

- تبعاً لمتغير الجنس: يوضح الجدول رقم (3) أن اتجاهات أفراد العينة كانت إيجابية وبدرجات مرتفعة وقدرها (3.994، 4.162) للذكور والإناث على التوالي، وكانت اتجاهات الإناث أكثر إيجابية من الذكور، ولمعرفة ما إذا كانت هناك فروقات ذات دلالة إحصائية سنقوم بإجراء تحليل التباين الأحادي ANOVA.

- تبعاً لمتغير مكان السكن: يوضح الجدول رقم (4) أن اتجاهات أفراد العينة كانت إيجابية وبدرجات مرتفعة قدرها (4.215، 4.117، 4.076، 3.923، 4.103) لمخيمات إربد، وسوف، والبقعة، والوحدات، وحطين على التوالي، وكانت اتجاهات مخيم إربد الأكثر إيجابية، ولمعرفة ما إذا كانت هناك فروقات ذات دلالة إحصائية سنقوم بإجراء تحليل التباين الأحادي ANOVA.

- تبعاً لمتغير المستوى العلمي: يوضح الجدول رقم (5) أن اتجاهات أفراد العينة كانت إيجابية وبدرجات مرتفعة قدرها (4.145، 4.142، 3.924) للبكالوريوس، والدبلوم، والثانوية فما دون على التوالي، وكانت اتجاهات حملة شهادة البكالوريوس الأكثر إيجابية تليها حملة شهادة الدبلوم. ولمعرفة ما إذا كانت هناك فروقات ذات دلالة إحصائية سنقوم بإجراء تحليل التباين الأحادي ANOVA.

- تبعاً لمتغير الفئات العمرية: يوضح الجدول رقم (6) أن اتجاهات أفراد العينة كانت إيجابية وبدرجات مرتفعة قدرها (4.132، 4.108) للشباب والرجال على التوالي وكانت اتجاهات الشباب أكثر إيجابية من الرجال.

جدول رقم (3): المتوسط الحسابي والانحراف المعياري للناحية الاجتماعية والاقتصادية ومكان العمل تبعاً للجنس

الجنس						الفقرة
المجموع (ن = 244)	ذكر (ن = 124)	أنثى (ن = 120)	المتوسط الحسابي	المتوسط الحسابي	المتوسط الحسابي	
.954	4.06	.940	4.20	.951	3.92	عمل المرأة لا يتعارض مع الدين
.931	3.95	.868	4.11	.968	3.81	عمل المرأة لا يتعارض مع العادات والتقاليد الاجتماعية
.915	4.15	.786	4.36	.987	3.95	عمل المرأة يزيد من ثقافتها
1.128	3.50	1.073	3.74	1.136	3.27	عمل المرأة لا يؤثر على واجباتها المنزلية
1.066	3.69	.984	3.85	1.122	3.54	عمل المرأة يقلل من المشاكل الاجتماعية
.893	4.29	.818	4.36	.959	4.22	المرأة العاملة مرغوبة للزواج أكثر من غيرها
0.802	3.94	0.74	4.10	0.83	3.78	الناحية الاجتماعية والدينية
.725	4.33	.647	4.46	.775	4.20	عمل المرأة يجعلها منتجة مما يزيد الناتج المحلي للأردن
.737	4.29	.670	4.43	.772	4.15	عمل المرأة يساهم في خفض نسبة الفقر في مجتمع المخيمات
.797	4.29	.686	4.48	.854	4.10	المرأة العاملة تشارك الرجل في تحمل أعباء الحياة وتكاليفها
0.670	4.30	0.61	4.46	0.70	4.15	الناحية الاقتصادية
1.184	3.47	1.254	3.41	1.115	3.52	من الأفضل أن تعمل المرأة داخل المخيم
.973	3.89	1.069	3.87	.874	3.91	من الأفضل أن تعمل المرأة في القطاع العام
.752	4.28	.830	4.32	.670	4.25	من الأفضل أن تعمل المرأة بنظام الفترة الواحدة

الجنس						الفقرة
المجموع (ن=244)		ذكر (ن = 124) أنثى (ن = 120)				
المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	
4.31	0.677	4.28	0.840	4.29	0.760	من الأفضل أن تعمل المرأة بنظام الفترة الصباحية
4.26	0.909	3.76	1.138	4.01	1.056	من الأفضل عدم اختلاط المرأة مع الرجل في العمل
4.05	0.62	3.93	0.73	3.99	0.675	مكان العمل
3.994	0.585	4.162	0.512	4.077	0.556	الناحية الاجتماعية والاقتصادية ومكان العمل

جدول رقم (4): المتوسط الحسابي للناحية الاجتماعية والاقتصادية ومكان العمل تبعاً لمكان السكن

مكان السكن						الفقرة
إربد (ن=36)	سوف (ن=38)	البقعة (ن=70)	الوحدات (ن=50)	حطين (ن=50)	المجموع (ن=244)	
المتوسط الحسابي						
4.36	4.11	3.86	3.92	4.22	4.06	عمل المرأة لا يتعارض مع الدين
4.11	4.00	3.96	3.72	4.04	3.95	عمل المرأة لا يتعارض مع العادات والتقاليد الاجتماعية
4.44	4.32	3.87	4.00	4.36	4.15	عمل المرأة يزيد من ثقافتها
3.47	3.13	3.61	3.46	3.70	3.50	عمل المرأة لا يؤثر على واجباتها المنزلية
3.89	3.47	3.49	3.74	3.96	3.69	عمل المرأة يقلل من المشاكل الاجتماعية

مكان السكن						الفقرة
إربد (ن=36)	سوف (ن=38)	البقعة (ن=70)	الوحدات (ن=50)	حطين (ن=50)	المجموع (ن=244)	
المتوسط الحسابي	المتوسط الحسابي	المتوسط الحسابي	المتوسط الحسابي	المتوسط الحسابي	المتوسط الحسابي	
4.44	4.50	4.19	4.20	4.24	4.29	المرأة العاملة مرغوبة للزواج أكثر من غيرها
4.12	3.92	3.82	3.84	4.09	3.94	الناحية الاجتماعية والدينية
4.39	4.26	4.30	4.30	4.40	4.33	عمل المرأة يجعلها منتجة مما يزيد الناتج المحلي للأردن
4.56	4.37	4.26	4.12	4.24	4.29	عمل المرأة يساهم في خفض نسبة الفقر في مجتمع المخيمات
4.61	4.42	4.14	4.16	4.30	4.29	المرأة العاملة تشارك الرجل في تحمل أعباء الحياة وتكاليفها
4.52	4.35	4.23	4.19	4.31	4.30	الناحية الاقتصادية
3.42	3.61	3.79	2.90	3.52	3.47	من الأفضل أن تعمل المرأة داخل المخيم
3.83	3.84	4.16	3.70	3.78	3.89	من الأفضل أن تعمل المرأة في القطاع العام
4.36	4.39	4.47	4.02	4.14	4.28	من الأفضل أن تعمل المرأة بنظام الفترة الواحدة
4.31	4.39	4.53	4.14	4.02	4.29	من الأفضل أن تعمل المرأة بنظام الفترة الصباحية

اتجاهات مجتمع مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في الأردن نحو عمل المرأة

مكان السكن						الفقرة
إربد (ن=36)	سوف (ن=38)	البقعة (ن=70)	الوحدات (ن=50)	حطين (ن=50)	المجموع (ن=244)	
المتوسط الحسابي						
4.11	4.16	3.90	3.92	4.08	4.01	من الأفضل عدم اختلاط المرأة بالرجل في العمل
4.01	4.08	4.17	3.74	3.91	3.99	مكان العمل
4.215	4.117	4.076	3.923	4.103	4.077	الناحية الاجتماعية والاقتصادية ومكان العمل

جدول (5): المتوسط الحسابي والانحراف المعياري للناحية الاجتماعية والاقتصادية ومكان العمل تبعاً للمستوى العلمي

المستوى التعليمي								الفقرة
بكالوريوس أو أعلى (ن = 89)		دبلوم (ن = 81)		ثانوية فما دون (ن = 74)		المجموع (ن = 244)		
المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	
4.19	0.877	4.10	0.903	3.85	1.069	4.06	0.954	عمل المرأة لا يتعارض مع الدين
4.01	0.923	4.06	0.857	3.77	1.001	3.95	0.931	عمل المرأة لا يتعارض مع العادات والتقاليد الاجتماعية
4.29	0.757	4.30	0.782	3.82	1.127	4.15	0.915	عمل المرأة يزيد من ثقافتها

الفقرة	المستوى التعليمي			
	بكالوريوس أو أعلى (ن = 89)	دبلوم (ن = 81)	ثانوية فما دون (ن = 74)	المجموع (ن = 244)
عمل المرأة لا يؤثر على واجباتها المنزلية	3.52	3.74	3.23	3.50
عمل المرأة يقلل من المشاكل الاجتماعية	3.62	3.88	3.58	3.69
المرأة العاملة مرغوبة للزواج أكثر من غيرها	4.42	4.40	4.01	4.29
الناحية الاجتماعية والدينية	4.00	4.08	3.71	3.94
عمل المرأة يجعلها منتجة مما يزيد الناتج المحلي للأردن	4.46	4.42	4.07	4.33
عمل المرأة يساهم في خفض نسبة الفقر في مجتمع المخيمات	4.45	4.31	4.07	4.29

اتجاهات مجتمع مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في الأردن نحو عمل المرأة

الفقرة	المستوى التعليمي			
	بكالوريوس أو أعلى (ن = 89)	دبلوم (ن = 81)	ثانوية فما دون (ن = 74)	المجموع (ن = 244)
المتوسط الانحراف الحسابي المعياري				
المرأة العاملة	4.43	4.30	4.12	4.29
تشارك الرجل في تحمل أعباء الحياة وتكاليفها	0.689	0.813	0.875	0.797
الناحية الاقتصادية	4.45	4.34	4.09	4.30
من الأفضل أن تعمل المرأة داخل المخيم	1.087	1.236	1.250	1.184
من الأفضل أن تعمل المرأة في القطاع العام	3.81	3.95	3.92	3.89
من الأفضل أن تعمل المرأة بنظام الفترة الواحدة	4.34	4.25	4.26	4.28
من الأفضل أن تعمل المرأة بنظام الفترة الصباحية	4.33	4.25	4.30	4.29

الفقرة	المستوى التعليمي			
	بكالوريوس أو أعلى (ن = 89)	دبلوم (ن = 81)	ثانوية فما دون (ن = 74)	المجموع (ن = 244)
المتوسط الانحراف الحسابي المعياري	4.00	1.128	4.05	0.973
المتوسط الانحراف الحسابي المعياري	3.98	0.62	4.00	0.66
المتوسط الانحراف الحسابي المعياري	4.145	0.445	4.142	0.543
المتوسط الانحراف الحسابي المعياري	4.077	0.658	3.924	0.556
المتوسط الانحراف الحسابي المعياري	4.01	1.066	3.99	0.76
المتوسط الانحراف الحسابي المعياري	1.056	4.00	1.128	0.973

جدول رقم (6): المتوسط الحسابي والانحراف المعياري للناحية الاجتماعية والاقتصادية ومكان العمل تبعاً للعمر

الفقرة	الفئات العمرية			
	(ن = 125) 16-40	(ن = 119) 41-65	المجموع (ن = 244)	المتوسط الانحراف الحسابي المعياري
عمل المرأة لا يتعارض مع الدين	4.16	3.95	4.06	0.954
عمل المرأة لا يتعارض مع العادات والتقاليد الاجتماعية	4.07	3.83	3.95	0.931
عمل المرأة يزيد من ثقافتها	4.30	3.99	4.15	0.915
عمل المرأة لا يؤثر على واجباتها المنزلية	3.61	3.39	3.50	1.128
عمل المرأة يقلل من المشاكل الاجتماعية	3.79	3.59	3.69	1.066

اتجاهات مجتمع مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في الأردن نحو عمل المرأة

الفئة العمرية	الفئات العمرية		الفئات العمرية		الفقرة
	المجموع (ن=244)	(ن = 119) 41-65	(ن = 125) 16-40		
المتوسط الانحراف المتوسط الحسابي					
المتوسط الانحراف المتوسط الحسابي					
المرأة العاملة مرغوبة للزواج أكثر من غيرها	4.29	.913	4.22	.873	4.35
الناحية الاجتماعية والدينية	3.94	0.799	3.83	0.793	4.05
عمل المرأة يجعلها منتجة مما يزيد الناتج المحلي للأردن	4.33	.786	4.26	.659	4.39
عمل المرأة يسهم في خفض نسبة الفقر في مجتمع المخيمات	4.29	.706	4.23	.763	4.34
المرأة العاملة تشارك الرجل في تحمل أعباء الحياة وتكاليفها	4.29	.785	4.17	.794	4.41
الناحية الاقتصادية	4.30	0.678	4.22	0.655	4.38
من الأفضل أن تعمل المرأة داخل المخيم	3.47	1.100	3.41	1.261	3.52
من الأفضل أن تعمل المرأة في القطاع العام	3.89	.958	3.88	.990	3.90
من الأفضل أن تعمل المرأة بنظام الفترة الواحدة	4.28	.726	4.33	.777	4.24
من الأفضل أن تعمل المرأة بنظام الفترة الصباحية	4.29	.749	4.33	.772	4.26
من الأفضل عدم اختلاط المرأة مع الرجل في العمل	4.01	.978	4.10	1.123	3.93
مكان العمل	3.99	0.671	4.01	0.681	3.97
الناحية الاجتماعية والاقتصادية ومكان العمل	4.077	0.545	4.018	0.562	4.132

وكانت الفرضية الأولى: لا يوجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى (0.05) في الاتجاهات نحو عمل المرأة، من الناحية الاجتماعية والاقتصادية ومكان العمل تعزى للجنس، ومكان السكن والمستوى العلمي والفئات العمرية. ومن أجل فحص الفرضية تم إجراء تحليل

التباين الأحادي (One Way Anova) للتعرف إلى ما إذا كان هناك فروق ذات دلالة احصائية بين متوسطات المتغيرات المختلفة، وفيما يلي نتائج التحليل:

المتغير (الجنس):

جدول رقم (7): نتائج تحليل التباين الأحادي للناحية الاجتماعية والاقتصادية ومكان العمل حسب الجنس

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة F	مستوى الدلالة
بين المجموعات	1.713	1	1.713	5.653	.018
داخل المجموعات	73.329	242	.303		
المجموع	75.042	243			

مستوى الدلالة (0.018) أقل من (0.05) وبالتالي نرفض الفرضية الأولى تبعا لمتغير الجنس، ونقبل بوجود فروقات ذات دلالة إحصائية عند المستوى 0.05 في الاتجاهات نحو عمل المرأة من الناحية الاجتماعية والاقتصادية ومكان العمل تعزى للجنس، وهي لصالح الإناث، حيث إنهن أكثر إيجابية، حيث بلغ المتوسط الحسابي لهن (4.162) بينما للذكور (3.994).

المتغير (مكان السكن):

جدول رقم (8): نتائج تحليل التباين الأحادي للناحية الاجتماعية والاقتصادية ومكان العمل من حيث مكان السكن

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة F	مستوى الدلالة
بين المجموعات	1.962	4	.490	1.604	.174
داخل المجموعات	73.080	239	.306		
المجموع	75.042	243			

يلاحظ من الجدول (8) أن مستوى الدلالة (0.174) أكبر من (0.05) وبالتالي نقبل الفرضية الأولى تبعا لمتغير مكان السكن بأنه لا يوجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى (0.05) في الاتجاهات نحو عمل المرأة من الناحية الاجتماعية والاقتصادية ومكان العمل تعزى لمكان السكن.

المتغير (المستوى التعليمي):

جدول رقم (9): نتائج تحليل التباين الأحادي للناحية الاجتماعية والاقتصادية ومكان العمل تبعاً للمستوى التعليمي

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة F	مستوى الدلالة
بين المجموعات	2.472	2	1.236	4.105	.018
داخل المجموعات	72.570	241	.301		
المجموع	75.042	243			

مستوى الدلالة (0.018) أقل من (0.05) وبالتالي نرفض الفرضية الأولى تبعاً لمتغير المستوى العلمي، ونقبل بوجود فروقات ذات دلالة إحصائية عند المستوى 0.05 في الاتجاهات نحو عمل المرأة من الناحية الاجتماعية والاقتصادية ومكان العمل تعزى للمستوى العلمي وهي لصالح حملة شهادة البكالوريوس حيث إنهن أكثر إيجابية، حيث بلغ المتوسط الحسابي لهن (4.145) بينما للدبلوم (4.142) والثانوية فما دون (3.924).

المتغير (الفئات العمرية):

جدول رقم (10): نتائج تحليل التباين الأحادي للناحية الاجتماعية والاقتصادية ومكان العمل تبعاً للفئات العمرية

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة F	مستوى الدلالة
بين المجموعات	.792	1	.792	2.580	.110
داخل المجموعات	74.250	242	.307		
المجموع	75.042	243			

يلاحظ من الجدول (10) أن مستوى الدلالة (0.110) أكبر من 0.05 وبالتالي نقبل الفرضية الأولى تبعاً لمتغير الفئات العمرية بأنه لا يوجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى (0.05) في الاتجاهات نحو عمل المرأة من الناحية الاجتماعية والاقتصادية ومكان العمل تعزى للفئات العمرية.

ثانياً: النتائج المتعلقة بمعوقات عمل المرأة: توضح الجداول رقم (11,12,13,14) اتجاهات أفراد العينة نحو عمل المرأة من ناحية معوقات عمل المرأة تبعاً للجنس ومكان السكن والمستوى العلمي والفئات العمرية على التوالي.

وقد كانت الاتجاهات موافقة بدرجة مرتفعة على أن ضعف الرواتب ومحدودية المهن وسيطرة الرجل وانتشار ثقافة العيب من أهم معيقات عمل المرأة، حيث كانت المتوسطات الحسابية بشكل عام (4.25) (3.98)، (3.66)، (3.725) على التوالي.

وكانت الفرضية الثانية: لا يوجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى (0.05) في الاتجاهات نحو عمل المرأة من ناحية معيقات عمل المرأة تعزى للجنس ومكان السكن والمستوى العلمي والفئات العمرية. ويمكن تحليل النتائج وفق المتغيرات على النحو التالي:

- تبعاً لمتغير الجنس: يوضح الجدول رقم (11) أن اتجاهات أفراد العينة كانت (4.02, 3.79) للذكور والإناث على التوالي، وكانت اتجاهات الذكور أكثر موافقة وتأكيداً من الإناث.

جدول رقم (11): المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لمعيقات عمل المرأة تبعاً للجنس

الجنس		المتوسط		الانحراف المعياري		الفقرة
المجموع (ن = 244)	ذكر (ن = 124) أنثى (ن = 120)	المتوسط الحسابي	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الانحراف المعياري	
		4.26	4.25	0.825	0.725	ضعف الرواتب وخاصة في القطاع الخاص
		4.12	3.83	0.717	0.882	محدودية المهن التي يقبل بها مجتمع المخيمات لعمل المرأة
		3.81	3.50	0.932	1.100	سيطرة الرجل لاختياره التخصص والمكان لعمل المرأة
		3.87	3.58	1.020	1.074	انتشار ثقافة العيب لعمل المرأة عند بعض فئات مجتمع المخيمات
		4.02	3.79	0.66	0.73	معيقات عمل المرأة

ولمعرفة ما إذا كانت هناك فروقات ذات دلالة إحصائية سنقوم بإجراء تحليل التباين الأحادي ANOVA.

جدول رقم (12): نتائج تحليل التباين الأحادي لمعوقات عمل المرأة تبعاً للجنس

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة F	مستوى الدلالة
بين المجموعات	3.13	1	3.13	6.503	0.011
داخل المجموعات	116.467	242	0.481		
المجموع	119.597	243			

مستوى الدلالة (0.011) أقل من (0.05) وبالتالي نرفض الفرضية الثانية تبعاً لمتغير الجنس، ونقبل بوجود فروقات ذات دلالة إحصائية عند المستوى 0.05 في الاتجاهات نحو عمل المرأة من ناحية معوقات عمل المرأة تعزى للجنس وهي لصالح الذكور، حيث إنهم أكثر موافقة على هذه المعوقات من الإناث، إن بلغ المتوسط الحسابي للذكور (4.02) بينما للإناث (3.79).

- تبعاً لمتغير مكان السكن: يوضح الجدول رقم (13) أن اتجاهات أفراد العينة من ناحية معوقات عمل المرأة كانت (4.03، 3.93، 3.96، 3.73، 3.91) لمخيمات إربد، وسوف، والبقة، الوحدات، وحظين على التوالي.

جدول رقم (13): المتوسط الحسابي لمعوقات عمل المرأة تبعاً لمكان السكن

مكان السكن					
إربد	سوف	البقة	الوحدات	حظين	المجموع
(ن=36)	(ن=38)	(ن=70)	(ن=50)	(ن=50)	(ن=244)
المتوسط الحسابي	المتوسط الحسابي	المتوسط الحسابي	المتوسط الحسابي	المتوسط الحسابي	المتوسط الحسابي
4.56	4.29	4.31	3.96	4.22	4.25
ضعف الرواتب وخاصة في القطاع الخاص					
4.19	3.97	3.97	3.86	3.96	3.98
محدودية المهن التي يقبل بها مجتمع المخيمات لعمل المرأة					
3.50	3.53	3.84	3.56	3.72	3.66
سيطرة الرجل لاختياره التخصص والمكان لعمل المرأة					
3.86	3.92	3.70	3.52	3.72	3.73
انتشار ثقافة العيب لعمل المرأة عند بعض فئات مجتمع المخيمات					
4.03	3.93	3.96	3.73	3.91	3.90
معوقات عمل المرأة					

ولمعرفة ما إذا كانت هناك فروقات ذات دلالة إحصائية سنقوم بإجراء تحليل التباين الأحادي ANOVA.

جدول رقم (14): نتائج تحليل التباين الأحادي لمعوقات عمل المرأة تبعاً لمكان السكن

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة F	مستوى الدلالة
بين المجموعات	2.372	4	0.593	1.209	0.308
داخل المجموعات	117.225	239	0.49		
المجموع	119.597	243			

يلاحظ من الجدول (14) أن مستوى الدلالة (0.308) أكبر من (0.05) وبالتالي نقبل الفرضية الثانية تبعاً لمتغير مكان السكن بأنه لا يوجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى (0.05) في الاتجاهات نحو عمل المرأة من ناحية معوقات عمل المرأة تعزى لمكان السكن.

- تبعاً لمتغير المستوى التعليمي: يوضح الجدول رقم (15) أن اتجاهات افراد العينة من ناحية معوقات عمل المرأة كانت (3.87، 3.88، 3.98) للمستويات بكالوريوس، دبلوم، وثانوية فما دون على التوالي.

جدول رقم (15): المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لمعوقات عمل المرأة تبعاً للمستوى العلمي

المستوى التعليمي								
الفقرة	بكالوريوس أو أعلى (ن = 89)	دبلوم (ن = 81)	ثانوية فما دون (ن = 74)	المجموع (ن = 244)	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
ضعف الرواتب وخاصة في القطاع الخاص	4.20	4.33	4.23	4.25	4.20	0.786	4.23	0.732
محدودية المهن التي يقبل بها مجتمع المخيمات لعمل المرأة	3.99	3.89	4.07	3.98	3.99	0.776	4.07	0.833

الفقرة	المستوى التعليمي							
	بكالوريوس أو أعلى (ن = 89)	دبلوم (ن = 81)	ثانوية فما دون (ن = 74)	المجموع (ن = 244)	بكالوريوس أو أعلى (ن = 89)	دبلوم (ن = 81)	ثانوية فما دون (ن = 74)	المجموع (ن = 244)
سيطرة الرجل لاختياره التخصص والمكان لعمل المرأة	3.62	.923	3.60	1.069	3.77	1.105	3.66	1.028
انتشار ثقافة العيب لعمل المرأة عند بعض فئات مجتمع المخيمات	3.67	1.009	3.68	1.047	3.84	1.123	3.73	1.055
معيقات عمل المرأة الناحية الاقتصادية	4.00	0.72	4.08	0.74	3.71	0.91	3.94	0.802
بيئة العمل	3.98	0.62	4.00	0.66	3.98	0.76	3.99	0.675
معيقات عمل المرأة	3.87	0.71	3.88	0.71	3.98	0.68	3.90	0.702

ولمعرفة ما إذا كانت هناك فروقات ذات دلالة إحصائية سنقوم بإجراء تحليل التباين الأحادي

.ANOVA

جدول رقم (16): نتائج تحليل التباين الأحادي لمعيقات عمل المرأة تبعاً للمستوى العلمي

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة F	مستوى الدلالة
بين المجموعات	0.546	2	0.273	0.553	0.576
داخل المجموعات	119.051	241	0.494		
المجموع	119.597	243			

يلاحظ من الجدول (16) أن مستوى الدلالة (0.576) أكبر من (0.05) وبالتالي نقبل الفرضية الثانية تبعاً لمتغير المستوى التعليمي بأنه لا يوجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى (0.05) في الاتجاهات نحو عمل المرأة من ناحية معيقات عمل المرأة تعزى للمستوى التعليمي.

- تبعاً لمتغير للفئات العمرية: يوضح الجدول رقم (17) أن اتجاهات أفراد العينة من ناحية معيقات عمل المرأة كانت (3.82, 3.99) للفئات العمرية (شباب 16-40), (رجال 41-65) على التوالي

جدول رقم (17): المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لمعيقات عمل المرأة تبعاً للعمر

الفئات العمرية						
(40-16) ن=125 (65-41) ن=119 المجموع (ن=244)						
الفقرة						
المتوسط الحسابي المعياري						
المتوسط الحسابي المعياري						
المتوسط الحسابي المعياري						
0.776	4.25	0.769	4.21	0.783	4.30	ضعف الرواتب وخاصة في القطاع الخاص
0.814	3.98	0.727	4.08	0.882	3.89	محدودية المهن التي يقبل بها مجتمع المخيمات لعمل المرأة
1.028	3.66	0.947	3.79	1.089	3.54	سيطرة الرجل لاختياره التخصص والمكان لعمل المرأة
1.055	3.73	0.894	3.88	1.073	3.58	انتشار ثقافة العيب لعمل المرأة عند بعض فئات مجتمع المخيمات
0.702	3.90	0.623	3.99	0.763	3.82	معيقات عمل المرأة

ولمعرفة ما إذا كانت هناك فروق ذات دلالة إحصائية في المتوسطات الحسابية بين الفئات العمرية، تم إجراء اختبار تحليل التباين الأحادي كما هو موضح في الجدول رقم (18) الآتي:

جدول رقم (18): نتائج تحليل التباين الأحادي لمعيقات عمل المرأة تبعاً للفئات العمرية

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة F	مستوى الدلالة
بين المجموعات	1.670	1	1.670	3.426	0.065
داخل المجموعات	117.927	242	0.487		
المجموع	119.597	243			

مستوى الدلالة (0.065) أكبر من (0.05). وبالتالي نقبل الفرضية الثانية تبعاً لمتغير المستوى التعليمي بأنه لا يوجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى (0.05) في الاتجاهات نحو عمل المرأة من ناحية معيقات عمل المرأة تعزى للفئات العمرية.

الفصل الخامس: مناقشة نتائج الدراسة والتوصيات

هدفت الدراسة إلى التعرف إلى اتجاهات مجتمع مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في الأردن نحو عمل المرأة من النواحي الاجتماعية، والدينية، والاقتصادية، وبيئة عمل المرأة ومعوقاته، تبعاً لمتغيرات الجنس، ومكان السكن، والعمر، والمستوى التعليمي.

ولتحقيق ذلك تم إجراء الدراسة على عينة قوامها (244) فرداً من سكان المخيمات، وبعد عملية جمع البيانات ومعالجتها إحصائياً، باستخدام برنامج الرزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) نجد أن نتائج البحث حققت فوائد من الناحية النظرية والتطبيقية، حيث ستكون ذات فائدة كبيرة للمسؤولين عن اللاجئين الفلسطينيين من حيث السياسات والخطط المتعلقة بعمل المرأة كما يتضح في التوصيات، وفيما يلي عرض لمناقشة النتائج.

أولاً: الناحية الاجتماعية:

لقد أظهرت نتائج الدراسة أن اتجاهات مجتمع مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في الأردن نحو عمل المرأة من الناحية الاجتماعية كانت إيجابية، وتتفق هذه النتائج مع دراسة (سعيد حمائل، 2002) ولا تتفق مع دراسة (هيام كلمات، 2012) التي توضح صعوبة تقبل الرجل مشاركة المرأة في تحمل بعض المسؤوليات الأسرية. ولم يكن هناك فروق تبعاً لمكان السكن، بينما كانت الإناث أكثر إيجابية وكانت حملة شهادة الدبلوم والبيكالوريوس والدراسات العليا أكثر إيجابية من حملة الشهادة الثانوية فما دون.

وكان الشباب ذوي الفئة العمرية (16-40) أكثر رضا من الفئة العمرية (41-65)، كذلك بينت الدراسة أن هناك موافقة بدرجة مرتفعة جداً على أن المرأة العاملة مرغوبة للزواج أكثر من غيرها، مما يشجع الإناث على العمل، وهذه النتيجة تتعارض مع دراسة (مهند صلاحات، 2004) التي تقول إن بعض المجتمعات ترفض الزواج من المرأة الموظفة باعتبارها خرجت عن الطور والعادة.

ثانياً: الناحية الاقتصادية:

لقد أظهرت نتائج الدراسة أن اتجاهات أفراد العينة نحو عمل المرأة من الناحية الاقتصادية كانت إيجابية جداً، وهذا يتعارض مع نظرية "رأس المال البشري" التي ترى أنه من الأجدى

تشغيل الرجل وذلك بسبب عامل الكفاءة من جهة، والاستمرار في العمل من جهة أخرى. وهذه النتائج تتفق مع دراسة (سعيد حمائل، 2002) ودراسة (FAFO, 2011) وهذا شيء إيجابي يمكن استثماره لتشجيع مجتمع المخيمات على عمل المرأة، حيث إن النتائج توضح بأن هناك شبه إجماع على أن المرأة العاملة منتجة، وتسهم في خفض نسبة الفقر في المجتمع، وتشارك الرجل في تحمل أعباء الحياة وتكاليفها.

ثالثاً: المكان المناسب لعمل المرأة:

لقد أظهرت نتائج الدراسة أن اتجاهات أفراد العينة نحو بيئة العمل ومكانه كانت مرتفعة من حيث تفضيل عمل المرأة داخل المخيم وفي القطاع العام، وبنظام الفترة الواحدة وال الصباحية، وهذا يتفق مع دراسة (هيام كلمات، 2012)، ودراسة (FAFO, 2011) ودراسة (حداد، 2000) من حيث الرغبة في العمل في القطاع العام، وعدم الرغبة في ساعات العمل الطويلة، وعدم الاختلاط بين الرجل والمرأة في مكان العمل، ويرجع ذلك إلى البيئة المحافظة التي يعيشها معظم سكان المخيمات، وهذا يتفق مع "نظرية اقتصاديات التمييز ضد المرأة"، وتعد هذه النتائج إجابة عن سؤال الدراسة الثاني من حيث البيئة والمكان الأمثل لعمل المرأة.

رابعاً: معوقات عمل المرأة:

لقد أظهرت نتائج الدراسة أن هناك موافقة بدرجة مرتفعة على أن ضعف الرواتب وخاصة في القطاع الخاص، ومحدودية المهن التي تقبل بها مجتمع المخيمات لعمل المرأة، وسيطرة الرجل، وانتشار ثقافة العيب لعمل المرأة من أهم معوقات عمل المرأة، وتتفق هذه النتائج مع نظرية "نموذج الدور البديل" وتتفق هذه النتائج مع دراسة (هيام كلمات، 2012) من حيث تسلط أفراد الأسرة الذكور في كل ما يتعلق بأمور المرأة الحياتية، من تعليم وعمل، ويرجع ذلك إلى المجتمع الذكوري المنتشر في معظم مخيمات اللاجئين الفلسطينيين والذي يحاول دائماً السيطرة على المرأة والانتقاص من حقها بالرواتب، بحجة أنها أقل كفاءة من الرجل.

وبناء على نتائج البحث نستطيع القول إن مجتمع المخيمات بشكل عام يتمتع باتجاهات إيجابية نحو عمل المرأة من جميع النواحي، وبما يمكن أن نعزیه إلى إزدياد وعي مجتمع المخيم بأهمية مشاركة المرأة في عملية التنمية، وصعوبة الظروف الاقتصادية التي تزيد من أهمية التركيز على عمل المرأة، ولكن تبقى المشكلة في معالجة معوقات عمل المرأة بشكل عام.

التوصيات:

- 1- حث القطاع العام على توظيف نسبة معقولة من إناث المخيمات الفلسطينية، لأنه القطاع المفضل لعمل المرأة في المخيمات كما أظهرته نتائج البحث.
- 2- تقديم هذا البحث للمنظمات الدولية العاملة مع دائرة الشؤون الفلسطينية للمساعدة في معالجة معوقات عمل المرأة من خلال تبني وتمويل مشاريع في هذا الاتجاه.
- 3- التعاون مع المنظمات الدولية المهتمة بعمل المرأة في الأردن، مثل الوكالة اليابانية (جايكا) لإنشاء مشاريع داخل المخيمات، يكون الهدف منها تشغيل المرأة، حيث أظهر البحث أن نسبة كبيرة جداً من مجتمع المخيمات تفضل عمل المرأة داخل المخيمات.
- 4- على الوزارات والدوائر الحكومية تبني خارطة طريق واضحة المعالم لزيادة التمكين الاقتصادي للمرأة ونسبة مشاركتها الاقتصادية؛ بإجراء إصلاحات في السياسات والتشريعات ذات العلاقة أخذه بعين الاعتبار معوقات عمل المرأة.
- 5- حث مؤسسات المجتمع المدني في المخيمات على القيام بواجبها في توعية مجتمع المخيمات، للحد من انتشار ثقافة العيب وسيطرة الرجل في اختياره التخصص ومكان عمل المرأة.
- 6- حث دائرة الشؤون الفلسطينية على إجراء مزيد من الدراسات المتعلقة بعمل المرأة؛ لتكون جزءاً مهماً وفعالاً في عملية التنمية في المخيمات وفي الأردن بشكل عام.

Trends of the Palestinian Refugee Camps Community in Jordan towards Women's Work

Rafiq A. Khirfan, *Directorate of Planning and Projects, Department of Palestinian Affairs, Ministry of Foreign Affairs, Amman, Jordan.*

Abstract

The study aims to identify the trends of the Palestinian refugee camps community in Jordan towards women's labor by identifying the social, religious and economic aspects of this labor along with identifying the job's environment and the obstacles against women's work due to sex, place of residence, age, and educational level. The study sample consisted of (244) inhabitant of camps, and the data that was collected, has been processed statistically using statistical packages of Social Sciences processing program (SPSS).

The descriptive and analytical statistical approach was used to answer the questions and hypotheses of the study through a questionnaire designed to collect information and data from the community of study. Finally, the data were analyzed.

The study shows positive trends towards women's work from social and economic aspects, but the main problem remains as working women face some obstacles which can be summarized as follows:

- The right place for women to work; there is a preference to work inside the camp, and in the public sector.
- The environment of work such as the reservations to mingle with men, long working hours, and the preference of one period in the morning.
- Low salaries, especially in the private sector.
- Limited professions due to the control of men and the culture of shame.

The research results also show theoretical and practical importance, because of their valuable benefits to all Palestinian refugees stakeholders in terms of policies and plans related to women's work as shown in recommendations, being the first study performed in camps taking into account the trends towards women's work.

Key words: Woman's work, Obstacles, Palestinian refugee camps, Jordan.

الهوامش

1. الكيلاني، سامي (1991)، اتجاهات طلبة كليات المجتمع نحو العلوم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.
2. عبد الفتاح، كامليا (1984)، سيكولوجية المرأة العاملة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.
3. دائرة الشؤون الفلسطينية، 1988.
4. قانون العمل الأردني، 1996.
5. المرجع نفسه.
6. Vaeth, A. (2001) *Erwerbsmöglichkeiten von Frauen in laendlichen und suburbanen Gemeinden Baden-Wuerttembergs*, Heidelberg.
7. Oberhauser, A.M. (2003) *Feminism and Economic Geography: Gendering Work and Working Gender*. In: Sheppard, E. and Barnes, T. J. (eds) *A Companion to Economic Geography*, Oxford.
8. Toren, N. (1999) Women and Immigrants: Strangers in a Strange Land. *Gender Issues* , Volume 17, Issue 1, pp 76-96.
9. عوض، أحمد (2008)، *ثقافة المخيم الفلسطيني في الأردن*، ورقة عمل مقدمة إلى "مؤتمر الهوية والثقافة الوطنية ودورها في الإصلاح والتحديث" مركز الحسين الثقافي - عمان.
10. أبو صايمة، عايدة عبد الله (1997)، *المرأة في المجتمع العربي*، المكتبة الوطنية، الطبعة الأولى، عمان، الأردن.
11. المرجع نفسه.
12. دراسة المرصد العمالي الأردني، 2015.

المصادر والمراجع

المراجع العربية

- البدارين، رقية، القواسمة، فريد محمد (2013)، دور المرأة في قيادة التغيير، مجلة البلقاء للبحوث والدراسات، المجلد(16)، العدد (1).
- حداد، منار فريح (2000)، دور المرأة الأردنية ومدى مساهمتها في القوى العاملة في القطاع الحكومي الأردني، إربد للبحوث والدراسات، العدد (2)، إربد، الأردن.
- حمائل، سعيد محمد (2003)، اتجاهات طلبه الجامعات الفلسطينية نحو عمل المرأة، رسالة ماجستير/ جامعة النجاح الفلسطينية، فلسطين، نابلس.
- خضور، أديب (1997)، صورة المرأة العاملة في الإعلام العربي، المكتبة الإعلامية، دمشق، سوريا.
- دائرة الإحصاءات العامة الأردنية (2015)، جريدة الرأي الأردنية، العدد (16812)، 2016/3/8.
- دراسة المرصد العمالي الأردني (2015)، جريدة الرأي الأردنية، العدد (16812)، 2016/3/8.
- الزعبي، رزان وأمل الخاروف (2015)، موقف الشباب من عمل المرأة في القطاع السياحي: دراسة حالة الطلبة في الجامعة الأردنية، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، المجلد (8) العدد (1).
- أبو صايمة، عايدة عبد الله (1997)، المرأة في المجتمع العربي، المكتبة الوطنية، الطبعة الأولى، عمان، الأردن.
- عبد الفتاح، كامليا (1984)، سيكولوجية المرأة العاملة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.
- عمائري، رندا (2015)، تمكين المرأة العربية كمحرك أساس في التنمية البشرية، ورقة بحث في مؤتمر "الشباب العربي في منظومة تنمية الموارد البشرية واستثمارها: الواقع والمأمول" جامعة صفاقس / تونس.

- عوض، أحمد (2008)، *ثقافة المخيم الفلسطيني في الأردن*. ورقة عمل مقدمة إلى "مؤتمر الهوية والثقافة الوطنية ودورها في الإصلاح والتحديث" مركز الحسين الثقافي - عمان.
- عين نيوز، دراسة حول وضع المرأة في سوق العمل: أكثر من 76% من الأردنيات خارج نطاق الإنتاج الاقتصادي، (2011). <http://ainnews.net/?p=69407>.
- كلمات، هيام (2012)، معوقات مشاركة المرأة الأردنية في سوق العمل، جريدة الرأي الأردنية، العدد (15422)، 2012/5/14.
- الكيلاني، سامي (1991)، *اتجاهات طلبة كليات المجتمع نحو العلوم*. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.

المراجع الأجنبية:

- Age A, Tiltnes and Huafeng Zhang, (2011) *The socio-economic conditions of Jordan's Palestinian camp refugees*, Summary of findings from two surveys, Department of Palestinian Affairs, Amman.
- Ball, G.A, (1991), "Factors affecting African American working mother's educational expectation and aspirations for their teenage daughters" *Psychotically Abstract*, Vol, 79: (1).
- Biernat, (1992), Attributions and behavior in marital interactions, *Journal of Personality and Social Psychology*, vol. 63, University of Kansas, Kansas.
- Oberhauser, A.M. (2003) *Feminism and Economic Geography: Gendering Work and Working Gender*. In: Sheppard, E. and Barnes, T. J. (eds) *A Companion to Economic Geography*, Oxford.
- Cohen, Diana Irene, (2000), "How women construct meaning from work: Aphenomenological study" *Dissertation Abstract International-* vol.A60 No.12, University of St. Thomas, Minnesota.
- Robinson, G.M. (1998) *Methods and Techniques in Human Geography*, Chichester
- Toren, N. (1999) Women and Immigrants: Strangers in a Strange Land. *Gender Issues* , Volume 17, Issue 1, pp 76-96
- Vaeth, A. (2001) *Erwerbsmoeglichkeiten von Frauen in laendlichen und suburbanen Gemeinden Baden-Wuerttembergs*, Heidelberg.

استخدامات طلبة جامعة اليرموك للمدونات الإلكترونية والإشباع المتحققة منها "دراسة ميدانية"

حاتم سليم علاونة*، وخلف الطاهات*، ومحمود عبد الغني**

تاريخ الاستلام 2016/7/28

تاريخ القبول 2016/8/18

ملخص

هدفت الدراسة إلى معرفة مدى استخدام طلبة جامعة اليرموك للمدونات الإلكترونية والإشباع المتحققة منها، ومعرفة عادات استخدامهم لهذه المدونات وأنماطها، بالاعتماد على منهج المسح بشقيه الوصفي والتحليلي، وقد تكون مجتمع الدراسة من جميع طلاب جامعة اليرموك "بمختلف مستوياتهم العلمية". تم اختيار (200) مفردة منهم بالطريقة العشوائية. حيث اعتمد الباحثون على (الاستبانة) كأداة للبحث في جمع البيانات المتعلقة بالدراسة، وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج التي كان أهمها:

- 1- أن ما نسبته (57.1%) من أفراد العينة المبحوثة يستخدمون المدونات الإلكترونية دائماً، حيث جاءت في الترتيب الأول، يليها من يستخدمون المدونات أحياناً بنسبة بلغت (22.9%) في الترتيب الثاني، وأخيراً من يستخدمونها نادراً بما نسبته (20%) في الترتيب الثالث.
- 2- أن ما نسبته (25.14%) من إجمالي أفراد العينة المبحوثة يتابعون المدونات الإلكترونية لأنها يوجد بها (موضوعات وأخبار متنوعة) موزعين بين (26.96%) من الذكور و (21.17%) من الإناث، ثم جاء سبب (تعرض الموضوعات والإخبار بصراحة شديدة وحرية كبيرة) في المرتبة الثانية بما نسبته (18.29%).
- 3- أن دافع التعرف إلى مجموعة من المعلومات والمهارات المفيدة، جاء في المرتبة الأولى على قائمة دوافع أفراد العينة المبحوثة من استخدام المدونات الإلكترونية بنسبة وصلت إلى (21.71%).
- 4- أن إشباع " جعلني أعبر عن آرائي بحرية مطلقة" جاء في المرتبة الأولى على قائمة الإشباع التي تحققت استخدام المدونات الإلكترونية بنسبة (28.6%)، وهو يؤكد أهمية المدونات الإلكترونية كمتنفس يستطيع من خلاله المستخدم أن يعبر عن رأيه ووجهة نظره بكامل الحرية دون أي قيود، أما

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2017.

* قسم الصحافة، كلية الإعلام، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

** قسم الإعلام، كلية الآداب، جامعة سوهاج، سوهاج، مصر.

المرتبة الثانية فقد جاء إشباع "عزز آرائي من خلال مناقشاتي مع الآخرين" بنسبة بلغت (14.3%).

الكلمات المفتاحية: الاستخدام، المدونات الإلكترونية، الإشباع المتحققة.

المقدمة:

المدونات ظاهرة لا يمكن تجاهلها حيث أصبحت تولد في كل ثانية مدونة جديدة، كما أن هناك ضجة كبيرة صاحبت ظهور المدونات، وأصبح لدى عدد كبير من مستخدمي الإنترنت إيمان أو عقيدة بأن يشاركوا في القراءة، وأصبح التدوين وسيلة شعبية بين عدد كبير من الأفراد المتحمسين لهذه الوسيلة الجديدة في المنازل أو المكاتب⁽¹⁾، وأصبحت المدونات تمثل جزءاً أساسياً في الحصول على المعلومات والأخبار الجادة أو الخفيفة⁽²⁾ ومعظم المدونات تحتوي علي نصوص ومقالات للقراءة، كما تحتوي المدونات أيضاً على ملفات فيديو وملفات صوتية⁽³⁾.

وتتميز المدونات بأنها إعلام فردي قابل لأن يصبح فعلاً جماعياً غير حكومي عبر الفضاء الإلكتروني، من خلال قدرة الفرد على المبادرة فيما يتعلق بصياغة المادة الإعلامية وتشكيلها والعمل على انتشارها، مع الحرية في اختيار الموضوع وتحرير النص وتوقيت النشر وسهولة البث وقلة التكلفة، بالإضافة إلى إمكانية تجاهل المصدر، كما أن أصحاب المدونات يكون متاحاً لهم استخدام جميع الوسائل التقنية في إخراج رسالة إعلامية تجمع بين الصوت والصورة والكتابة والخلفية الموسيقية بشكل يجذب الجمهور.

فلقد أثبتت المدونات وجودها وجدواها كإحدى الخدمات الحديثة على الإنترنت؛ لسهولة إنشائها ونشرها وتحديثها، فضلاً عن إتاحتها لفرص التفاعل مع معديها وقرائها في كل مادة من المواد المنشورة بها، ومن وجهة نظر المدونين فإن المدونات تنشأ لأجل النشر المهني أو الشخصي لمجرد توفير المعلومات، أما من وجهة نظر المستفيدين منها، فتتم الإفادة من المدونات لأجل سد الحاجات الشخصية أو المهنية. وتتنوع موضوعات المدونات بين المجالات السياسية والعسكرية والإعلامية والأدبية والتكنولوجية، كما أنها قد تركز على موضوعات دقيقة للغاية تصل إلى الخياطة والطبخ وإصلاح السيارات، ولقد أثارت المدونات عدة تساؤلات حول جدية هذه الظاهرة وتأثيراتها المستقبلية على وسائل الإعلام، وبالتحديد على مستقبل الصحافة الورقية⁽⁴⁾.

وعلى الرغم من قلة عدد المدونات العربية مقارنة بالمدونات الغربية، إلا أنها انتشرت انتشاراً ملحوظاً في المناطق التي تتقلص فيها مساحة حرية الإعلام والتعبير عن الرأي، وأخذت درجة عالية الأهمية كونها تشكل بديلاً لوسائل الإعلام الخاضعة للرقابة، ومنتسفاً لممارسة النقد

العام، كما أصبحت طريقة سهلة ومضمونة للتحايل على الرقيب؛ سواء كان الرقيب سياسياً أو فنياً أو اجتماعياً، كما أنها توفر فرصة سريعة للتواصل من خلال تعليقات الزوار على المقالات والموضوعات التي تحتويها⁽⁵⁾.

وفيما يتصل بالإعلام يرى البعض أن المدونات بدأت تحدث أثراً في الحياة العامة للمجتمعات على عدة أصعدة سياسية واجتماعية وثقافية وإعلامية، وذلك من خلال نشرها تقارير حول أخطاء السياسيين، ومن جهة أخرى بسبب اختلاف الطريقة التي يقوم بها المرسلون بكتابة تقاريرهم، ومن ثم فإن محرري المدونات أصبحوا مؤثرين على نحو متزايد، لدرجة أنه يتم النظر إليهم الآن على أنهم جزء من وسائل الإعلام الرئيسية، وازداد حضور المدونات وباتت شكلاً إعلامياً يقف جنباً إلى جنب مع التلفاز والإذاعة والصحف، ولهذا طالب خبراء المدونات بمعاملة المدونين على أنهم صحفيون، وفي الأعمال التجارية أصبحت المدونات وسيلة فعالة تستفيد منها الشركات والمؤسسات والأفراد للترويج لمنتجاتها وخدماتها وأفكارها وللدعاية لها، وبهذا تدخل المدونات عالم الدعاية والإعلان، شأنها شأن وسائل الإعلام الأخرى المقروءة والمرئية والمسموعة⁽⁶⁾.

مشكلة الدراسة:

أصبحت المدونات الإلكترونية تمثل أهم وسائل العمل الإعلامي الخالي من القيود، والوسيلة الأقرب للتعبير عن الرأي أو القضية دون رقيب أو متابعة. كما أصبحت وسيلة معروفة ومستخدمة لدى الكثيرين من مستخدمي الإنترنت، ومن المسائل التي لا جدال فيها أن أغلبية الذين يملكون مدونات في العالم هم من فئة الشباب، ومن الملاحظ أن أغلبية المدونات العربية على شبكة الإنترنت من إنتاج الشباب، وذلك _ بكل بساطة _ لما تعانيه هذه الفئة من تفشي البطالة وتقييد الحريات، ومشاكل أخرى كثيرة تتغير بتغير البلد.

وبناء عليه تتجسد مشكلة الدراسة في التعرف إلى مدى استخدام طلبة جامعة اليرموك للمدونات الإلكترونية، وما الإشباع المتحققة منها.

أهمية الدراسة:

يكتسب موضوع الدراسة أهميته الخاصة من الاعتبارات الآتية:

1- أن البحث في موضوع المدونات ما زال في مهده، ويجب الإشارة إلى وجود عدد قليل من المحاولات التي تهدف إلى تطوير خصائص استخدام المدونات، ولا تزال الحاجة قائمة إلى مزيد من هذه المحاولات تتناسب مع مساحة انتشار المدونات على شبكة الإنترنت، ولعل هذه الدراسة تأتي في هذا السياق.

- 2- أن هذه الدراسة تعدّ من الدراسات النادرة في هذا المجال، يتم تطبيقها على طلبة جامعة اليرموك وعلى الصعيد الأردني.
- 3- الدور الذي يمكن أن تلعبه المدونات بوصفها وسيلة إعلامية يحتاج إليها المجتمع لنقل المعلومات وشرحها وتفسيرها.
- 4- البعد المجتمعي المهم للدراسة في إطار التعرف إلى حقيقة استخدام الشباب للمدونات الإلكترونية، والجوانب الثقافية والاقتصادية والاجتماعية التي تحققها للشباب الجامعي.

أهداف الدراسة:

يتمثل الهدف الرئيس للدراسة في معرفة مدى استخدام طلبة جامعة اليرموك للمدونات الإلكترونية والإشباع المتحققة منها، ويتفرع عن الهدف الرئيس عدد من الأهداف الفرعية المتمثلة في التعرف إلى الآتي:

- 1- الخصائص الديموغرافية لطلبة جامعة اليرموك الذين يستخدمون المدونات الإلكترونية، من حيث (النوع الاجتماعي، العمر، الدرجة العلمية، الكلية، مكان الإقامة، امتلاك جهاز كمبيوتر).
- 2- عادات استخدام المدونات الإلكترونية لدى العينة المبحوثة.
- 4- الموضوعات التي تفضل العينة المبحوثة متابعتها على المدونات الإلكترونية.
- 5- مدى استفادة العينة المبحوثة من المدونات الإلكترونية.
- 6- أسباب تفضيل العينة المبحوثة لمدونة إلكترونية دون غيرها.
- 7 - دوافع استخدام العينة المبحوثة للمدونات الإلكترونية.
- 8- الإشباع المتحققة من استخدام العينة المبحوثة للمدونات الإلكترونية.
- 9- مستقبل المدونات الإلكترونية من وجهة نظر العينة المبحوثة.

تساؤلات الدراسة:

تسعى الدراسة للإجابة عن السؤال الرئيس التالي: ما مدى استخدام المدونات الإلكترونية على طلبة جامعة اليرموك والإشباع المتحققة منها؟ ويتفرع عن السؤال الرئيس مجموعة من الأسئلة الفرعية التالية:

- 1- ما الخصائص الديموغرافية لطلبة جامعة اليرموك الذين يستخدمون المدونات الإلكترونية، من حيث (النوع الاجتماعي، العمر، الدرجة العلمية، الكلية، مكان الإقامة، امتلاك جهاز كمبيوتر)؟
- 2- ما عادات استخدام المدونات الإلكترونية لدى العينة المبحوثة؟
- 3- ما الموضوعات التي تفضل العينة المبحوثة متابعتها على المدونات الإلكترونية؟
- 4- ما مدى استفادة العينة المبحوثة من المدونات الإلكترونية؟
- 5- ما أسباب تفضيل العينة المبحوثة لمدونة إلكترونية دون غيرها؟
- 6- ما دوافع استخدام العينة المبحوثة للمدونات الإلكترونية؟
- 7- ما الإشباعات المتحققة من استخدام العينة المبحوثة للمدونات الإلكترونية؟
- 8- ما مستقبل المدونات الإلكترونية من وجهة نظر العينة المبحوثة؟

الدراسات السابقة:

قام الباحثون بمسح التراث العلمي للدراسات السابقة والمتعلق بموضوع البحث، وتمكنوا من رصد الدراسات ذات الصلة بموضوع البحث وفق الآتي:

- دراسة العربي (2014) بعنوان: "استخدام الشباب الجامعي للمدونات الإلكترونية وأثرها الإعلامي"، هدفت الدراسة إلى معرفة دوافع الشباب الجامعي للدخول إلى المدونات الإلكترونية، وقياس مستوى الاهتمام والانتظام في عملية التعرض والاستخدام، بالاعتماد على منهج المسح على عينة عمدية قوامها (134)، وتوصلت النتائج إلى أن (80.5%) من العينة المبحوثة تستخدم المدونات لدوافع نفعية، وأشارت النتائج إلى أن ما نسبته (31.3%) من العينة المبحوثة تستخدم المدونات السياسية، يليها المدونات الثقافية والأدبية والفنية بنسبة (23.8%)، كما أثبتت الدراسة صحة الفرض بخصوص مدخل الاستخدامات والإشباعات بأن الجمهور يشارك بفاعلية في عملية الاتصال الجماهيري، ويستخدم وسائل الاتصال لتحقيق أهداف مقصودة تلبية احتياجاته.

- دراسة علي (2010) بعنوان: "استخدام الشباب المصري للمدونات الإلكترونية على الإنترنت"، سعت الدراسة إلى التعرف إلى الاستخدامات المختلفة لمواقع المدونات التي يسعى الشباب الجامعي المصري من خلالها إلى تلبية رغباته واحتياجاته الخاصة، التي لا يجدها في وسائل الاتصال الأخرى، بالاعتماد على المنهج المسحي، وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أهمها: تعدد دوافع استخدام الشباب لمواقع المدونات حيث جاءت الدوافع المعرفية في

الترتيب الأول، يليها الدوافع الهوائية، ثم الدوافع التكاملية، وأشارت النتائج إلى أن معظم المدونين المصريين لا يهدفون إلى الربح المادي، وبينت الدراسة أن المدونين المصريين يستخدمون الروابط بالتدوين أو بقوائم المدونات للترابط والتشابك.

- دراسة المدني (2009)⁽⁹⁾ بعنوان: "استخدام الشباب السعودي الجامعي للمضمون السياسي للمدونات الإلكترونية والإشباع المتحققة منها"، هدفت الدراسة إلى محاولة الكشف عن معدل استخدام الشباب السعودي للمدونات الإلكترونية، وما هي الإشباع المتحققة من استخدام المدونات، وذلك بدراسة مضمون هذه المدونات ومجموعات الفيسبوك السياسية وما تحمله من آراء ووجهات نظر وقضايا، ومن ثم دراسة مجتمع المدونين، سواء كان قائماً بالاتصال أو الجمهور، واعتمدت الدراسة على منهج المسح، لعينة من الشباب الجامعي قوامها (250) مفردة، وأشارت النتائج إلى أن (77.3%) من العينة المبحوثة على علم بوجود المضمون السياسي ويقبلون على استخدامه، مقابل (22.7%) لا يستخدمون تلك المضامين، وبينت النتائج أن الإشباع الرئيس للمستخدمين للمضامين السياسية هو "معرفة المعلومات" بنسبة (38.4%)، من إجمالي إجابات عينة الدراسة، وأوضحت الدراسة أن العينة المبحوثة تفضل الموضوعات التي تتعرض للأنظمة السياسية بنسبة (64.8%)، تلاها موضوع أنشطة جماعات الضغط بنسبة (14.4%).

- دراسة خضر (2009)⁽¹⁰⁾ وعنوانها: "الأثار النفسية والاجتماعية لاستخدام الشباب المصري لمواقع الشبكات الاجتماعية: دراسة على موقع الفيسبوك". هدفت الدراسة إلى التعرف إلى دوافع استخدام الشباب المصري لموقع الفيسبوك، والكشف عن طبيعة العلاقات الاجتماعية والصدقات التي يكونها الشباب المصري، كما هدفت إلى رصد الأثار النفسية والاجتماعية (السلبية والإيجابية) المترتبة على تعامل عينة الدراسة مع موقع الفيسبوك وتحليلها، وذلك من خلال عينة عمدية متاحة من مستخدمي الفيسبوك من طلاب الجامعات المصرية (الحكومية والأجنبية) مقدارها (136) مفردة موزعة بالتساوي بين جامعة القاهرة والجامعة البريطانية.

وقد توصلت الدراسة إلى أن دافع التسلية والترفيه يأتي على رأس دوافع استخدام طلاب الجامعة لموقع الفيسبوك، وبنسبة مقدارها (69.9%) من إجمالي عينة المبحوثين، بينما جاء دافع خلق صدقات جديدة، ودافع التواصل مع الآخرين وتطوير علاقات اجتماعية معهم في المرتبتين الثانية والثالثة، وبنسبة (41.2%) و(37.5%) لكل منهما على التوالي. كما أوضحت الدراسة أن تقديم المبحوثين لأنفسهم كما هم بصدق وبدون أي تلوين أو خداع للآخرين، كان له

النصيب الأكبر وبنسبة (82.4%)، مقابل (19.9%) لتقديم المبحوثين أنفسهم للآخرين باستخدام اسم مستعار.

- دراسة فراج (2006)(11) بعنوان: " المدونات الإلكترونية مع إشارة خاصة إلى مدونات المكتبات والمكتبيين " هدفت هذه الدراسة إلى التعرف إلى مدى الإفادة من المدونات في مجال المكتبات، بالاعتماد على المنهج المسحي، وقد توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج كان أبرزها:

- أن المدونات تعد إحدى الخدمات الحديثة التي يمكن للمكتبيين الاستفادة منها، ليس فقط في التواصل فيما بينهم من ناحية، وبينهم وبين المستفيدين من ناحية أخرى، وإنما أيضا في إطلاق العنان لما يتمتعون به من مسحة الخيال والقدرة على الابتكار.

- أن التدوين للتعبير والتواصل وسيلة للنشر والدعاية للمشروعات والحملات المختلفة، কিما كان موضوع تلك المشروعات والحملات.

- أن المدونات أحد أساليب المتابعة الاجتماعية التي يمكن أن تدفع المستفيدين للانخراط والتكيف مع تقنيات إدارة المحتوى، لأجل تلبية احتياجاتهم الخاصة بتطوير مجتمع افتراضي ينبض بالحياة والنشاط.

- دراسة Johnson and Barbara (2004)(12)، بعنوان " How reliance on Traditional media and the internet Influence Credibility Perceptions of weblogs among blog user"، سعت الدراسة إلى الكشف عن مدى مصداقية المدونات بالنسبة لمستخدمي المدونات التي قامت الدراسة بإجراء المسح عليهم، بالمقارنة بالوسائل الإعلامية التقليدية ومصادر الإنترنت الأخرى أو المصادر الأخرى على الشبكة، وقد أشارت الدراسة إلى أن مستخدمي المدونات رأوا أن المدونات ذات مصداقية، بل إنها تتميز بمصداقية أعلى من المصادر الأخرى التقليدية، كما بينت النتائج أن مستخدمي المدونات أفادوا أن المدونات تنصف بأنها أكثر عمقا في تناول المعلومات وتقديمها.

- دراسة Moon and others (2006)(13)، بعنوان " improving Quality of life via blogs and Development of a virtual Social identity"، وقد هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن العلاقة بين استخدام المدونات الإلكترونية والارتياح في الحياة والتفاعلات الاجتماعية، بالاعتماد على المنهج المسحي، وقد توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج كان أبرزها:

1- أن التفاعل الاجتماعي من خلال المدونات أدى إلى زيادة الإدراك والمعرفة، وتقييم الهوية الاجتماعية.

2- أن المدونات ساعدت على تحفيز المدونين في التوسع في شبكة العلاقات الاجتماعية على الإنترنت بقوة.

3- أن كلا من المعرفة والإدراك والهوية الاجتماعية والتوسع في شبكة العلاقات الاجتماعية تصبح عوامل ذات مغزى لمستخدمي المدونات في ارتياحهم ورضائهم عن الحياة والمعيشة.

- دراسة (Thelwal and others (2007) (14)، بعنوان "Which types of news story

attract bloggers"، سعت هذه الدراسة إلى التعرف إلى أنواع الأخبار التي تناقش في المدونات، بالاعتماد على المنهج المسحي، وأشارت الدراسة إلى أن المناقشات في المدونات ليست مقصورة على أنواع معينة دون غيرها، بل هي واسعة النطاق؛ على الرغم من أن بعض التحيزات واضحة في مناقشة بعض الأخبار. كما بينت النتائج أن مناقشة القصص الإخبارية المرتبطة بالأشخاص تجذب اهتمام نسبة من المدونات التي قامت عليها الدراسة.

نوعية الدراسة ومنهجها:

تنتمي هذه الدراسة إلى نوعية الدراسات الوصفية التي تهتم بالدرجة الأولى برصد خصائص ظاهرة ما أو موضوع ما وتحليلها، للحصول على البيانات والمعلومات الدقيقة والكافية بشأنها؛ الأمر الذي يتيح إمكانية التعميم والتنبؤ من خلال استخدام التحليل الإحصائي على عينة من طلبة جامعة اليرموك، وقد اعتمد الباحثون على منهج المسح للتعرف إلى مدى استخداماتهم للمدونات الإلكترونية وما تحققه لهم من إشباعات.

مجتمع الدراسة وعينتها:

يتحدد مجتمع الدراسة بطلبة جامعة اليرموك خلال العام الجامعي (2015-2016) وقد اختيرت العينة بالطريقة العشوائية المتاحة، حيث بلغ قوامها (200) مفردة من طلبة الجامعة، بالتساوي بين الكليات العلمية والكليات الإنسانية، (100) مفردة لكل منهما، وقد مثل طلاب الجامعة مختلف الأعمار والمستويات العلمية.

أداة الدراسة:

"الاستبانة" هي أداة الدراسة التي اعتمد عليها الباحثون في جمع البيانات والمعلومات من المبحوثين، وتكونت الاستبانة من ثلاثة أجزاء، يمثل الجزء الأول المعلومات الشخصية للمبحوثين (الخصائص الديموغرافية)، ويمثل الجزء الثاني مجموعة بارارات تهدف إلى قياس عادات استخدام العينة المبحوثة للمدونات الإلكترونية، وجاء الجزء الثالث من الاستبانة للتعرف إلى دوافع العينة المبحوثة لاستخدام المدونات الإلكترونية والإشباعات المتحققة منها.

إجراءات الصدق والثبات:

أولاً: إجراء الصدق

تم عرض الاستبانة على عدد من الزملاء في كلية الإعلام بجامعة (اليرموك) لإصدار حكمهم على مدى صلاحيتها وسلامة صياغتها، وملاءمتها لموضوع الدراسة، وبعد استرجاع الاستبانات من المحكمين، تم الأخذ بملاحظاتهم لتصبح أداة الدراسة بعد ذلك صالحة للتطبيق.

ثانياً: إجراء الثبات

وللتأكد من ثبات الأداة تم إعادة تطبيق الاستبانة على (35) مفردة من أفراد العينة الاستطلاعية، وبلغت قيمة معامل الثبات (93%) مما يشير إلى مدى ثبات القياس ودقته.

الأساليب الإحصائية المستخدمة.

استخدم الباحثون الأساليب الإحصائية التالية من خلال البرنامج الإحصائي (SPSS):

1- التكرارات والنسب المئوية.

2- معامل الارتباط بيرسون لحساب قيمة الثبات

الإطار النظري للدراسة:

تستمد هذه الدراسة إطارها النظري من نظرية الاستخدامات والإشباع التي تهتم بدراسة الاتصال الجماهيري دراسة وظيفية منظمة، حيث تحولت النظرة إلى الجماهير وفق هذه النظرية من كونها عنصراً سلبياً غير فعال، إلى كونها عنصراً فعالاً ونشطاً في انتقائها للرسائل والمضامين التي تفضلها من وسائل الإعلام المختلفة، وأن الجمهور يتعرض لهذه الرسائل والمضامين لإشباع رغبات كامنة، استجابة لدوافع الحاجات الفردية لديه.

وترى هذه النظرية أن مستخدمي وسائل الإعلام يختارون بأنفسهم الوسائل الإعلامية التي يتعرضون لها، وأنهم ناشطون في البحث عن وسائل الإعلام لإشباع احتياجاتهم من خلال الجوانب الثقافية والاقتصادية والاجتماعية.

وقد وضع باحثو هذه النظرية عدة تصورات لطبيعة استخدام الجمهور لوسائل الإعلام، تضم مجموعة متنوعة من الجوانب الثقافية والاقتصادية والاجتماعية التي يمكن أن يتحصل عليها الناس؛ سواء كانت عملية الاتصال تتم في اتجاه واحد، أو من فرد إلى عدة أفراد، أو في سياقات اتصالية متعددة، بل إن بعض الباحثين حددوا الاحتياجات التي تلبسها وسائل الإعلام في عدة فئات

هي: الحصول على المعلومات المتعلقة بالحياة اليومية والترفيه والاستخدامات الشخصية والتفاعل مع الجماعات الأخرى.

وتعد نظرية الاستخدامات والإشباع من أهم المداخل النظرية التي استخدمت في مجال دراسة تأثيرات تكنولوجيا الاتصال، الذي وجد قابلية كبيرة لدى الباحثين في هذا المجال باعتباره أنسب المداخل لدراسة هذه الوسائل والظواهر الاتصالية الجديدة، وأن نشاط الجمهور الكامن في نظرية الاستخدامات والإشباع للجوانب الثقافية والاقتصادية والاجتماعية يجب أن يؤكد ويكرر في دراسات المدونات، بدلا من المبالغة في تبسيط الدور الثنائي للجمهور؛ نشطا أو غير نشط طوال الوقت؛ ففي سياق استخدام المدونات يجب الإشارة إلى أنها تستخدم بنشاط لإشباع احتياجات خاصة لدى المستخدم⁽¹⁵⁾.

ويرى Katz⁽¹⁶⁾ أن منظور الاستخدامات والإشباع يعتمد على خمسة فروض لتحقيق ثلاثة أهداف رئيسية، وهذه الفروض هي:

- يتسم جمهور وسائل الاتصال بالإيجابية والنشاط، وأن استخدامه لوسائل الاتصال موجه لتحقيق أهداف معينة.
 - يختار الجمهور وسائل اتصال محددة لإشباع حاجاته.
 - تختلف درجة إشباع الحاجات المختلفة للجمهور وفقا لاختلاف وسائل الاتصال.
 - يعبر استخدام وسائل الاتصال عن الحاجات التي يدرکہا أعضاء الجمهور، وتتحكم في ذلك عوامل الفروق الفردية، وعوامل التفاعل الاجتماعي، وتنوع الحاجات باختلاف الأفراد.
 - يمكن الاستدلال على المعايير الثقافية السائدة في مجتمع ما بالتعرف إلى استخدامات الجمهور لوسائل الاتصال، وليس من خلال محتوى الرسائل فقط.
- ويذكر مكايي والسيد⁽¹⁷⁾ أن نظرية الاستخدامات والإشباع تحقق ثلاثة أهداف رئيسية هي:

- السعي إلى اكتشاف كيفية استخدام الأفراد وسائل الاتصال، وذلك بالنظر إلى الجمهور النشط الذي يستطيع أن يختار الوسائل التي تشبع حاجاته وتوقعاته ويستخدمها.
- شرح دوافع التعرض لوسيلة معينة من وسائل الاتصال والتفاعل الذي يحدث نتيجة هذا التعرض.
- تأكيد نتائج استخدام وسائل الاتصال بهدف فهم عملية الاتصال الجماهيري.

تحليل النتائج ومناقشتها:

مدى استخدام طلبة جامعة اليرموك للمدونات الإلكترونية والإشباع المتحققة منها.

جدول (1): استخدام أفراد العينة للمدونات الإلكترونية

الفئة	ك	%
أستخدم	175	87.5%
لا أستخدم	25	12.5%
المجموع	200	100

تشير بيانات الجدول رقم (1) إلى أن ما نسبته (87.5%) من أفراد العينة المبحوثة يستخدمون المدونات الإلكترونية، فيما بلغت نسبة الذين لا يستخدمون هذه المدونات (12.5%). وهذا يعني أن المدونات تحظى باهتمام الشباب الجامعي، لأن غالبيتهم يقبلون على استخدامها والاستفادة من محتوياتها.

أولاً: الخصائص الديموغرافية لطلبة جامعة اليرموك الذين يستخدمون المدونات الإلكترونية، من حيث (النوع الاجتماعي، العمر، الدرجة العلمية، الكلية، مكان الإقامة، امتلاك جهاز كمبيوتر).

الجدول (2): خصائص أفراد العينة

النوع الاجتماعي	البدائل	التكرار	النسبة %
النوع الاجتماعي	نكر	130	65%
	أنثى	70	35%
	المجموع	200	100%
العمر	18-20 سنة	50	25%
	21-23 سنة	55	27.5%
	24-26 سنة	50	25%
	26 سنة فأكثر	45	22.5%
	المجموع	200	100%
الدرجة العلمية	بكالوريوس	80	40%
	ماجستير	63	31.5%
	دكتوراه	57	28.5%

المجموع	200	%100	
الكليات الإنسانية	100	%50	
الكليات العلمية	100	%50	الكلية
المجموع	200	%100	
المدينة	88	%44	
القرية	87	%43.5	
البادية	25	%12.5	مكان الإقامة
المجموع	200	%100	
يملك	157	%78.5	
لا يملك	43	%21.5	امتلاك جهاز كمبيوتر
المجموع	200	%100	

تشير بيانات الجدول رقم (2) إلى أن نسبة الذكور من أفراد العينة المبحوثة بلغت (65%)، بينما بلغت نسبة الإناث (35%)، وفيما يتعلق بالفئات العمرية للمبحوثين، جاءت الفئة العمرية (21-23 سنة) في المرتبة الأولى، ونسبة (27.5%)، أما الفئتان العمريتان (18-20 سنة) و(4-26 سنة)، فقد جاءتا في المرتبة الثانية بالتساوي، ونسبة (25%) لكل منهما، أما أولئك الذين تزيد أعمارهم عن (26) سنة، فقد جاءت فئتهم في المرتبة الثالثة، ونسبه مقدارها (22.5%).

وفيما يتعلق بالدرجة العلمية لأفراد العينة المبحوثة، فإن من يحملون درجة البكالوريوس جاءوا في المرتبة الأولى، وبما نسبته (40%)، أما من يحملون درجة الماجستير، فقد جاءوا في المرتبة الثانية، وبما نسبته (31.5%)، وأخيراً جاء في المرتبة الثالثة حملة درجة الدكتوراه، ونسبة مقدارها (28.5%)، وفيما يخص الكليات التي ينتسب إليها أفراد العينة المبحوثة لجأ الباحثون إلى اختيار (50%) من أفراد العينة من الكليات العلمية والإنسانية بالتساوي.

وفيما يخص مكان إقامة أفراد العينة المبحوثة، جاء من يسكنون المدينة في المرتبة الأولى ونسبة مقدارها (44%)، وجاء في المرتبة الثانية سكان القرية ونسبة مقدارها (43.5%)، أما من يسكنون في البادية فقد جاءوا في المرتبة الأخيرة ونسبة مقدارها (25%). وفيما يتعلق بامتلاك أفراد العينة لأجهزة كمبيوتر فقد تبين أن ما نسبته (87.5%) من المبحوثين يمتلكون أجهزة كمبيوتر، أما ما نسبته (21.5%) من أفراد العينة المبحوثة فإنهم لا يمتلكون أجهزة كمبيوتر.

ومن تحليل هذه النتائج يمكن القول إن غالبية المبحوثين هم من الذكور الذين تتراوح أعمارهم بين (21- 23 سنة)، ويحملون درجة البكالوريوس، وممن يسكنون في المدينة ويمتلكون أجهزة كمبيوتر.

ثانياً: عادات استخدام المدونات الإلكترونية لدى العينة المبحوثة؟

2/1 معدل استخدام العينة المبحوثة للمدونات الإلكترونية:

جدول (3): معدل استخدام العينة المبحوثة للمدونات الإلكترونية

الفئات	ك	%
دائماً	100	57.1%
أحياناً	40	22.9%
نادراً	35	20%
المجموع	175	100

يتبين من الجدول رقم (3) أن ما نسبته (57.1%) من أفراد العينة المبحوثة يستخدمون المدونات الإلكترونية دائماً، حيث جاءت في الترتيب الأول، يليها من يستخدمون المدونات أحياناً بنسبة بلغت (22.9%) في الترتيب الثاني، وأخيراً من يستخدمونها نادراً بما نسبته (20%) في الترتيب الثالث.

وبالنظر إلى النتائج السابقة يتضح أن استخدام أفراد العينة المبحوثة للمدونات الإلكترونية (دائماً) ربما يرجع إلى متابعة الأخبار والأحداث بمختلف توجهاتها، كما تعد مصدراً مهماً للمعلومات، ومنتفساً للتعبير عن الآراء ووجهات النظر التي لا تتيحها أي من وسائل الإعلام الأخرى.

2/2 الأسباب التي تدفعك لقراءة المدونات.

جدول (4): الأسباب التي تدفع أفراد عينة الدراسة لقراءة المدونات

#	الأسباب	النوع		ذكر		أنثى		الإجمالي	
		ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
1	يوجد فيها موضوعات وأخبار متنوعة	31	26.96	13	21.17	44	25.14		
2	تليي كثيراً من رغباتك في معرفة بعض الموضوعات والأخبار	16	13.91	15	25.00	31	17.71		

#	النوع	ذكر		أنثى		الإجمالي	
		ك	%	ك	%	ك	%
3	هى وسيلة غير مكلفة في الحصول على الأخبار والمعلومات	10	8.69	6	10.00	16	9.14
4	أجد حرية فى عملية تصفح جميع الموضوعات التي تعرضها	6	5.22	6	10.00	12	6.86
5	تعرض الموضوعات والأخبار بصراحة شديدة وحرية كبيرة	24	20.87	8	1.33	32	18.29
6	الموضوعات الموجودة فيها غير موجودة فى أي وسيلة	2	1.74	4	6.67	6	3.43
7	لشغل وقت فراغك	-	-	2	3.33	2	1.14
8	للتخلص من الملل	-	-	2	3.33	2	1.14
9	للراحة والاسترخاء	8	6.96	-	-	8	4.57
10	الموضوعات مادة للنقاش مع الآخرين	14	12.17	4	6.68	18	10.29
11	أخرى تذكر	4	3.48	-	-	4	2.23
المجموع العام		115	100	60	100	175	100

يتبين من الجدول رقم (4) أن ما نسبة (25.14%) من إجمالي أفراد العينة المبحوثة يتابعون المدونات الإلكترونية لأنه يوجد فيها (موضوعات وأخبار متنوعة) موزعين بين (26.96%) من الذكور و(21.17%) من الإناث، ثم جاء سبب (تعرض الموضوعات والأخبار بصراحة شديدة وحرية كبيرة) في المرتبة الثانية بما نسبته (18.29%)، موزعين بين (20.87) للذكور و(1.33%) للإناث، ثم تلاها سبب (تلي كثيرا من رغباتك في معرفة بعض الموضوعات والأخبار) في المرتبة الثالثة وشكل (17.71%)، بما نسبته (13.91%) للذكور (25%) للإناث، أما المرتبة الأخيرة فقد احتلها سبب (لشغل وقت فراغك) و(للتخلص من الملل) بنسبة (1.14%) لكل منهما.

وبالرجوع إلى تحليل النتائج السابقة نجد أن السبب الرئيس الذي يدفع الشباب لمتابعة المدونات هو متابعة الأخبار والموضوعات المتنوعة، ثم عرضها هذه الأخبار بحرية وصراحة شديدة، وربما هو ما تفتقده وسائل الإعلام الأخرى الذي جعل العينة المبحوثة تبحث عن مصادر أكثر حرية وصراحة)، وتدلل تدني نسبة سببي شغل وقت الفراغ والتخلص من الملل على أن

الدوافع النفعية للعيينة المبحوثة تحظى بشكل أكبر من الدوافع الطقوسية (الترفيهية). وأن أفراد العينة يتسمون بالوعي والإدراك لما يدور حولهم.

2/3 الأسباب التي تحول بينك وبين قراءة المدونات

جدول (5): أسباب عدم قراءة المدونات الإلكترونية

الأسباب	النوع		ذكر		أنثى		الإجمالي	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
لأنها لا تتناول الموضوعات والقضايا التي تعرضها بموضوعية وحياد.	3	18.7%	2	22.2%	5	20%		
لأنها تعرض موضوعات سبق عرضها في وسائل أخرى.	7	43.8%	5	55.6%	12	48%		
ليس لدي وقت	3	18.7%	1	11.1%	4	16%		
لا أحب قراءة هذه المدونات	2	12.5%	-	-	2	8%		
لأنها تناقش موضوعات بعيدة عن اهتماماتي	1	6.3%	1	11.1%	2	8%		
المجموع العام	16	100%	9	100%	25	100%		

تشير بيانات الجدول رقم (5) إلى أن أفراد العينة الذين لا يقرأون المدونات الإلكترونية بلغ عددهم (25) مفردة، وهو ما شكل نسبة (12.5%) من حجم العينة، ويعود السبب الرئيس حسب المجموع العام في عدم قراءتهم للمدونات إلى أنها (تعرض موضوعات سبق عرضها في وسائل أخرى) وهو ما شكل نسبة (48%) يليه سبب (لا تتناول الموضوعات والقضايا التي تعرضها بموضوعية وحياد) بنسبة (20%)، وجاء في المرتبة الثالثة موضوع (ليس لدي وقت) بنسبة (16%)، أما المرتبة الأخيرة فقد احتلها سببا (لا أحب قراءة هذه المدونات)، و(لأنها تناقش موضوعات بعيدة عن اهتماماتي) بنسبة وصلت إلى (8%) لكل منهما.

ويمكن تفسير سبب (تعرض موضوعات سبق عرضها من وسائل أخرى) بأن أفراد العينة من الذين لا يستخدمون المدونات الإلكترونية و لا يتابعونها يعتمدون على وسائل الإعلام الأخرى في استقاء أخبارهم بشكل رئيس، ومن وجهة نظرهم أن هذه المدونات لا تقدم ما هو جديد، وبذلك ابتعدت عن صفة (الأنية والحدثة) وهو أهم عامل يميز مصداقية الوسيلة الإعلامية، ثم سبب (لأنها لا تتناول الموضوعات والقضايا التي تعرضها بموضوعية وحياد) فترى العينة المبحوثة التي اختارت هذا البديل أن المدونات الإلكترونية تبتعد عن الحياد في عرضها للموضوعات والأخبار التي تقدمها، وهي بذلك تفقد صفة المصداقية، وهو ما يجعلهم يبتعدون عن استخدامها ومتابعتها.

2/4 الوقت الذي يقضيه أفراد العينة في استخدام المدونات الإلكترونية يومياً:

جدول (6): الوقت الذي يقضيه أفراد العينة في استخدام المدونات الإلكترونية يومياً

الوقت	ك	%
من ساعة إلى أقل من ساعتين	87	49.7%
من ساعتين إلى 3 ساعات	53	30.3%
من 3 ساعات فأكثر	35	20%
المجموع	175	100

يتبين من نتائج الجدول رقم (6)، أن ما نسبته (49.7%) من أفراد العينة المبحوثة يقضون من ساعة إلى أقل من ساعتين في قراءة المدونات الإلكترونية يومياً، وأن ما نسبته (30.3%) يقضون من ساعتين إلى 3 ساعات في قراءة المدونات ومتابعتها، بينما كان ما نسبته (20%) من أفراد العينة المبحوثة ممن يقرؤون ويتابعون المدونات 3 ساعات فأكثر.

وبمناقشة هذه النتائج يرى الباحثون أنها نتيجة منطقية وطبيعية، فقد أجريت هذه الدراسة على طلبة الجامعة، ومن الطبيعي أن لا يقضوا وقتاً طويلاً في قراءة هذه المدونات، والجلوس على الإنترنت، نظراً للأعباء الدراسية والواجبات اليومية الملقة على عاتقهم.

2/5 الفترة التي يقرأ فيها أفراد العينة المدونات:

جدول (7): الفترة التي يقرأ بها أفراد العينة المدونات

الفترة	ك	%
في الصباح	14	8%
فترة الظهر	20	11.43%
الفترة المسائية	97	55.43%
في أي وقت	45	13.49%
المجموع	175	100

بالنظر إلى بيانات الجدول رقم (8)، يتضح أن أغلب أفراد العينة يقرأون المدونات الإلكترونية في الفترة المسائية حيث بلغت (55.43%)، بينما بلغت نسبة "في أي وقت" يقرأون فيه المدونات (13.49%)، تلتها فترة الظهر في المرتبة الثالثة بما نسبته (11.43%)، أما الفترة الصباحية فقد احتلت المرتبة الأولى بنسبة (8%).

وبالعودة إلى تحليل النتائج السابقة نجد أن من المنطقي أن تحتل الفترة المسائية المرتبة الأولى، ذلك أن أفراد العينة المبحوثة هم من طلبة الجامعة والذين يقضون فترة الصباح والظهر في الدوام الجامعي، وهو ما يؤدي إلى استخدامهم المدونات الإلكترونية في الفترة المسائية.

2/6 المكان الذي يفضل فيه أفراد العينة استخدام المدونات:

جدول (8): المكان الذي يفضل فيه أفراد العينة استخدام المدونات

المكان	ك	%
المنزل	125	71.4%
مقاهي الإنترنت	27	15.4%
عند الأصدقاء والأقارب	13	7.5%
أماكن أخرى	10	5.7%
المجموع	175	100

يتضح من بيانات الجدول رقم (9) أن غالبية أفراد العينة يستخدمون المدونات الإلكترونية في المنزل بما نسبته (71.4%) من مجموع الإجابات، وتليها مقاهي الإنترنت في المرتبة الثانية بنسبة وصلت إلى (15.4%) أما (عند الأصدقاء والأقارب) فقد احتلت المرتبة الثالثة بنسبة بلغت (7.5%)، وفي المرتبة الأخيرة جاءت أماكن أخرى بنسبة (5.7%).

ويعزى السبب في هذه النتيجة إلى توفر خدمة الإنترنت في المنازل وانخفاض تكلفتها، وهذا يؤدي إلى سهولة الاشتراك بها من المنزل، أما مقاهي الإنترنت، فمن المعروف والسائد أن معظم مرتادي هذه الأماكن هم من فئة الشباب، وهو ما تمثله أغلب أفراد العينة المبحوثة.

ثالثاً: الموضوعات التي تفضل العينة المبحوثة متابعتها على المدونات الإلكترونية.

جدول (9): الموضوعات التي يفضل أفراد عينة الدراسة قراءتها في المدونات

#	الموضوعات	ك	%
1.	الموضوعات السياسية	35	20.00%
2.	الموضوعات الاقتصادية	1	0.57%
3.	الموضوعات الاجتماعية	34	19.43%
4.	الموضوعات الرياضية	24	13.71%
5.	الموضوعات الفنية	12	6.86%
6.	الموضوعات الأدبية	12	6.86%

1.71	3	7. الموضوعات التاريخية
1.71	3	8. الموضوعات العلمية
9.14	16	9. الموضوعات الترفيهية
9.14	16	10. الموضوعات المرتبطة بأخبار العالم
5.14	9	11. الموضوعات المرتبطة بالأخبار المحلية
4.57	8	12. الموضوعات المرتبطة بالتقارير حول الأحداث الحالية وتطوراتها
1.14	2	13. أخرى تذكر
100	175	المجموع العام

يتضح من نتائج الجدول رقم (9) طبيعة الموضوعات التي يفضل أفراد العينة متابعتها عبر المدونات الإلكترونية، وجاء في مقدمة هذه الموضوعات، الموضوعات السياسية في المرتبة الأولى فقد شكلت ما نسبته (20%)، تلتها في المرتبة الثانية الموضوعات الاجتماعية بنسبة (19.43%)، أما الموضوعات الرياضية فجاءت في المرتبة الثالثة بنسبة (13.71%)، أما فئة (أخرى تذكر) فقد احتلت المرتبة الأخيرة من بين الموضوعات بتكرار بلغ (2) وهي موضوعات تتعلق بالعلاقات الأسرية، وأمور السفر والهجرة.

وبالنظر إلى هذه النتائج يتضح أن الموضوعات السياسية والاجتماعية هي المفضلة لدى أفراد العينة المبحوثة بنسبة وصلت إلى (20%) للموضوعات السياسية، و(19.43%) للموضوعات الاجتماعية، وهي نسبة متقاربة، ويمكن تفسير ذلك بالأحداث الأخيرة التي تتأثر بها المنطقة العربية سياسياً، وما شهدته من تطورات جعلت الشباب أكثر وعياً وإدراكاً لما حولهم من أحداث، ويتضح ذلك جلياً في الدور الذي لعبه الشباب في ثورات الربيع العربي، هذا الوعي خلق لدى الشباب حب الاطلاع والمتابعة لأمر السياسة وقضاياها، أما اجتماعياً فيفسر بحاجة أفراد العينة المبحوثة للاطلاع ومتابعة كل ما هو حديث في بيئتهم، والتوسع في دائرة معرفتهم اجتماعياً وهو ما يكسبهم ثقافة مجتمعية واسعة.

رابعاً: مدى استفادة العينة المبحوثة من المدونات الإلكترونية.

جدول (10): مدى استفادة أفراد عينة الدراسة من قراءة المدونات

النوع	ذكر		أنثى		الإجمالي	
	ك	%	ك	%	ك	%
أستفيد	107	93.04	56	93.33	163	93.14
لا أستفيد	8	6.96	4	6.67	12	6.86
المجموع العام	115	100	60	100	175	100

يبين الجدول رقم (10) أن ما نسبته (93.14%) من أفراد عينة الدراسة يستفيدون من قراءة المدونات الإلكترونية، موزعين بين (93.04%) للأفراد الذكور، و(93.33%) للأفراد الإناث، أما الذين لا يستفيدون من قراءة المدونات الإلكترونية فبلغت نسبتهم (6.86%)، موزعين بين (6.96%) للأفراد الذكور، و(6.67%) للأفراد الإناث.

ومن خلال النتائج السابقة يتضح أن استفادة أفراد العينة تفوقت على عدم استفادتهم بنسبة كبيرة، وهذا يعزز قدرة المدونات الإلكترونية في إثبات نفسها، وإثبات أنها أصبحت أحد المنابر الإعلامية التي حظيت بثقة قرائها، وقدمت لهم ما هو جيد وشيق، وكل ما يلي احتياجاتهم النفسية والاجتماعية، وهو ما دفعهم لمتابعتها باستمرار.

خامساً: أسباب استفادة أفراد العينة المبحوثة من استخدام المدونات الإلكترونية.

جدول (11): أسباب الاستفادة من استخدام المدونات الإلكترونية

الفئة	ك	%
تعرفت على معلومات وأخبار جديدة	61	34.86
تقرأ موضوعات ذات صلة باهتمامك	37	21.14
تعرفت على أشياء لم تكن تعرفها	49	28.00
وجدت حلولاً لبعض الموضوعات والقضايا التي تشغل اهتمامك	23	13.14
أخرى تذكر	5	2.86
المجموع العام	175	100

يتضح من بيانات الجدول رقم (11) أن أهم أسباب استفادة العينة المبحوثة من المدونات الإلكترونية هو: (التعرف على معلومات وأخبار جديدة) بما نسبته (34.86%)، تلتها في المرتبة الثانية (التعرف على أشياء لم تكن معروفة من قبل) بنسبة وصلت إلى (28%)، أما في

المرتبة الثالثة فكان السبب (قراءة الموضوعات ذات الصلة بالاهتمام)، حيث بلغت نسبته (21.14%)، أما المرتبة الرابعة فقد شغلها سبب (الحلول لبعض الموضوعات التي تشغل الاهتمام) بنسبة وصلت إلى (13.14%)، وجاءت فئة (أخرى تذكر) في المرتبة الأخيرة بنسبة وصلت إلى (2.86%)، و ذكرها المبحوثون بأنها (بسبب التعرف على كيفية إنشاء المدونات).

من خلال النتائج السابقة يمكن القول إن سبب استفادة المبحوثين الأساسي من المدونات هو التعرف على معلومات وأخبار جديدة، و هو ما يلبي احتياجاتهم المعرفية نحو كل ما هو جديد مما لا توفره وسائل الإعلام التقليدية من وجهة نظرهم، وهذا يعزز من مكانة ودور المدونات الإلكترونية في تقديم كل ما هو أني وحديث، وجاء في المرتبة الثانية التعرف على أشياء لم تكن معروفة من قبل، وهذا يدل على حب الاطلاع لدى أفراد العينة المبحوثة ودوافعهم نحو معرفة كل ما هو جديد وغير مسبوق، ويشار هنا إلى الدور الذي تلعبه المدونات الإلكترونية (من وجهة نظر العينة المبحوثة) في تقديم غير المسبوق والجديد.

سادساً: أسباب تفضيل العينة المبحوثة لمدونة إلكترونية دون غيرها.

جدول رقم (12): أسباب تفضيل مدونة معينة دون غيرها

الأسباب	ك	%
أسلوب المدونة المتميز في الكتابة.	34	19.43
لأنها تخاطب اهتماماتي.	28	16.00
سهولة استخدام هذه المدونة.	24	13.71
أهمية الأخبار والمعلومات المقدمة.	21	12.00
السمات الشكلية الجذابة لهذه المدونة والمضمون الجيد لها.	15	8.57
لوجود تفاعل بيني وبين صاحب المدونة.	12	6.86
لترتيبها الجيد للمعلومات.	12	6.86
معرفتي بصاحب هذه المدونة.	10	5.71
استخدامها للوسائط المتعددة بشكل جيد.	10	5.71
أجد فيها كل ما أحتاج من معلومات وأخبار.	8	4.57
المجموع	175	100

تشير بيانات الجدول رقم (12) إلى أسباب تفضيل مدونة معينة دون غيرها بالنسبة لأفراد العينة المبحوثة، وتصدر سبب أسلوب المدونة المتميز في الكتابة، قائمة الأسباب بنسبة وصلت إلى (19.43%)، فداًئماً يكون أسلوب الكتابة هو العنصر الأساس والرئيس في جذب القارئ نحو

الموضوع المثار، وبذلك تتميز مدونة عن أخرى وتستطيع أن تثبت وجودها وشخصيتها، أما المرتبة الثانية فقد احتلتها سبب: لأنها تخاطب اهتمامي بنسبة (16%) وهو ما يدل على أن أفراد العينة المبحوثة يبحثون دائماً عن المدونة التي تقدم لهم ما يلي احتياجاتهم، وما يتوافق مع اهتمامهم وميولهم، وبذلك تصبح مفضلة عندهم عن غيرها من المدونات التي ربما تطرح موضوعات وقضايا لا تتوافق واهتمامات القراء وميولهم وتكون بعيدة كل البعد عن توجهاتهم، أما السبب الثالث الذي يدعو أفراد العينة إلى تفضيل مدونة إلكترونية معينة دون غيرها فقد كان: سهولة استخدام هذه المدونة بنسبة وصلت إلى (13.71%)، فسهولة استخدام المدونة وعدم تعقيدها وعدم وجود الكثير من روابط الانتقال للأخبار والموضوعات هي ما تجعل هذه المدونة مفضلة على سواها بالنسبة لأفراد العينة المبحوثة. أما في المرتبة الرابعة فقد جاء سبب أهمية المعلومات والأخبار المقدمة بنسبة بلغت (12%).

سابعاً: دوافع استخدام العينة المبحوثة للمدونات الإلكترونية.

جدول (13): دوافع أفراد عينة الدراسة من استخدام المدونات

الدوافع	ك	%
التعرف إلى مجموعة من المعلومات والمهارات المفيدة.	38	21.71
التدوين متنفس لصاحب المدونة للتعبير عن أفكاره وآرائه.	30	17.14
الاستفادة من المعلومات.	23	13.12
وسيلة لتكوين صداقات.	21	12.00
تثير النقاش حول القضايا والأخبار.	21	12.00
وسيلة سريعة لنشر الموضوعات والأخبار.	20	11.43
تعبير عن جميع الاتجاهات في المجتمع.	14	8.00
أخرى تذكر	3	1.71
المجموع	175	100

يتضح من بيانات الجدول رقم (13) أن دافع التعرف إلى مجموعة من المعلومات والمهارات المفيدة، جاء في المرتبة الأولى على قائمة دوافع أفراد العينة المبحوثة من استخدام المدونات الإلكترونية بنسبة وصلت إلى (21.71%)، وهو ما توفره المدونات لقراءها، إذ تقدم لهم مجموعة من المعلومات والأخبار الجديدة، وتستطيع إكسابهم مهارات جديدة ربما لا توفرها أي وسيلة أخرى، ثم جاء دافع التدوين متنفس لصاحب المدونة للتعبير عن أفكاره وآرائه بنسبة (17.14%)، وذلك ما تتيحه المدونات من متنفس لأصحابها بالتعبير عن آرائهم ووجهات

نظرهم بمنتهى الحرية، وذلك بسبب عدم وجود رقابة تفرض على المدونات، كما في الوسائل الأخرى التي تقيد طرح الآراء ووجهات النظر، واحتل دافع الاستفادة من المعلومات المرتبة الثالثة بنسبة بلغت (13.12%)، أما المرتبة الرابعة فاحتلها كل من دافع تكوين صداقات، ودافع تثير النقاش حول القضايا والأخبار، بنسبة (12%) لكل منهما، حيث إن المدونات الإلكترونية عادة ما تفسح المجال لتكوين العلاقات الاجتماعية والصداقات من خلال طرح النقاش وتبادل الآراء ووجهات النظر حول القضايا المثارة.

ثامناً: الإشباع المتحققة من استخدام العينة المبحوثة للمدونات الإلكترونية.

الجدول (14): الإشباع المتحققة من استخدام العينة المبحوثة للمدونات الإلكترونية

البدائل	ك	%
جعلني أعبر عن آرائي بحرية مطلقة	50	28.6%
عزز آرائي من خلال مناقشاتي مع الآخرين	25	14.3%
جعلني أشعر بالثقة بنفسي أكثر	24	13.7%
جعلني أكون آراء عن القضايا والأحداث التي تدور من حولي	21	12%
عرفت من خلاله مواضيع وقضايا جديدة	17	9.7%
جعلني أشعر بالأمان من خلال المعرفة التي أحصل عليها من تواصل مع الآخرين	16	9.1%
أكسبني مهارات جديدة تفيديني في التعامل مع الآخر	13	7.4%
جعلني أتبنى رأي من يعجبني من آراء المستخدمين الآخرين	3	1.7%
أشبع لدي حب التسلية والاستمتاع	3	1.7%
ساعدني في ملء أوقات الفراغ	3	1.7%
المجموع العام	175	100%

يتضح من نتائج الجدول رقم (14)، أن إشباع "جعلني أعبر عن آرائي بحرية مطلقة" جاء في المرتبة الأولى على قائمة الإشباع التي يحققها استخدام المدونات الإلكترونية بنسبة (28.6%)، وهو يؤكد أهمية المدونات الإلكترونية كمتنفس يستطيع من خلاله المستخدم أن يعبر عن رأيه ووجهة نظره بكامل الحرية دون أي قيود، أما المرتبة الثانية فقد جاء إشباع "عزز آرائي من خلال مناقشاتي مع الآخرين" بنسبة بلغت (14.3%) وهو يؤكد ما تقدمه المدونات الإلكترونية من فرص للنقاش وطرح وجهات النظر المختلفة حول مختلف القضايا والموضوعات، أما في المرتبة الثالثة فقد جاء إشباع "جعلني أشعر بالثقة بنفسي أكثر" بنسبة (13.7%)، ولعل ذلك من خلال ما تتيحه هذه المدونات من فرص للتعبير عن الآراء ومناقشتها دون خجل،

كما يستطيع المستخدم من خلالها أن يتواصل مع الآخر ومعرفة ما يدور ويجول بخاطره حول أي موضوع. أما في المرتبة الأخيرة فقد جاء إشباع "جعلني أتبنى رأي من يعجبني من آراء المستخدمين الآخرين" و"أشبع لدي حب التسلية والاستمتاع" و"ساعدني في ملء أوقات الفراغ" بنسبة (1.7%) لكل منها، وباستقراء هذه النتائج نجد أن إشباع المحتوى التي حققتها المدونات الإلكترونية لأفراد العينة المبحوثة أكبر من إشباع التسلية والترفيه، وهذا يدل على جدية وجودة ما تقدمه وتطرحه.

تاسعاً: مستقبل المدونات الإلكترونية من وجهة نظر العينة المبحوثة.

جدول (15): مستقبل المدونات من وجهة نظر أفراد عينة الدراسة

مستقبل المدونات	ك	%
سوف يزداد عدد المدونات على شبكة الإنترنت بشكل كبير يفوق أي تصور	35	20.00
سوف يصبح لكل شخص مدونة خاصة يعبر فيها عن آرائه ويكتب فيها ما يشاء	28	16.00
سوف يزداد جمهور قرائها بشكل كبير	26	14.86
سوف تكون منافساً قوياً للصحف	21	12.00
سوف يعتمد عليها الأفراد في مواجهة الأنظمة السياسية الظالمة	14	8.00
سوف تكون منافساً قوياً للتلفزيون	10	5.71
سوف تكون وسيلة مهمة في توجيه وإرشاد الناس	10	5.71
سوف تكون وسيلة مهمة للإعلان	9	5.14
سوف يكون لها تأثير قوي في توجيه السياسات العالمية والمحلية	7	4.00
سوف يكون لها أضرار على المجتمع لأن مساحة الحرية فيها كبيرة جداً	7	4.00
سوف تكون منافساً قوياً للإذاعة	6	3.43
أخرى تذكر	2	1.14
المجموع العام	175	100

يتضح من بيانات الجدول رقم (15) أن ما نسبته (20%) من أفراد العينة المبحوثة يرون أن عدد المدونات الإلكترونية سوف يزداد على شبكة الإنترنت بشكل كبير يفوق التصور، وربما يرجع ذلك إلى تنامي أعداد المدونات التي تظهر على الشبكة العنكبوتية وإقبال المستخدمين على متابعتها وقراءتها، وجاء في المرتبة الثانية "سوف يصبح لكل شخص مدونة خاصة يعبر فيها عن آرائه ويكتب فيها ما يشاء" بنسبه (16%)، أما في المرتبة الثالثة فقد جاء "سوف يزداد جمهور قرائها بشكل كبير (14.86%) وهذا يدل على ما تحظى به المدونات الإلكترونية

من مصداقية وسمعة حسنة لدى قرائها، وهذا ما جعل المبحوثين يعتقدون بزيادة عدد قرائها، واحتلت فئة "سوف تكون منافساً قوياً للصحف" المرتبة الرابعة بنسبة (12%)، ولعل ذلك يعود إلى تفوق الإعلام الإلكتروني بشكل عام على وسائل الإعلام التقليدية، وقد استطاعت المدونات الإلكترونية إثبات قدرتها على منافسة وسائل الإعلام التقليدية؛ بما تتمتع به من تقديم معلومات جديدة وحديثة غير متوافرة في أي وسيلة أخرى.

أبرز النتائج:

توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج كان أهمها:

- 1- أن ما نسبته (87.5%) من أفراد العينة المبحوثة يستخدمون المدونات الإلكترونية.
- 2 - أن أغلب المبحوثين هم من الذكور الذين تتراوح أعمارهم بين (21- 23 سنة)، ويحملون درجة البكالوريوس، وممن يسكنون في المدينة ويمتلكون جهاز كمبيوتر.
- 3- أن ما نسبته (57.1%) من أفراد العينة المبحوثة يستخدمون المدونات الإلكترونية دائماً، حيث جاءت في الترتيب الأول، يليها من يستخدمون المدونات أحياناً بنسبة بلغت (22.9%) في الترتيب الثاني، وأخيراً من يستخدمونها نادراً بما نسبته (20%) في الترتيب الثالث.
- 4- أن ما نسبته (25.14%) من إجمالي أفراد العينة المبحوثة يتابعون المدونات الإلكترونية لأنه يوجد فيها (موضوعات وأخبار متنوعة)، وقد جاءوا موزعين بين (26.96%) من الذكور و(21.17%) من الإناث، ثم جاء سبب (تعرض الموضوعات والأخبار بصراحة شديدة وحرية كبيرة) في المرتبة الثانية بما نسبته (18.29%)
- 5- أن أغلب أفراد العينة يقرأون المدونات الإلكترونية في الفترة المسائية حيث بلغت (55.43%)، بينما بلغت ما نسبته (13.49) في أي وقت، تلتها فترة الظهيرة في المرتبة الثالثة بما نسبته (11.43%).
- 6- أن الموضوعات السياسية جاءت في المرتبة الأولى فقد شكلت ما نسبته (20%)، تلتها في المرتبة الثانية الموضوعات الاجتماعية بنسبة (19.43%)، أما الموضوعات الرياضية فقد جاءت في المرتبة الثالثة بنسبة (13.71%).

- 7- أن من أهم أسباب استفادة العينة المبحوثة من المدونات الإلكترونية: التعرف إلى معلومات وأخبار جديدة بما نسبته (34.86%)، تلتها في المرتبة الثانية التعرف إلى أشياء لم تكن معروفة من قبل بنسبة وصلت إلى (28%). أما في المرتبة الثالثة فكان السبب قراءة الموضوع ذي الصلة بالاهتمام، حيث بلغت نسبته (21.14%).
- 8- أن سبب أسلوب المدونة المتميز في الكتابة، تصدر قائمة الأسباب في تفضيل مدونة على أخرى، بنسبة وصلت إلى (19.43%)، فدائماً يكون أسلوب الكتابة هو العنصر الأساس والرئيس في جذب القارئ نحو الموضوع المثار، وبذلك تتميز مدونة عن أخرى وتستطيع أن تثبت وجودها وشخصيتها.
- 9- أن دافع التعرف على مجموعة من المعلومات والمهارات المفيدة، جاء في المرتبة الأولى على قائمة دوافع أفراد العينة المبحوثة من استخدام المدونات الإلكترونية بنسبة وصلت إلى (21.71%).
- 10- أن إشباع "جعلني أعبر عن آرائي بحرية مطلقة" جاء في المرتبة الأولى على قائمة الإشباع التي تحققت باستخدام المدونات الإلكترونية بنسبة (28.6%)، أما المرتبة الثانية فقد جاء إشباع "عزز آرائي من خلال مناقشاتي مع الآخرين" بنسبة بلغت (14.3%).
- 11- أن ما نسبته (20%) من أفراد العينة المبحوثة يرون أن عدد المدونات الإلكترونية سوف يزداد على شبكة الإنترنت بشكل كبير يفوق التصور، وجاء في المرتبة الثانية " أنه سوف يصبح لكل شخص مدونة خاصة يعبر فيها عن آرائه ويكتب فيها ما يشاء" بنسبه (16%)، أما في المرتبة الثالثة فقد جاء "سوف يزداد جمهور قرائها بشكل كبير" بنسبه (14.86%).

The Uses of Yarmouk University Students for blogs and the Achieved Gratifications: "Survey Study"

Hatem Alawaneh and Khalaf Tahat, *Journalism Department, Faculty of Mass Communication, Yarmouk University, Irbid, Jordan.*

Mahmoud abd-alghani, *Mass Communication Department, Faculty of Arts, Sohag University, Sohag, Egypt.*

Abstract

The study aims to identify The Uses of Yarmouk University Students for blogs and the Achieved Gratifications and to know the habits and patterns for their uses. The study used descriptive and analytical survey method to. The sample (200) was selected randomly, Researcher relied on (questionnaire) to collect data, and the study found a number of results, the following was the most important:

1. Results showed that (57.1%) of the surveyed respondents use blogs always, who it came in the first , followed by those who use occasionally blogs at a rate (22.9%) in the second arrangement, and finally (20%) use it rarely, who came in third place.

2. The results indicated that (25.14%) of the total surveyed respondents follow the blogs because it is included (variety of topics and news) spread between (26.96%) males and (21.17%) of the female.

3. Results showed that identification of information and useful skills came in the first on the list of the motives of the surveyed respondents from the use of blogs by up to (21.71%).

4. it assures the importance of blogs as an outlet where the user can express his opinion and his point of view freely without any restrictions, and in the second was "reinforced my views through my discussions with others" at a rate of (14.3%).

Key words: uses, blogs, gratifications.

الهوامش

- 1- Flynn, Nancy, *Blog Rules*, Amacom, American Management Association, New York, 2006, p3.
- 2- Wright, Jeremy, *Blog Marketing*, New York, M.C Grow – Hill, 2006, p5.
- 3- Miler, Michael, *Absolute Beginner's Guide to computer Basics*, que Publishing, 2006, p288.
- 4- الوردي، زكي، صحافة المدونات الإلكترونية على الإنترنت. مجلة الباحث الإعلامي، 2007، العدد (3)، ص13.
- 5- الزهيرى، طلال، ظاهرة المدونات الرقمية والدوافع الاجتماعية، متاح على: <http://aZuhairijeeran.com/> ، 2014.
- 6- الوردي، مرجع سابق، ص 16.
- 7- العربي، رامز، استخدام الشباب الجامعي للمدونات الإلكترونية وأثرها الإعلامي. رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة اليرموك. إربد، 2014.
- 8- علي، سمير، استخدام الشباب المصري للمدونات الإلكترونية على الإنترنت. رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة عين شمس. عين شمس ، 2010.
- 9- المدني، غازي استخدام الشباب السعودي الجامعي للمضمون السياسي للمدونات الإلكترونية والإشباع المتحققة منها. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، أم القرى 2009.
- 10- خضر، نرمين زكريا، الآثار النفسية والاجتماعية لاستخدام الشباب المصري لمواقع الشبكات الاجتماعية: دراسة على موقع الفيسبوك. مقدمة إلى مؤتمر كلية الاعلام، جامعة القاهرة، وهو بعنوان: الأسرة والإعلام وتحديات العصر، الذي عُقد في الفترة ما بين 15-17 فبراير 2009م.
- 11- فراج، عبد الرحمن، المدونات الإلكترونية مع إشارة خاصة إلى مدونات المكتبات والمكتبيين، مجلة المعلوماتية، 2016، العدد 4، ص 9-15.

- 12- Thomas I. Johnson and Barbara K, Kaye Wag the blog: How reliance on Traditional media and the internet Influence Credibility Perceptions of weblogs among blog user, *Journalism and mass communication Quarterly*, 2004, vol. 81, No, 3, P 622- 642.
- 13- Junghoon Moon and others, improving Quality of life via blogs and Development of a virtual Social identity, *Journal of information Technology Management*, volume XVII , 2006. Number ,3, P 26- 37.
- 14- Mike Thelwal and others, Which types of news story attract bloggers, *information research*, 2007, 12 (4) paper 327. Available at: <http://InformationR.net/ir12-4/paper327.html/>
- 15- Lie, Dan. (2005). *Why do you blog*, Master thesis, Marquette university, Wisconsin.
- 16- Katz, Blumler & Gurevitch, Utilization of Mass Communication. *In the Uses of Mass Communication: Current Perspectives on Grantification Research*. Blumler & Katz. (editors), 1974, sage publications, Beverly Hills, London, p11-35.
- 17- مكايي، حسن عماد. والسيد، ليلي حسين، الاتصال ونظرياته المعاصرة، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2010، ص 214.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية

- خضر، نرمين زكريا. (2009). الآثار النفسية والاجتماعية لاستخدام الشباب المصري لمواقع الشبكات الاجتماعية: دراسة على موقع الفيسبوك. مقدمة إلى مؤتمر كلية الاعلام، جامعة القاهرة، وهو بعنوان: الأسرة والإعلام وتحديات العصر، الذي عُقد في الفترة ما بين 15-17 فبراير 2009م.
- الزهيري، طلال (2014). ظاهرة المدونات الرقمية والدوافع الاجتماعية، متاح على: <http://aZuhairijeeran.com/>
- صادق، عادل (2014). المدونات الإلكترونية، ملف الأهداف الاستراتيجي، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية متاح على: <Http://W.W.W.ahram.org.Edg/>

- العربي، رامز (2014). استخدام الشباب الجامعي للمدونات الإلكترونية وأثرها الإعلامي. رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة اليرموك. إربد.
- علي، سمير (2010). استخدام الشباب المصري للمدونات الإلكترونية على الإنترنت. رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة عين شمس. عين شمس.
- فراج، عبد الرحمن (2006). المدونات الإلكترونية مع إشارة خاصة إلى مدونات المكتبات والمكتبيين، مجلة المعلوماتية، العدد 4.
- المدني، غازي (2009). استخدام الشباب السعودي الجامعي للمضمون السياسي للمدونات الإلكترونية والإشباعات المتحققة منها. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، أم القرى.
- مكاوي، حسن عماد. والسيد، ليلي حسين. (2010). الاتصال ونظرياته المعاصرة. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.
- نسيم الشيببي وأمين، مغبر ، الحوار أساليبه وتقنياته وسبل تنميته عند الشباب، متاح على: <http://gsa.africa-web.org/>
- الوردي، زكي (2007). صحافة المدونات الإلكترونية على الإنترنت. مجلة الباحث الإعلامي، العدد (3)، ص11-18.

ثانياً: المصادر الأجنبية

- Flymn, Nancy. (2006). *Blog Rules*, Amacam, American Management Association, New York.
- Junghoon Moon and others. (2006), improving Quality of life via blogs and Development of a virtual Social identity, *Journal of information Technology Management*, volume XVII , Number 3, P 26- 37.
- Katz, Blumler & Gureviteh. (1974). Utilization of Mass Communication. *In the Uses of Mass Communication: Current Prespectives on Grantification Research*. Blumler & Katz. (editors), sage publications, Beverly Hills, London.
- Lie, Dan. (2005). *Why do you blog*, Master thesis, Marquette university, Wisconsin.

- Mike Thelwal and others. (2007), Which types of news story attract bloggers, *information research*, 12 (4) paper 327. Available at: <http://InformationR.net/ir12-4/paper327.html/>
- Miler, Michael. (2006), *Absolute Beginner's Guide to computer Basics*, que Publishing.
- Thomas I. Johnson and Barbara K. (2004). Kaye Wag the blog: How reliance on Traditional media and the internet Influence Credibility Perceptions of weblogs among blog user, *Journalism and mass communication Quarterly*, vol. 81, No, 3, P 622- 642
- Wright, Jeremy. (2006). *Blog Marketing*, New York, M.C Grow – Hill.

الأوضاع الإدارية في قضاء صفد خلال العهد العثماني (1281- 1333هـ/1864- 1914م) (1)

علاء كامل سعادة* وإخلاق خلف العطوي**

تاريخ الاستلام 2016/8/11

تاريخ القبول 2016/11/2

ملخص

يعد قضاء صفد أحد الأفضية التابعة للواء عكا التابع لولاية بيروت في العهد العثماني، وقد نال أهميته من الموقع الجغرافي المهم على ساحل البحر المتوسط، حيث جمع قضاء صفد بين الميناء على الساحل والسهول المنتشرة أسفل الجبال، بالإضافة إلى العيون والينابيع والآبار، وقد شجع هذا الموقع قدوم العديد من المهاجرين الشركس والشيشان والبوسنيين وغيرهم من الذين سكنوا القرى العديدة التي ضمها قضاء صفد.

أما بالنسبة للناحية الإدارية في قضاء صفد أثناء العهد العثماني، فقد ترأس القائم مقام الجهاز الإداري في القضاء وإلى جانبه عدد من الموظفين، وكذلك المجالس الإدارية سواء داخل مركز القضاء (القصبه) أو في النواحي والقرى، وقد اعتمدت الدراسة على عدد من المصادر والمراجع الأصلية مثل سالنامه دولة عليية عثمانية وسالنامه ولاية سورية وسالنامه ولاية بيروت، والصحف المعاصرة للحدث وغيرها من المصادر والمراجع المثبتة في نهاية الدراسة.

المقدمة:

تعد دراسة الأوضاع الإدارية لأي ولاية أو سنجق (لواء) أو قضاء دراسة قائمة على تتبع مراحل توسع، أو إضافة، أو إلغاء لأي من التقسيمات الإدارية، وهنا لا بد من توضيح أن هذه التقسيمات الإدارية في العهد العثماني لم تكن مبنية على عدد السكان في تلك المنطقة، حتى ترتقي من ناحية إلى قضاء أو من قضاء إلى لواء، ومن لواء إلى ولاية، بل إن التقسيم كان يركز على طبيعة النشاط التجاري لتلك المنطقة، حيث إن هناك العديد من المناطق يزيد فيها عدد

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2017.

* قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة آل البيت، المفرق، الأردن.

** باحثة.

السكان أكثر من مركز القضاء ولكنها تبقى ناحية أو قضاء، ومناطق أخرى متوسطة أعداد السكان لكنها تشكل لواء، وذلك نتيجة للنشاط التجاري في المدن الرئيسية والموانئ.

وقد بدأت الدراسة بتوضيح التقسيمات الإدارية في العهد العثماني فيما يتعلق بلواء عكا الذي يتبع إليه قضاء صفد موضوع الدراسة، وقد بقي قضاء صفد تابعاً للواء عكا حتى نهاية العهد العثماني، ثم عرّجت الدراسة على النواحي والقرى، وكذلك المستعمرات اليهودية التي شملها قضاء صفد، وبيان مواقعها الجغرافية ومساحتها وارتفاعها عن سطح البحر.

وضمّت الدراسة جميع الوظائف الإدارية بمسمياتها التي كانت في قضاء صفد وأسماء الموظفين حسب ما أثبتته الوثائق العثمانية أثناء فترة الدراسة، وتناولت المجالس الإدارية المعمول بها في الدولة العثمانية بأنواعها واختصاصاتها، وكذلك المحاكم بأنواعها، ومن ثم المجلس البلدي، وختمت الدراسة بخاتمة شكلت حصاد الدراسة وما خرجت به من نتائج.

وقد اعتمدت الدراسة على جملة من المصادر والمراجع، من أبرزها سجلات المحاكم الشرعية، وكذلك السالنامات العثمانية التي تعد بمنزلة كتب وتقاويم سنوية رسمية أرشيفية، سواء التي تصدرها الدولة العثمانية باسم (سالنامت دولت عليه عثمانية) أو السالنامات الخاصة بكل ولاية من ولايات الدولة العثمانية، وفي هذا البحث تم الاستفادة من سالنامة ولاية سورية، وسالنامة ولاية بيروت، بحكم تبعية قضاء صفد الإدارية لهما، وتسجل في هذه السالنامات جميع النواحي الإدارية الدقيقة داخل كل ولاية من وظائف وإحصاءات وتطورات إدارية على مستوى الولاية، من قرى ونواح وأقضية وألوية ومجالس إدارية، وكذلك تسجل السالنامات أسماء الذين تولوا الوظائف الإدارية المتعددة، واستفادت هذه الدراسة من الصحف والعديد من المصادر والمراجع المثبتة في نهاية الدراسة.

التقسيمات العثمانية وتبعية صفد الإدارية:

كانت صفد في القرن السادس عشر الميلادي سنجقا لولاية الشام، حيث كانت التقسيمات الإدارية في سورية على النحو الآتي: ولاية الشام وتتألف من السناجق التالية: دمشق مركز الولاية والقدس وغزة وصفد ونابلس وعجلون واللجون وتدمر وصيدا مع بيروت والكرك مع الشوبك؛ وولاية حلب تتألف من سناجق: حلب مركز الولاية وأدنة وكلس وبيره جك وبالس، ومعرة النعمان وترجمان حلب؛ وولاية طرابلس تتألف من سناجق هي: طرابلس مركز الولاية وحماة وحمص وسلمية واللانزقية والحصن، وعلى الرغم من ذلك فإن هذه التقسيمات الإدارية لم تكن نهائية، إذ كثيراً ما كان يلغى سنجق ما أو يدمج أو يؤسس سنجق جديد⁽²⁾.

وكانت بلاد الشام قبل دخولها في الحكم المصري مقسمة إلى أربع إيالات هي: إيالة الشام وإيالة طرابلس وإيالة صيدا وإيالة حلب⁽³⁾، وقد ضمت الدولة العثمانية إيالات: الشام وطرابلس وصيدا إلى أحمد باشا الجزائر سنة 1217هـ/1803م⁽⁴⁾، واتخذ مدينة عكا مركزاً لولاية صيدا مقراً له⁽⁵⁾.

وما بين عامي 1247-1256هـ/ 1831-1840م، قسمت بلاد الشام في أثناء الحكم المصري، وتحديداً في عهد محمد علي باشا، إلى ثلاث إيالات هي: دمشق الشام وطرابلس وصيدا، ووَصَّعَ على رأس كل منها مديراً مهمته إدارة شؤون العامة، وقد أتت سائر مناطق فلسطين حتى حدود سيناء لإيالة الشام⁽⁶⁾. أي أن عكا التي تضم صفد كانت تابعة لإيالة دمشق الشام.

وفي سنة 1257هـ/1840م، عادت بلاد الشام إلى التشكيلات الإدارية السابقة⁽⁷⁾، حيث كانت بلاد الشام تتألف من ثلاث إيالات وهي: حلب والشام وصيدا⁽⁸⁾، وجرى تعديل إداري آخر نقل بموجبه مركز إيالة صيدا سنة 1258هـ/1841م، من عكا إلى بيروت، ففي سنة 1263هـ/1846م، كانت إيالة صيدا تضم أولية: اللاذقية وطرابلس وعكا والقدس⁽⁹⁾، أما في سنة 1266هـ/1849م فكانت إيالة صيدا تشمل أولية اللاذقية وطرابلس وجبيل والشوف وصيدا وعكا والقدس⁽¹⁰⁾، وفي سنة 1270هـ/1853م، أصبحت إيالة صيدا تتألف من أولية: اللاذقية وطرابلس وعكا ودير القمر والقدس⁽¹¹⁾، أي أن صفد التابعة للواء عكا كانت تابعة لإيالة صيدا من سنة 1257-1270هـ/1840-1853م.

وبعد صدور نظام الولايات أعيد تشكيل التنظيمات الإدارية العثمانية القديمة في الدولة إلى ولايات، ويتبع لكل ولاية عدة أولية أو سناجق ويتبع للواء عدة أقضية أو قائمقاميات، ويتبع القضاء مجموعة من النواحي، والنواحي تتكون من عدة قرى ومزارع⁽¹²⁾، وفي سنة 1282هـ/1865م، قسمت بلاد الشام إلى ولايتين هما: ولاية حلب وولاية سورية⁽¹³⁾.

أما ولاية سورية التي تقع صفد ضمن الأفضية التابعة لها فقد كانت تضم أولية الشام: اللاذقية وحماة وعكا وبيروت وهوران والبلقاء والقدس وطرابلس الشام؛ حيث شمل لواء عكا أقضية: يافا وحيفا وصفد وطبرية بالإضافة إلى قصبه عكا⁽¹⁴⁾، ولكن لم يستمر هذا الوضع الإداري لولاية سورية على ما هو عليه؛ فقد ألحقت القدس مباشرة بإستانبول⁽¹⁵⁾ وعرفت باسم (قدس شريف سنجاعي مستقل إدارة)⁽¹⁶⁾.

وظهرت بعد ذلك محاولات جديدة لتجزئة ولاية سورية ومتصرفية القدس إلى ثلاث ولايات هي: ولاية سورية، وولاية بيروت، وولاية القدس، وتم فصل أولية من ولاية سورية وإلحاقها

بالولاية الجديدة (بيروت) وهي ألوية: بيروت وعكا وطرابلس الشام واللاذقية والبلقاء⁽¹⁷⁾، وبقي قضاء صفد تابعاً للواء عكا الذي انتقلت تبعيته من ولاية سورية إلى ولاية بيروت.

النواحي والقرى: بعد حركة التنظيمات العثمانية التي أحدثت تغييرات مهمة في التنظيم الإداري قسمت الأفضية إلى نواح، وضم قضاء صفد سنة 1288هـ/1871م ناحيتين إضافة إلى المدينة (القصبه) هما⁽¹⁸⁾: ناحية الجيرة وشملت القرى المجاورة للمدينة لذلك سميت بالجيرة، وناحية الجبل، وشملت القرى الأبعد المحيطة بجبل الجرمق. وإن وجود النواحي في القضاء يتطلب توفر إدارة تهتم بشؤونها، فلكل ناحية جهاز إداري، وعلى رأس هذا الجهاز مدير يطلق عليه (مدير الناحية). أما القرى فكان المسؤول الإداري عنها المختار، وقد كان لكل قرية مختار أو مختاران، وذلك حسب عدد نفوس القرية⁽¹⁹⁾.

إن عدد القرى التابعة لقضاء صفد لم يكن ثابتاً، حيث كانت في ازدياد مستمر، ويبدو أن جغرافية المنطقة وموقعها المهم كانا سبباً في إقبال المهاجرين إليها، مما أدى إلى استحداث قرى، أو ربما إعادة بناء الخرب والقرى والسكن فيها، وكل هذا سيؤدي إلى زيادة القرى في القضاء.

جدول رقم (1): أعداد القرى في قضاء صفد.

السنة	عدد القرى
1269هـ/1852م	11 ⁽²⁰⁾
1288هـ/1871-1872م	38 ⁽²¹⁾
1296هـ/1879م	58 ⁽²²⁾
1298هـ/1880-1881م	65 ⁽²³⁾
1303هـ/1885م	44 ⁽²⁴⁾
1310هـ/1893م	60 ⁽²⁵⁾
1315هـ/1897م	78 ⁽²⁶⁾
1327هـ/1909-1910م	49 ⁽²⁷⁾
1333هـ/1914م	51 ⁽²⁸⁾

يتضح من الجدول أن أكثر أعداد القرى في قضاء صفد كان في سنة 1315هـ/1897م حيث بلغ العدد 78 قرية، وهذا العدد مقارنة بالسنوات الأخرى عدد لم يشهده القضاء، ويعود سبب الزيادة في عدد القرى إلى قدوم مجموعات من المهاجرين المسلمين، وبخاصة من الجزائريين والبوسنيين والشركس الذين أسكنتهم الدولة العثمانية في القرى الخربة⁽²⁹⁾ كما تم

استحداث قرى جديدة هي: علما ورأس الأحمر وديشوم⁽³⁰⁾، لاستيعاب تدفق اللاجئين من تلك المناطق. ويتضح بأن عدد القرى يزداد بين كل سنة وأخرى، ولكن في سنة 1327هـ/1909- 1910م تراجع عدد القرى، وربما يعود هذا التراجع إلى انتقال بعض السكان للإقامة في الأضية المجاورة ومنها حيفا⁽³¹⁾.

وقد انقسمت بعض القرى في قضاء صفد وفقاً للطوائف الدينية إلى: قرى المسلمين، وقرى الدروز، وقرى المسيحيين، والقرى المشتركة بين المسيحيين والدروز، والقرى المشتركة بين المسيحيين والدروز والمسلمين، ولم تكن هناك قرى مشتركة بين المسلمين والدروز؛ لأن الخلافات الشديدة بين الطرفين جعلت من الصعب اجتماعهما في قرية واحدة⁽³²⁾.

جدول رقم (2): توزيع القرى في قضاء صفد حسب الطوائف الدينية⁽³³⁾.

العدد	القرى
23	قرى المسلمين
1	قرى الدروز
2	قرى المسيحيين
2	قرى الدروز والمسيحيين
4	قرى المسلمين والمسيحيين
1	قرى المسلمين والمسيحيين والدروز
33	المجموع

يتبين من الجدول أن أكثر عدد للقرى في قضاء صفد هي القرى التابعة للمسلمين، وبما أن المسلمين أكثر نسبة سكان فإن عددهم يتطلب وجود قرى أكثر، ولم تكن قرى الدروز والمسيحيين كثيرة؛ فالدروز كان لهم قرية مستقلة و3 قرى مشتركة، وكذلك المسيحيون حيث كانت لهم قريتان مستقلتان و7 قرى مشتركة، ويلاحظ أن قرية واحدة فقط ضمت المسلمين والدروز، ومرد ذلك، على ما يبدو، إلى كثرة الخلافات بينهم.

القرى التابعة لقضاء صفد: اشتمل قضاء صفد على العديد من القرى، ومن أهمها: أبل القمح⁽³⁴⁾ وجب يوسف والخالصة وعكبرة⁽³⁵⁾ والخصاص وخيام الوليد والدرارية⁽³⁶⁾ والرأس الأحمر وسعسع والسموعي وصفصاف وطيطبا والظاهرية وعلما وعين الزيتون وفرعم وقديتا ويريا ودلاتا وحرفيش والبويزية والميس وييسمون وتليل والحسينية وجاحولا والجاعونة⁽³⁷⁾، وغيرها.

المحلات والحارات والطرق: تتكون قسبة صفد من عدد من الحارات والمحلات، وكل حارة تختلف بعدد سكانها عن الأخرى، ويربط بين هذه الحارات طرق تشبكها بعضها ببعض.

حارات القضاء: كانت صفد تنقسم إلى حارتين كبيرتين وحارة صغيرة تبعاً لمذاهب سكانها هما:

حارة المسلمين (الحي الإسلامي) التي تضم عدة حارات وهي حارة الجورة وحارة السواعين، وحارة الأكراد، وحارة الأحمر، وحارة الوتار، وحارة الصواوين⁽³⁸⁾، وقد سميت حارة الأكراد بهذا الاسم لأن الأكراد أول من سكنها، وتألقت حارة الصواوين من مئة دار وثلاث محلات ويسمى القسم الغربي من صفد القريب من القلعة بحارة القلعة⁽³⁹⁾.

أما حارة اليهود فتقسم إلى حارتين، حارة اليهود (الأشكنازيم) الذين يسكنون في أعلى الحارة، وحارة (السفارديم) الذين يعيشون في أسفلها⁽⁴⁰⁾، وذكر التميمي والكاظمي خلال مرورهما في صفد حارات اليهود، حيث جاء في كتابهما ولاية بيروت (يوجد في صفد حارة اليهود وهي مقسمة إلى قسمين: محلة الأشكنازيم في الجهة الغربية الشمالية ومحلة السفارديم إلى الجنوب منها)⁽⁴¹⁾. أما الأقلية المسيحية في صفد فتقيم في حارة صغيرة تقع بين حارة الجامع الأحمر وحارة السوق⁽⁴²⁾، ووجد في القضاء أيضاً محلات للنزهة، كمحلة الغزوي والرجوم التي كان يخرج إليها الصفديون للتنزه⁽⁴³⁾.

الطرق: وجد في قضاء صفد طريقان رئيسان، وهما⁽⁴⁴⁾:

1- طريق الغزوي: وهي طريق معبدة تدور حول تلة صفد من جميع أحيائها، وتقطعها على مسافة بضع دقائق من تحت القلعة.

2- طريق الميدان: تمتد من جبل كنعان وتؤدي إلى الجاعونة.

ويأتي بعد هذين الطريقين بالدرجة الثانية طريق جامع الأحمر وهي توصل إلى الجامع الأحمر وتؤدي أيضاً إلى طبريا، وطريق عين الحمرة وتأتي داخل وادي وتؤدي إلى جب يوسف، ويوجد أيضاً طرق عمودية أو منحنية لكن جميعها رديئة، وقد فرشت الطرق الصغيرة في صفد بالبلاط، ولكن على الرغم من ذلك فهي صعبة المرور لسبب ضيقها⁽⁴⁵⁾.

وذكرت صحيفة البشير أنه في سنة 1308هـ/1890م، أنشئ جسر على وادي العمود يبلغ ارتفاعه 15متراً وعرضه 3 أمتار على نفقة أهالي قضائي صفد وطبرية⁽⁴⁶⁾، كما ذكرت صحيفة المقتبس أنه في سنة 1330هـ/1912م لم يوجد في صفد طريق يوصلها بغيرها من المدن، على الرغم من أنه تقرر إنشاء هذا الطريق ورصد له مبلغ خمسة آلاف ليرة عثمانية⁽⁴⁷⁾، ويتبين أنه، حتى نهاية فترة الدراسة، لم يوجد طرق رئيسة تربط صفد بالمدن الأخرى.

- المستعمرات اليهودية في صفد: كان للهجرة اليهودية إلى صفد وازدياد أعدادهم فيها أن أقاموا عدة مستعمرات، وهي على النحو الآتي:
- أ- روش فنا: وتعني رأس الزاوية ومركزها في قرية الجاعونة بين صفد والأردن، تأسست سنة 1300هـ/1882م، وذكرت باسم روشينا⁽⁴⁸⁾
- ب- يسو همعلة: تأسست سنة 1301هـ/1883م، وأقامت على المنية، وعين الزيتون وتقع هذه المستعمرة شمالي صفد، تأسست سنة 1308هـ/ 1890م⁽⁴⁹⁾.
- ت- محنايم: مع ملحقاتها عرب الأكراد، وتقع بين صفد وبحيرة الحولة⁽⁵⁰⁾.
- ث- عين الزيتون: تقع شمال صفد، وفي سنة 1308هـ/1890م، ابتاعها اليهود ليستثمروا غلاتها، وتبلغ مساحتها 430 هكتاراً⁽⁵¹⁾.
- ج- جسر الأردن: المعروف بجسر بنات يعقوب⁽⁵²⁾.
- ح- خربة زبيد: وهي على شاطئ الحولة اقتناها يهود روسيون سنة 1301هـ/1883م ثم تملكها روتشلد سنة 1305هـ/1888م ومساحتها 216 هكتاراً⁽⁵³⁾.
- خ- مشمارهايرون: تقع على بعد ميل من بحيرة الحولة تأسست سنة 1308هـ/1890م⁽⁵⁴⁾
- د- المطلة: تقع على بعد 50 كم من صفد وتأسست سنة 1314هـ/ 1896م⁽⁵⁵⁾.

الجهاز الإداري داخل قضاء صفد: بموجب قانون الولايات أعيد التنظيم الإداري للولايات، وحددت مجدداً مهمات الولاية والمسؤولين في مراتب السلطة كافة، وقد تعددت الأجهزة الإدارية التي عملت في قضاء صفد، وكانت على النحو الآتي:

الوظائف الإدارية:

أ- القائم مقام: وهو يقوم على رأس الجهاز الإداري الموجود في القضاء⁽⁵⁶⁾ بمعنى أنه أعلى المناصب الإدارية في القضاء، ويتأخرس مجلس إدارة القضاء، ودائرة المعارف، ولجنة مبيعات الأملاك في القضاء، وتخضع لسلطته قوات الشرطة المتواجدة في القضاء، ويحق له استخدامها وفقاً للأوامر التي يتلقاها من متصرف اللواء⁽⁵⁷⁾، وكان يخاطب بـ (ذو العزة)⁽⁵⁸⁾، ويعين من جانب المتصرف الذي في لواء عكا، وهو مسؤول أمام المتصرف في أموره كافة⁽⁵⁹⁾، وكان يشترط لتعيين القائم مقام معرفة القراءة والكتابة والتحلي بالصفات والأخلاق الحميدة⁽⁶⁰⁾، وقد أسندت إلى القائم مقام مجموعة من المهام وهي: تحصيل الأموال الميرية من محلاتها بأوقاتها وأزمانها حسب الأنظمة وإيداعها في خزينة الدولة، وملازمة الأهالي والحفاظ على أموالهم وأعراضهم وناموسهم ودمائهم وتأمين رفاهيتهم ودفع وقوع الفساد بينهم، وتأمين الطرق وتوفير الحماية لعابري السبيل، والتمسك المستمر بنهج الشرع القويم الشريف وأنظمة الدولة، وتنفيذ جميع الأوامر والتعليمات

التي تصدر له، وضبط وتنظيم واردات القضاء ونفقاته، والنظر في المقاولات العائدة إلى الحكومة⁽⁶¹⁾.

ومن خلال المهام السابقة يتبين بأن القانمقام يهتم بالأمر المالية والاجتماعية والاقتصادية والإدارية، وهو موكل أيضاً بحل الخلافات التي تقع بين السكان في القضاء، ومراقبة تصرفات وسلوك الموظفين الإداريين في القضاء، ومدى التزامهم بالقوانين والأنظمة⁽⁶²⁾. لذا يتضح أن جميع أمور القضاء تقع تحت مسؤولية القانمقام.

جدول رقم (3): أسماء القانمقامين في قضاء صفد.

السنة	القانمقام
1868-1869م ⁽⁶³⁾	عمر صائب أفندي
1871-1872م ⁽⁶⁴⁾	عبد القادر بك
1874م ⁽⁶⁵⁾	سليمان آغا
1876م ⁽⁶⁶⁾	سليمان خلوصي أفندي
1877م ⁽⁶⁷⁾	محمد أمين أفندي
1880م ⁽⁶⁸⁾	بدري بك
1881م ⁽⁶⁹⁾	الأمير محمد سعيد بك الشهابي
1882-1300م ⁽⁷⁰⁾	طلعت بك
1885-1303م ⁽⁷¹⁾	الأمير محمد سعيد بك الشهابي
1888م ⁽⁷²⁾	محمد سعيد بك
1889م ⁽⁷³⁾	عبد السلام أفندي
1890م ⁽⁷⁴⁾	أحمد شكري أفندي
1891-1310م ⁽⁷⁵⁾	موسى كاظم أفندي
1893م ⁽⁷⁶⁾	محمد حمدي أفندي
1894م ⁽⁷⁷⁾	صالح أفندي
1896م ⁽⁷⁸⁾	محمد سعيد بك
1897-1316م ⁽⁷⁹⁾	سليم أفندي
1900م ⁽⁸⁰⁾	علي راسخ أفندي
1901-1320م ⁽⁸¹⁾	حمدي أفندي
1903-1322م ⁽⁸²⁾	الأمير نجيب بك الشهابي
1905م ⁽⁸³⁾	علي أفندي
1908-1325م ⁽⁸⁴⁾	إسماعيل بك
1909م ⁽⁸⁵⁾	حسين حسني أفندي

يتبين من الجدول أن أغلب القائمقامين تم تعيينهم لمرة واحدة فقط، لمدة عام أو أقل، وبعضهم عين مرة واحدة واستمر في المنصب لمدة عامين متتالين، ونلاحظ أن محمد سعيد بك قد شغل المنصب لأكثر من مرة في أربع سنوات موزعة، إذ شغله سنة 1299هـ/ 1881م، وسنة 1303هـ/1885-1886م، وسنة 1306هـ/ 1888م، وسنة 1314هـ/ 1896م، وقد شغل القائمقام طلعت بك المنصب لعامين متتالين، ومثله القائمقام موسى كاظم أفندي، والقائمقام سليم أفندي، والقائمقام نجيب أفندي، والقائمقام إسماعيل أفندي.

ولقد تولى منصب القائمقام في قضاء صفد خلال فترة الدراسة عدداً واسعاً من القائمقامين، إذ إن بقاء القائمقام في المنصب يدل على حسن إدارته وتطبيق القوانين والتعليمات، واستقرار الأمن داخل القضاء، مما يؤدي إلى عدم تدمير السكان من سياسته، وبهذا يكسب ثقة المتصرف والوالي، أما إذا ثبت على أحد القائمقامين أنه خالف النظام العام، أو قام بسرقة أو اختلاس أو سوء خلق أو لم ينفذ التعليمات والقوانين، فإنه يستبدل بتعيين قائمقام جديد.

ب- مدير الناحية: يشرف على إدارة الجهاز الإداري في الناحية موظف يعرف باسم مدير الناحية، ويساعده مجلس لإدارة الناحية⁽⁸⁶⁾، ويتم تعيين مدير الناحية من قبل الوالي أو متصرفي الألوية بعد المصادقة على التعيين من نظارة الداخلية، ويجب أن تتوافر عدة شروط فيمن يتولى منصب مدير الناحية، وهي: أن لا يكون محكوماً عليه بجناية، وأن يتمتع بحقوقه المدنية، ولا يكون محروماً منها، وأن يتقن القراءة والكتابة، وأن يتجاوز العشرين من العمر⁽⁸⁷⁾. أما المهام التي أوكلت إليه فهي: تنظيم القوانين في ناحيته، وإعلام القائمقام بتحقيقات المواليد والوفيات التي يجريها، وإجراء التحقيقات في الجنايات التي تقع في الناحية، والإشراف على انتخاب المخاتير ومجلس اختيارية القرى، والتحقيق في الشكاوى التي يقدمها الأهالي بحق المخاتير والمجالس الإدارية، وجمع العمال المكلفين بإصلاح الطرق العمومية، والتقيد بتعليمات القضاء في المحافظة على الأمن والنظام في الناحية⁽⁸⁸⁾.

وعلى الرغم من أن مدير الناحية يتولى مسؤولية الناحية، فهناك أمور منع من التدخل فيها، حيث لم يسمح له بتوقيع أي عقوبة جزائية على الأفراد عن طريق الحبس أو التوقيف، وكذلك منع من التدخل فيما يخص مجالس اختيارية القرى⁽⁸⁹⁾؛ أي أنه أعطي صلاحيات ومنع من أخرى، أما الرواتب التي كان يتقاضاها مدير الناحية في السنة فتتراوح ما بين 50-60 ليرة عثمانية⁽⁹⁰⁾.

ج- المختار: يمثل المختار سلطة الدولة في القرية، وهو المسؤول الإداري الأول في القرية، وتختلف طريقته في التعيين عن تعيين القائمقام ومدير الناحية، ويتم تعيين المختار بالانتخاب، من قبل كل مواطن قروي في المكان الذي يترشح فيه المختار، ويتجاوز الناخب سن 18 من العمر

ويُدفع ضريبة سنوية للدولة لا تقل عن خمسين قرشاً، ويشرف على هذه الانتخابات القائم مقام ويقر قوانينها، وتتم الانتخابات مرة واحدة في كل سنة، ويحق للمخاتير ترشيح أنفسهم لها أكثر من مرة⁽⁹¹⁾، وكانت هناك شروط لمن يرغب في الترشيح لهذا المنصب وهي: أن يكون من أصحاب العلاقة (الأملك) ومن تبعية الدولة العثمانية، وأن لا يقل عمر الشخص الذي يرشح نفسه لتولي المنصب عن ثلاثين عاماً، وأن يدفع ضريبة سنوية للدولة لا تقل عن 100 قرش⁽⁹²⁾.

أما المهام الموكلة إلى مختار القرية فهي: تبليغ القوانين والأنظمة والأوامر الحكومية إلى أهالي القرية، وجمع الأموال المترتبة على الأهالي في القرية، وإخبار مدير الناحية عن المواليد والوفيات بأوقاتها المحددة، وإخبار مدير الناحية بالحوادث التي تقع في منطقته، وتبليغ أهالي القرى بالقوانين والأنظمة والأوامر الحكومية، وبذل الجهد في القبض على القتلة والخارجين وتسليمهم إلى الحكومة، وإعطاء المعلومات لمدير الناحية عن الأراضي المحلولة والمكتومة والمستملكات والإنشاءات المخالفة للنظام، والنظارة على الذين ينتخبون من طرف المجالس الاختيارية ليكونوا في ضابطة القرية كالنواظير وغيرهم، ومراقبة حراس القرى والسكنات ونشر الأمن في القرى والمحلات⁽⁹³⁾.

ومن مهامه أيضاً تسجيل عقود الزواج التي تجري في القرية⁽⁹⁴⁾، والتعريف بالأشخاص داخل المجلس الشرعي بطلب من القاضي⁽⁹⁵⁾، واشترط القانون أن يكون لكل قرية مختار، أما في حال تعدد الطوائف في نفس القرية فيكون لكل طائفة مختار، وإذا كان سكان القرية أقل من 20 بيتاً فإنهم يختارون مختاراً واحداً⁽⁹⁶⁾. كما كانت الحكومة تعزل المختار إذا ظهر منه أعمال مخالفة للنظام، أو في حال طلب مجلس الاختيارية⁽⁹⁷⁾.

د- مدير المال: وظيفة مدير المال تطبيق الإجراءات والأنظمة المالية المتعلقة بشؤون القضاء من واردات ونفقات، وفقاً للنظام المالي وتعليمات محاسب اللواء التي يبلغها للقائم مقام عن طريق متصرف اللواء⁽⁹⁸⁾، وقد كان مدير المال من أعضاء مجلس الإدارة الطبيعيين الدائمين، تولى هذه الوظيفة في صدف سنة 1288هـ/1871-1872م بشارة أفندي⁽⁹⁹⁾، وسنة 1291هـ/1874م رفول خوصام⁽¹⁰⁰⁾، وسنة 1293-1294هـ/1876-1877م رفائيل أفندي⁽¹⁰¹⁾، وسنة 1298-1304هـ/1880-1886م سعيد أفندي⁽¹⁰²⁾، وفي سنة 1311-1312هـ/1893-1894م استلم هذه الوظيفة في قضاء صدف محي الدين وصفي أفندي ويوسف فريد⁽¹⁰³⁾.

هـ- أمين الصندوق: مهمة أمين الصندوق حفظ أموال الدولة التي تجبى من مناطق القضاء، وكان ينوب عنه مدير المال في حال غيابه⁽¹⁰⁴⁾، ومن الذين تولوا وظيفة أمين الصندوق في قضاء صدف في سنة 1288هـ/1871-1872م مزخول أفندي⁽¹⁰⁵⁾، وسنة 1291هـ/1874م وسنة 1303هـ/

1885-1886م نسيم أفندي⁽¹⁰⁶⁾، وفي سنة 1301هـ/1883-1884م أنطوان أفندي⁽¹⁰⁷⁾، وسنة 1302هـ/1844م طنوس أفندي وأيوب أفندي⁽¹⁰⁸⁾، وفي سنة 1311هـ/1893م عبدالله أفندي ونقولا أفندي⁽¹⁰⁹⁾.

و- **مأمور الرسوم:** مهمة مأمور الرسوم تحصيل الرسوم الجمركية المفروضة على السلع المستوردة من الدول الأجنبية إلى الدولة العثمانية، وفرض الرسوم على السلع الخارجة من الدولة العثمانية إلى باقي الدول، ويساعد مأمور الرسوم عدد من الكتبة والخدم⁽¹¹⁰⁾، وذكرت سالنامة ولاية سورية عام 1285هـ/1868-1869م أن إسماعيل أفندي شغل منصب مدير الرسوم في قضاء صفد⁽¹¹¹⁾، وكان حسن أفندي مأمور الرسوم في القضاء سنة 1293هـ/1876م⁽¹¹²⁾، وفي سنة 1301هـ/1883-1884م كان توفيق أفندي مأمور الرسوم في صفد⁽¹¹³⁾.

ز- **مدير التلغراف والبوستة:** لقد وجد في قضاء صفد مركز تلغراف⁽¹¹⁴⁾، ويوجد مدير لهذا المركز مهمته الإشراف على إدارة البريد، وصيانة الخطوط والمحافظة عليها، وتأمين إرسال الرسائل إلى الجهات المرسلة إليها⁽¹¹⁵⁾، وتحصيل الرسوم من أصحاب العلاقة⁽¹¹⁶⁾، وقد استلم هذه الوظيفة في قضاء صفد سنة 1300هـ/1882-1883م رشيد أفندي⁽¹¹⁷⁾، وفي سنة 1301-1302هـ/1883-1884م، شغل المنصب جرجي أفندي⁽¹¹⁸⁾، وفي سنة 1303هـ/1885-1886م، كان قيصر أفندي مدير التلغراف والبوستة في صفد⁽¹¹⁹⁾، وسنة 1311هـ/1893م شغل أنس أفندي هذا المنصب⁽¹²⁰⁾.

ح- **كاتب التحريات:** وظيفته إدارة جميع الأمور الكتابية الرسمية في القضاء من تسجيل ومراسلات، والمحافظة على السجلات والقيود والأوراق الرسمية⁽¹²¹⁾، وكان كاتب التحريات من الأعضاء الدائمين في مجلس إدارة القضاء⁽¹²²⁾، ووفقا لسالنامة ولاية سورية لعام 1288هـ/1871-1872م فقد كان قسطنطين أفندي كاتب تحريات صفد⁽¹²³⁾، وتولى محمد أفندي هذه الوظيفة سنة 1291هـ/1874م⁽¹²⁴⁾، وكان محمود أفندي كاتب التحريات في صفد سنة 1293هـ/1876م⁽¹²⁵⁾، وإبراهيم أفندي سنة 1294هـ/1877م⁽¹²⁶⁾، وإسرائيل أفندي سنة 1295هـ/1878م⁽¹²⁷⁾، وسنة 1298هـ/1880-1881م كان كاتب التحريات في قضاء صفد رشيد أفندي⁽¹²⁸⁾، وشغل سليم أفندي هذه الوظيفة من سنة 1300-1302هـ/1882-1884م⁽¹²⁹⁾، وكان كاتب التحريات في سنة 1303هـ/1885-1886م إبراهيم أفندي⁽¹³⁰⁾، وفي سنة 1311هـ/1893م كان محمد قدرى كاتب التحريات لهذا العام⁽¹³¹⁾.

ط- **الناطور:** لقد وجد في القرى موظف يسمى الناطور، ومهامه تنحصر فيما يلي: مراقبة المحاصيل أثناء الحصاد، ومراقبة الحبوب على البيادر لمنع السرقة، ومراقبة مجيء أي غريب أو

زائر أو موظف حكومي أو جند يقتربون من القرية، فيدعوهم إلى المضافة ويقدم إليهم الطعام ويعتني بحيولهم، ومنع حيوانات القرى القريبة من الرعي في أراضي القرية التي يعمل بها⁽¹³²⁾.

لم يكن النواظير يتقاضون رواتب، ولكن يتلقون مقابل مهمتهم كميات محددة من الحبوب عند نهاية موسم الحصاد، حيث يدفع الفلاح حصة الناظر قبل تخزين الحبوب أو نقلها⁽¹³³⁾.

ي- غرفة التجارة والزراعة: تهتم غرفة التجارة والزراعة بالعمل على تنشيط الحركة التجارية والزراعية، وتنظيم العلاقات التجارية والزراعية داخل القضاء، والعمل على اتصالها مع المناطق الأخرى، ويقوم علي هذه الغرفة هيئة إدارية تتكون من رئيس وأعضاء منتخبين. ولم يكن لمن يعمل بهذه الغرفة رواتب أو أجور مالية يتقاضونها مقابل عملهم، باستثناء الكاتب الذي يتلقى الأمور والمراسلات التي تختص بالغرفة، فهو يتقاضى راتباً شهرياً⁽¹³⁴⁾، وتتكون الغرفة من رئيس وعدد من الأعضاء، وفي سنة 1311هـ/1893م لم يكن لها رئيس؛ فقد جاء في السالنامة: (منحل) وهذا يعني عدم وجود رئيس، وربما يعود السبب لتغيرات إدارية، لكن وجد وكيل بمكان الرئيس وكان في هذه السنة الوكيل حسين عبد الرحيم أفندي، أما الأعضاء فهم: حاجي أحمد أسدي، وعبد اللطيف الحاج سعيد أفندي، وأسعد خوري، والمحاسب سعيد حبيب أفندي⁽¹³⁵⁾.

ك- مدير الزراعة: يقوم بحل الخلافات التي تحدث بين المزارعين في مكان حدوثها، وإن لم يكن حاضراً هو يقوم وكيله بهذه المهمة، حيث يوجد إلى جانب مدير الزراعة وكيل عنه في كل ناحية أو قرية تكون زراعتها كثيرة، ويتم اختيارهم من أبناء المنطقة؛ سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين، ويحث هؤلاء الوكلاء الأهالي على زيادة الإنتاج وزراعة أنواع جديدة⁽¹³⁶⁾، وأشارت سالنامة ولاية بيروت سنة 1311هـ/1893م إلى وجود وكيل عن الرئيس لعدم وجود رئيس ربما لأسباب إدارية، وأشارت إلى الوكيل حسين عبد الرحيم أفندي، أما الأعضاء فهم: حاجي أحمد أسدي وعبد اللطيف الحاج سعيد أفندي وأسعد خوري، والمحاسب سعيد حبيب أفندي⁽¹³⁷⁾، ومن المهام الموكلة إليه الإشراف على الزراعة والحراثة وتطويرهما داخل القضاء، وضبط كمية الأراضي التي لم تزرع في كل عام، ومعرفة أسباب نقص الزراعة والحراثة في القضاء⁽¹³⁸⁾.

ل- مأمور الدفتر الخاقاني: يقوم بتسجيل إجراءات أحكام القوانين والأنظمة والتعليمات المتبعة بخصوص إدارة الأملاك والأراضي وتملكها، ويساعد مأمور الدفتر الخاقاني عدد من الموظفين، ويكون مأمور الدفتر الخاقاني في القضاء تابعاً لمدير الدفتر الخاقاني في الولاية، ويقوم المدير بالتفتيش على جميع المأمورين في الأقضية داخل حدود الولاية، ثم يقوم بعمل خلاصة لجميع الإجراءات العائدة إليه من مأموري الأقضية بظرف سنوي ثم يسلمه إلى الولاية السنوية⁽¹³⁹⁾، ويسمى مأمور الدفتر الخاقاني (كاتب الطابو)⁽¹⁴⁰⁾، وأشارت السالنامات إلى أن خليل أفندي تولى هذه الوظيفة في قضاء صفا، في السنوات التالية: 1291هـ/1874م

و1293هـ/1876م و1295هـ/1878م و1298هـ/1880-1881م⁽¹⁴¹⁾، ووجد إلى جانبه موظف آخر وهو (كاتب يوقلمة) التي شغلها في سنة 1291هـ/1874م بطرس أفندي وسنة 1295هـ/1878م شغلها بشارة أفندي، حيث وجدت في القضاء في هذه السنة وظيفة أخرى وهي كاتب الأملاك، وشغلها محمد أفندي⁽¹⁴²⁾، وشغل جرجي أفندي سنة 1300-1301هـ/1882-1883م وعمل معه كاتب ويركو نامق أفندي⁽¹⁴³⁾، في سنة 1302هـ/ 1884م، كان كاتب الطابو محمود أفندي⁽¹⁴⁴⁾، وسنة 1303هـ/1885-1886م تولى هذه الوظيفة محمد أفندي، وإلى جانبه كاتب ويركو نامق أفندي⁽¹⁴⁵⁾، وفي سنة 1311هـ/1893م كان علي رضا كاتب الطابو في قضاء صفد⁽¹⁴⁶⁾.

م- مأمور النفوس: يقوم بضبط القيود والسجلات المحلية في القضاء من مواليد ووفيات، وما يتعلق بتذاكر المرور والمعاملات المدنية. ووضع جداول بما يتعلق بالنفوس من ذكور وإناث ومواليد ووفيات في كل عام⁽¹⁴⁷⁾، وكان المأمور يحزر لكل مواطن في القضاء تذكرة النفوس العثمانية التي تختتم بجانب سجل قلم النفوس في القضاء التي تصدر منه التذكرة، حيث يكون على هذه التذكرة: رقم التذكرة واسم حامل التذكرة وجنسه ومهنته، ويجوز وضع أسماء الأبناء الصغار فيها، وتعد هذه التذكرة من الأوراق الرسمية الضرورية التي لا غنى عنها⁽¹⁴⁸⁾.

وقد أوردت السالنامات أن نوري أفندي كان مأمور النفوس في قضاء صفد سنة 1291هـ/1874م⁽¹⁴⁹⁾، وفي سنة 1293هـ/2876م تولى هذه الوظيفة مؤيد أفندي⁽¹⁵⁰⁾، وسنة 1295هـ/1878م شغل هذا المنصب محمد نامق أفندي⁽¹⁵¹⁾، وسنة 1298هـ/1880-1881م شغلها نامق أفندي⁽¹⁵²⁾، وتولى طنوس أفندي هذه الوظيفة في سنة 1300هـ/1882-1883م⁽¹⁵³⁾، وشغل هذه الوظيفة سنة 1301-1302هـ/1883-1885م نامق أفندي⁽¹⁵⁴⁾، وكان شريف أفندي مأمور النفوس في قضاء صفد لسنة 1303هـ/1885-1886م، وكان إلى جانبه كاتب وهو مصطفى أفندي⁽¹⁵⁵⁾، وفي سنة 1311هـ/1893م تولى كل من أديب أفندي ورشدي أفندي هذه الوظيفة⁽¹⁵⁶⁾.

ن- الخفراء: يقومون بالمحافظة على الأمن في المحلات والحارات داخل المدن ليلاً، وحراسة الأسواق، وإلقاء القبض على اللصوص والمجرمين، وتسليمهم إلى الجهات الحكومية⁽¹⁵⁷⁾.

س- مدير الحبسخانه (السجن): يقوم بالإشراف على إدارة السجن، ومتابعة الأشخاص المحكوم عليهم بالسجن ومراقبتهم ورعايتهم حتى إنهاء السجين مدته القانونية داخل السجن، ثم يطلق سراحه بإذن من الحكومة العثمانية⁽¹⁵⁸⁾، وقد تمت الإشارة إلى سجن صفد عند إلقاء القبض على مجموعة من الرجال خرقوا باب السجن ليلاً وهربوا⁽¹⁵⁹⁾.

ع- إدارة الديون العمومية: أنشئت إدارة الديون العمومية في الدولة العثمانية 1299هـ/1881م، لتسوية ديون الدولة مع الدائنين الأجانب⁽¹⁶⁰⁾، وكانت مهمتها الإشراف على طريقة جباية الضرائب المقررة على بعض السلع مثل: الدخان والملح وبعض المعادن المخصصة لسداد الديون ضمن مراحل سنوية⁽¹⁶¹⁾، وأشارت سالنامة ولاية سورية إلى أن مأمور إدارة واردات الديون العمومية في قضاء صفد سنة 1302هـ/1884-1885م كان محمد أفندي⁽¹⁶²⁾، وفي سنة 1303هـ/1885-1886م عبد الرحمن أفندي⁽¹⁶³⁾، وتولى هذه الوظيفة سنة 1311هـ/1893م بشارة غانم أفندي⁽¹⁶⁴⁾.

ف- التحصيلدار: وظيفته جباية أموال الضرائب المفروضة على النواحي والقرى والأماكن والبساتين والأراضي⁽¹⁶⁵⁾، وأشارت سالنامة ولاية سورية سنة 1298هـ/1880-1881م إلى أن سليم أفندي تولى وظيفة التحصيلدار في صفد، ويعاونه سوارى (فارس) تحصيلدار إبراهيم بك⁽¹⁶⁶⁾، وسنة 1300هـ/1882-1883م تولى هذه الوظيفة فرج أفندي، وإلى جانبه سوارى قيصر جاوس أفندي ونعوم أفندي عطالله، وبيادة (المشاة) محمود أفندي⁽¹⁶⁷⁾، وذكرت سالنامة ولاية سورية 1301هـ/1883-1884م الموظفين أنفسهم بالإضافة إلى حسن أفندي، واستثناء نعوم أفندي عطالله⁽¹⁶⁸⁾، وسنة 1302هـ/1884-1885م تولى الوظيفة فرج أفندي ويعاونه 4 أفراد، وتولى تحصيلدار الخمس في السنة نفسها عبد الله أفندي⁽¹⁶⁹⁾.

ص- شعبة المعارف: مهمتها تطبيق أحكام نظام المعارف والتعليمات الصادرة من نظام وزارة المعارف، وتفتيش المكاتب (المدارس) داخل القضاء، وتقوم الدائرة بصرف مخصصات لمعارف القضاء⁽¹⁷⁰⁾، وتكونت شعبة المعارف من رئيس وأمين صندوق وعدد من الأعضاء. وتألقت رئاسة الدائرة في القضاء سنة 1301هـ/1883-1884م من الرئيس وهو نائب القائمقام محمد راغب أفندي، وأمين الصندوق خليل محي الدين أفندي، والأعضاء حسن أفندي، وأحمد أفندي عبد الرحيم، وعلي حاجي إبراهيم، والحاج أحمد أبو نياض أفندي، وموسى أفندي، ومحمد أفندي مراد⁽¹⁷¹⁾. وفي سنة 1302هـ/1884م، تولاهما نائب القائمقام وهو محمد راغب أفندي، وأمين الصندوق محمد أفندي، والأعضاء: حسن أفندي، وأحمد أفندي، وعلي أفندي، والحاج أحمد أفندي أبو نياض، وموسى أفندي، ومحمد أفندي مراد⁽¹⁷²⁾، وفي سنة 1311هـ/1893م الرئيس القائمقام وهو صالح أفندي، أما الأعضاء فهم: نائب القائمقام أمين أفندي، والمفتي سليم أفندي، وحسين عبد الرحيم أفندي، والحاج محمد مراد أفندي، وأحمد سعيد عبد الرحيم، والحاج أحمد أسدي، وخليل محي الدين⁽¹⁷³⁾.

المجالس الإدارية: لقد أولت الدولة المجالس الإدارية المحلية اهتماماً بالغاً؛ رغبة منها في الإمساك بزمام الأمور، من خلال وجود هذه المجالس، التي تندرج حسب الوحدات الإدارية في

مجلس إدارة الولاية ومجلس إدارة اللواء، ومن ثم القضاء والناحية فالقرية، وأرسى نظام الولايات العثمانية سنة 1281هـ/1864م أصول انتخاب هذه المجالس، وجاء نظام إدارة الولايات العمومية لسنة 1288هـ/1871م بمواده التي تبين تشكيل كل مجلس على مستويات الوحدة الإدارية، والذي منح العديد من الصلاحيات لرؤساء الوحدات الإدارية في الإشراف على تشكيل المجالس وإدارتها ومتابعة عملها بما يكفل النهوض بتسيير الأمور في كل وحدة إدارية⁽¹⁷⁴⁾، ومن هذه المجالس الإدارية:

أ- مجلس إدارة القضاء: ترأس القانمقام مجلس إدارة القضاء ووضع القانون كاتبين في تصرفه هما: كاتب للأعمال المالية والآخر للتحريرات وحفظ السجلات والأوراق⁽¹⁷⁵⁾، وتألّف هذا المجلس من أعضاء طبيعيين وأعضاء منتخبين، والأعضاء الطبيعيون دائمون وهم: القانمقام (رئيساً) والنائب الشرعي، والمفتي، ومدير المال، وكاتب التحريرات، وأحياناً كان يضم إليهم أمين الصندوق⁽¹⁷⁶⁾. وهؤلاء من كبار موظفي الحكومة في القضاء⁽¹⁷⁷⁾. وكانت صلاحية المجلس هي نفسها صلاحية مجلس إدارة اللواء، كما أن المجلس منع من التدخل في شؤون القضاء⁽¹⁷⁸⁾.

ويتم اختيار الأعضاء المنتخبين من قبل جمعية تفريق تعقد في مركز القضاء، وتفرز هذه الجمعية أسماء عدد من أهالي مركز القضاء والقرى التابعة له، كما يجب أن يساوي عدد المرشحين ثلاثة أضعاف العدد المطلوب، مثلاً إذا كان مجلس إدارة القضاء يحتاج إلى ثلاثة أعضاء تقوم الجمعية بترشيح تسعة أعضاء، وتوزع أسماؤهم على القرى التابعة للقضاء، لكي تنتخب مجالس الاختيارية العدد المطلوب أي ستة أعضاء، وبعد ذلك تعاد الأوراق إلى مركز القضاء، وتجتمع جمعية التفريق للنظر في الأوراق باعتبار كل قرية تمثّل رأياً واحداً، والأعضاء الثلاثة الذين ينالون أكثرية الأصوات يتم تعيينهم⁽¹⁷⁹⁾.

جدول رقم (4): أعضاء مجلس الإدارة في قضاء صفد⁽¹⁸⁰⁾.

السنة	الأعضاء
1288هـ	القانمقام عبد القادر بك- رئيساً، ياسين آغا قدورة - عضواً، محمد أفندي النحوي -
1871م	عضواً، مصطفى أفندي- عضواً، سعيد آغا - عضواً، إلياس أفندي حداد - عضواً، حبيب أفندي - عضواً، موسى أفندي - عضواً، إسرائيل أفندي - عضواً.
1291هـ	الأعضاء الطبيعيون: القانمقام سليمان آغا- رئيساً، النائب، عمر نجاتي- عضواً، مدير
1874م	المال رفول خوصام- عضواً، كاتب التحريرات محمد أفندي - عضواً. الأعضاء المنتخبون: الحاج ياسين أفندي- عضواً، مصطفى أفندي- عضواً، حبيب أفندي- عضواً.

السنة	الأعضاء
1293هـ 1876م	الأعضاء الطبيعيون: القائمقام سليمان خلوصي آغا- رئيسا، النائب عبد الغني أفندي- عضوا، مدير المال حبيب أفندي - عضوا، كاتب التحريرات محمود أفندي - عضوا. الأعضاء المنتخبون: قاسم أفندي- عضوا، ياسين آغا- عضوا، حبيب أفندي -عضوا، إسرائيل عمار أفندي- عضوا.
1298هـ 1880م	الأعضاء الطبيعيون: القائمقام بدري بك - رئيسا، النائب محمد أفندي النحوي - عضوا، المفتي عبد الكريم أفندي - عضوا، الكاتب رشيد أفندي - عضوا، مدير المال سعيد أفندي - عضوا. الأعضاء المنتخبون: الكاهن الماروني يوسف أفندي- عضوا، الكاهن الكاثوليكي بطرس أفندي - عضوا، طه أفندي خطيب - عضوا، حاج ياسين آغا قدورة - عضوا، عيد أفندي البشت - عضوا.
1299هـ 1881م	الأعضاء الطبيعيون: القائمقام محمد سعيد بك - رئيسا، النائب محمد أفندي النحوي - عضوا، المفتي عبد الكريم أفندي - عضوا، الكاتب رشيد أفندي - عضوا. الأعضاء المنتخبون: الكاهن الماروني يوسف أفندي- عضوا، الكاهن الكاثوليكي بطرس أفندي- عضوا، محمد أفندي مراد - عضوا، إسرائيل أفندي - عضوا، حاج ياسين آغا قدورة - عضوا، عيد أفندي البشت - عضوا.
1300هـ 1882م	الأعضاء الطبيعيون: القائمقام طلعت بك - رئيسا، النائب الحاج إبراهيم صوفي زاده - عضوا، المفتي عبد الكريم أفندي - عضوا، الكاتب سليم أفندي - عضوا، مدير المال سعيد أفندي - عضوا. الأعضاء المنتخبون: الكاهن الماروني يوسف أفندي-عضوا، محمد أفندي مراد-عضوا، إسرائيل أفندي-عضوا، حاج ياسين آغا قدورة-عضوا، عيد أفندي البشت- عضوا.
1301هـ 1883م	الأعضاء الطبيعيون: القائمقام طلعت بك - رئيسا، النائب، محمد راغب أفندي- عضوا، المفتي عبد الكريم أفندي-عضوا، الكاتب سليم أفندي - عضوا، مدير المال سعيد أفندي - عضوا. الأعضاء المنتخبون: الكاهن الماروني يوسف أفندي-عضوا، الكاهن الكاثوليكي بطرس أفندي - عضوا، محمد أفندي مراد - عضوا، إسرائيل أفندي - عضوا، حاج ياسين آغا قدورة - عضوا، عيد أفندي البشت - عضوا.
1302هـ 1884م	الأعضاء الطبيعيون: القائمقام طلعت بك - رئيسا، النائب محمد راغب أفندي - عضوا، المفتي عبد الكريم أفندي - عضوا، الكاتب سليم أفندي - عضوا، مدير المال سعيد أفندي - عضوا. الأعضاء المنتخبون: الكاهن الماروني يوسف أفندي-عضوا، الكاهن الكاثوليكي بطرس أفندي - عضوا، حاج محمد أفندي مراد- عضوا، إسرائيل أفندي- عضوا، حاج ياسين آغا قدورة-عضوا، عيد أفندي البشت- عضوا.

السنة	الأعضاء
1303هـ 1885/م	الأعضاء الطبيعيون: القائمقام محمد سعيد بك - رئيسا، النائب محمد رشيد أفندي - عضوا، المفتي عبد الكريم أفندي - عضوا، الكاتب سليم أفندي - عضوا، مدير المال سعيد حبيب - عضوا. الأعضاء المنتخبون: حاج محمد أفندي مراد - عضوا، إسرائيل أفندي - عضوا، حاج ياسين آغا قدورة - عضوا، عيد أفندي البشت - عضوا.
1304هـ 1886/م	الأعضاء الطبيعيون: القائمقام محمد سعيد بك - رئيسا، النائب محمد رشيد أفندي - عضوا، المفتي الشيخ عبد الكريم أفندي - عضوا، الكاتب إبراهيم أفندي - عضوا، مدير المال سعيد أفندي - عضوا. الأعضاء المنتخبون: حاج محمد أفندي مراد - عضوا، إسرائيل أفندي - عضوا، حاج ياسين آغا قدورة - عضوا، عيد أفندي البشت - عضوا.
1311- 1312هـ / 1893- 1894م	الأعضاء الطبيعيون: القائمقام صالح أفندي - رئيسا، النائب أمين أفندي - عضوا، المفتي الشيخ سليم أفندي - عضوا، الكاتب محمد قدري - عضوا، مدير المال محي الدين وصفي - عضوا. الأعضاء المنتخبون: محمود حاج مصطفى - عضوا، يوسف فريدمان - عضوا، شكري أفندي - عضوا، عيد أفندي البشت - عضوا.
1318هـ 1900/م	الأعضاء الطبيعيون: القائمقام علي راسخ أفندي - رئيسا، النائب أحمد جميل أفندي - عضوا، المفتي الشيخ سليم أفندي - عضوا، الكاتب محمد قدري - عضوا، مدير المال امين أفندي - عضوا. الأعضاء المنتخبون: حاج يوسف زادة يوسف قدورة - عضوا، حسين أفندي - عضوا، عيد البشت أفندي - عضوا، يوسف فريدمان - عضوا.
1319هـ 1901/م	الأعضاء الطبيعيون: القائمقام محمد حمدي أفندي - رئيسا، المفتي الشيخ سليم - عضوا، مدير المال أمين أفندي - عضوا، الكاتب حمد قدري أفندي - عضوا. الأعضاء المنتخبون: الحاج يوسف زادة قدورة - عضوا، حسين مراد أفندي - عضوا، يوسف فريدمان - عضوا، حبيب جبران - عضوا.
1324هـ 1906/م	الأعضاء الطبيعيون: القائمقام علي أفندي - رئيسا، النائب حامد خير الله أفندي - عضوا، المفتي حسن النحوي - عضوا، مدير المال خو رشيد أفندي - عضوا، الكاتب محمد جميل جراح - عضوا. الأعضاء المنتخبون: محمد حاج يوسف أفندي - عضوا، محمد حسن - عضوا، يوسف فريدمان - عضوا.

السنة	الأعضاء
1326هـ / 1908م	الأعضاء الطبيعيون: القائمقام إسماعيل أفندي - رئيساً، النائب محمد سعيد أفندي - عضواً، المفتي حسن أفندي النحوي - عضواً، مدير المال الحاج خورشيد - عضواً، الكاتب محمد جميل - عضواً. الأعضاء المنتخبون: محمد الحاج يوسف قدورة- عضواً، محمد حسن أفندي - عضواً، أسعد خوري- عضواً، يوسف فريدمان- عضواً.

يتبين من الجدول السابق أن القائمقام هو من يترأس مجلس إدارة القضاء، إن إنه في كل فترة يتم استبداله، أما بالنسبة للنائب في هذا المجلس فقد تعاقب عليه عدة أشخاص كما نلاحظ من خلال الجدول، حيث إن النائب محمد أفندي النحوي هو الذي بقي في هذا المجلس أطول فترة مقارنةً فيمن تولى نفس المنصب، إذ استمرت فترة وجوده في المجلس وتوليته منصب النائب 11 سنة من سنة 1288-1299هـ/1871-1881م، فالنائب كان من الأعضاء الطبيعيين، ويدل استمراره في هذا المجلس على مدار هذه السنوات على حسن أخلاقه وحسن استخدامه لمنصبه، وبعد ذلك نلاحظ أن الأعضاء لا تطول فترتهم في المجلس إذ بعد سنة أو سنتين يأتي نائب آخر، وما يثير الانتباه أنه في سنة 1319هـ-1901م لا يوجد في المجلس نائب، ونلاحظ أيضاً أن الذين تولوا منصب المفتي ثلاثة أشخاص وهم: الشيخ سليم أفندي الذي تولى هذه المهمة 9 سنوات، وقد بقي أطول فترة بالمجلس مقارنةً بمن تولوا هذا المنصب وعبد الكريم أفندي وبقي في المجلس 6 سنوات، وحسن النحوي سنتين. أما وظيفة الكاتب فقد تعاقب عليها من خلال الجدول ستة أشخاص، والذي بقي من بينهم أطول فترة في المجلس هو سليم أفندي وكانت مدة توليه المهمة 4 سنوات، أما البقية فكان يتم استبدالهم كل سنة تقريباً؛ إذ لم يستمر أي شخص من بينهم أكثر من سنتين في المجلس.

أما وظيفة مدير المال فقد تعاقب على توليها تسعة أشخاص حيث أن سعيد أفندي تولى هذه المهمة في المجلس 6 سنوات، وهي أطول فترة من بين الذين تولوا هذه المهمة، أما الآخرون فكانت فترة توليهم سنة أو سنتين كما هو مبين في الجدول، ويلاحظ أيضاً أنه في سنة 1299هـ/1881م، خلا المجلس من مدير مالي. أما الأعضاء المنتخبون في المجلس فقد تألفوا من ممثل عن المسلمين وآخر عن المسيحيين وهو عيد البشت الذي كان من أعضاء المجلس في الفترة 1298-1318هـ/1880-1900م، وأسعد أفندي خوري 1326هـ/1908م، وكان لليهود ممثل دائم هو إسرائيل أفندي، وتولى المنصب في المجلس سنة 1288هـ-1304هـ/1871-1886م⁽¹⁸¹⁾.

ويلاحظ أنه من سنة 1299-1302هـ/1881-1884م بقي الأعضاء أنفسهم باستثناء سنة 1300هـ/1882م؛ فلم يكن هناك كاهن كاثوليكي، على الرغم من أن هؤلاء الأعضاء كل سنة

تجري لهم انتخابات جديدة، إلا أنهم لم يتغيروا، وأيضا في السنوات 1303-1304هـ/1885-1886م، لم يلاحظ على الأعضاء أي تغيير ولكن من سنة 1303هـ/1885م وبعدها، خلا المجلس من الكاهن الكاثوليكي والكاهن الماروني، لكن التغيير بدأ يلحظ من سنة 1311هـ/1893م، على الأعضاء حيث كانوا يستبدلون بشكل مستمر.

وكانت جلسات المجلس تعقد مرتين أو ثلاث مرات أسبوعياً برئاسة القائمقام⁽¹⁸²⁾، وقد شمل المجلس عدة صلاحيات وهي: فحص إيرادات القضاء ومصاريفه وتدقيقها، ومراجعة حسابات الصناديق العمومية، وإدارة أموال الحكومة المنقولة وغير المنقولة والمحافظة عليها، وتوزيع الضرائب التي أقرها مجلس إدارة اللواء على مركز القضاء والقرى التابعة له، ومراقبة الصحة العامة، وشق الطرق وتمهيدها بين القرى، ومراقبة أمور البيع والعطاءات والمبايعات والمزايدات الحكومية التابعة لصلاحيات القائمقام، ومراقبة أسعار المنتجات الزراعية وتسجيل الأراضي⁽¹⁸³⁾.

ب- مجلس إدارة الناحية: صدر في سنة 1287هـ/1871م قرار بتشكيل مجلس إدارة في مركز كل ناحية، ويتألف من أعضاء مجلس اختيارية القرى الموجودة في الناحية، بشرط أن لا يتجاوز عدد الأعضاء أربعة من كل قرية، ويجتمعون أربع مرات في السنة، يحددها متصرف اللواء، ويتم تبليغ مدير الناحية عن طريق قائمقام القضاء، ويتأخر الاجتماع مدير الناحية، وتنفذ قراراته بالأكثرية، وفي حال تساوي الأصوات يؤخذ برأي الجهة التي صوت معها الرئيس، ولا تزيد الفترة التي يعقد فيها الاجتماع على أسبوع⁽¹⁸⁴⁾. وتألف هذا المجلس من أعضاء طبيعيين ومنتخبين، والأعضاء الطبيعيون هم مدير الناحية (رئيساً)، ووكيل النائب الشرعي، وكتب الناحية، وأمور المال، وأربعة أعضاء منتخبين، على أن يكون نصفهم من المسلمين والنصف الآخر من الطوائف غير المسلمة في الناحية، كما أن مدة العضوية في مجلس إدارة الناحية سنتان⁽¹⁸⁵⁾. وقد كان للمجلس عدة صلاحيات هي: النظر في المشاريع النافعة والطرق الخصوصية التي يرغب في إنشائها بواسطة الإعانات التي يقدمها أهالي القرى في الناحية، والنظر في الأمور العائدة لإدارة الأشجار البرية والكسارات والمشاتي المشتركة في النواحي، والاهتمام بأساليب الزراعة والصناعة والتجارة وتطويرها، والمحافظة على النظافة العامة والتنظيمات البلدية ضمن حدود الناحية، وتدقيق القرارات التي تعطيها المجالس الاختيارية فيما يخص توزيع الأموال لتحقيق التكاليف المطلوب تعديلها⁽¹⁸⁶⁾.

ج- المجالس الاختيارية: بموجب نظام الولايات الجديد الصادر سنة 1328هـ/1910م، أصبح لكل قرية ومحلة مجلس اختيارية، ويتشكل هذا المجلس من أعضاء طبيعيين وهم المخاتير والإمام والرؤساء الروحانيون، وللطوائف غير المسلمة في القرية أو المحلة أعضاء منتخبون يتراوح عددهم ما بين أربعة إلى ثمانية أعضاء حسب عدد السكان في القرية⁽¹⁸⁷⁾. أما اختصاصات

هذا المجلس فهى: النظر فى الدعاوى والمنازعات التى تقع بين الأهالى وتسويتها، والنظر فى المصالح المتعلقة بتسهيل أسباب الزراعة فى القرية وتجارتها، والمحافظة على النظافة فى القرية، وانتخاب حراس للقرى، والإشراف على استتباب الأمن، وإعلام مدير الناحية عن الأراضى الخالية التى تكون قابلة للزراعة، والإشراف على المدارس، والنظر فى ترميم الأوقاف الخيرية الموجودة فى مناطقهم، والإشراف على توزيع الضرائب المترتبة على الأهالى وتحصيلها، وإخبار القائمقام عن طريق مدير الناحية بتصرفات المخاتير إذا ظهر منهم سوء⁽¹⁸⁸⁾.

المحاكم وأنواعها: وجد إلى جانب المحاكم الشرعية عدد من المحاكم التى تعالج القضايا الخاضعة للقانون المدنى الجديد، حيث إن المحاكم الشرعية استمرت فى معالجة المسائل التى تختص بالأحوال الشخصية مثل: الزواج والطلاق والميراث والأوقاف والمسائل الدينية، أما المحاكم المدنية فتولت القضايا الجنائية والتجارية⁽¹⁸⁹⁾، وقد وجد فى قضاء صفد عدد من المحاكم، هى:

أ- محكمة البداية: وفقاً لقانون نظام المحاكم النظامية الصادر سنة 1288هـ/1871م، فقد قسمت الدولة العثمانية المحاكم إلى: محاكم البداية، ومحاكم الاستئناف، فمحاكم البداية تختص بالنظر بدعاوى البداية الحقوقية والجزائية والإجرائية، حيث يعقد مجلس الدعاوى فى مركز القائمقامية الموجود فى القضاء، أما محاكم الاستئناف فتختص فى النظر بدعاوى الاستئناف وتعقد جلساتها فى مجلس التمييز الموجود فى مراكز الألوية⁽¹⁹⁰⁾.

وقد شكّل فى كل قضاء مجلس دعاوى برئاسة النائب الشرعى (القاضى) للفصل فى الدعاوى المعروضة على محكمة البداية، وإصدار الحكم المناسب لها، ويتكون المجلس من ستة أعضاء؛ ثلاثة من المسلمين وثلاثة من غير مسلمين (مميزين)، ويتم انتخابهم وفق طريقة انتخاب أعضاء مجلس إدارة القضاء، وينظر هذا المجلس فى القضايا التى تفصل نظاماً وقانوناً، والتدقيق على الأمور القانونية⁽¹⁹¹⁾، وتتكون محكمة البداية من رئيس وعدد من الموظفين وهم: الباشكاتب والمحضر والكتّاب، وقد وردت أول إشارة لمجلس الدعاوى بقضاء صفد فى سالنامة ولاية سورية 1291هـ/1874م الذى تكوّن من الرئيس وهو النائب الشرعى عبد الغنى أفندى، وأربعة أعضاء؛ اثنان منهم مسلمان عرفا باسم (مميزان) وهما: حسن نحوي أفندى، وحيب جبران أفندى، واثنان مسيحيان باسم (مميزان) وهما: يوسف أفندى، وإلياس حداد أفندى. وكاتب المجلس محمود أفندى⁽¹⁹²⁾.

وقد وردت أول إشارة داخل الوثائق العثمانية إلى محكمة البداية فى قضاء صفد فى سالنامة ولاية سورية سنة 1298هـ/1880-1881م، حيث تكوّن مجلس الدعاوى داخل المحكمة فى تلك السنة من الرئيس وهو النائب الشرعى محمد راغب أفندى، وأربعة أعضاء؛ اثنان منهم مسلمان

وهما: محمد صالح أفندي، ومحمد أفندي، واثان مسيحيان وهما: حبيب أفندي بطرس، ويوسف أفندي حداد. والكاتب بطرس أفندي⁽¹⁹³⁾.

وذكرت سالنامة سورية سنة 1300هـ/1882-1883م، أن مجلس الدعاوى في محكمة بداية قضاء صفد تكوّن من رئيس المحكمة وهو النائب الشرعي صوفي زادة الحاج إبراهيم، وأربعة أعضاء هم: محمد أفندي الحاج يوسف، والحاج محمد أفندي صبح، وحبيب أفندي جبران، ويوسف أفندي حداد. والباشكاتب عبد الرحمن عزيز أفندي، والمستنطق الحاج محمد أفندي، ومعاونه إبراهيم أفندي⁽¹⁹⁴⁾.

وفي سنة 1301هـ/1883-1884م، تكوّن مجلس الدعاوى في محكمة البداية في قضاء صفد من الرئيس النائب الشرعي محمد راغب أفندي، والأعضاء: محمد أفندي الحاج يوسف، ومحمد أفندي صبح، وحبيب أفندي جبران، ويوسف أفندي إلياس. والباشكاتب عبد الرحمن أفندي، ومستنطق معاونة إبراهيم بك⁽¹⁹⁵⁾.

وفي سنة 1302هـ/1884م، تكونت محكمة البداية في قضاء صفد من: رئيس المحكمة وهو النائب الشرعي محمد راغب أفندي، والباشكاتب عبد الرحمن أفندي، ومستنطق معاونة إبراهيم بك، وإلى جانبهم عدد من الأعضاء: محمد أفندي الحاج يوسف، وحبيب أفندي جبران، ومحمد أفندي صبح، ويوسف إلياس أفندي⁽¹⁹⁶⁾.

وفي سنة 1303هـ/1885-1886م، تكونت محكمة البداية من الرئيس وهو النائب الشرعي محمد رشيد أفندي وأربعة أعضاء وهم: محمد أفندي الحاج يوسف، وحبيب جبران أفندي، والحاج محمد حليم أفندي، ويوسف إلياس أفندي، والباشكاتب أحمد أفندي، ومستنطق معاونة توفيق أفندي⁽¹⁹⁷⁾. أما في سنة 1311هـ/1893م فتكونت محكمة البداية من رئيس المحكمة النائب الشرعي أمين أفندي، ووكيل الباشكاتب عبد السلام أفندي، ومستنطق معاونة إبراهيم بك، والأعضاء: الحاج أحمد يونس أفندي، وأسعد أفندي، وأحمد سعيد عبد الرحيم أفندي، وتوفيق أفندي، وأنطون أفندي⁽¹⁹⁸⁾.

ب- المحكمة الشرعية: تختص هذه المحكمة بالنظر في الدعاوى الخاصة بالرعاية والأهالي المسلمين مثل قضايا: الزواج والطلاق والإرث والنفقة والوقف والبيع والشراء والوصايا وغيرها، ويتم النظر في الدعاوى الخاصة بغير المسلمين في الإدارة الروحانية التابعة لطانفتهم ورئيس المحكمة الشرعية وهو النائب الشرعي⁽¹⁹⁹⁾، ويتم في المحكمة تسجيل العقارات والأراضي على الرغم من أن إعلان نظام الطابو نقل صلاحية التسجيل إلى دائرة الطابو، لكن عملية البيع كانت تجري في المحكمة وتحول عملية فراغ الأرض وتسجيلها إلى دائرة الطابو⁽²⁰⁰⁾.

وقد تكونت المحاكم من عدد من الموظفين، هم:

1- **النائب الشرعي (القاضي):** يقوم القاضي بالنظر في الأحوال الشخصية مثل الزواج والطلاق وتقسيم الإرث، وهو المسؤول عن تعيين الوعاظ والمدرسين في المساجد، ويعين نواباً له في النواحي التابعة للأقضية؛ فكان يعقد جلساته في المحكمة الشرعية والقرى وبيوت المسيحيين واليهود⁽²⁰¹⁾، وقد حددت له عدة صلاحيات أصدرتها الدولة العثمانية، وعهد إلى موظفين مدنيين القيام ببعضها مثل حق مراقبة الأوزان والأسعار، ومعاينة المتلاعبين بالمواد الغذائية كالخبز واللحوم بقصد الغش⁽²⁰²⁾، وكان يخاطب القاضي بعدة ألقاب منها: مولانا، وسيدنا، وسلالة الأمجاد الفخام، وصاحب الفضيلة⁽²⁰³⁾.

2- **وكلاء النائب الشرعي:** كانوا يعينون من طرف النائب الشرعي، وتنحصر مهمة الوكيل في الأمر الذي يسنده إليه القاضي، ومن خلال الاطلاع على الأعمال التي يقوم بها الوكيل يتبين أنه يقوم بتحرير التركات وتقسيمها على الورثة الشرعيين، وتحرير الوكالات القانونية، والفصل في الأحكام الشرعية من بيع وشراء بين الأهالي، والقيام بتحرير وختم السندات الشرعية التي يخوله القاضي النظر فيها، وإصدار الحكم عليها، وغالباً ما كان الباشكاتب هو الوكيل عن النائب الشرعي⁽²⁰⁴⁾.

3- **الباشكاتب:** وهي من الوظائف الأساسية في المحكمة الشرعية، وكانت مهمة الباشكاتب تجهيز الصكوك والإعلامات الشرعية وتقييدها في السجلات، والاستماع لدعاوى الأهالي، وتحرير ما يقع بين المتداعيين، وكان يملك الإذن بالتوقيع عن النائب الشرعي، حيث كان يتولى مهام النائب في غيابه⁽²⁰⁵⁾.

4- **المحضر:** مهمته إحضار الأشخاص الذين يطلبهم النائب الشرعي إلى المجلس الشرعي، وعليه جلب من يطلبه القاضي دون مساءلته أو توجيه أي أمر إلى من يحضره، سواء كان طرفاً في القضية أو شاهداً، وأحياناً كان المحضر يرافق وكيل النائب الشرعي، عندما يتم الاستماع إلى الدعاوى خارج المحكمة، وذلك بطلب من القاضي⁽²⁰⁶⁾.

5- **وكلاء الدعاوى:** وظيفتهم القيام بالإجابة عن أصحاب الدعاوى عند إجراء المحاكمة، ويقومون بتقديم الأدلة والبراهين التي تثبت صحة ما يقدمونه، وذلك للطعن في القرارات واستئناف النظر في القضايا مرة أخرى، وهم يمثلون (المحامين) في الوقت الحاضر⁽²⁰⁷⁾.

6- **المرجمون:** هم الوسطاء بين الجاليات الأوروبية وسكان البلاد، لأن جهل الأجانب باللغة العربية والتركية كان يعيق التواصل بينهم، فهم قنوات الاتصال في كل المفاوضات التي يقوم بها الأوروبيون مع السلطات العثمانية، أو في الزيارات الرسمية المتبادلة، وفي المعاملات المختلفة وبشكل خاص في النواحي القضائية حتى يستطيع القاضي التعاطي مع قضايا

الأشخاص الأجانب التي تعرض عليه⁽²⁰⁸⁾، وتولى هذه الوظيفة سنة 1302هـ/1884-1885م في قضاء صفد إبراهيم أفندي في القنصلية الفرنسية، وإبراهيم أفندي سعيد في القنصلية الألمانية⁽²⁰⁹⁾، وكان إبراهيم أفندي أيضا في سنة 1303هـ/ 1885-1886م مترجماً في القنصلية الفرنسية⁽²¹⁰⁾.

المجلس البلدي:

تأسس أول مجلس بلدي في صفد سنة 1296هـ/1878م، وتألف المجلس من الرئيس والمساعد وستة أعضاء ينتخبون من العلماء والتجار وأصحاب الأملاك والأراضي، إضافة إلى كادر من الموظفين الكبار كالطبيب والمهندس والنائب، وشمل المجلس البلدي عدة مهام وهي مراقبة مشاريع البناء والتطوير والمياه والمرور والنقل والنظافة ومراقبة الأسواق والأسعار، وقد مول المجلس البلدي نفقاته من الأموال التي تحولها الحكومة، ومن الرسوم والضرائب التي جبيت من الجمهور لقاء خدمات متنوعة⁽²¹¹⁾.

جدول رقم (5): أعضاء المجلس البلدي في قضاء صفد⁽²¹²⁾.

السنة	أسماء الأعضاء
1295هـ	سعيد أفندي رئيسا، الحاج علي أفندي مراد عضوا، الحاج حميدو أفندي عضوا، الحاج عبدو أفندي عضوا، الحاج طالب أفندي صبح عضوا، يعقوب أفندي عضوا، مردخاني أفندي عضوا، محمود أفندي كاتب وأمين صندوق.
1298هـ	حسن أفندي النحوي - رئيسا، حاج عبد المجيد أفندي - عضوا، طالب آغا- عضوا، حاج حميدي أفندي - عضوا، الياس أفندي حداد - عضوا، موسى أفندي - عضوا.
1299هـ	حسن أفندي النحوي - رئيسا، حاج أحمد أفندي أسد - عضوا، سليمان أفندي البشت - عضوا، مهند حاج، حميدي أفندي - عضوا، أحمد أفندي الحاج سعيد - عضوا، الحاخام مخلوف - عضوا.
1300هـ	حسن أفندي النحوي - رئيسا، حاج أحمد أفندي أسد - عضوا، سليمان أفندي البشت - عضوا، أحمد أفندي، السعيد الحاج سعيد - عضوا، مخلوف أفندي الداوودي - عضوا.
1301هـ	حسن أفندي النحوي - رئيسا، حاج عبد الحميد أفندي - عضوا، حسن اللطف أفندي حاج سعيد - عضوا، سليم آغا صبح - عضوا، عيد أفندي البشت - عضوا، إسرائيل أفندي - عضوا.

1302هـ 1884/.	حسن أفندي النحوي - رئيسا، حاج عبد الحميد أفندي - عضوا، عبد اللطيف أفندي حاج سعيد - عضوا، حسن أفندي مراد - عضوا، حاج محمد أبو دياب أسدي - م عضوا، حاج طالب أفندي حديد - عضوا، جبران أفندي البشت - عضوا، الهاخام مخلوف أفندي داوودي - عضوا.
1303هـ 1885/.	حسن النحوي - رئيسا، أحمد أفندي قدورة - عضوا، حاج حميدي أفندي - عضوا، حاج حسن مراد أفندي - عضوا، علي آغا الحاج أبراهيم - عضوا، الهاخام مخلوف م أفندي - عضوا.
1304هـ 1886/.	حسن النحوي - رئيسا، حسن أفندي مراد - عضوا، علي آغا إبراهيم - عضوا، أحمد أفندي قدورة - عضوا، حاج حمدي أفندي - عضوا، الهاخام مخلوف أفندي - عضوا. م
1311- 1312هـ	حاج محمد صبح - رئيسا، حاج حسن مراد أفندي - عضوا، حسين عبد الرحيم أفندي - عضوا، حاج أحمد أسدي أفندي - عضوا، جبران البشت أفندي - عضوا، حاج 1893/.
1894- 1318هـ	أحمد حاج يونس أفندي - عضوا.
1900/.	حسن نحوي أفندي - رئيسا، حسين عبد الرحيم - عضوا، جبران البشت - عضوا، حايدل شبيرا - عضوا، ليفي لازجي - عضوا. م
1324هـ 1906/.	محمود سليم شما أفندي - عضوا، حسين عبد الرحيم - عضوا، جبران بشت - عضوا، حايدل شبيرا - عضوا. م
1326هـ 1908/.	محمود سليم شما أفندي - عضوا، حسين عبد الرحيم - عضوا، جبران بشت - عضوا، حايدل شبيرا - عضوا. م

يلاحظ مما ورد في الجدول أن رئيس المجلس البلدي حسن النحوي شغل المنصب من سنة 1298-1304هـ/1886-1888م، أي لمدة ست سنوات وعادت إليه سنة 1318هـ/1900م، ويبدو أن طول فترته في المجلس وإعادته إليه مرة أخرى كان يدل على صدق عمله في هذا المجلس وسلوكه الحسن اللذين بهما كسب ثقة الأهالي، وتكرر انتخابه في عدة سنوات، ويتضح أنه تعاقب على منصب رئاسة البلدية 3 أشخاص فقط، هم: حسن النحوي سبق ذكره، والحاج محمد صبح الذي شغل المنصب لسنة واحدة فقط، من ثم محمود شما أفندي الذي شغل المنصب سنتين.

أما الأعضاء فكان هناك ممثل لليهود في المجلس، وشغل هذا المنصب من اليهود موسى أفندي في سنة 1298هـ/1880م، وتولى المنصب من بعده الحاخام مخلوف سنة 1299-1304هـ/1881-1886م، ثم ليفي الأزجي لفترة سنة واحدة 1318هـ/1900م، ومن ثم حايدل شبيرا تولى سنتين 1324هـ/1906م، كما يلاحظ أنه في سنة 1311-1312هـ/1893-1894م لم يكن هناك ممثل لليهود في المجلس، ويبدو أن وجود عدد من اليهود في المجلس البلدي في القضاء يعود إلى تزايد أعدادهم.

أما المسيحيون فكان ممثلهم في المجلس البلدي من عائلة البشت ففي سنة 1299هـ/1881م سليمان أفندي البشت، ثم تبعه عيد البشت سنة 1301هـ/1883م، وقد كان لهم ممثل دائم في مجلس القضاء، من ثم جبران البشت. وبالنسبة لبقية الأعضاء فقد كان يتغير بعضهم بعد كل انتخاب، ومنهم من يبقى، كما يلاحظ تغير عدد الأعضاء، إذ لم يكن ثابتاً كما هو مبين في الجدول.

وتتكون إيرادات المجالس البلدية من الرسوم والمبالغ التي تخصصها لها الحكومة، ومن الأموال التي تؤخذ من الذين يستفيدون من تنظيمات البلدية، ومن أموال الجزاء النقدي التي تفرض على السكان، ومما يقدمه السكان من الإعانات والهبات إلى البلديات⁽²¹³⁾، وتزيد ورايات البلدية في القضاء على 1000 ليرة في كل سنة، وذلك بالحساب الوسطي، ولكن هذا المبلغ مقارنة فيما عمل في صفد كبير جداً، حيث إن ما عملته يساوي مائة ليرة. وقد قضى قانون الميزانية أن لا تتجاوز رواتب الموظفين في البلدية خمس وراياتها السنوية، ولكن بلدية صفد تدفع أكثر وراياتها رواتب لموظفيها⁽²¹⁴⁾، أما النفقات فهي مخصصة للطرق والمعابر والإنشاءات والتعميرات العائدة للمنافع العمومية، وكل ما يتعلق بالتنظيمات والإجراءات البلدية ومعاشات المأمورين والمواطنين فيها⁽²¹⁵⁾، وقد أشارت سالنامه ولاية سورية سنة 1298هـ/1880-1881م، إلى أن ورايات بلدية صفد كانت 24.153 قرشاً⁽²¹⁶⁾.

الخاتمة

يمكن الوقوف على عدد من النتائج في إطار الأوضاع الإدارية داخل قضاء صفد، وهي كما يلي:

- 1- تُعدّ صفد إحدى المدن الساحلية التي كان لموقعها الساحلي والتجاري على البحر المتوسط أثر في جعلها مقصداً للعديد من الشعوب العربية والأجنبية للاستيطان والعمل.
- 2- إن العثمانيين في تنظيمهم الإداري لم يكونوا يقسمون الولاية أو اللواء والقضاء على أساس الوصف الديمغرافي (السكاني) في الموقع الجغرافي، ولكن كان التقسيم على أساس النشاط الاقتصادي التجاري في هذه المنطقة أو تلك، وهذا ما يفسر وجود ولايات وألوية وأقضية في مساحات صغيرة الحجم جغرافياً وسكانياً، ولكن كبيرة الحجم تجارياً.
- 3- اتباع العثمانيين سياسة عدم الثبات في إبقاء أحد الإداريين في منصبه سواء في اللواء أو القضاء أو المجالس الإدارية لسنوات عديدة، وذلك لتحقيق عنصر التغيير القائم على الإتيان بجديد، وعدم الركود والرتابة، وأشارت هذه الدراسة إلى ذلك تفصيلاً.
- 4- إبراز دور السلطات العثمانية في العناية الكبيرة بإيجاد نظام إداري مركزي، لا يزال أغلبه معمولاً به إلى اليوم، ولكن بمسميات أخرى مثل الولاية واللواء والقضاء والمجالس الإدارية.
- 5- تمتعت صفد بوجود خليط من الطوائف الدينية، شاركت في المجالس الإدارية داخل قضاء صفد، وكذلك في العديد من الوظائف الإدارية الأخرى، وهذا دليل ثابت ليس على التسامح الديني فحسب، وإنما على التشاركية بين المسلم والمسيحي.
- 6- إن الهيكل الإداري الذي كان معمولاً به أثناء العهد العثماني، قد مكن من تحقيق الترابط والتنسيق بين جميع أجهزة الإدارة داخل قضاء صفد، بدءاً من القوائم، ومروراً بمختلف فروع الإدارة الأخرى، وانتهاءً بالمختار في القرية.

Administrative Status in Safed District during the Ottoman Era (AH 1333-1281 / 864-1914 AD)

Alaa K. Saadah, *Department of History, Faculty of Arts and Humanities, Al-Bayt University, Mafraq, Jordan.*

Ekhlas K. Alatawi, *Researcher.*

Abstract

Safed was one of Acre's districts belonging to the State of Beirut in the Ottoman era, which gained significance from its important geographical location on the Mediterranean coast, where Safad District had the port on the coast and plains scattered down the mountains, along with springs and wells. This site attracted many immigrants such as Circassians, Chechens, Bosnians and others who lived several villages of Safed district.

As for the administrative side in the district of Safed during the Ottoman era, the mayor chaired the administrative body followed by a number of officials, as well as administrative councils, both within the district center (town) or in counties and villages. The study relied on a number of original resources and references like the state of Syria's Salnamh, the state of Beirut's Salnamh, contemporary newspapers and other sources and references documented at the end of the study.

الهوامش

- (1) هذه الدراسة مستوحاة من رسالة ماجستير بعنوان: الأوضاع الإدارية والاقتصادية في قضاء صفد (1281-1333هـ/1864-1914م) إعداد الطالبة إخلص خلف العطوي، بإشراف الدكتور علاء كامل عبد الجابر سعادة، قسم التاريخ- جامعة آل البيت، 2015م.
- (2) رافق، عبد الكريم، بلاد الشام ومصر منذ الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت، ط1، دمشق، 1967م، ص125.
- (3) سعادة، علاء كامل، متسلمية نابلس في العهد المصري 1247-1256هـ/1831-1840م، ط1، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2009م، ص113.
- (4) العودة، إبراهيم، تاريخ ولاية سليمان باشا العادل، (د.ن)، بيروت، 1963م، ص16.

- (5) الطراونة، محمد سالم، قضاء يافا في العهد العثماني 1281-1333هـ/1864-1914م، ط1، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، 2000م، ص142؛ سيشار إليه لاحقاً الطراونة، قضاء يافا.
- (6) الطراونة، قضاء يافا، ص147.
- (7) عوض، عبد العزيز، الإدارة العثمانية في ولاية سورية 1864-1914م، دارالمعارف، مصر، 1969م، ص64؛ سيشار إليه لاحقاً عوض، الإدارة العثمانية.
- (8) الطراونة، قضاء يافا، ص149.
- (9) سالنامه دولة عليية عثمانية لعام 1263هـ/1846م، ص93-101.
- (10) سالنامه دولة عليية عثمانية لعام 1266هـ/1846م، ص86.
- (11) سالنامه دولة عليية عثمانية لعام 1270هـ/1853م، ص87.
- (12) الدستور، ترجمة نوفل نعمة الله نوفل، م1، المطبعة الأدبية، بيروت، 1844م، ص382؛ سيشار إليه لاحقاً، الدستور.
- (13) سالنامه دولة عليية عثمانية لعام 1282هـ/1865م، ص174-175.
- (14) سالنامه دولة عليية عثمانية لعام 1285هـ/1868م، ص187-188.
- (15) عوض، الإدارة العثمانية، ص71.
- (16) سالنامه دولة عليية عثمانية لعام 1290هـ/1873م، ص153.
- (17) شقيرات، أحمد صدقي، تاريخ الإدارة العثمانية في شرق الأردن 1864-1918م، ط1، آلاء للطباعة، عمان، الأردن، 1992م، ص51.
- (18) سالنامه ولاية سوريا لعام 1288هـ/1871م، ص247-249.
- (19) النجار، جميل موسى، الإدارة العثمانية في ولاية بغداد 1869-1917م، ط2، بغداد، 2001م، ص45؛ سيشار إليه لاحقاً، النجار، الإدارة العثمانية.
- (20) غنايم، زهير، لواء عكا في عهد التنظيمات العثمانية 1281-1337هـ/ 1864-1918م، ط1، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1999م، ص46. سيشار إليه لاحقاً غنايم، لواء عكا.
- (21) شولش، الكزاندر، تحولات جذرية في فلسطين، ترجمة كامل العسلي، ط2، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، 1993م، ص33-34.
- (22) سالنامه ولاية سورية لعام 1288هـ/1871-1872م، ص248-249؛ سالنامه ولاية سورية لعام 1295هـ/1878م، ص135.

- (23) سالنامه ولاية سورية لعام 1298هـ/1880-1881م، ص258.
- (24) سالنامه ولاية سورية لعام 1302هـ/1885م، ص247؛ سالنامه ولاية سورية لعام 1303هـ/1885م، ص198.
- (25) سالنامه ولاية بيروت لعام 1310هـ/1893م، ص451-428.
- (26) سالنامه دولة عليية عثمانية لعام 1315هـ/1897م، ص389.
- (27) الأنسي، عبد الباسط ت1347هـ/1927م، دليل بيروت، بيروت، مطبعة الإقبال، (ب.ت)، ص185.
- (28) صحيفة الكرمل، العدد401، 27صفر1333هـ/14 كانون الثاني 1915م، ص1-2.
- (29) غنايم، لواء عكا، ص172، 168.
- (30) المرجع نفسه، ص168.
- (31) سجلات محكمة حيفا الشرعية، سجل رقم 5، 26 نوالقعدة 1321هـ/ 13 شباط 1904م، ص239.
- (32) غنايم، لواء عكا، ص124.
- (33) المرجع نفسه، ص124.
- (34) هيئة الموسوعة، الموسوعة الفلسطينية، م3، ص4.
- (35) الدوايمة، قرى فلسطين، ص240 و249 و252.
- (36) أبو حجر، المدن والقرى الفلسطينية، ص497 و505 و508.
- (37) سالنامه ولاية سورية لعام 1288هـ/1871-1872م، ص248-249.
- (38) غنايم، لواء عكا، ص214.
- (39) التميمي والكاتب، محمد رفيق ومحمد بهجت، ولاية بيروت، ج2، ط1، مؤسسة حمادة للدراسات والنشر، إربد، 1987م، ص392؛ سيشار إليه لاحقاً التميمي والكاتب، ولاية بيروت.
- (40) غنايم، لواء عكا، ص215.
- (41) التميمي والكاتب، ج2، ولاية بيروت، ص393.
- (42) غنايم، لواء عكا، ص215.
- (43) المرجع نفسه، ص215.

- (44) التميمي والكاتب، ج2، ولاية بيروت، ص395.
- (45) المصدر نفسه، ج2، ولاية بيروت، ص395.
- (46) صحيفة البشير، العدد1042، 5 ربيع الثاني1308هـ/19كانون الأول1890م، ص2.
- (47) صحيفة المقتبس، العدد 934، 20 ربيع الثاني1330هـ/20 آذار1912م، ص1.
- (48) لامنس، هنري، اليسوعي، اليهود ومستعمراتهم في فلسطين، مجلة المشرق، السنة الثانية، مجلد2، عدد 23، 1317هـ/1899م، ص1902؛ سيشار إليه لاحقاً، هنري، اليهود ومستعمراتهم في فلسطين.
- (49) الدباغ، مصطفى مراد، بلادنا فلسطين، ج3، دار الهدى للطباعة والنشر، 2002م، ص157؛ أبو حجر، المدن والقرى الفلسطينية، ص538.
- (50) هنري، اليهود ومستعمراتهم في فلسطين، ص1902.
- (51) المرجع نفسه، ص1902.
- (52) المرجع نفسه، ص1903.
- (53) المرجع نفسه، ص1903.
- (54) المرجع نفسه، ص1903.
- (55) أبو حجر، المدن والقرى الفلسطينية، ص538.
- (56) سالنامة ولاية سورية لعام 1302هـ/1884م، ص158؛ سالنامة ولاية بيروت لعام1311-1312هـ/1893-1894م، ص183.
- (57) الدستور، م1، ص389 و415.
- (58) صحيفة البشير، العدد791، 5 صفر1303هـ/12 تشرين الثاني1885م، ص2.
- (59) الدستور، م1، ص389.
- (60) صحيفة فلسطين، العدد117، 4 ربيع الأول 1330هـ/ 22 شباط 1912م، ص2.
- (61) الدستور، م1، ص415.
- (62) صحيفة البشير، العدد1790، 22 شوال1325هـ/28 كانون الثاني1907م، ص3.
- (63) سالنامة ولاية سورية لعام 1285هـ/1868-1869م، ص51.
- (64) سالنامة ولاية سورية لعام 1288هـ/1871-1872م، ص79.
- (65) سالنامة ولاية سورية لعام 1291هـ/1874م، ص79.

- (66) سالنامه ولاية سورية لعام 1293هـ/1876م، ص114.
- (67) سالنامه ولاية سورية لعام 1294هـ/1877م، ص105.
- (68) سالنامه ولاية سورية لعام 1298هـ/1880م، ص200.
- (69) العباسي، مصطفى، صفد في عهد الانتداب1917-1948م، ط1، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 2005م، ص327؛ سيشار إليه لاحقاً، العباسي، صفد في عهد الانتداب.
- (70) سالنامه ولاية سورية لعام1300هـ/1882-1883م، ص215؛ سالنامه ولاية سورية لعام 1301هـ/1883-1884م، ص170؛ سالنامه ولاية سورية لعام 1302هـ/1884-1886م، ص158.
- (71) سالنامه ولاية سورية 1303هـ/1885-1886م، ص158.
- (72) سالنامه دولة عليية عثمانية 1306هـ/1888م، ص416.
- (73) سالنامه دولة عليية عثمانية 1307هـ/1889م، ص507.
- (74) سالنامه دولة عليية عثمانية 1308هـ/1890م، ص499.
- (75) سالنامه دولة عليية عثمانية 1309هـ/1891م، ص526؛ سالنامه دولة عليية عثمانية 1310هـ/ 1892م، ص536.
- (76) سالنامه دولة عليية عثمانية لعام 1311هـ/1893م، ص566.
- (77) سالنامه دولة عليية عثمانية لعام 1312هـ/1894م، ص582.
- (78) سالنامه دولة عليية عثمانية لعام 1314هـ/1896م، ص626.
- (79) سالنامه دولة عليية عثمانية لعام 1316هـ/1898م، ص452؛ سالنامه دولة عليية عثمانية لعام 1317هـ/1899م، ص438.
- (80) سالنامه دولة عليية عثمانية لعام 1318هـ/1900م، ص484.
- (81) سالنامه دولة عليية عثمانية لعام 1319هـ/1901م، ص534؛ سالنامه دولة عليية عثمانية لعام 1320هـ/1902م، ص556.
- (82) سالنامه دولة عليية عثمانية لعام 1321هـ/1903م، ص608؛ سالنامه دولة عليية عثمانية لعام 1322هـ/1904م، ص266.
- (83) سالنامه دولة عليية عثمانية لعام 1323هـ/1905م، ص69.

- (84) سالنامه دولة عليية عثمانية لعام 1325هـ/1907م، ص750؛ سالنامه دولة عليية عثمانية لعام 1326هـ/1908م، ص756.
- (85) سالنامه دولة عليية عثمانية لعام 1327هـ/1909م، ص600.
- (86) غنايم، لواء عكا، ص71.
- (87) الدستور، م1، ص408.
- (88) المصدر نفسه، م1، ص408-409.
- (89) المصدر نفسه، م1، ص406 و409.
- (90) النجار، الإدارة العثمانية، ص220.
- (91) الدستور، م1، ص392.
- (92) المصدر نفسه، م1، ص392.
- (93) المصدر نفسه، م1، ص409.
- (94) سجلات محكمة حيفا الشرعية، سجل رقم6، 25 شعبان 1323هـ/ 24 تشرين أول 1905م، ص101.
- (95) سعادة، علاء كامل، قضاء حيفا 1281-1333هـ/1864-1914م، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، إشراف الأستاذ الدكتور محمد سالم الطروانة، جامعة مؤتة، 2012م، ص207؛ سيشار إليه لاحقاً، سعادة، قضاء حيفا.
- (96) غنايم، لواء عكا، ص74.
- (97) الدستور، م1، ص392.
- (98) المصدر نفسه، م1، ص407.
- (99) سالنامه ولاية سورية لعام 1288هـ/1871-1872م، ص79.
- (100) سالنامه ولاية سورية لعام 1291هـ/1874م، ص79.
- (101) سالنامه ولاية سورية لعام 1293هـ/1876م، ص114؛ سالنامه ولاية سورية لعام 1294هـ/1877، ص105.
- (102) سالنامه ولاية سورية لعام 1298هـ/1880-1881م، ص200؛ سالنامه ولاية سورية لعام 1300هـ/1882-1883م، ص215؛ سالنامه ولاية سورية 1301هـ/1883-1884م، ص170؛ سالنامه ولاية سورية لعام 1302هـ/ 1884م، ص159؛ سالنامه ولاية سورية 1303هـ/1885-1886م، ص158.

- (103) سالنامه ولاية بيروت لعام 1311هـ/1893م، ص183.
- (104) الطراونة، قضاء يافا، ص169.
- (105) سالنامه ولاية سورية لعام 1288هـ/1871-1872م، ص79.
- (106) سالنامه ولاية سورية لعام 1291هـ/1874م، ص79.
- (107) سالنامه ولاية سورية لعام 1301هـ/1883-1884م، ص170.
- (108) سالنامه ولاية سورية لعام 1302هـ/1884م، ص159.
- (109) سالنامه ولاية بيروت لعام 1311هـ/1893م، ص183.
- (110) الدستور، م2، ص489-491.
- (111) سالنامه ولاية سورية لعام 1285هـ/1868-1869م، ص74.
- (112) سالنامه ولاية سورية لعام 1293هـ/1876م، ص127.
- (113) سالنامه ولاية سورية لعام 1301م، 1883-1884م، ص171.
- (114) سالنامه ولاية سورية لعام 1302هـ/1884م، ص217.
- (115) الدستور، م1، ص309-313.
- (116) صحيفة الاتحاد العثماني، العدد450، 7محرم 1328هـ/19 كانون الثاني1910م، ص3.
- (117) سالنامه ولاية سورية لعام 1300هـ/1882-1883م، ص216.
- (118) سالنامه ولاية سورية لعام 1301هـ/1883-1884م، ص171؛ سالنامه ولاية سورية، 1302هـ/1884م، ص159.
- (119) سالنامه ولاية سورية لعام 1303هـ/1885-1886م، ص159.
- (120) سالنامه ولاية بيروت لعام 1311هـ/1893م، ص184.
- (121) الدستور، م1، ص407.
- (122) الطراونة، قضاء يافا، ص177.
- (123) سالنامه ولاية سورية لعام 1288هـ/1871-1872م، ص79.
- (124) سالنامه ولاية سورية لعام 1291هـ/ 1874م، ص79.
- (125) سالنامه ولاية سورية لعام 1293هـ/1876م، ص114.
- (126) سالنامه ولاية سورية لعام 1294هـ/1877م، ص105.

- (127) سالنامه ولاية سورية لعام 1295هـ/1878م، ص96.
- (128) سالنامه ولاية سورية لعام 1298هـ/1880-1881م، ص200.
- (129) سالنامه ولاية سورية لعام 1300هـ/1882-1883م، ص215؛ سالنامه ولاية سورية لعام 1301هـ/1883-1884، ص170؛ سالنامه ولاية سورية لعام 1302هـ/1884-1885م، ص158.
- (130) سالنامه ولاية سورية لعام 1303هـ/1885-1886م، ص158.
- (131) سالنامه ولاية بيروت لعام 1311هـ/1893م، ص183.
- (132) غنايم، لواء عكا، ص76-77.
- (133) سالنامه ولاية بيروت لعام 1311هـ/1893م، ص181.
- (134) غنايم، لواء عكا، ص76-77.
- (135) سالنامه ولاية بيروت لعام 1311هـ/1893م، ص23.
- (136) الدستور، م2، ص381-383.
- (137) سالنامه ولاية بيروت لعام 1310هـ/1892م، ص23.
- (138) الدستور، م2، ص381-383.
- (139) المصدر نفسه، م1، ص404.
- (140) سعادة، قضاء حيفا، ص215.
- (141) سالنامه ولاية سورية لعام 1291هـ/1874م، ص79؛ سالنامه ولاية سورية لعام 1293هـ/1876م، ص114؛ سالنامه ولاية سورية لعام 1295هـ/1878م، ص96؛ سالنامه ولاية سورية لعام 1298هـ/1880-1881م، ص201.
- (142) سالنامه ولاية سورية لعام 1291هـ/1874م، ص79؛ سالنامه ولاية سورية لعام 1295هـ/1878م، ص96.
- (143) سالنامه ولاية سورية لعام 1300هـ/1882-1883م، ص216؛ سالنامه ولاية سورية لعام 1301هـ/1883-1884، ص171.
- (144) سالنامه ولاية سورية لعام 1302هـ/1884-1885م، ص159.
- (145) سالنامه ولاية سورية لعام 1303هـ/1885-1886م، ص159.
- (146) سالنامه ولاية بيروت لعام 1311هـ/1893م، ص184.

- (147) الدستور، م1، ص404، 407.
- (148) سعادة، قضاء حيفا، ص222.
- (149) سالنامة ولاية سورية لعام 1291هـ/ 1874م، ص79.
- (150) سالنامة ولاية سورية لعام 1293هـ/1876م، ص114.
- (151) سالنامة ولاية سورية لعام 1295هـ/1878م، ص96.
- (152) سالنامة ولاية سورية لعام 1298هـ/1880-1881م، ص201.
- (153) سالنامة ولاية سورية لعام 1300هـ/1882-1883م، ص216.
- (154) سالنامة ولاية سورية لعام 1301هـ/1883-1884م، ص171؛ سالنامة ولاية سورية لعام 1302هـ/1884-1885م، ص159.
- (155) سالنامة ولاية سورية لعام 1303هـ/1885-1886م، ص159.
- (156) سالنامة ولاية بيروت لعام 1311هـ/1893م، ص184.
- (157) الطراونة، قضاء يافا، ص178.
- (158) المرجع نفسه، ص173.
- (159) صحيفة البشير، العدد 1018، 30 رمضان 1309هـ/ 30 آذار 1892م، ص3.
- (160) الطراونة، قضاء يافا، ص183.
- (161) الدستور، م2، ص608-628.
- (162) سالنامة ولاية سورية لعام 1302هـ/1884-1885م، ص159.
- (163) سالنامة ولاية سورية لعام 1303هـ/1885-1886م، ص159.
- (164) سالنامة ولاية بيروت لعام 1311هـ/1893م، ص184.
- (165) سعادة، قضاء حيفا، ص229.
- (166) سالنامة ولاية سورية لعام 1298هـ/1880-1881م، ص201.
- (167) سالنامة ولاية سورية لعام 1300هـ/1882-1883م، ص216.
- (168) سالنامة ولاية سورية لعام 1301هـ/ 1883-1884م، ص170.
- (169) سالنامة ولاية سورية لعام 1302هـ/1884-1885م، ص159.
- (170) الدستور، م2، ص608-628.

- (171) سالنامه ولاية سورية لعام 1301هـ / 1883-1884م، ص171.
- (172) سالنامه ولاية سورية لعام 1302هـ/1884، ص158.
- (173) سالنامه ولاية بيروت لعام 1311هـ/1893م، ص183.
- (174) الطراونة، قضاء يافا، ص184.
- (175) غنايم، لواء عكا، ص61.
- (176) سالنامه ولاية سورية لعام 1302هـ/1884، ص158؛ سالنامه ولاية بيروت لعام 1310هـ/1892م، ص183.
- (177) الطراونة، قضاء يافا، ص185.
- (178) الدستور، م1، ص414-415.
- (179) المصدر نفسه، م1، ص394.
- (180) سالنامه ولاية سورية لعام 1288هـ / 1871م، ص79؛ سالنامه ولاية سورية لعام 1291هـ/1874م، ص79؛ سالنامه ولاية سورية لعام 1293هـ/1876م، ص114؛ سالنامه ولاية سورية لعام 1298هـ/1880-1881م، ص200؛ سالنامه ولاية سورية لعام 1300هـ/1882-1883م، ص215؛ سالنامه ولاية سورية لعام 1301هـ/1883-1884م، ص170؛ سالنامه ولاية سورية لعام 1302هـ/1884-1885م، ص158؛ سالنامه ولاية سورية لعام 1303هـ/1885-1886م، ص158؛ سالنامه دولة عليية عثمانية لعام 1311هـ/1893م، ص566؛ سالنامه دولة عليية عثمانية لعام 1312هـ / 1894م، ص582؛ سالنامه دولة عليية عثمانية لعام 1318هـ / 1900م، ص484؛ سالنامه دولة عليية عثمانية لعام 1319هـ/1901م، ص534؛ سالنامه دولة عليية عثمانية لعام 1324هـ/1906م، ص750؛ سالنامه دولة عليية عثمانية لعام 1326هـ/1908م، ص756؛ العباسي، صدف في عهد الانتداب، ص328-331، سالنامه ولاية بيروت لعام 1310هـ / 1892م، ص183.
- (181) العباسي، صدف في عهد الانتداب، ص13.
- (182) المرجع نفسه، ص5.
- (183) الدستور، م1، ص415.
- (184) المصدر نفسه، م1، ص415-417.
- (185) صحيفة البشير، العدد 1256، 2 شوال 1313هـ/17 تشرين الثاني 1896م، ص3.

- (186) الدستور، م1، ص415-417؛ صحيفة الاتحاد العثماني، العدد 271، 23 رجب 1327هـ/10أب 1909م، ص4.
- (187) الطراونة، قضاء يافا، ص 194.
- (188) الدستور، م1، ص417-418.
- (189) سعادة، قضاء حيفا، ص266.
- (190) الدستور، م1، ص173.
- (191) المصدر نفسه، م1، ص390.
- (192) سالنامة ولاية سورية لعام 1291هـ/1874م، ص114.
- (193) سالنامة ولاية سورية لعام 1298هـ/1880-1881م، ص201.
- (194) سالنامة ولاية سورية لعام 1300هـ/1882-1883م، ص216.
- (195) سالنامة ولاية سورية لعام 1301هـ/1333-1884م، ص170.
- (196) سالنامة ولاية سورية لعام 1302هـ/1884م، ص58.
- (197) سالنامة ولاية سورية لعام 1303هـ/1885-1886م، ص159.
- (198) سالنامة ولاية بيروت لعام 1311هـ/1893م، ص183.
- (199) الدستور، م1، ص173-174.
- (200) المصدر نفسه، م1، ص51-64.
- (201) غنايم، لواء عكا، ص80-82.
- (202) عوض، الإدارة العثمانية، ص115.
- (203) غنايم، لواء عكا، ص81.
- (204) سعادة، قضاء حيفا، ص255-256.
- (205) الطراونة، قضاء يافا، ص243-244.
- (206) سعادة، قضاء حيفا، ص260-261.
- (207) المرجع نفسه، ص261.
- (208) المرجع نفسه، ص260-261.
- (209) سالنامة ولاية سورية لعام 1302هـ/1884-1885م، ص159.

- (210) سالنامة ولاية سورية لعام 1303هـ/1885-1886م، ص160.
- (211) العباسي، صفد في عهد الانتداب، ص6 و7.
- (212) سالنامة ولاية سورية لعام 1295هـ/ 1876م، ص96؛ سالنامة ولاية سورية لعام 1298هـ/1880-1881م، ص200؛ سالنامة ولاية سورية لعام 1300هـ/1882-1883م، ص215؛ سالنامة ولاية سورية لعام 1301هـ/1883-1884م، ص170؛ سالنامة ولاية سورية لعام 1302هـ/1884-1885م، ص158؛ سالنامة ولاية سورية لعام 1303هـ/ 1885-1886م، ص158؛ العباسي، صفد في عهد الانتداب، ص328-331؛ سالنامة ولاية بيروت لعام 1310هـ/1892م، ص183.
- (213) غنايم، لواء عكا، ص64.
- (214) التميمي والكاتب، ولاية بيروت، ج2، ص400.
- (215) غنايم، لواء عكا، ص65.
- (216) سالنامة ولاية سورية لعام 1298هـ/1880-1881م، ص246.

المصادر والمراجع

- الوثائق غير المنشورة:

أولاً: سجلات المحكمة الشرعية في حيفا: وهي محفوظة على أشرطة ميكروفيلم في مركز الوثائق والمخطوطات ودراسات بلاد الشام في الجامعة الأردنية:

-السجل رقم (5) 1321-1328هـ/1903-1910م.

-السجل رقم (6) 1322هـ/1904م.

ثانياً: السالنامات العثمانية:

- سالنامة دولة عليية عثمانية: وهي محفوظة على أشرطة ميكروفيش في مركز الوثائق والمخطوطات ودراسات بلاد الشام في الجامعة الأردنية:
- | | |
|---|---|
| سالنامة دولة عليية عثمانية 1263هـ/1846م | سالنامة دولة عليية عثمانية 1266هـ/1846م |
| سالنامة دولة عليية عثمانية 1270هـ/1853م | سالنامة دولة عليية عثمانية 1285هـ/1868م |
| سالنامة دولة عليية عثمانية 1306هـ/1888م | سالنامة دولة عليية عثمانية 1307هـ/1889م |
| 1889م | 1890م |
| سالنامة دولة عليية عثمانية 1308هـ/1890م | سالنامة دولة عليية عثمانية 1309هـ/1891م |
| 1891م | 1892م |
| سالنامة دولة عليية عثمانية 1310هـ/1892م | سالنامة دولة عليية عثمانية 1311هـ/1893م |
| 1893م | 1894م |
| سالنامة دولة عليية عثمانية 1312هـ/1894م | سالنامة دولة عليية عثمانية 1314هـ/1896م |
| 1895م | 1897م |
| سالنامة دولة عليية عثمانية 1315هـ/1897م | سالنامة دولة عليية عثمانية 1316هـ/1898م |
| 1898م | 1899م |
| سالنامة دولة عليية عثمانية 1317هـ/1899م | سالنامة دولة عليية عثمانية 1318هـ/1900م |
| 1900م | 1901م |
| سالنامة دولة عليية عثمانية 1319هـ/1901م | سالنامة دولة عليية عثمانية 1320هـ/1902م |
| 1902م | 1903م |
| سالنامة دولة عليية عثمانية 1321هـ/1903م | سالنامة دولة عليية عثمانية 1322هـ/1904م |
| 1904م | 1905م |
| سالنامة دولة عليية عثمانية 1323هـ/1905م | سالنامة دولة عليية عثمانية 1325هـ/1907م |
| 1906م | 1908م |
| سالنامة دولة عليية عثمانية 1326هـ/1908م | سالنامة دولة عليية عثمانية 1327هـ/1909م |
| 1909م | |

- سالنامه ولاية سورية: وهي مجلدات مصورة على ورق ضمن قوائم سنوية، محفوظ قسم منها في مركز الوثائق والمخطوطات ودراسات بلاد الشام في الجامعة الأردنية، والقسم الأكبر في مكتبة جامعة اليرموك:

سالنامه ولاية سورية 1285هـ/1868-1869م	سالنامه ولاية سورية 1288هـ/1871-1872م
سالنامه ولاية سورية 1291هـ/1874م	سالنامه ولاية سورية 1293هـ/1876م
سالنامه ولاية سورية 1294هـ/1877م	سالنامه ولاية سورية 1295هـ/1878م
سالنامه ولاية سورية 1298هـ/1880-1881م	سالنامه ولاية سورية 1300هـ/1882-1883م
سالنامه ولاية سورية 1301هـ/1883-1884م	سالنامه ولاية سورية 1302هـ/1884-1885م
سالنامه ولاية سورية 1303هـ/1885-1886م	

- سالنامه ولاية بيروت: وهي مصورة على ورق ومحفوظة في مركز الوثائق والمخطوطات ودراسات بلاد الشام في الجامعة الأردنية: سالنامه ولاية بيروت 1310هـ/1892-1893م

المصادر العربية:

الأنسي، عبد الباسط، دليل بيروت تقويم الإقبال لسنة 1327هـ/ 1910م، مطبعة الإقبال، بيروت، (د.ت).

التميمي والكاظم، محمد رفيق ومحمد بهجت، ولاية بيروت، جزءان، ط1، مؤسسة حمادة للدراسات والنشر، إربد، 1987م.

الدستور، ترجمة نوفل نعمة الله نوفل، مجلدان، المطبعة الأدبية، 1844م.

المراجع العربية:

أبو حجر، أمينة إبراهيم، المدن والقرى الفلسطينية، ط1، دار أسماء للنشر والتوزيع، عمان، 2003م.

الدباغ، مصطفى مراد، بلادنا فلسطين، 10ج، دار الهدى للطباعة والنشر، 2002م.

الدوايمة، أحمد أبو فروة، موسوعة قرى فلسطين المدمرة، ط1، دار يافا العلمية، عمان، 2006م.

رافق، عبد الكريم، بلاد الشام ومصر منذ الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت، ط1، دمشق 1967م.

- سعادة، علاء كامل، متسلمية نابلس في العهد المصري 1247-1256هـ/1831-1840م، ط1، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، 2008م.
- شراب، محمد محمد حسن، معجم بلدان فلسطين، ط2، الأهلية لنشر والتوزيع، 1996م.
- شقيرات، أحمد صدقي، تاريخ الإدارة العثمانية في شرق الأردن 1864-1917م، ط1، آلاء للطباعة، عمان، 1992م.
- شولش، الكزاندر، تحولات جذرية في فلسطين، ترجمة كامل العسلي، ط2، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، 1993م.
- الطراونة، طه ثلجي، مملكة صفد في عهد المماليك، ط1، منشورات الآفاق الجديدة، بيروت، 1982م.
- الطراونة، محمد سالم، قضاء يافا في العهد العثماني 1281-1333هـ/1864-1914م، ط1، وزارة الثقافة، عمان، 2000م.
- العباسي، مصطفى، صفد في عهد الانتداب 1917-1948م، ط1، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 2005م.
- العودة، إبراهيم، تاريخ ولاية سليمان باشا العادل، (د.ن)، بيروت، 1963م.
- عوض، عبد العزيز، الإدارة العثمانية في ولاية سورية 1864-1914م، دار المعارف، 1969م.
- عيد، قاسم محمد، قرיתי دلاتا، دار المناهل، سورية، دمشق، (د.ت).
- غنايم، زهير، لواء عكا في عهد التنظيمات العثمانية 1281-1337هـ/1864-1918م، ط1، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1999م.
- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، موسوعة المدن الفلسطينية، ط1، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، 1990م.
- النجار، جميل موسى، الإدارة العثمانية في ولاية بغداد، 1869-1917م، ط2، بغداد، 2001م.
- هيئة الموسوعة الفلسطينية، الموسوعة الفلسطينية، 4، ط1، دمشق، 1984م.

الرسائل الجامعية:

سعادة، علاء كامل، قضاء حيفا 1281-1333هـ/1864-1914م، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، إشراف الأستاذ الدكتور محمد سالم الطراونة، قسم التاريخ، جامعة مؤتة، 2012م.

المقالات العربية:

رافق، عبد الكريم، فلسطين في العهد العثماني، الموسوعة الفلسطينية، م2، ط1، بيروت، 1990م.

لامنس، الأب هنري اليسوعي، (1 كانون الأول 1899م)، اليهود في فلسطين ومستعمراتهم، مجلة المشرق، م2، ع23.

الصحف: وهي محفوظة على أشرطة ميكروفيلم في شعبة المصغرات الفلمية في مكتبة الجامعة الأردنية:

- صحيفة الاتحاد العثماني:

- العدد 271، 23 رجب 1327هـ/ 10 آب 1909م.

- العدد 450، 7 محرم 1328هـ/ 19 كانون الثاني 1910م.

- صحيفة البشير:

- العدد 791، 5 صفر 1303هـ/ 12 تشرين الثاني 1885م.

- العدد 1018، 1 رمضان 1309هـ/ 30 آذار 1892م.

- العدد 1042، 5 ربيع الثاني 1308هـ/ 19 كانون الأول 1890م.

- العدد 1256، 11 جمادى الآخر 1314هـ/ 17 تشرين الثاني 1896م.

- العدد 1790، 22 شوال 1325هـ/ 22 شباط 1912م.

- صحيفة فلسطين:

- العدد 117، 4 ربيع الأول 1330هـ/ 22 شباط 1912م.

- صحيفة الكرمل:

- العدد 401، 27 صفر 1333هـ/ 14 كانون الثاني 1915م.

- صحيفة المقتبس:

- العدد 934، 20 ربيع الثاني 1330هـ/ 3 آذار 1912م.

تحليل التباين المكاني لدليل التنمية البشرية في المحافظات الأردنية للفترة (2004-2015)

ابنسام "محمود أمين" مرعي، وأحمد عواد الخوالدة، وعيسى موسى الشاعر*

تاريخ الاستلام 2016/8/21

تاريخ القبول 2016/11/3

ملخص

هدفت الدراسة إلى قياس دليل التنمية البشرية وتبايناته بين المحافظات الأردنية في الفترة (2004-2015م)، باستخدام المنهج الوصفي التحليلي في حساب دليل التنمية البشرية وبرمجية ArcGIS 9.3 والحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) استناداً إلى بيانات دائرة الإحصاءات العامة. وخلصت الدراسة إلى أن مستويات التنمية البشرية المرتفعة تركزت في ثلاث محافظات هي العاصمة وإربد والزرقاء. ونتج عن معامل ارتباط بيرسون أن العلاقة طردية قوية بين مؤشري التعليم والنتائج المحلي الإجمالي ودليل التنمية البشرية في العام 2004م. أما في العام 2015م فكانت العلاقة طردية قوية بين أغلب المؤشرات، ولكن مؤشر الناتج المحلي الإجمالي كان الأكثر تأثراً، والسبب في ذلك التفاوت في معدلات البطالة بين المحافظات، وتركز الخطط التنموية في محافظات معينة، بينما غيرها يعاني من نقص في خطط التنمية.

الكلمات المفتاحية: دليل التنمية البشرية، دليل التعليم، دليل أمد الحياة، دليل الناتج المحلي الإجمالي.

المقدمة

يعد الإنسان العنصر الفعال في عملية التنمية، وهو المستثمر لمواردها حتى يصل إلى مستوى معيشي مرتفع، مما يساهم في تحقيق الرفاه للبشرية. ويتحسن المستوى المعيشي بتحسين المستوى الاقتصادي والاجتماعي للفرد، ويؤدي ذلك في النهاية إلى زيادة دخل الدولة وانتعاش اقتصادها. وظهر أول مفهوم للتنمية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، حيث بدأت الأمم المتحدة تنتهج برامج التنمية البشرية لدعم الدول المنكوبة من أثر الحرب، وذلك بهدف مساعدتها للخروج من حالة الدمار والفقر وتردي الأوضاع الصحية بسبب تلك الحرب، وتطور مفهوم التنمية البشرية ليشمل عدة مجالات: الصحة والتعليم والدخل، لذلك فتطور البنى التحتية له مردود على عملية

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2017.

* قسم الجغرافيا، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

التنمية، من خلال استثمار خبرات الإنسان، التي ستحقق مفهوم التنمية المستدامة، وتأخذ بعين الاعتبار حصة الأجيال القادمة من الموارد، وتسهم إسهاماً فاعلاً في الحفاظ على البيئة.

تسهم الجغرافيا في توفير المنهجية لفهم التفاعل بين الإنسان والمكان، لأن لديها القدرة على فهم التفاعل بين مختلف العناصر المؤثرة على المكان، والتي تسهم في ضبط عملية استثمار الموارد وتوزيعها بعدالة لتحسين مستوى معيشة السكان، وهو محور عملية التنمية، وتعنى جغرافية التنمية بدراسة سمات إقليم بما فيه من إنتاج السلع والخدمات مع توافر عناصر الإنتاج التي تسهم بدورها في توفير أكبر قدر من الرفاه الاجتماعي لدى قاطنيه، وقدرتهم على ترشيد الاستهلاك.

يستند مفهوم التنمية البشرية إلى أن الإنسان هو غاية التنمية وهدفها، وأن تنمية الإنسان في أي مجتمع هي تنمية شاملة، متكاملة، مستدامة، لضمان رخاء المجتمع. وللتنمية البشرية بُعدان: البعد الأول يهتم بمستوى النمو الإنساني في مختلف مراحل الحياة، أما البعد الثاني فيتصل باستثمار الموارد والأنشطة الاقتصادية، وذلك من خلال الاهتمام بتحسين التعليم والتشجيع على التعليم المهني، الذي يسهم في زيادة الناتج المحلي الإجمالي، وتحسين الرعاية الصحية، ومن ذلك التوسع في إنشاء المراكز الصحية والمستشفيات، وإعطاء المطاعم، وأساليب تنظيم الأسرة التي كان لها دور في خفض معدلات الوفيات، وبخاصة الأطفال، والأطفال الرضع، والرفاه الاجتماعي المتحقق بارتفاع الدخل، والقضاء على مشكلتي الفقر والبطالة.

يعد الأردن من الدول ذات الموارد الطبيعية المحدودة، وقد أثر التركيز السكاني في مناطق دون أخرى على قدرته التنموية، مما شكل ضغوطات متزايدة على الموارد وقطاع الخدمات بجميع مجالاته الاجتماعية الصحية والتعليمية والاقتصادية. ونتيجة لذلك تراجعت معدلات النمو الاقتصادي للمملكة بسبب ارتفاع معدلات البطالة، وتزايد نسبة الفقر بين السكان في أغلب محافظات، وهناك سبب مهم أيضاً، هو التباين في إعداد الخطط التنموية في محافظات دون أخرى، الذي أسهم في إيجاد فجوة في توزيع الموارد والخدمات بالتساوي بين جميع المحافظات دون استثناء¹.

مشكلة الدراسة وأسئلتها

نجم عن تركيز السكان في محافظات دون أخرى تباين في خطط التنمية، تبعها تباين في دليل التنمية البشرية، نتيجة لتركز الخدمات والموارد في محافظات دون أخرى. وتكمن مشكلة الدراسة في دراسة التباين المكاني لظاهرة التنمية البشرية في الأردن وقياس مستوياتها من خلال مؤشرات اجتماعية واقتصادية (الصحة والتعليم والدخل). ومعرفة واقع كل دليل ومستواه، ومعرفة أسباب التباين في كل دليل على مستوى المحافظة.

وتجيب الدراسة عن الأسئلة التالية:

- 1- ما قيمة دليل التنمية البشرية في المحافظات الأردنية؟
- 2- ما واقع التباين المكاني في مؤشر التنمية البشرية بين المحافظات الأردنية؟
- 3- أي المؤشرات هو الأكثر تأثيراً على دليل التنمية البشرية في المحافظات؟
- 4- ما العوامل التي يمكن أن تفسر التباين في دليل التنمية البشرية في المحافظات الأردنية؟

أهداف الدراسة

هدفت الدراسة إلى ما يلي:

- 1- الكشف عن مستويات دليل التنمية البشرية لكل محافظة.
- 2- تحديد التباين بين مؤشرات التنمية البشرية (أمد الحياة والتعليم والنتائج المحلي الإجمالي) في المحافظات الأردنية.
- 3- توضيح العلاقة بين مؤشرات التنمية البشرية ودليل التنمية البشرية.

منهجية الدراسة

استخدمت الدراسة المنهج التحليلي الوصفي، الذي يقوم على وصف ظاهرة من الظواهر للوصول إلى أسبابها والعوامل التي تتحكم فيها، واستخلاص النتائج. كما تم حساب مؤشرات دليل التنمية البشرية لكل محافظة في المملكة استناداً إلى تقرير الأمم المتحدة، بالإضافة إلى عمل ارتباط بيرسون لإيجاد العلاقة بين أبعاد التنمية البشرية الثلاثة والدليل الرئيسي، وتحديد التباين في توزيع السكان وفقاً لتلك المؤشرات، من خلال العمليات الحسابية الآتية:²

- دليل أمد الحياة = العمر المتوقع عند الولادة - الحد الأدنى للعمر المتوقع عند الولادة / الحد الأعلى للعمر المتوقع عند الولادة - الحد الأدنى للعمر المتوقع عند الولادة.
- دليل القراءة والكتابة = نسبة المتعلمين - الحد الأدنى لهذه النسبة / الحد الأقصى لهذه النسبة - الحد الأدنى لهذه النسبة.
- دليل الطلبة الملتحقين = نسبة القيد الإجمالي - الحد الأدنى لنسبة القيد الإجمالي / الحد الأعلى لنسبة القيد الإجمالي - الحد الأدنى لنسبة القيد الإجمالي.
- دليل التعليم = دليل القراءة والكتابة * 3/2 + دليل الطلبة الملتحقين * 1/3.
- الناتج المحلي الإجمالي للمحافظة في سنة معينة = عدد سكان المحافظة / عدد سكان المملكة * الناتج المحلي الإجمالي للمملكة.
- دليل الناتج المحلي الإجمالي بالدينار الأردني = (log) الناتج المحلي الصافي - (log) الحد الأدنى له / (log) الحد الأعلى للناتج المحلي - (log) الحد الأدنى له.

- دليل التنمية البشرية = دليل أمد الحياة + دليل التعليم + دليل الناتج الإجمالي المحلي³.

تم عمل منحى لورنز لمعرفة شكل التوزيع السكاني لمؤشر التنمية البشرية على المساحة وفقا لمؤشر التنمية البشرية لكل وحدة إدارية. وتم رسم خط الانحدار البسيط لتوضيح العلاقة بين مؤشرات التنمية البشرية الثلاثة ودليل التنمية البشرية. وتم حساب معامل التحديد الذي يقيس قوة العلاقة بين المتغير المستقل والتابع. كما تم حساب بواقي الانحدار المتعدد، وذلك عن طريق طرح الفرق بين القيم الملاحظة والمتوقعة، وتمثيلها على خريطة التقسيمات الإدارية. وكذلك الاستعانة بعمل خرائط باستخدام برنامج (Arc GIS 9.3) لمعرفة نمط التباين في مؤشرات دليل التنمية البشرية بين المحافظات.

الإطار النظري

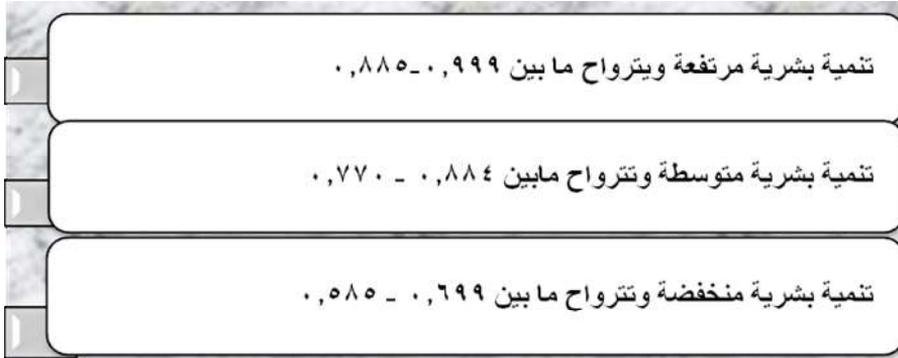
تمتاز مؤشرات التنمية البشرية بأنها دائمة التطور والتغيير، وذلك لتعديلها وتقييمها عن طريق إصدار التقارير السنوية والإحصاءات، ويصدر المجلس الاقتصادي الاجتماعي التابع للبرنامج الإنمائي للأمم المتحدة تقريرا لتلك المؤشرات سنويا. ويتسم مفهوم التنمية البشرية بأنه متطور بصفته مؤشراً للرفاه الاجتماعي عبر الزمن، "حيث بدأ بمفهوم الدول النامية والدول المتقدمة من عام (1960-1973)، وقد اتخذ تقدم الصناعة معيارا للتقدم. وما بين عامي (1974 - 1990) ظهر مفهوم آخر للتنمية البشرية وهو دول الشمال ودول الجنوب، وقد اتخذ الدخل بصفته معيارا للتقدم والتخلف (1000 دولار للفرد)"⁴. وظهر مفهوما التنمية الاقتصادية والتنمية المستدامة مؤخرا، فقد عرف (مبير وبلدوين) التنمية الاقتصادية بأنها "التنمية التي تعمل على استحداث سلع وخدمات من الإنتاج والذي يزيد من الدخل الحقيقي القومي (GNP) لدولة ما ولمدة من الزمن، حيث يترتب على ذلك ارتفاع متوسط نصيب الفرد من ذلك الدخل (GDP)"⁵.

أشارت منظمة الأغذية العالمية (FAO) عام 1988م إلى مفهوم التنمية المستدامة (Sustainable Development) وعرفتتها بأنها "التنمية التي تعمل على إدارة الموارد الطبيعية وصيانتها، باستخدام التغيرات التكنولوجية بطريقة تضمن تلبية الاحتياجات البشرية للأجيال الحالية والمقبلة بصورة مستمرة". ويشير مفهوم التنمية البشرية إلى أن فكرة التنمية البشرية فكرة دائمة التطور وليست مفهوما ثابتا وتشمل ثلاثة أبعاد، وهي دليل التعليم ودليل أمد الحياة ودليل الناتج المحلي الإجمالي⁶.

أهتم الأردن بمؤشرات التنمية البشرية عام 1990م، حيث ارتفع نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي في الأردن عام 2004م (8091) مليون دينار ليصل إلى (9390,5) مليون

دينار في عام 2015م. وزادت أعداد الطلبة الملتحقين في قطاع التعليم في الأردن، إذ ارتفع العدد من (1,547,689) طالباً في عام 2005م إلى (1,876,817) طالباً في عام 2014، وساعد ذلك في انخفاض نسبة الأمية في المملكة من (8,9) عام 2005م إلى (6,5) عام 2014م، ورافقه التوسع في التعليم العالي ومخرجاته النوعية حيث زاد عدد الخريجين من (35,799) خريجاً عام 2005 إلى (51,832) خريجاً عام 2014م. وتطور المجال الصحي من خلال ارتفاع العمر المتوقع للحياة من (72) سنة عام 2005 إلى (74.4) سنة في عام 2014م⁸⁺⁷.

ويترواح دليل التنمية البشرية تبعاً لتقرير الأمم المتحدة ما بين صفر وواحد، ويتم تصنيفها بناءً على دليل التنمية البشرية: "وهو دليل مركب يقيس متوسط الإنجازات في ثلاثة أبعاد رئيسية للتنمية البشرية هي الحياة المديدة والصحة والمعرفة والمستوى المعيشي اللائق"، كما هو موضح في الشكل رقم (1) وحسب تقرير الأمم المتحدة، 2014م⁹.

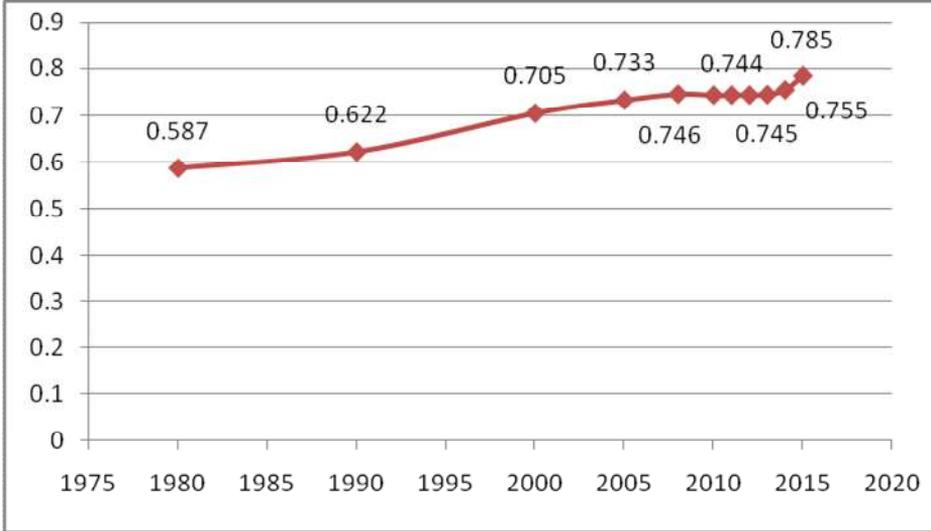


الشكل رقم (1): دليل التنمية البشرية حسب تقرير الأمم المتحدة 2014

المصدر: حسابات مكتب تقرير التنمية البشرية 2014

يوضح الشكل رقم (2) أن دليل التنمية في العام 1980م يساوي (0,587)، ثم ارتفعت قيمة الدليل في العام 1990 إلى (0,622)، وفي العام 2000 ارتفعت إلى (0,705)، وفي العام 2005 إلى (0,733)، أما في العام 2008 فقد وصلت القيمة إلى (0,746)، وأما في الأعوام 2010 و2011 و2012م فقد ثبت دليل التنمية البشرية عند (0,744)، بسبب ثبات معدل النمو السكاني للأردنيين (2%) مما أسهم في تطور الخدمات نوعياً وليس زيادتها كمياً.

وبلغت قيمة الدليل في عام 2013م (0,745)، ليرتفع في عام 2015 إلى (0,785). وأشار دليل التنمية البشرية إلى تحسن مطرد في ترتيب الأردن على المستوى العالمي في الأبعاد الثلاثة ليحتل المرتبة (77) على مستوى العالم¹⁰. ويعزى ذلك إلى انخفاض معدلات الوفيات، وتحسن وسائل تنظيم الأسرة، وتحسن وسائل الرعاية الصحية، والقوانين والتشريعات الخاصة بالتعليم الإلزامي، وزيادة أعداد الطلبة، بالإضافة إلى ارتفاع متوسط دخل الفرد السنوي.



الشكل رقم (2): دليل التنمية البشرية للأردن للفترة من (1990-2015)

المصدر: حسابات مكتب التنمية البشرية بحسب بيانات البنك الدولي 2014 أما عامي 2014 و 2015 فقد تم حسابهما من قبل الباحثين باستخدام المعادلة المذكورة في المنهجية استناداً إلى بيانات دائرة الإحصاءات العامة 2014 و 2015.

يوضح الشكل (2) أن المتوسط السنوي لنمو دليل التنمية البشرية بالنسبة المئوية للأعوام (1980-1990)م بلغ (0,58)، أما في السنوات العشر التالية فقد بلغت نسبة النمو في معدل التنمية البشرية (1,26%)، أي ارتفعت نسبة النمو بمقدار (0,68)، ويدل ذلك على تحسن في مستويات التنمية البشرية. أما في الأعوام (2000 – 2013)م فقد بلغ متوسط نسبة النمو السنوي (0,43)، بمعنى أن مستويات التنمية البشرية لم ترتفع بالنسبة نفسها التي كانت عليها في الأعوام (1990 – 2000)م. ويعزى ذلك إلى أزمة الحروب بدءاً من أزمة العراق، وانتهاءً بأزمة اللجوء السوري، التي أثرت على مستويات التنمية البشرية في الأردن. وفي عام 2015م ازداد مستوى التنمية البشرية زيادة لم تكن متوقعة حيث وصل إلى (0,785). كما أن نسبة الزيادة المئوية وصلت إلى أعلاها (2,7%) خلال السنوات الثلاث الماضية، بسبب التطور الكبير في قطاع الخدمات والقطاع الاقتصادي.

الدراسات السابقة

تناولت العديد من الدراسات موضوع التنمية البشرية ضمن إقليم معين أو محافظة بعينها، وذلك بهدف الوصول إلى حقيقة أن السكان يستفيدون من الرفاه الاجتماعي.

ومن هذه الدراسات دراسة الجبوري، حسون (2015)، بعنوان "التحليل المكاني لمؤشرات التنمية البشرية في محافظة القادسية"، وهدفت إلى معرفة مستوى التنمية البشرية في محافظة القادسية، وواقع كل مؤشر ومستواه ونسبة الحرمان منه، وإلى بيان أسباب التباين في مستوى تلك المؤشرات على مستوى القضاء، واستخدم بعض الأساليب الإحصائية الكمية مثل الدرجة المعيارية، ومنحنى لورنز، ومعامل جيني. وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من الحقائق أهمها معرفة مستوى التنمية البشرية في المحافظة والبالغ (0.675) أي أن المحافظة تقع ضمن المستوى المتوسط.

تناولت دراسة العايدي، وأبو صبحة (2013) بعنوان "قياس التنمية البشرية في إقليم وادي الأردن"، بالكشف عن مستويات التنمية في إقليم وادي الأردن، وقياس هذه المستويات من خلال مؤشرات اجتماعية وديمقراطية واقتصادية أدت إلى تباين المستويات. واستخدمت الدراسة أسلوب التحليل الوصفي لمؤشرات التنمية البشرية، واستخدمت دليل الأمم المتحدة الذي وضعته للتنمية البشرية. وتوصلت الدراسة إلى أن غالبية التجمعات السكانية لمنطقة الدراسة صنفت ضمن المستوى المتوسط بناءً على مؤشرات محلية.

وهناك دراسة الشاعر، عيسى (2007)، بعنوان "Geographic Pattern of Human Development in Southwest Asia: A Partial Correlation Analysis". وكان الهدف الرئيسي لهذه الدراسة هو التحليل الإحصائي لمؤشر تطور الإحصاءات الحيوية لسكان دول جنوب غرب آسيا (SWAsia) مثل متغيرات الصحة، والتعليم والدخل. وتم استخدام طريقة الارتباط الجزئي لتظهر تلك المتغيرات المستخدمة في برنامج تطوير الأمم المتحدة الكامل المشروح بفهرس تطور السكان (HDI). وتضمنت الدراسة تلك المعدلات المفهرسة لتطور عدد السكان للدول المدروسة (0,730) والتي تتشابه مع المعدلات العالمية (0,722). وأن معدل أمد الحياة للمواليد (69,9) والنتاج الإجمالي المحلي (GDP) (9659,0 US dollar percapita) في المنطقة المدروسة، وهو أعلى من الناتج الإجمالي العالمي (7376,0 US dollar percapita). وما يميز هذه الدراسة عن الدراسات السابقة أنها تعالج مؤشرات التنمية البشرية كما وردت في فهرس تقرير الأمم المتحدة (HDI) للمحافظات الأردنية.

أبعاد التنمية البشرية

تتضح أبعاد التنمية البشرية كما يلي:

1- دليل أمد الحياة (العمر المتوقع عند الميلاد) (Life Expectancy Index)

ويعني تقدير متوسط عدد السنوات التي يتوقع أن يعيشها الفرد وذلك بناءً على معدلات الوفيات الخاصة بالعمر في سنة معينة. ويعبر هذا المؤشر عن مستوى الرعاية الصحية أيضاً¹¹.

كما يتم قياس هذا المؤشر عن طريق أخذ معدل وفيات الأطفال والأطفال الرضع على مستوى الدولة، والذي يبين العمر المتوقع عند الولادة. وقد ارتفع خلال الفترة (2004-2015)م من (71,5) سنة إلى (74,4) سنة، ويعود السبب في انخفاض معدل وفيات الأطفال والأطفال الرضع إلى ارتفاع مستوى التحضر، وما رافقه من تطور في المستوى التعليمي للأم، مما أدى إلى ارتفاع العمر المتوقع عند الولادة. وقد تبين بعد حساب دليل أمد الحياة لمحافظة المملكة لعام 2004-2015 أن هنالك أربع محافظات قد حصلت على دليل مرتفع جدا من دليل أمد الحياة لعام 2004م، وهي العقبة (0,97)، ثم مادبا (0,953)، ثم إربد (0,922) وأخيرا عجلون (0,917)، وهذا يدل على تحسن مستوى الرعاية الصحية في محافظات المملكة.

وسجل أعلى مستوى لدليل أمد الحياة لعام 2015م في المحافظات نفسها، حيث وصل دليل أمد الحياة في تلك المحافظات (0,97 - 0,91)، والسبب في ذلك انخفاض معدل الوفيات للأطفال والأطفال الرضع، وارتفاع نسبة كبار السن؛ كما يتضح من الجدول رقم (1).

جدول رقم (1): دليل أمد الحياة في المحافظات الأردنية

المحافظة/المؤشر	دليل أمد الحياة 2004	دليل أمد الحياة 2015
عجلون	0.92	0.85
الزرقاء	0.88	0.84
العاصمة (عمان)	0.895	0.835
إربد	0.922	0.835
جرش	0.83	0.83
الكرك	0.828	0.826
البلقاء	0.808	0.82
المفرق	0.872	0.82
معان	0.822	0.812
العقبة	0.97	0.81
مادبا	0.953	0.795
الطفيلة	0.778	0.793
المملكة	0.87	0.83

المصدر: عمل الباحثين باستخدام حساب دليل أمد الحياة (HDI).

يتضح من الجدول (1) أن قيمة دليل أمد الحياة للمملكة ما بين تعدادي 2004 و2015م بلغت (0,83-0,87) على التوالي. أي أنه مستوى مرتفع، ويعزى ذلك إلى زيادة الاهتمام في مجال الرعاية الصحية في جميع المحافظات، ونتج عن ذلك زيادة عدد المراكز الصحية، ومراكز الأمومة والطفولة، وتثقيف المرأة، مما أدى إلى خفض معدل وفيات الأطفال. وهناك أسباب أخرى منها

شمول نسبة كبيرة من السكان في التأمين الصحي، وبخاصة الأسر المنتفعة من صندوق المعونة الوطنية¹².

ووصل أعلى مستوى في محافظة عجلون، والسبب في ذلك ارتفاع نسبة المؤمنین صحياً من الأردنيين إلى (95,23%) بحسب النتائج الأولية لتعداد 2015م، وقد يكون لعامل البيئة دور مهم في نقاء الجو والبيئة وبعدها عن الملوثات، بالإضافة إلى أنها منطقة سياحية طبيعية. ثم جاءت بعدها محافظة العاصمة والزرقاء وإربد بمستوى مرتفع أيضاً (0,84) وتلك المناطق تعد مراكز للأقاليم وتمتاز بارتفاع الكثافة السكانية فيها.

وتعتبر قيمة دليل أمد الحياة عن التنمية البشرية المرتفعة، ويشير ذلك إلى تحسن في مستوى الرعاية الصحية، فكلما ارتفع العمر المتوقع عند الولادة دل ذلك على تطور المستوى الصحي في الأردن، بسبب ارتفاع مستوى التحضر، ونسبة تعليم المرأة، وتحسن أساليب الوقاية الصحية والمطاعيم.

2- دليل التعليم (Education Index)

يعد التعليم للجميع من الحاجات الرئيسية في المجتمع ليمكنوا من تحسين مستوى نوعية الحياة لأسرهم، وهو مقياس يدل على دليل الإلمام بالقراءة والكتابة بين البالغين (وتعني نسبة المتعلمين *3/2)، ودليل التعليم الإجمالي (وتعني نسبة الملحقين/3). وشهد قطاع التعليم في الأردن تحسناً مستمراً منذ منتصف القرن العشرين. ويمتلك منظومة من الموارد البشرية ذات قدرة تنافسية قادرة على تزويد المجتمع بخبرات تعليمية بشكل مستمر وذات صلة وثيقة بحاجاته المستقبلية، وذلك استجابة لتحقيق التنمية المستدامة وتحفيزها عن طريق إعداد أفراد متعلمين وقوى عمل ماهرة¹³.

يعد دليل التعليم من المؤشرات المهمة المؤثرة في التنمية البشرية، وبعد حساب دليل القراءة والكتابة لعام 2004-2015م، اتضح أن أعلى المحافظات هي محافظات العاصمة والزرقاء وإربد بنسبة (0,919) و(0,912) و(0,987) على الترتيب، وتبين أن أقل المحافظات محافظتا الكرك ومعان بمستوى منخفض وصل إلى (0,114) في عام 2004م، ويعزى ذلك إلى ارتفاع نسبة الأمية بسبب التمسك بالعادات والتقاليد، والزواج المبكر، وانخفاض نسبة تعليم الإناث. ويشير جدول (2) إلى أن بقية المحافظات فيما يتعلق بمستوى التنمية البشرية كانت ذات مستوى تنمية بشرية مرتفع وذلك بسبب الامتداد الحضري للمجتمعات الريفية. وتم حساب نسبة القيد الإجمالي أي الملحقين بالتعليم لعام 2004-2015م وتبين أن أعلى المحافظات فيما يتعلق بدليل الملحقين كانت محافظات الزرقاء والعاصمة وإربد بنسبة (0,875) و(0,864) و(0,859) على التوالي.

يوضح جدول (2) فيما يختص بدليل القراءة والكتابة لعام 2015م أن أعلى نسبة هي محافظات العاصمة وعجلون والزرقاء بنسبة (0,928) و(0,912) و(0,907) على التوالي، وصنفت حسب مستوى التنمية البشرية بأنها ذات تنمية بشرية مرتفعة جداً. في حين ارتفع دليل القراءة والكتابة في جميع المحافظات، وبخاصة في محافظتي الكرك ومعان، وبلغ في عام 2004م (0,114) ليرتفع إلى (0,873) في محافظة الكرك و(0,794) في محافظة معان، ويعود السبب في ارتفاع نسبة الالتحاق ونسبة التعليم في هاتين المحافظتين إلى التوسع في إنشاء المرافق الخدمية التعليمية من مدارس وجامعات.

الجدول رقم (2): دليل القراءة والكتابة ودليل الملتحقين لسنة 2004-2015م

المحافظة	دليل الملتحقين 2004	دليل الملتحقين 2015	دليل القراءة والكتابة 2004	دليل القراءة والكتابة 2015
العاصمة	0.875	0.953	0.919	0.928
البلقاء	0.826	0.91	0.871	0.88
الزرقاء	0.864	0.939	0.912	0.907
مأدبا	0.849	0.909	0.886	0.88
إربد	0.859	0.931	0.897	0.905
المفرق	0.77	0.87	0.826	0.824
جرش	0.848	0.92	0.882	0.899
عجلون	0.853	0.932	0.886	0.912
الكرك	0.768	0.901	0.114	0.873
الطفيلة	0.797	0.908	0.886	0.878
معان	0.777	0.932	0.114	0.794
العقبة	0.851	0.904	0.886	0.869
المملكة	0.828	0.917	0.757	0.88

المصدر: البيانات الأساسية من الكتاب الإحصائي السنوي 2004، والنتائج الأولية لتعداد 2015م.

وارتفع دليل التعليم لسنة 2015م عنه في عام 2004م، حيث وصل في محافظات العاصمة والزرقاء وعجلون وإربد إلى (0,905، 0,929، 0,926، 0,923) على التوالي. أما في سنة 2004 فقد سجلت محافظات العاصمة والزرقاء وإربد ثم عجلون المستويات الأعلى. وتفاوتت قيم دليل التعليم لعام 2004م في بعض المحافظات أهمها: العاصمة (0,905) والزرقاء (0,897) وإربد (0,884) فقد سجلت تنمية بشرية مرتفعة جداً، ثم تلتها عجلون والعقبة وجرش

ومأدبا والطفيلة والمفرق، حيث سجلت مستوى تنمية بشرية مرتفعا، تراوح بين (0,875) - (0,811).

الجدول رقم (3): دليل التعليم في محافظات الأردن لعام 2004,2015م

المحافظة	دليل التعليم 2004	دليل التعليم 2015
العاصمة	0.905	0.944
الزرقاء	0.897	0.929
عجلون	0.875	0.926
إربد	0.884	0.923
جرش	0.871	0.913
البلقاء	0.856	0.899
مأدبا	0.87	0.899
الطفيلة	0.857	0.898
العقبة	0.875	0.893
الكرك	0.332	0.891
المفرق	0.811	0.855
معان	0.335	0.82
المملكة	0.781	0.899

المصدر: عمل الباحثين استنادا لحساب دليل التعليم التابع لدليل التنمية البشرية (HDI)

وسجلت محافظتا الكرك ومعان مستوى تنمية بشرية منخفضاً جداً، إذ تراوح الدليل بين (0,335 و 0,332) على الترتيب، ويعزى السبب في ذلك إلى ارتفاع معدل الأمية البالغ (17,1%) في محافظة الكرك و(15,4%) في محافظة معان عن معدل الأمية للمملكة (12,5%)، وارتفاع نسبة الفقر في كلتا المحافظتين والبالغة (17,1%) و(24,2%) في الكرك ومعان على التوالي عن مستوى المملكة والبالغة (13,3%). وهناك أسباب أخرى لانخفاض دليل التعليم في محافظتي الكرك ومعان، ويرافقها انخفاض مؤشر الحاصلين على التعليم العالي، وانخفاض دخل الأسرة، وارتفاع مستوى التنمية البشرية لا بدّ من وضع خطط تنموية ترفع من مستوى التعليم في المحافظتين. وارتفع دليل التعليم في عام 2015م في محافظتي الكرك ومعان ارتفاعاً ملحوظاً، حيث وصل دليل التعليم في محافظة الكرك إلى (0,891) بينما كان في عام 2004م (0,114)، أما في محافظة معان فقد وصل في عام 2015م إلى (0,82) بينما كان في عام 2004م أيضاً (0,114)، ومن ثمّ أصبح دليل التعليم لجميع محافظات المملكة ذا تنمية بشرية مرتفعة. انظر جدول (3).

3- دليل الناتج الإجمالي المحلي (Gross Domestic Product Index) 0

تلعب الظروف الاقتصادية دوراً مهماً في تحديد مستوى التنمية البشرية لدولة ما. وعلى صعيد الموارد البشرية يتسم الاقتصاد الأردني بارتفاع معدل الإعالة، وانخفاض مشاركة السكان في قوة العمل. ويعود هذا إلى عوامل أهمها: ارتفاع نسبة صغار السن، وتأخر سن الانضمام لسوق العمل، بسبب الإقبال الكبير على إكمال مراحل التعليم العالي، ومن ثمّ زيادة عدد السنوات الدراسية في عمر الفرد. وكان للظروف السياسية التي نجمت عن الحروب التي شهدتها المنطقة أثر كبير على ارتفاع نسبة البطالة في الأردن، وخاصة في عام 1991م وتمثلت بعودة أعداد كبيرة من الأردنيين المقيمين في دول الخليج العربي، والأزمة السورية الحالية نتيجة للجوء، مما فرض زيادة طارئة وكبيرة على حجم المتعطلين من القوى العاملة في الأردن. لذا يمثل الناتج المحلي الإجمالي دليلاً مهماً كونه يمثل القيمة النقدية للسلع والخدمات. وقد واجه الباحثون معضلة في إيجاد بيانات عن الناتج المحلي الإجمالي لكل محافظة، حيث لم يتوفر إلا عن الأردن ككل، ولمعالجة ذلك تمّ اشتقاق الناتج المحلي الإجمالي لكل محافظة، وذلك بقسمة عدد سكان المحافظة على عدد السكان الكلي للمملكة مضروباً في الناتج المحلي الإجمالي للمملكة لعامي 2004م و2015م. وبعد حساب دليل الناتج المحلي الإجمالي، تبين من خلال جدول (4) أن محافظات العاصمة والزرقاء وإربد كانت ذات مستوى تنمية بشرية مرتفع، بالإضافة إلى أن محافظة المفرق كانت ذات تنمية بشرية متوسطة، أما بقية المحافظات فكانت ذات تنمية منخفضة بحسب الناتج المحلي الإجمالي لعام 2015م.

الجدول رقم (4): دليل الناتج المحلي الإجمالي لمحافظة الأردن 2004 و 2015

المحافظة	دليل الناتج المحلي 2004	دليل الناتج المحلي 2015
العاصمة	0.959	0.974
البلقاء	0.665	0.68
الزرقاء	0.8	0.815
مأدبا	0.504	0.518
إربد	0.829	0.844
المفرق	0.606	0.621
جرش	0.533	0.547
عجلون	0.488	0.485
الكرك	0.578	0.593
الطفيلة	0.41	0.424

المحافظة	دليل الناتج المحلي 2004	دليل الناتج المحلي 2015
معان	0.457	0.472
العقبة	0.469	0.484
المملكة	0.608	0.622

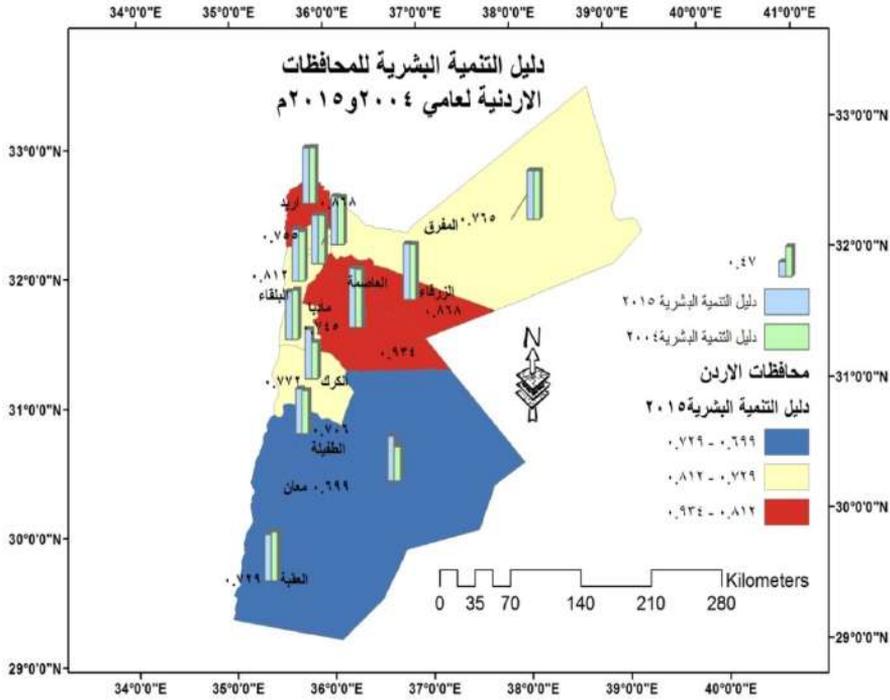
المصدر: عمل الباحثين استناداً لحساب دليل التنمية البشرية (HDI).

يوضح الجدول (4) أن دليل الناتج المحلي الإجمالي لعام 2015 ذو تنمية بشرية مرتفعة في المحافظات الثلاث الرئيسية وهي العاصمة وإربد والزرقاء (0,974 - 0,844 - 0,815) لعام 2015م. ووصل في محافظتي البلقاء والمفرق إلى (0,68 - 0,621) وكانت ذات تنمية بشرية متوسطة حسب دليل الناتج المحلي الإجمالي. أما بقية المحافظات فمثلت مستوى منخفضاً من التنمية البشرية حسب دليل الناتج المحلي الإجمالي. ويلاحظ من خلال الجدول رقم (4) أن الناتج المحلي الإجمالي لم يسجل ارتفاعاً ملموساً بنفس الزيادة خلال الفترة من (2004 - 2015)م. ويعزى ذلك إلى ارتفاع معدل البطالة، وانخفاض مشاركة المرأة في العمل. بالإضافة إلى عدم المقدرة على استثمار الموارد الطبيعية، والاعتماد على قطاع الخدمات في توفير فرص العمل، وارتفاع معدلات البطالة، الذي يشير إلى ارتفاع معدلات النمو السكاني في الأردن، الذي يتجاوز في الغالب معدلات النمو الاقتصادي (بخاصة أزمة اللجوء التي أثرت على استثمار الموارد مما أدى إلى ركود اقتصاد المملكة). ومن ثم فإن زيادة عدد العاملين الجدد في سوق العمل يعيق استخدامهم في سوق العمل، بالإضافة إلى انخفاض قوة الشراء نتيجة ارتفاع الأسعار¹⁴.

4- دليل التنمية البشرية (Human Development Index)

ثبت دليل التنمية البشرية في محافظتي المفرق وعجلون (0,76) ضمن المستوى المتوسط من التنمية البشرية وذلك خلال الفترة من 2004-2015م. ووصل دليل التنمية البشرية في محافظة إربد إلى (0,879) عام 2004 ليعود إلى الانخفاض إلى (0,868) في عام 2015م، وبقيت محافظة إربد ضمن المحافظات ذات التنمية البشرية المرتفعة مع العاصمة والزرقاء والبلقاء.

يوضح الشكل (2) دليل التنمية البشرية لمحافظة الأردن ووصلت محافظات العاصمة وإربد والزرقاء إلى مستوى مرتفع جداً، وهي على الترتيب (0,92، 0,859، 0,879)، وكذلك أغلب المحافظات كانت ذات مستوى مرتفع وهي البلقاء (0,777) ومأدبا (0,776) والعقبة (0,772) والمفرق (0,763) وعجلون (0,76) وجرش (0,745)، ووصلت محافظة الطفيلة إلى تنمية بشرية متوسطة (0,682)، ومحافظتا الكرك ومعان إلى مستوى منخفض من التنمية البشرية.



الشكل رقم (3): دليل التنمية البشرية للأردن لعام 2004 - 2015.

المصدر عمل الباحثين باستخدام Arc GIS 9.3.

شهد دليل التنمية البشرية في أغلب المحافظات ارتفاعا ملحوظا باستثناء محافظات إربد ومأدبا والعقبة. وبقيت إربد ضمن المستوى المرتفع من مستويات التنمية البشرية، ويعود السبب في ذلك إلى انخفاض معدل أمد الحياة في تلك المحافظات (الذي انخفض فيها من 0,92 في إربد عام 2004 إلى 0,83 في عام 2015) كذلك محافظتا مأدبا والعقبة، انظر جدول رقم (5). ووصل دليل التنمية البشرية إلى مستوى مرتفع في محافظتي الكرك ومعان، ويعود السبب في ذلك إلى ارتفاع دليل التعليم في كل منهما. انظر شكل رقم (3). ويلاحظ أن دليل التنمية البشرية المرتفع قد ظل متركزا في المحافظات الثلاث الرئيسية وهي العاصمة وإربد والزرقاء.

ثالثا: التباين المكاني في مؤشر التنمية البشرية بين المحافظات

استخدمت الدراسة منحنى لورنز لمعرفة درجة التركز لدليل التنمية البشرية في المحافظات الأردنية، ويهدف ذلك المنحنى إلى قياس درجة التركز والانتشار للتوزيع المكاني لدليل التنمية البشرية على وحدة المساحة لمحافظات المملكة كافة. واستخدمت معامل ارتباط بيرسون وهو اختبار إحصائي يقيس العلاقة بين متغيرين، وهو من أشهر الطرق المستخدمة لقياس مدى تغير

المتغير التابع في حال زيادة قيمة المتغير المستقل، وقد تم حسابه باستخدام الحزمة الإحصائية في العلوم الاجتماعية (SPSS). ومن أهم خصائصه أنه:

- إذا كان $(r) > 0$ فإن العلاقة بين المتغيرين طردية.
- أما إذا كان $(r) > 0$ فإن العلاقة بين المتغيرين عكسية.
- وتزداد قوة العلاقة كلما اقتربت قيمة المعامل من $(+1$ و $-1)$ ، وتقل كلما اقتربنا من الصفر¹⁵. كما تم استخدام خط الانحدار البسيط ومعادلة الانحدار الخطي المتعدد.

أ- منحنى لورنز (Lorenze Curve)

يُظهر المنحنى خط التوزيع المثالي، وعندما تزيد المسافة بين المنحنى وخط التوزيع المثالي دل ذلك على قوة العلاقة بين المتغيرين. وكلما اقتربت النقطة من (100) دل ذلك على تركيز المستوى المرتفع من التنمية البشرية، وكلما اقتربت النقطة من الصفر دل ذلك على انخفاض دليل التنمية البشرية¹⁶. وبعد توقيع نسب دليل التنمية البشرية في محافظات المملكة بالنسبة للمساحة، تبين أن محافظة معان بالرغم من أنها أكبر المحافظات مساحة إلا أن مؤشر التنمية البشرية فيها منخفض، وهي الأقرب إلى الصفر، والسبب في ذلك ارتفاع معدل الأمية والبطالة والفقير.

وتركز دليل التنمية البشرية المرتفع في محافظات العاصمة وإربد والزرقاء. كما يتضح من المنحنى أن دليل التنمية البشرية المرتفع قد تركّز في المحافظات التي تقع إلى الشمال الغربي من المملكة في عامي 2004-2015م، وأنه ليس هناك علاقة بين ارتفاع قيمة دليل التنمية البشرية أو انخفاضه بمساحة المحافظة؛ إلا أنه هناك عوامل أخرى كحجم السكان والمناخ والخدمات. والسبب في أنها كانت ذات تنمية بشرية مرتفعة هو تركّز الخدمات والمشاريع الاقتصادية فيها. انظر شكل رقم (4).

كما لوحظ أن دليل التنمية البشرية لعام 2015 قد ارتفع عن نظيره في العام 2004م، والسبب في ذلك التوسع في الخدمات الصحية، وارتفاع نسبة تعليم المرأة، وارتفاع نسبة الشباب ممن هم في سن العمل، والتحول من التعليم الأكاديمي إلى التعليم المهني، وتمكين المرأة ودخولها سوق العمل، مما أسهم في رفع الناتج المحلي الإجمالي، وتحقيق أكبر قدر ممكن من الكفاية المعيشية.



الشكل رقم (4): منحني لورنز بحسب دليل التنمية البشرية 2004-2015 في محافظات الأردن
المصدر: عمل الباحثين استنادا لدليل التنمية البشرية 2004 و 2015

ب- معامل ارتباط بيرسون (Pearson Correlation)

أجري معامل ارتباط بيرسون للكشف عن العلاقة بين مؤشر التنمية البشرية من جهة، ومؤشر أمد الحياة والتعليم والنتائج المحلي الإجمالي من جهة أخرى، ووجد أن العلاقة بين المؤشرات الثلاثة ومؤشر التنمية البشرية طردية، ولكنها كانت طردية قوية ما بين مؤشري التعليم والنتائج المحلي الإجمالي من جهة ومؤشر التنمية البشرية من جهة أخرى، وبدلالة إحصائية عالية جدا (أقل من أو تساوي 0,000) انظر جدول (5).

الجدول رقم (5): اختبار معامل بيرسون لمؤشرات التنمية البشرية 2004

Correlations				
	التنمية البشرية	التعليم	النتائج المحلي	أمد الحياة
Pearson Correlation	1	.850**	.730**	.521
Sig. (2-tailed)		.000	.007	.082
دليل التنمية البشرية	Sum of Squares and Cross-products	.138	.220	.155
	Covariance	.013	.020	.014
	N	12	12	12

** Correlation is significant at the 0.01 level (2-tailed).

المصدر: عمل الباحثين باستخدام (SPSS)

ويلاحظ أن مؤشر التعليم (0,850) هو الأبعد عن الصفر؛ فالتعليم هو الأكثر تأثيراً على مستوى التنمية البشرية وبمستوى دلالة (0,000). ثم جاء بعد ذلك مؤشر الناتج المحلي الإجمالي (0,730) أيضاً موجب وبمستوى دلالة (0,007)، أي أن العلاقة بين مؤشري التعليم والناتج المحلي الإجمالي ومؤشر التنمية البشرية علاقة طردية قوية، بمعنى أنه كلما ارتفع مستوى التعليم ومستوى الناتج المحلي الإجمالي، حققت المملكة مستويات مرتفعة من التنمية البشرية.

الجدول رقم (6): معدل التغير والانحراف المعياري لمؤشرات التنمية البشرية 2004

Descriptive Statistics			
	Mean	Std. Deviation	N
الناتج المحلي	.60817	.171948	12
التعليم	.78067	.210184	12
أمد الحياة	.87283	.060541	12
التنمية البشرية	.7542	.11197	12

المصدر: عمل الباحثين باستخدام (SPSS)

ووجد أن الانحراف المعياري (أي مربع انحرافات القيم عن وسطها الحسابي) كان الأكبر قيمة لمؤشر التعليم (0,22)، ثم تبعه مؤشر الناتج المحلي الإجمالي (0,20) وأخيراً مؤشر أمد الحياة (0,01). أما مؤشر أمد الحياة فدل على أن له تأثيراً على مؤشر التنمية البشرية، ولكن بدرجة تقل عن مؤشري التعليم والناتج المحلي الإجمالي وبمستوى دلالة (0,082). انظر جدول (6).

الجدول رقم (7): معامل بيرسون لمؤشرات التنمية البشرية 2015

Correlations				
		أمد الحياة	الناتج	التعليم
	Pearson Correlation	1	.870**	.983**
دليل التنمية	Sig. (2-tailed)		.000	.000
	N	12	12	12

** Correlation is significant at the 0.01 level (2-tailed).

* Correlation is significant at the 0.05 level (2-tailed).

المصدر: عمل الباحثين باستخدام SPSS

وتنتج عن معامل ارتباط بيرسون لدليل التنمية البشرية وأبعاده لعام 2015 أن العلاقة كانت طردية قوية بين المؤشرات الثلاثة، إلا أن الأكثر تأثيراً في دليل التنمية البشرية مؤسراً الناتج

المحلي الإجمالي وأمد الحياة. فكلما ارتفع دليل المؤشرات الثلاثة رافقه ارتفاع في دليل التنمية البشرية. وبمقارنة نتائج معامل بيرسون لدليل التنمية البشرية لعام 2004 و2015م، وجد أن العلاقة طردية قوية بين مؤشري التعليم والنتائج المحلي الإجمالي ودليل التنمية البشرية في العام 2004م. أما في العام 2015م فكانت العلاقة طردية قوية بين المؤشرات الثلاثة، ولكن مؤشري الناتج المحلي الإجمالي وأمد الحياة كانا الأكثر تأثراً. ويعود السبب في ذلك إلى ارتفاع العمر المتوقع، الذي يرافقه انخفاض في معدل وفيات الأطفال والأطفال الرضع نتيجة ارتفاع نسبة التحضر، وارتفاع تعليم المرأة، ودخول المرأة سوق العمل¹⁷. انظر جدول رقم (7).

ج - خط الانحدار البسيط (Regression Line)

تمّ رسم خط الانحدار البسيط، ويمثل الخط البياني العلاقة بين متغيرين، أحدهما المتغير المستقل (Independent variable) ممثلاً على محور السينات (المحور الأفقي)، والثانية المتغير التابع (Dependent variable) ممثلاً على محور الصادات (المحور الرأسي). فإذا كانت هناك علاقة بين المتغيرين كان لهذا الخط وجود، أما إذا انعدمت العلاقة فليس في الإمكان رسم مثل هذا الخط، بمعنى أن وجود العلاقة بينهما يؤدي إلى وجود اتجاه عام للنقط التي نحددها في الرسم أمام قيم المتغير المستقل. هذا الاتجاه العام إما أن يكون مستقيماً (خطياً)، وإما أن يكون غير مستقيم (غير خطي). إذا وقعت جميع النقاط على خط الانحدار كان ذلك دليلاً على الارتباط الكامل بين الظاهرتين، وكلما اقتربت النقاط من خط الاتجاه العام، أو وقع معظمها عليه، دل ذلك على شدة الارتباط بين الظاهرتين، بينما إذا بعدت معظمها عن خط الانحدار، كان ذلك دليلاً على ضعف الارتباط بين الظاهرتين، شكل رقم (5 و6 و7)¹⁸.

يوضح الشكل (5) أن هنالك نقاطاً عديدة تنتشر على خط الانحدار لمعرفة العلاقة بين المتغير التابع والمتغير المستقل. وتكون العلاقة خطية إذا مر أكبر عدد من النقاط بالخط المستقيم، ويعرف هذا الخط بخط الانحدار (Regression Line). ومن أفضل الطرق الجبرية لرسمه طريقة تسمى طريقة أقل التربيعات (Least Square Method) وهي التي تتميز بأنها تعطي خطأً يكون مجموع مربع انحرافات النقط عنه أصغر ما يمكن. إن معادلة خط الانحدار هي:

$$y = a + b x$$

حيث إن:

$Y =$ المتغير التابع الذي سيتم تفسيره.

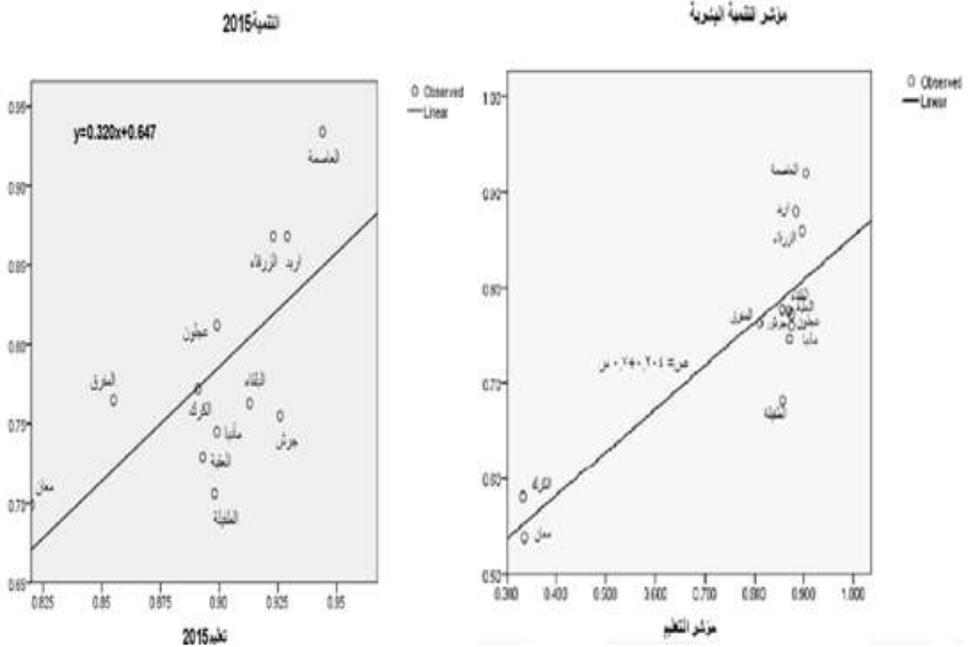
$X =$ المتغير المستقل الذي يستخدم في التفسير.

$a =$ طول الجزء المقطوع من محور الصادات، وهو قيمة y عندما يكون x صفراً.

$b =$ ميل الخط المستقيم، وهو عبارة عن الزيادة أو النقصان في (y) التي يمكن توقعها مع الزيادة أو النقصان في قيمة (x)¹⁹.

تحليل التباين المكاني لدليل التنمية البشرية في المحافظات الأردنية للفترة (2004-2015)

ويلاحظ من الشكل (5) أن المحافظات فوق الخط المستقيم مثلت قطب التنمية البشرية المرتفع وهي العاصمة وإربد والزرقاء، أما التي تركزت تحت الخط المستقيم فهي تعاني من معوقات تنموية منها الاعتماد على التعليم الأكاديمي دون المهني، أما الكرك ومعان فهما تعانيان من ارتفاع نسبة الأمية، وذلك المفهوم يتعارض كلياً مع مفهوم دليل التعليم.



كما يمكن حساب معامل التحديد (R^2) (Coefficient of determination) الذي يقيس قوة العلاقة بين المتغير التابع والمتغير المستقل بالمعادلة التالية:

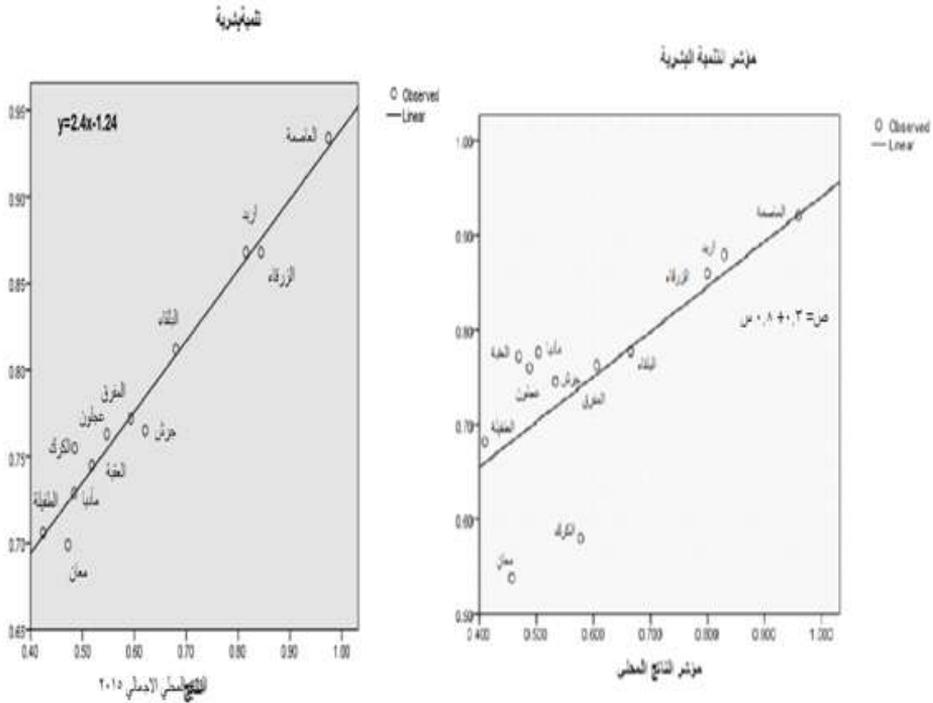
$$R^2 = \frac{\sum(XY)^2}{(\sum X^2)(\sum Y^2)}$$

وكانت قيم R^2 عند استخدام أسلوب الانحدار البسيط لعام 2004م كما يلي:

$R^2 = 0,97$ لدليل التنمية البشرية والنتائج المحلي 2004. وعام 2015 $R^2 = 0,97$

$R^2 = 0,93$ لدليل التنمية البشرية وأمد الحياة 2004. وعام 2015 $R^2 = 0,76$

$R^2 = 100$ لدليل التنمية البشرية والتعليم 2004. وعام 2015 $R^2 = 0,46$



الشكل رقم (6): خط الانحدار البسيط لدليل التنمية البشرية والنتاج المحلي الإجمالي 2004
المصدر: عمل الباحثين باستخدام SPSS & Arc GIS 9.3

ودل هذا الاختبار على أن عاملي التعليم والنتاج المحلي الإجمالي كانا مهمين في تفسير مؤشر التنمية البشرية لمحافظة المملكة، ودل اختبار العلاقة بين مؤشري التعليم والتنمية البشرية على أن (1,00) من الاختلافات في مؤشر التنمية البشرية تم تفسيرها بالاختلاف في مستويات التعليم بين محافظات المملكة، وأنه لا يوجد أخطاء عشوائية في هذا الاختبار، وهي علاقة قوية، كما يتضح من الشكل (5).

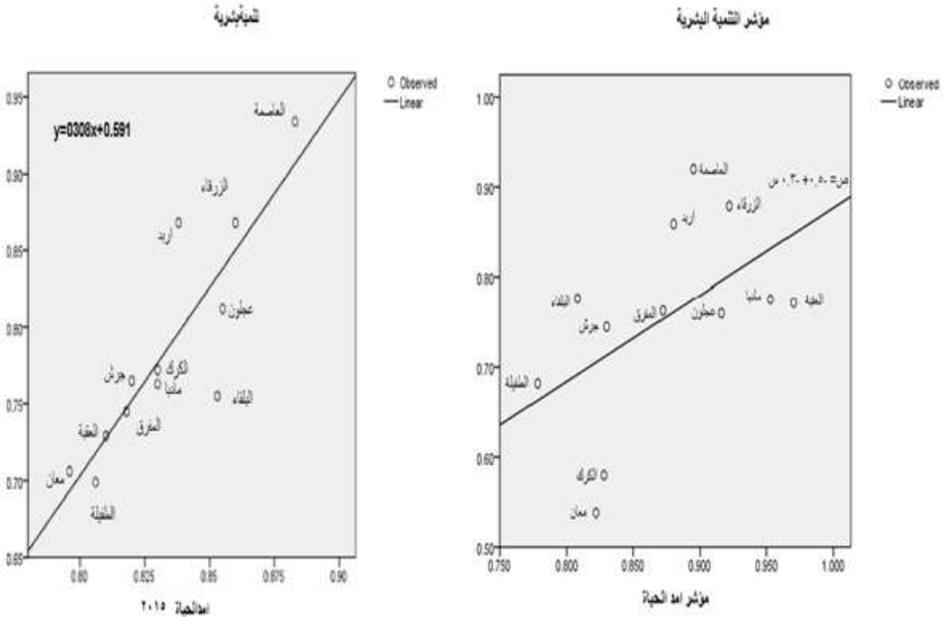
اختلفت نواتج خط الانحدار البسيط لعام 2015، فقد تبين من خلال معامل التحديد كما في شكل (5) أن دليل التعليم قد فسر (0.46) من الاختلافات في دليل التنمية البشرية لعام 2015، وأن (0.64) حدثت نتيجة أخطاء عشوائية. لذلك لم يكن هناك أي تأثير لدليل التعليم على دليل التنمية البشرية، بسبب عدم وجود اختلاف ما بين قيمته وقيمة دليل التنمية البشرية.

وثبت أنّ العلاقة بين مؤشر التنمية البشرية والنتاج المحلي الإجمالي قوية، حيث اتضح أن (0,97) من الاختلافات في مؤشر التنمية البشرية يمكن تفسيرها بالاختلاف في مؤشر الناتج

المحلي الإجمالي للمحافظات، وأن (0,03) من هذه الاختلافات هي نتيجة أخطاء عشوائية، كما يلاحظ من الشكل رقم (6).

ويلاحظ أن المحافظات فوق خط الانحدار مثلت قطب التنمية البشرية ذا المستوى المرتفع وهي العاصمة وإربد والزرقاء، أما التي تركزت تحت خط الانحدار فهي الكرك ومعان، وتعاني من معيقات أهمها ارتفاع معدلات الإنجاب، وانخفاض معدل وفيات الأطفال، ومن ثم ارتفاع نسبة الإعالة، وذلك يتعارض مع مفهوم التنمية البشرية.

وفي حالة اختبار العلاقة بين مؤشر التنمية البشرية وأمد الحياة، اتضح أن (0.93) من الاختلافات في مؤشر التنمية يمكن تفسيرها بمؤشر أمد الحياة بين المحافظات، لأن (0.07) من هذه الاختلافات هي نتيجة أخطاء عشوائية، كما يبين شكل (7). أن دليل أمد الحياة لعام 2015م قد فسر (0.76) من الاختلافات في دليل التنمية البشرية، وأن (0.24) هي نتيجة أخطاء عشوائية. لذلك يتضح من خلال ما سبق ذكره أن دليل الناتج المحلي الإجمالي كان الأكثر تأثيراً على دليل التنمية البشرية لكل محافظات المملكة لعام 2015 على عكس دليل التنمية البشرية لعام 2004، الذي بين أن دليل التعليم كان الأكبر تأثيراً على دليل التنمية البشرية لعام 2004م.



د- خط الانحدار المتعدد (Multiple Regression Line)

واستخدم الباحثون معادلة الانحدار المتعدد، وهو عبارة عن انحدار للمتغير التابع (Y) على العديد من المتغيرات المستقلة X_1, X_2, \dots, X_3 ، ويسمى هذا بالانحدار الخطي المتعدد، Multiple Linear Regression. وسيتم التعويض بقيمة (x) حسب المعادلات التالية لكل دليل ولكل محافظة. ثم سيتم تجميعها للحصول على قيمة (y) المحسوبة، وذلك لحساب البواقي (Residuals):²⁰

$$y = (0,46 x_1 + 0,47) + (0,45 x_2 + 0,4) + (0,96 x_3 + 0,09) \\ = \sum(y_1 + y_2 + y_3). \hat{Y}$$

حيث إن:

\hat{Y} : مجموع قيم المتغيرات للمعادلة المحسوبة. كما في جدول (8). وبعد ذلك سيتم طرح الفرق في القيمة المحسوبة من القيمة الملاحظة للمتغير التابع، لينتج عن ذلك ما يسمى بالبواقي (residual). فكانت أعلاها في محافظة العاصمة والطفيلة وإربد والبلقاء، بالإضافة إلى محافظتي المفرق وجرش، وأقلها في معان والكرك وعجلون والعقبة والزرقاء.

الجدول رقم (8): حساب بواقي الانحدار الخطي المتعدد للمتغيرات لعام 2004

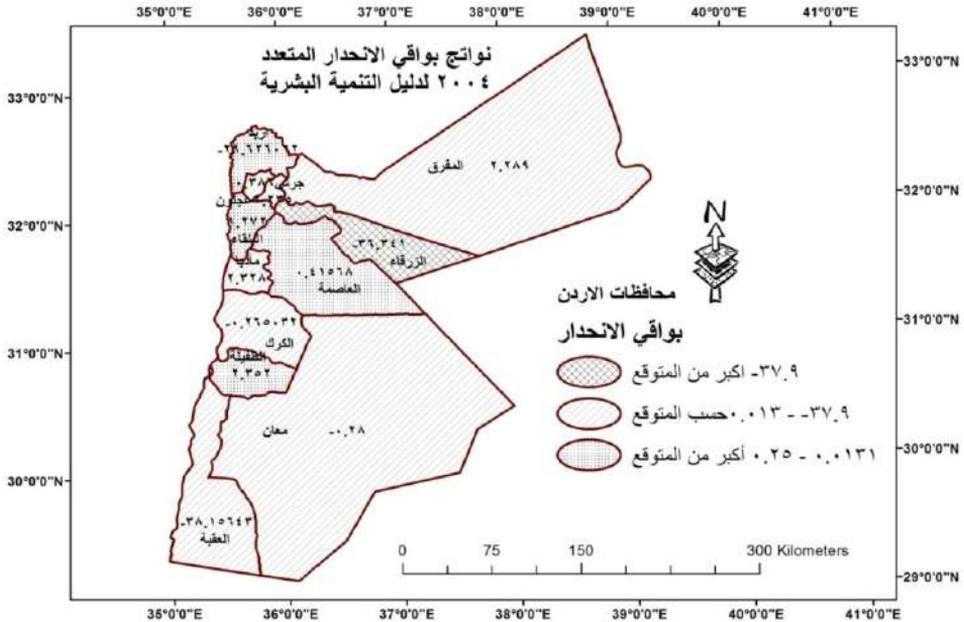
المحافظة	نتائج y	تعليم y	أمد y	القيمة المحسوبة \hat{Y}	القيمة الملاحظة Y	البواقي Residuals
العاصمة	-0.01032	-0.044	0.47	0.41568	0.92	0.25
الطفيلة	0.784	0.784	0.784	2.352	0.682	0.24
إربد	-31.384	0.879	0.879	-29.626	0.879	0.172
البلقاء	-0.0122	0.84972	0.43448	1.272	0.777	0.07
المفرق	0.763	0.763	0.763	2.289	0.763	0.013
جرش	0.745	0.745	0.745	2.235	0.745	0.0071
مأدبا	0.776	0.776	0.776	2.328	0.776	-0.00411
عجلون	0.28	-0.204	0.31	0.386	0.76	-0.01101
العقبة	-38.3716	-0.16308	0.37825	-38.1564	0.772	-0.02
الكرك	-0.16744	-0.12819	0.0306	-0.26503	0.58	-0.3
معان	0.058	0.088	-0.426	-0.28	0.538	-0.33
الزرقاء	-38.059	0.859	0.859	-36.341	0.859	-37.9

المصدر: عمل الباحثين استناداً لمعادلة خط الانحدار

تبين أن جميع البواقي كانت موجبة لمحافظات العاصمة والطفيلة وإربد والبلقاء والمفرق وجرش. أما البواقي السالبة: فكانت في مادبا وعجلون والعقبة والكرك ومعان والزرقاء. وقد جاءت قيمها كالآتي:

- (37,9 -): وتمثل المحافظات التي كانت قيمتها الملاحظة أكبر من المحسوبة، وهي قيمة سالبة، وهي محافظة الزرقاء.
- ما بين (-37,9 - 0,013): وتمثل المحافظات ذات القيمة المتوسطة المتوقعة المحسوبة، وهي محافظات المفرق وجرش ومادبا وعجلون والعقبة والكرك ومعان.
- ما بين (0,013 - 0,25): وتمثل المحافظات التي كانت أقل من المتوقع. وهي العاصمة والطفيلة وإربد والبلقاء، كما في شكل رقم (8).

وكانت القيمة المحسوبة الأكبر من الملاحظة في محافظات العاصمة وإربد والزرقاء، وهي الأعلى؛ ويعود ذلك إلى ارتفاع مستوى التنمية البشرية في المؤشرات الثلاثة، وتركز الخدمات الاجتماعية، وارتفاع نسبة التعليم المهني، وانتشار المشاريع التنموية فيها، والتي توفر فرص العمل، أما محافظات المفرق وجرش ومادبا وعجلون والعقبة والكرك ومعان، فقد كانت القيمة الملاحظة موازية للقيمة المتوقعة، ويعود ذلك إلى ارتفاع دليلي التعليم وأمد الحياة فيها، ويتوقع توزيع البواقي أن محافظة المفرق ستكون ذات تنمية بشرية مرتفعة في المستقبل القريب.



الشكل رقم (8): توزيع البواقي من الانحدار المتعدد لدليل التنمية البشرية حسب المحافظات 2004

المصدر: عمل الباحثين باستخدام Arc Gis 9.3

كانت المحافظة ذات البواقي السالبة محافظة الزرقاء، وهي ذات مستوى مرتفع من التنمية البشرية، وزادت القيمة الملاحظة عن المحسوبة لأنها جاءت أفضل مما هو متوقع. ويشير هذا التوزيع إلى إعادة النظر في تغيير مستويات التعليم، والتركيز على التعليم المهني الذي سيسهم في ارتفاع الدخل، بالإضافة إلى اتباع إجراءات تنظم معدلات الإنجاب لدى الأمهات، وتفعيل دورها في سوق العمل. ويلاحظ من شكل التوزيع أن القيمة الملاحظة الأقل من القيمة المحسوبة كانت في محافظات العقبة ومعان والكرك، وتتوقع القيمة المحسوبة أن تلك المحافظات ستكون ذات تنمية بشرية مرتفعة، كما هو في محافظة العقبة، والتي أسهمت في رفع الناتج المحلي الإجمالي للدولة، كما أن محافظتي معان والكرك ارتفعت فيهما مستويات التعليم حتى عام 2015 وانخفضت فيهما معدلات الأمية. حسب شكل رقم (8).

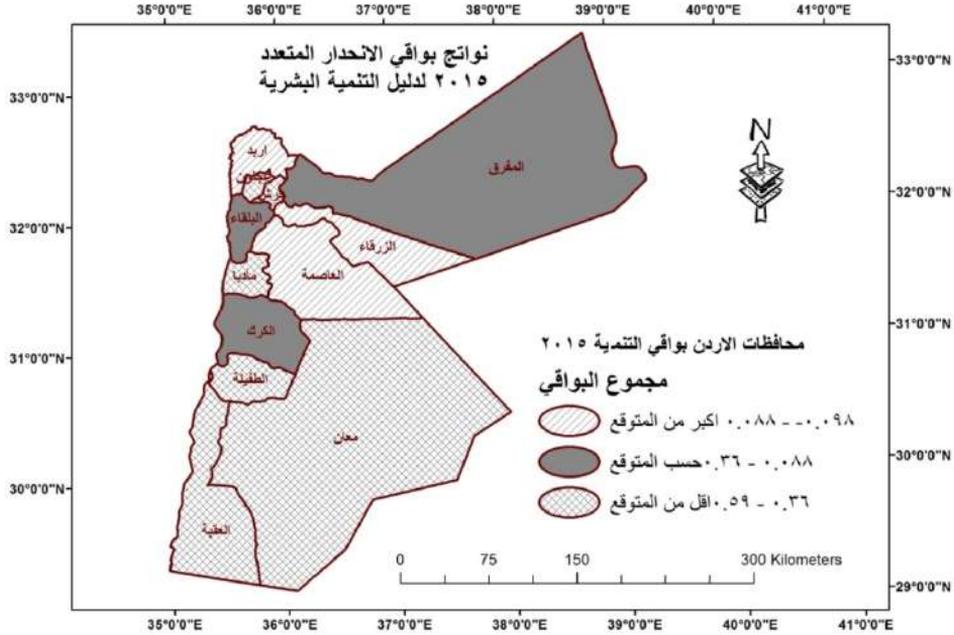
وقد تم، بالطريقة نفسها، عمل انحدار خطي متعدد لدليل التنمية البشرية لعام 2015م ونتج عنه أن تجمعت البواقي السالبة في محافظة العاصمة فقط، فقد كانت القيمة الملاحظة فيها أكبر من المحسوبة، وذلك لارتفاع مستويات الناتج المحلي الإجمالي فيها، الذي ارتفع نتيجة توفر فرص العمل؛ لكثرة الاستثمارات والمشاريع الاقتصادية فيها. أما بقية المحافظات فقد تمثلت مجموع نواتجها موجبة، أي أن القيمة الملاحظة فيها أقل من المحسوبة. والسبب في ذلك التفاوت في مستويات دليل التنمية البشرية بين تلك المحافظات. كما في جدول (9).

الجدول رقم (9): حساب بواقي الانحدار الخطي المتعدد للمتغيرات لعام 2015

المحافظة	دليل التنمية 2015	أمد الحيا y	التعليم y	الناتج y	بواقي أمد الحياة	بواقي التعليم	بواقي الناتج	مجموع البواقي
العاصمة	0.934	0.863	0.949	1.098	0.072	-0.005	-0.164	-0.098
إربد	0.868	0.849	0.942	0.785	0.0189	-0.074	0.082	0.027
الزرقاء	0.868	0.856	0.948	0.716	0.012	-0.076	0.152	0.088
البلقاء	0.812	0.852	0.934	0.392	-0.039	-0.1086	0.42	0.272
المفرق	0.765	0.841	0.921	0.25	-0.07	-0.1556	0.515	0.283
الكرك	0.772	0.845	0.932	0.183	-0.07	-0.160	0.588	0.36
جرش	0.763	0.845	0.939	0.073	-0.081	-0.176	0.690	0.433
مأدبا	0.745	0.841	0.935	0.003	-0.095	-0.176	0.742	0.47
عجلون	0.755	0.809	0.943	-0.076	-0.054	-0.188	0.831	0.59
العقبة	0.729	0.838	0.933	-0.078	-0.10	-0.203	0.807	0.49
معان	0.699	0.837	0.909	-0.107	-0.137	-0.21	0.806	0.46
الطفيلة	0.706	0.834	0.934	-0.222	-0.127	-0.228	0.928	0.57

المصدر: عمل الباحثين استنادا لمعادلة خط الانحدار

وتبين من خلال شكل (9) أن البواقي الموجبة تركزت في جميع المحافظات باستثناء العاصمة، وتم توزيع البواقي كالاتي:
 أكبر من المحسوب ما بين (-0,098 - 0,088) وتركزت القيم الملاحظة الأكبر من المتوقعة في محافظات ثلاث وهي العاصمة وإربد والزرقاء.
 حسب المتوقع ما بين (0,088 - 0,36) وتركزت القيم المتوقعة كما هي الملاحظة في محافظات المفرق والبلقاء والكرك.
 أقل من المتوقع (0,36 - 0,59) وتركزت في المحافظات التي كانت القيمة المحسوبة أكبر من الملاحظة، وهي بقية المحافظات.



الشكل رقم (9): توزيع البواقي من الانحدار المتعدد لدليل التنمية البشرية حسب المحافظات 2015
 المصدر: عمل الباحثين باستخدام Arc Gis 9.3

النتائج

مما سبق، فإن الدراسة توصلت إلى النتائج الآتية:

- 1 - أوضح منحنى لورنز أن مستوى التنمية البشرية المرتفع بين عامي 2004-2015م تركّز في محافظات العاصمة والزرقاء وإربد، وأنه كلما اقترب المنحنى من الـ (100) ارتفع مؤشر التنمية البشرية، وأنه سيكون توزيعاً مثالياً متساوياً مع مساحة المحافظة بعينها، كما في محافظة الزرقاء والعاصمة وإربد، وذلك لارتفاع الكثافة السكانية، وارتفاع النمو السكاني، وتوسع الخدمات فيها.
- 2 - بناءً على نتائج معامل ارتباط بيرسون فإن العلاقة طردية قوية بين مؤشري التعليم والنتائج المحلي الإجمالي ودليل التنمية البشرية في العام 2004م. أما في العام 2015م فكانت العلاقة طردية قوية بين المؤشرات الثلاثة، ولكن مؤشر الناتج المحلي الإجمالي كان الأكثر تأثيراً، والسبب في ذلك التفاوت في معدلات البطالة بين المحافظات، وتركز الخطط التنموية في بعض المحافظات، بينما غيرها يعاني من الفقر ونقص في خطط التنمية والاستثمار فيما بينها. وينتج مما سبق أن الناتج المحلي الإجمالي كان الأقرب في العلاقة مع دليل التنمية البشرية، ثم يأتي بعده دليل التعليم وأمد الحياة.
- 3 - بناءً على اختبار الانحدار الخطي البسيط لمؤشرات التنمية البشرية لعام 2004م فإن مؤشر التعليم فسر (1,00) من الاختلافات في دليل التنمية البشرية لعام 2004 وانخفض إلى (0,46) لعام 2015م، والسبب في ذلك ارتفاع نسبة التعليم الأكاديمي، الذي ساعد في ارتفاع معدلات البطالة، وانخفاض نسبة التعليم المهني. وأن الناتج المحلي الإجمالي فسر (0,97) من الاختلافات في دليل التنمية البشرية لعامي 2004 و2015م، وستكون الأكثر تأثيراً على المدى البعيد في مستويات التنمية البشرية في الأردن.
- 4 - وأظهرت نتائج الانحدار الخطي المتعدد لعام 2004م بين المحافظات أن جميع البواقي كانت موجبة لمحافظات العاصمة والطفيلة وإربد والبلقاء والمفرق وجرش. أما البواقي السالبة فكانت في مادبا وعجلون والعقبة والكرك ومعان والزرقاء. وكانت الزرقاء الأكبر تركيزاً ويعود السبب في ذلك إلى ارتفاع مستويات التعليم المهني فيها. أما نواتج بواقي الانحدار الخطي المتعدد للمحافظات لعام 2015م فتركزت في محافظة العاصمة، وذلك لارتفاع دليل التنمية البشرية، وتركز الخدمات والمشاريع الاقتصادية، وتحسن الوضع الصحي فيها. أما بقية المحافظات فكانت بواقيها موجبة، منها ما هو حسب المتوقع، ومنها ما هو أقل من المتوقع.

التوصيات

توصي الدراسة دائرة الإحصاءات العامة بإجراء مسح لمتغير الناتج المحلي الإجمالي لكل المحافظات الأردنية من أجل إيجاد قيمة دليل التنمية البشرية. بالإضافة إلى الطلب من الجهات المختصة بضرورة إعادة النظر في آلية عمل خطط التنمية بين المحافظات. وتطوير مؤشرات تنموية وتوجيه التنمية في المحافظات البعيدة عن إقليم الوسط، وتشجيع المشاريع الإنتاجية، وإقامة المشاريع الكبرى، مع إعطاء تسهيلات للمستثمرين في تلك المحافظات، ليتم إعادة توزيع السكان بين محافظات المملكة.

Spatial Variation Analysis of the Human Development Index in the Governorates of Jordan for the Period of (2004-2015)

Ebtisam Marey, Ahmad khawaldeh and Issa El-Shair, *Geography Department, Yarmouk University, Irbid, Jordan.*

Abstract

The study aims to measure The Human Development Index and its variances between the Jordanian *governorates* for the period of (2004-2015). Using Descriptive, Analytical Approach in the calculation of the Human Development Index and ArcGIS 9.3 software and the Statistical Package for Social Sciences (SPSS), using data from the Department of Statistics. The study has concluded that the high levels of Human Development have been concentrated on three major cities which are: Amman, the Capital, Irbid, and Zarqa. Using the Pearson Correlation Coefficient as a measure, the study has come to this conclusion: there is a direct proportionality between a strong Education Index and GDP and Human Development Index in 2004. In 2015, the direct proportionality was strong among most indicators but the GDP index was the most influential due to the variations of unemployment rates in the cities and the concentration of development projects on certain cities while other cities suffer from the lack of any development plans and projects.

Keywords: Human Development Index, Education Index, Life Expectancy Index, GDP Index.

الهوامش

- 1 - الحبيس، محمود عبد الله، (2011)، التباين التنموي المكاني في الأردن، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، المجلد 49، العدد 2، ص ص 180-202، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.
- 2 - برنامج الأمم المتحدة الإنمائي (UNDP)، تقرير التنمية البشرية لعام 2013 و 2014م.
- 3 - مرجع سابق، تقرير التنمية البشرية 1990-2014م، فهرس المؤشرات.
- 4 - العجلان، نورة، (2011)، أبعاد ومؤشرات التنمية البشرية، ورقة قدمت في ملتقى المرأة السعودية والتنمية، السعودية.
- 5 - Meier & Baldwin, (1957). *Economic Development*, page (44- 76), Newyork.
- 6 - *Human Development Report*, New York, UNDP,2014.
- 7 - دائرة الإحصاءات العامة ، الكتاب الإحصائي السنوي، 2014.
- 8 - www.hpc.jo.org.
- 9 - مرجع سابق، تقرير التنمية البشرية، 2014، 2013.
- 10 - مرجع سابق، تقرير الأمم المتحدة، 2014م.
- 11 - *Rferance Source*. UNDP,2014.
- 12 - www.hpc.jo.org (تقرير حالة السكان 2015م).
- 13 - www.moe.gov.jo
- 14 - www.dos.gov.jo
- 15 - شحادة، نعمان، (1997)، الأساليب الكمية في الجغرافيا باستخدام الحاسوب، ط1، دار صفاء، عمان - الأردن، ص ص 32 - 49.
- 16 - الصالح، السرياني، 2001، "الجغرافية الكمية والإحصائية أسس وتطبيقات بالأساليب الحاسوبية الحديثة"، ط2، مكتبة العبيكان، الرياض - المملكة العربية السعودية، ص ص 110-130.
- 17 - مرجع سابق، دائرة الإحصاءات العامة، تقرير حالة السكان، 2015.
- 18 - هيكل، عبد العزيز، (1974)، مبادئ الأساليب الإحصائية، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، ص ص 44-96.
- 19 - أبو عياش، عبد الإله، (1984)، الإحصاء والكمبيوتر في معالجة البيانات مع تطبيقات جغرافية، وكالة المطبوعات، جامعة الكويت.
- 20 - الشاعر، عيسى، (2006)، التنمية البشرية في محافظة إربد وفق معايير الأمم المتحدة، محاضرات منشورة، جامعة اليرموك، إربد.

المراجع

المراجع العربية

- أبو عياش، عبد الإله، (1984)، الإحصاء والكمبيوتر في معالجة البيانات مع تطبيقات جغرافية، وكالة المطبوعات، جامعة الكويت.
- الحبيس، محمود عبد الله، (2013)، تباين معاملات التوطن الصناعي في الأقاليم التنموية بالأردن، مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد 41، العدد 1، ص ص 165-198، جامعة الكويت، الكويت.
- الحبيس، محمود عبد الله، (2011)، التباين التنموي المكاني في الأردن، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، المجلد 49، العدد 2، ص ص 180-202، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.
- الخالدة، أحمد، (2008)، مستويات واتجاهات الهجرة الداخلية في الأردن استناداً لنتائج التعداد العام للسكان والمساكن 2004، الأبحاث التحليلية، دائرة الإحصاءات العامة، ص ص 129-214، الأردن- عمان.
- الدليمي، محمد خلف، والموسى، فواز أحمد، (2009)، جغرافية التنمية مفاهيم ونظريات وتطبيق، ط 1، دار الفرقان للغات، سوريا.
- الصالح، السرياني، 2001، "الجغرافية الكمية والإحصائية أسس وتطبيقات بالأساليب الحاسوبية الحديثة" ط 2. مكتبة العبيكان، الرياض- المملكة العربية السعودية.
- الشاعر، عيسى، (2006)، التنمية البشرية في محافظة إربد وفق معايير الأمم المتحدة، محاضرات منشورة، جامعة اليرموك، إربد.
- العايدي، يوسف، وأبو صبحه، كايد، (2013)، قياس التنمية البشرية في إقليم وادي الأردن، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 40، العدد 2، عمان- الأردن.
- العجلان، نورة، (2011)، أبعاد ومؤشرات التنمية البشرية، ورقة قدمت في ملتقى المرأة السعودية والتنمية، السعودية.

برنامج الأمم المتحدة الإنمائي (UNDP). تقرير التنمية البشرية لعام 2009 و 2010 و 2011 و 2012 و 2013 و 2014م.

دائرة الإحصاءات العامة، مؤشر المحافظات 2006-2009، تقارير غير منشورة، مكتب إربد- إقليم الشمال. إربد، الأردن.

شحادة، نعمان، (1997)، الأساليب الكمية في الجغرافيا باستخدام الحاسوب، ط1، دار صفاء، عمان - الأردن.

هيكل، عبد العزيز (1974)، مبادئ الأساليب الإحصائية، دار النهضة العربية، بيروت.

المراجع الأجنبية

Anand, S., & Harris, J.C. (1994), *Choosing a welfare/indicator. American Economic Review*, 84 (2), 226-231.

Alkire, S. (2002). Dimensions of human development. *World Development*, 30(2), 181-205.

Elshair, I. (2007), Geographic Pattern of Human Development in South west Asia: A Partial Correlation Analysis, *Abhath Alyarmouk*. Irbid. Jordan

Human Development Report, New York, UNDP, 1990.

Human Development Report, New York, UNDP, 2014.

Meier & Baldwin, (1957). *Economic Development*, page 44 - 79 Newyork.

المواقع الإلكترونية

- <http://www.moe.gov.jo> تم الاطلاع بتاريخ 2015/6/20 م .

- <http://www.albankaldawli.org/ar/country/jordan> تم الاطلاع بتاريخ 2015/6/11م.

- www.hpc.gov.jo تم الاطلاع بتاريخ 2016/2/13.

- www.dos.gov.jo تم الاطلاع بتاريخ 2016/2/20.

دور العلاقات العامة في التسويق السياحي الخارجي للأردن – دراسة استطلاعية (دراسة حالة مدينة البتراء)

يوسف سامي أبو عيد *

تاريخ الاستلام 2016/9/28

تاريخ القبول 2016/12/11

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى إظهار أهمية العلاقات العامة ودورها في التسويق السياحي الخارجي، ومع زيادة المنافسة الدولية أصبح لا بد من عمل نشاطات التسويق السياحي الخارجية، ولكن لا بد أن تكون هذه النشاطات مخططة ومناسبة للفئات المستهدفة وتراعي مبادئ معينة.

في مجال التسويق السياحي الخارجي، لا شك أنه توجد أهمية كبرى لفنون الاتصال مثل العلاقات العامة الدولية، الإعلان، اللوبي، الدعاية، والدبلوماسية، ومع هذه الوسائل توجد أهمية لوسائل العلاقات العامة الدولية مثل: الوسائل المكتوبة، المرئية والمسموعة والإلكترونية والمعارض الدولية.

استخدم الباحث المنهج الوصفي (دراسة استطلاعية) في تنفيذ الدراسة من خلال رصد وتحليل حملة العلاقات العامة لترويج البتراء سياحياً على المستوى الدولي. ولكن يجب استخدام هذه الوسائل ضمن برنامج علاقات عامة وبالتنسيق مع فنون الاتصال الأخرى وبدعم من الدولة.

توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها: عدم كفاية جهود العلاقات العامة الدولية التي نفذتها هيئة تنشيط السياحة، وقصور الشراكة بين القطاعين العام والخاص في مجال الترويج السياحي.

الكلمات المفتاحية: العلاقات العامة، التسويق السياحي الخارجي، مدينة البتراء، الدبلوماسية، الدعاية، الإعلان، اللوبي.

المقدمة:

تطورت السياحة الخارجية بعد الحرب العالمية الثانية بشكل ملحوظ في النصف الثاني من القرن العشرين، وذلك نتيجة لتطور وسائل الاتصال ووسائل النقل وزيادة الأماكن الآمنة في العالم وزيادة دخل العاملين. أصبحت السياحة الخارجية تحقق الراحة الشخصية وتدعم اقتصاد الدول

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2017.

* قسم العلاقات العامة والإعلان، كلية الإعلام، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

المتطورة والنامية. نظراً للأهمية الاقتصادية العالية للسياحة تسعى كل دولة إلى أن تحصل على حصة أكبر منها وتعمل الدول السياحية على تنظيم نشاطاتها الترويجية لإقناع السياح المحتملين بزيارة المناطق السياحية في الدولة. يمكن للشركات السياحية الموجودة في بلد ما أن تسوق نفسها ولكن إذا كانت هذه الجهود مدعومة من قبل الدولة وبالتنسيق معها فإن ذلك يزيد من تأثيرها. تعدّ مصداقية النشاطات الترويجية للشركات التي لها علاقة بالسياحة بشكل مباشر أو غير مباشر ذات أهمية بالغة من حيث سمعة الدولة واحترامها. وستركز هذه الدراسة على حملة العلاقات العامة للترويج للبتراء من جانب تحليل الوضع، وتحديد الأهداف والجمهور، ووسائل العلاقات العامة والميزانية، وتقييم النتائج للوقوف على الجوانب الإيجابية وتلافي الجوانب السلبية.

أولاً: مشكلة الدراسة

يتزايد الاهتمام بالعلاقات العامة وأهميتها في جميع المجالات، وخاصة في مجال التسويق السياحي الخارجي. في عام 2007 حازت البتراء على المرتبة الثانية في مسابقة عجائب الدنيا السبع الجديدة. فحسب إحصاءات وزارة السياحة والآثار الأردنية فإن عدد السياح الذين يزورون هذه المدينة الأثرية لا يتجاوز مليون سائح سنوياً. وتسعى هذه الدراسة إلى التعرف إلى نشاطات العلاقات العامة الدولية الهادفة إلى تسويق مدينة البتراء دولياً، وتركز على تقييم هذه النشاطات بشكل حملة علاقات عامة. ومن هنا تبرز مشكلة الدراسة في السؤال التالي: ما دور حملات العلاقات العامة في الترويج السياحي لمدينة البتراء؟

ثانياً: تساؤلات الدراسة

- 1- ما دور العلاقات العامة في الترويج السياحي للأردن؟
- 2- ما دور حملة العلاقات العامة التي نفذتها هيئة تنشيط السياحة في الأردن؟
- 3- ما الأدوات والوسائل الاتصالية المستخدمة في ترويج البتراء سياحياً خارج الأردن؟
- 4- ما مستوى تطبيق نشاطات العلاقات العامة الدولية في التسويق السياحي للبتراء خارج الأردن؟

ثالثاً: أهمية الدراسة

تتبع أهمية هذه الدراسة من كونها تهتم بدور العلاقات العامة الخارجية في الترويج السياحي الخارجي للأردن، وكيفية استخدامها في تحقيق تطلعات الدولة في المجال السياحي؛ حيث لا يوجد إدراك من قبل المؤسسات الرسمية وغير الرسمية لدور العلاقات العامة وأهميتها في التسويق السياحي.

رابعاً: أهداف الدراسة

تحاول هذه الدراسة أن تحقق الأهداف الآتية:

- 1- التعرف إلى دور العلاقات العامة في الترويج السياحي للأردن.
- 2- التعرف إلى دور حملة العلاقات العامة التي نفذتها هيئة تنشيط السياحة على المستوى الخارجي.
- 3- التعرف إلى الأدوات والوسائل الاتصالية المستخدمة في ترويج البتراء سياحياً.
- 4- قياس مستوى تطبيق نشاطات العلاقات العامة في التسويق السياحي للبتراء.
- 5- بناء تصور إيجابي حول أهمية العلاقات العامة الدولية، وأهمية الاستفادة منها في التسويق السياحي الخارجي لمدينة البتراء.
- 6- تقديم الاقتراحات والتوصيات الهادفة لزيادة عدد السياح الأجانب الزائرين للبتراء.

خامساً: حدود الدراسة

الحدود المكانية: تتمثل الحدود المكانية لهذه الدراسة في الأردن واختيرت حملة ترويج مدينة البتراء بوصفها معلماً بارزاً من معالم الأردن السياحية.

الحدود الزمانية: عام 2014.

الحدود الموضوعية: حملة العلاقات العامة الخارجية من قبل هيئة تنشيط السياحة الأردنية للتسويق السياحي لمدينة البتراء.

سادساً: منهج الدراسة

استخدم الباحث المنهج الوصفي (دراسة استطلاعية)، وتم اختيار حملة العلاقات العامة في تسويق السياحة الخارجية لمدينة البتراء. تم دراسة الحملة وتحليل أهدافها ورؤيتها والأدوات والوسائل الاتصالية المستخدمة فيها.

سابعاً: الدراسات السابقة

أولاً: الدراسات العربية :

أولاً: دراسة (صارم 2008): هدفت الدراسة للتعرف إلى دور الإعلان عبر الإنترنت في تسويق الخدمات السياحية في سوريا، من خلال الدراسة المسحية التحليلية للمواقع السياحية الإلكترونية السورية، وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية⁽¹⁾:

- وجود تأثير ذي دلالة للإعلان على صناعة السياحة، إن يعتمد السياح بنسبة كبيرة على الإعلان السياحي في اتخاذهم لقرار السياحة والسفر.
- ضعف الإعلام السياحي يؤثر سلباً على كفاءة التسويق السياحي في الساحل السوري.
- ضرورة وضع إستراتيجيات تسويقية فاعلة تنظر إلى السائح المحلي والعربي والأجنبي كقيمة عليا، وتتسابق لخدمته وضمان رضاه، وتعمل على تطوير هذه الإستراتيجيات على الدوام لتواكب المتغيرات البيئية والاجتماعية والاقتصادية.
- تطوير الإعلان السياحي شكلاً ومضموناً ليقوم بدوره في تسويق السياحة بالشكل الأمثل .

ثانياً: دراسة (دياب 2010): هدفت الدراسة للتعرف إلى أهمية العلاقات العامة الدولية على المستوى الدولي، ومدى أهمية تطبيق مبادئ العلاقات العامة الدولية في المجال الدبلوماسي، ودور تطبيق المبادئ في خلق سمعة دولية إيجابية للبلد. واستخدم الباحث المنهج الوصفي (مسح ميداني) وتوصلت هذه الدراسة إلى النتائج التالية⁽²⁾:

- أن العلاقات العامة والدبلوماسية العامة متهيئتان الآن للتعامل مع متغيرات العصر الجديد في العالم أجمع، بما فيها الدول النامية والدول العربية على وجه العموم ؛ لأنهما وجدتا المناخ الملائم لهما من سهولة الانتقال، وسرعة الحصول على المعلومات، والتبادل الإعلامي والمؤسساتي الدولي السريع.

- أن العلاقات العامة الدولية ووظيفة من وظائف السلك الدبلوماسي، حيث أصبحت من المهام الأساسية للبعثات الدبلوماسية العاملة في الخارج.

ثانياً: الدراسات الأجنبية:

أولاً: دراسة: (1994 GÜRSON) : تناولت الدراسة الإمكانيات السياحية التي تتمتع بها مدينة إسطنبول التركية، وسبل الاستفادة من العلاقات العامة الدولية في الترويج السياحي الخارجي للمدينة، وقد توصلت هذه الدراسة إلى النتائج التالية⁽³⁾:

- الاهتمام بالدعاية المضادة والرد على الادعاءات والافتراءات التي تتعرض لها تركيا ومدينة إسطنبول.

- استخدام العلاقات العامة الدولية في الدبلوماسية التركية بحيث تخرج من الأسلوب الروتيني إلى الشكل الفاعل الذي يستطيع أن يعرّف بتركيا بأفضل شكل.

- الترويج لإسطنبول كعلامة تجارية بحيث يتم التعريف بما يميز إسطنبول عن باقي المدن السياحية العالمية.

- عمل مكانة دولية لإسطنبول بحيث تكون المركز الفني والثقافي لأوروبا.

- ثانياً: دراسة (Taylor 2006):** تناولت الدراسة الاختلاف الثقافي والاجتماعي والسياسي ما بين الشعوب في مجال العلاقات العامة الدولية، وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية⁽⁴⁾:
- يجب دراسة وتقييم الاختلاف الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي والتكنولوجي ما بين الشعوب في مجال العلاقات العامة الدولية.
 - يجب أخذ خصائص الشعوب المختلفة بالاعتبار في نشاطات العلاقات العامة الدولية والتركيز على الجوانب الاجتماعية والثقافية للدول.

- ثالثاً: دراسة (ARIONESEI And Ivan 2012) :** تناولت هذه الدراسة بالبحث والتحليل التسويق السياحي لمدينة Bucovina الرومانية، وقد توصلت إلى ما يلي⁽⁵⁾:
- هناك دور كبير تقوم به العلاقات العامة الدولية في التسويق للمنتج السياحي الروماني، ويعد هذا الدور أكبر من الدور الذي تقوم به وسائل الترويج الأخرى.
 - على العلاقات العامة الدولية أن تركز على التخطيط البعيد المدى، حتى تتمكن من خلق صورة إيجابية في ذهن السائح عن المنتج السياحي لرومانيا بشكل عام ولمدينة Bucovina بشكل خاص.

- رابعاً: دراسة (Becerikli, Kilic 2012):** تناولت الدراسة العلاقات العامة الدولية لدول أوروبا الشرقية وتوصلت إلى النتائج التالية⁽⁶⁾:
- عند دراسة العلاقات العامة الدولية لدولة ما يجب الوقوف على الجوانب الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية والتكنولوجية للدولة.
 - يجب تقييم هذه الجوانب من أجل فهم طبيعة العلاقات العامة الدولية لتلك الدولة بشكل مفصل.

استفاد الباحث من الدراسات السابقة من خلال الاطلاع على جوانبها النظرية والعملية في أهمية العلاقات العامة في مجال التسويق السياحي الخارجي، ووظف الباحث هذه الدراسات في مجال إبراز أهمية العلاقات العامة في التسويق السياحي الخارجي. وما يميز هذه الدراسة عن الدراسات السابقة تركيزها على الجانب العملي، من خلال حملة العلاقات العامة للتسويق السياحي الخارجي للبتراء، أكثر من تركيزها على المعلومات النظرية التي تبرز أهمية العلاقات العامة في هذا المجال، كما تناولت الدراسات السابقة. لذا يؤمل أن تضيف هذه الدراسة لبنة جديدة على المستويين النظري والعملي.

التعريفات الإجرائية:

العلاقات العامة: الجهود الإدارية المقصودة والمخططة والمستمرة، التي تهدف إلى إقامة وتدعيم التفاهم المتبادل بين المنظمة وجماهيرها⁽⁷⁾.

التسويق السياحي: النشاط الإداري والفني الذي تقوم به المنظمات والمنشآت السياحية داخل الدولة وخارجها لتحديد الأسواق السياحية المرتقبة، والتعرف إليها والتأثير فيها، بهدف تنمية الحركة السياحية القادمة منها، وتحقيق أكبر قدر من الإيرادات السياحية⁽⁸⁾.

السياحة الخارجية: "إقامة الأجانب بشكل مؤقت في بلد ما شريطة ألا تكون الإقامة بهدف الربح"⁽⁹⁾.

الإطار النظري للبحث:

أولاً: أهمية السياحة الخارجية: للسياحة الخارجية فوائد عديدة منها: فوائد اقتصادية، وفوائد اجتماعية، وفوائد سياسية، وفوائد صحية.

(أ) الفوائد الاقتصادية: يمكن تلخيص الفوائد الاقتصادية للسياحة الخارجية بما يأتي:

- زيادة الدخل القومي.
- ارتفاع قيمة عملة الدولة السياحية نتيجة زيادة الطلب عليها.
- تحويل الإمكانات السياحية والخدمات التي لا يمكن تصديرها إلى مصدر للعملة الصعبة.

(ب) الفوائد الاجتماعية: يؤثر السياح الأجانب في المواطنين من الناحية الثقافية والتفكير والعلاقات الشخصية واللباس وطبيعة الحياة، وهذا التأثير يكون أوضح في الدول غير المتطورة والنامية، ومن جهة أخرى يتأثر السياح الأجانب بثقافة الدول المضيفة، وخصوصاً إذا كانت هذه الدول غنية من الناحية الثقافية والفنية، وقد تترك إعجاباً لدى السياح بها⁽¹⁰⁾.

(ج) الفوائد السياسية: تقرب السياحة العلاقات ما بين الشعوب، وتسهم في تحقيق السلام العالمي. لذلك فإن السياحة أصبحت رمزاً من رموز السلام والتآخي بين الدول، ويرجع ذلك إلى عدد من الاعتبارات المهمة، وهي:

- إسهام السياحة في تحقيق التقارب السياسي بين شعوب العالم من خلال الحركة السياحية القادمة إليها بشكل مستمر ومكثف.
- دور السياحة الملموس في كسب الرأي العام العالمي وتأييده لمختلف القضايا.
- الأثر السياحي البارز في حل الكثير من المنازعات والمشكلات الدائرة بين الدول⁽¹¹⁾.

د) **الفوائد الصحية:** تعدّ الثروات الطبيعية وخصوصاً المياه المعدنية وسيلة مهمة للراحة الجسدية والفكرية.

- **ثانياً: عناصر نجاح التسويق السياحي الخارجي:** هناك عدة عناصر يجب توفرها لنجاح التسويق السياحي الخارجي، هذه العناصر هي: الشراء والبيع وتطوير البيع، المواصلات والجودة، التمويل والأبحاث.

- الشراء والبيع وتطوير البيع: الشراء عبارة عن شراء كل ما يلزم الشركة السياحية من بضاعة وخدمات.

- المواصلات والجودة: يجب توفر مواصلات حديثة لتنقلات السياح الأجانب بسهولة ويسر، وكذلك يجب تقديم خدمات ذات جودة عالية لهم.

- التمويل والأبحاث: يعدّ تخصيص الميزانية المناسبة للتسويق السياحي الخارجي من الأسباب الرئيسية لنجاح هذه النشاطات، وتشمل الميزانية تحديد النفقات اللازمة، وتأمين مصادر النفقات، وضبط هذه النفقات ونشاطات زيادة إنفاق السائح الأجنبي.

ثالثاً: السوق السياحي الخارجي: السوق السياحي الخارجي هو السوق السياحي الموجود خارج حدود الدولة. تقسم الشركات السياحية السوق السياحي العالمي إلى أقسام مثل: أمريكا الشمالية، أوروبا، آسيا، أمريكا اللاتينية⁽¹²⁾.

1- أشكال الدخول للسوق السياحي الخارجي: هناك عدة أشكال للدخول إلى السوق السياحي الخارجي، يمكن تلخيصها كالتالي⁽¹³⁾:

- بيع الخدمات في الخارج: تستخدم هذه الطريقة من قبل الشركات الصغيرة والمستقلة حيث يتم إرسال فريق إلى الخارج، أو الاتحاد مع الشركات العالمية.

- نقل التكنولوجيا: يتم نقل التكنولوجيا عن طريق بناء فنادق في الخارج مثل فنادق هيلتون، شيراتون، ميريديان⁽¹⁴⁾.

2- تقسيم السوق السياحي الخارجي: يمكن تقسيم السوق السياحي الخارجي إلى ثلاثة أقسام:

- سياحة العطل: يكون هذا النوع من السياحة في مواسم معينة، يعطي السياح أهمية لتقلبات الأسعار، لذلك على الشركة السياحية ضبط الأسعار بشكل مناسب.

- سياحة العمل: تحدد الدول التي يزورها السياح الأجانب حسب نوع العمل، ولكن يمكن عمل مؤتمرات ومعارض في أماكن معينة من أجل جذب المزيد من السياح.

- السياحة من أجل أهداف متعددة: يمكن أن يكون هذا النوع من السياحة من أجل زيارة الأهل، التعليم، الرياضة والدين⁽¹⁵⁾.

رابعاً: استخدام العلاقات العامة في التسويق السياحي: تستخدم في التسويق السياحي الخارجي فنون الاتصال التالية: العلاقات العامة، الإعلان، اللوبي، الدعاية والدبلوماسية.

1- العلاقات العامة: العلاقات العامة هي عبارة عن جهود منظمة تقوم بها المؤسسة بهدف تطوير الخدمات التي تقدمها من خلال التأثير في الرأي العام⁽¹⁶⁾. ويمكن تعريف العلاقات العامة الدولية، بأنها الجهود المنتظمة والمدروسة الهادفة إلى إقامة علاقات مشتركة ومفيدة ما بين المؤسسة أو الحكومة والشعوب الأخرى التي تتأثر أو تؤثر في نشاطاتهم. قد تكون العلاقات العامة الدولية بعدة أشكال، فقد تكون عبارة عن استضافة بسيطة أو ترويج بسيط، وقد تشمل الدبلوماسية وبناء علاقات إستراتيجية. وتعد العلاقات العامة الدولية من أكثر الوسائل المستخدمة في التسويق السياحي الخارجي، ولكي تكون أكثر تأثيراً في هذا المجال يجب مراعاة الأمور التالية:

- تحديد رغبات السياح الأجانب: هناك ضرورة لأن تكون نشاطات العلاقات العامة الدولية مناسبة للمجتمع المستهدف.
- كون المنتج السياحي موجهاً لفئات عديدة على المستوى الدولي، على العلاقات العامة الدولية أن تكون ذات مقدرة على الاتصال بجميع هذه الفئات.
- يجب أن تبني نشاطات العلاقات العامة الدولية في التسويق السياحي الخارجي على الصدق، وأن تعطى معلومات مفيدة وواضحة عن المنتج السياحي، وكذلك مراعاة تنوع الرسالة حسب المجتمع المستهدف.

العلاقات العامة لا تهدف بشكل مباشر إلى الكسب المادي، ولكن تهدف على المدى البعيد إلى استمرار الشركة السياحية وتطويرها وتوسعها. ورجل العلاقات العامة الذكي هو الذي يراقب التغيير في أفكار السائح، وينسق مع رجال التسويق بخصوص تغيير الخدمات السياحية وتطويرها، ويتم تقديمها للسياح بالتعاون مع العلاقات العامة⁽¹⁶⁾.

إن تطوير سمعة جيدة للدولة يتكون من مرحلتين أساسيتين:

- تحديد سمعة الدولة عن طريق عمل الأبحاث العلمية.
- إذا كانت سمعة الدولة سلبية فينبغي تحويلها إلى إيجابية، وإذا كانت إيجابية فينبغي تقوية هذه السمعة وتنظيم حملات علاقات عامة دولية⁽¹⁷⁾.

وتكون خطة العلاقات العامة على أكثر من شكل، ولكن خبراء العلاقات العامة يفضلون الخطة على الشكل التالي⁽¹⁸⁾:

- تحليل الوضع: أول مرحلة في حملة جمع المعلومات، فإذا ما تم تحليل الوضع بشكل جيد فإنه سيحدد الوضع السياحي الموجود.
- تحديد الأهداف: يجب أن تحدد الأهداف بشكل جيد، وأن تكون هذه الأهداف واقعية ومنطقية.
- تحديد الفئات المستهدفة: يجب اختيار الأسواق السياحية الخارجية التي سيتم الوصول إليها.
- اختيار وسائل الإعلام المناسبة: يتم اختيار وسائل الإعلام التي تناسب السياح الأجانب.
- الميزانية: يجب أن تكون ميزانية العلاقات العامة الدولية في التسويق السياحي الخارجي كافية لضمان استمرارية النشاطات على مدار العام.
- تقييم النتائج: التقييم الجيد يحدد النقص والأخطاء ويقوم بتصويبها.

2- الإعلان: يعدّ الإعلان أداة من أدوات تطبيق حملات العلاقات العامة، ويستخدم الإعلان في التسويق السياحي الخارجي بهدف تعريف السياح المحتملين بالإمكانيات السياحية الموجودة في البلد، عن طريق شراء مساحة أو وقت من وسائل الإعلام المختلفة، وهناك عدة نقاط يجب أن يركز عليها الإعلان في التسويق السياحي الخارجي من أجل التأثير على السياح الأجانب، ويمكن تلخيص هذه الأمور فيما يأتي⁽¹⁹⁾:

- الدعوة للسفر: ندعوكم معنا لرحلة ممتعة ومليئة بالمرح، بشكل عام فإن هذه الكلمات تؤثر في السياح الأجانب حتى لو كانت الرحلة مكلفة.
- البحث عن الراحة والجمال: هنا يتم خطاب الاحتياجات الداخلية للسياح الأجانب.
- الدعوة لمعرفة الأشياء الغريبة وغير المعروفة: الإعلانات التي تدعو للذهاب إلى المناطق البعيدة وغير المعروفة ناجحة، مثال على ذلك الغوص في البحار والمحيطات.
- مخاطبة حنين السياح الأجانب للماضي: الأماكن التاريخية، أرض الأجداد وأرض البطولات.
- التأثير على الحس الديني من أجل التقرب إلى الله، والدعوة للذهاب إلى الأماكن المقدسة من أجل مغفرة الذنوب.
- يجب أن يكون الإعلان في مجال التسويق السياحي الخارجي مبنياً على أسس علمية من حيث تحديد الفئات المستهدفة، وعمل دراسة عن خصائص هذه الفئات، ومن ثمّ تحديد وسائل

الإعلام المناسبة للوصول إلى هذه الفئات والتأثير عليها؛ من أجل ضمان وصول أكبر عدد ممكن من السياح الأجانب إلى الدولة السياحية.

3- اللوبي: يعرف اللوبي بأنه الجهود الهادفة إلى التأثير على أصحاب القرار وواضعي القانون وإعطائهم معلومات بهذا الاتجاه. وللوبي أهمية على مر الزمن وفي كل نظام سياسي، ولكنه اكتسب أهمية خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية وأصبح من أهم المهن⁽²⁰⁾. ويفسر اللوبي كالعلاقات العامة من حيث تشكيل الرأي العام، ولكن الفرق بينه وبين العلاقات العامة أن أهدافه سياسية. ويستخدم اللوبي الوسائل التالية في التسويق السياحي الخارجي⁽²¹⁾:

- الاتصال المباشر.
- استئجار شركات اللوبي.
- عقد الاجتماعات.
- المشاركة في النشاطات الاجتماعية.
- إعطاء معلومات لواضعي القانون.
- حملات العلاقات العامة.
- العلاقات الجيدة مع وسائل الإعلام، خاصة الوسائل التي يمتلكها المجموعات المؤثرة.
- اللوبي غير المباشر.

الهدف الأساسي من الاستفادة من وسائل اللوبي المختلفة في التسويق السياحي الخارجي التأثير على صانعي القرار لضمان اتخاذهم قرارات تصب في مصلحة الدولة السياحية.

4- الدعاية الإعلامية: هي عبارة عن نشاط اتصالي يعني بالتأثير والفاعلية التي تحققها الرسالة الإعلامية في الجمهور المستهدف. ومن هنا فإن الدعاية علم قائم على دراسة الرموز واستثمارها بصورة تؤدي إلى تشكيل أفكار المتلقين ومواقفهم، ومن ثم سلوكهم⁽²²⁾.

ومن أجل دعاية إعلامية ناجحة في التسويق السياحي الخارجي يجب مراعاة الأمور التالية⁽²³⁾:

- يجب أن تكون الدعاية الإعلامية صادقة، وبشكل خاص في عرض الخدمات المقدمة.
- عدم المبالغة في عرض إمكانيات الدولة السياحية، لأنها تخلق الشك، وبالتالي تؤثر على الطلب السياحي الخارجي، وعدم اللجوء إلى عبارات مثل (الأرخص، الأجمل، الأفضل، الأكبر، الأكثر راحة...).
- تأثير وسائل الدعاية الإعلامية غير محدد، إذ إن السياحة الخارجية موجهة لشعوب مختلفة، وبالتالي التأثير يختلف من شعب إلى آخر.
- الاستفادة من مواطني الدولة السياحية الدارسين في الخارج في التسويق السياحي لبلدهم، يحقق نتائج إيجابية وخصوصاً إذا كانت هذه الجهود منظمة.

5- الدبلوماسية: هي فن إدارة العلاقات الدولية بالطرق والوسائل السلمية، وبمعنى آخر إدارة العلاقات بين الدول عن طريق اللقاءات والمباحثات⁽²⁴⁾. ويمكن إيجاز العلاقات العامة الدبلوماسية في النقاط التالية⁽²⁵⁾:

- التركيز على النقاط المشتركة (المصالح المشتركة).
- عمل أجواء إيجابية في دبلوماسية القمة (وجهات النظر المتقاربة).
- العمل ضمن إستراتيجية تهدف إلى خلق سمعة جيدة للدولة خصوصاً لدى الدول الكبرى.
- الاستفادة من الممثلين والرياضيين ورجال الأعمال والسياسيين المشهورين من أجل تحسين علاقة الدولة بالدول الأخرى.
- التركيز على إستراتيجية إعطاء المعلومات الحقيقية في الدولة، والتي تهتم الدول الأخرى.
- دبلوماسية حسن النية عن طريق اتخاذ خطوات إيجابية نحو الدول الأخرى، وهذا النوع من الدبلوماسية يكسب الدولة سمعة جيدة .

إن الاستفادة من العلاقات العامة الدولية في الدبلوماسية يجعل الدولة أكثر تأثيراً في الرأي العام الخارجي وفي حل المشاكل الدولية بالمباحثات، وتعمل على بناء علاقات دولية مبنية على الثقة المتبادلة، مما يسهم في تحقيق سمعة جيدة للدولة، وفي زيادة أعداد السياح القادمين إليها.

سابعاً: وسائل الاتصال المستخدمة في حملة العلاقات العامة للتسويق السياحي

الخارجي: تستخدم عدة وسائل في العلاقات العامة الدولية بهدف توصيل رسائل للسياح الأجانب. ويمكن الاختيار ما بين هذه الوسائل حسب الجمهور المستهدف. هذه الوسائل هي: الصحافة، الراديو، التلفزيون، الإنترنت والوسائل الأخرى.

1- العلاقة مع الصحافة: تتميز الصحف عن غيرها من الوسائل بنشرها مساحات واسعة من المعلومات التي تعالج الأحداث الآنية واليومية⁽²⁶⁾.

2- وسائل الاتصال المطبوعة: تستخدم الوسائل المطبوعة التالية في التسويق السياحي الخارجي: الملصقات، النشرات، الكتيبات، ملصقات الحقائق والمجلات.

- **الملصقات:** تتمتع الملصقات بميزة التأثير على الأشخاص في الشارع، إذا كان هناك شعار معين تعرف به الدولة السياحية فإن استخدام هذا الشعار في الملصقات يسهل التعرف على تلك الدولة، ويختلف حجم الملصقات باختلاف المكان الذي تستخدم فيه. وتعد الصور والرموز أهم من الكتابة، في لفت انتباه المارة.

- **النشرات:** تعد النشرات من قبل الشركات السياحية للتعريف بالمنتج السياحي في ذلك البلد، وتطبع في بعض الدول مثل: إنجلترا، وفرنسا، وألمانيا، في العام أكثر من مليون نشرة سياحية⁽²⁷⁾. يجب مراعاة عدة أمور في النشرات منها: خلق الرغبة السياحية والطلب لدولة معينة، والتركيز على الغلاف لأنه أهم جزء في النشرة، وأن يكون عليه اسم الدولة السياحية وصورتها، والتركيز أيضاً على الصورة في الأقسام الداخلية للنشرة، كون الصورة أكثر تأثيراً من الكتابة في مجال السياحة الخارجية.

- **الكتيبات:** هناك حاجة لدى السياح الأجانب للحصول على معلومات عن الدولة السياحية قبل الذهاب إليها، فلذلك يمكن إعداد المعلومات السياحية على شكل كتيب، وتوزيعه على السفارات والمكاتب السياحية العالمية، وقد يحتوي الكتيب على إعلانات سياحية⁽²⁸⁾.

- **ملصقات الحقائق:** يمكن إعداد ملصقات حقائب بحجم صغير تحتوي اسم الدولة السياحية وشعارها وصورتها، وتكون هذه الملصقات قيمة تذكارية من البلد السياحي⁽²⁹⁾.

- **المجلات:** من السهل تحديد قراء المجلات كونها متخصصة، فيتم وضع إعلانات في المجلات السياحية الدولية، ونظراً لجودة الورق في المجلات فإن الصورة السياحية تظهر بشكل أوضح من الصحف، ويمكن قراءة المجلة أكثر من مرة⁽³⁰⁾.

3- الوسائل المرئية والمسموعة والإلكترونية: الوسائل المرئية والمسموعة والإلكترونية هي: التلفاز، والإذاعة، والإنترنت، والسينما والأفلام⁽³¹⁾.

- **التلفاز:** يتميز التلفاز بالجمع ما بين الصوت والصورة والألوان والحركة في نفس الوقت، فيكون الإعلان السياحي أقرب للواقع وأكثر تأثيراً على السياح الأجانب من الإعلان الصحفي. وللإفادة من التلفاز في التسويق السياحي الخارجي يجب إعطاء الرسائل المناسبة في الأوقات المناسبة، وهناك بعض المسابقات تقدم هدية رحلة سياحية، فيمكن عن طريق تقديم الرحلات السياحية بث إعلانات مجانية للدولة السياحية⁽³²⁾.

- **الإذاعة:** الإذاعة ليست بحاجة إلى التفرغ مثل التلفزيون، ويمكن الاستفادة من هذه الميزة في التسويق السياحي الخارج؛ كون السائح يستطيع أن يستمع للإذاعة في كل الأوقات، سواء أثناء القيادة أو العمل، ونظراً لقلة تكلفة الإعلان الإذاعي فيمكن تكرار الإعلان أكثر من مرة، ومن المعروف أن المعلومات التي تكرر أكثر من مرة تنتقل من الذاكرة المؤقتة إلى الذاكرة الدائمة⁽³³⁾.

- **الإنترنت:** يمكن إعطاء معلومات تفصيلية عن الإمكانيات السياحية للسياح المحتملين عن طريق إنشاء موقع للدولة السياحية على الإنترنت، ويمكن تحديث هذه المعلومات باستمرار.

الإنترنت لا يعرف الحدود الجغرافية وكذلك يتميز بأنه يستخدم جميع تقنيات الاتصال من (كتابة، رسم، صور، مناظر متحركة وصوت) (34).

- **السينما والأفلام:** يمكن عرض فيلم صغير عن الدولة السياحية قبل أو أثناء عرض الفيلم، فالسينما مثل التلفاز والإنترنت تتمتع بميزة الصوت والصورة، ولأن شاشة العرض كبيرة فيمكن عرض الإمكانيات السياحية بدرجة أكثر تأثيراً. يمكن الاستفادة من الأفلام السياحية في التسويق السياحي الخارجي، ويتم تقديم مناظر ومعلومات عن الأماكن السياحية والعادات والتقاليد للبلد السياحي (35).

4- المعارض وأسواق السفر والمهرجانات:

أ. **المعارض وأسواق السفر الدولية:** تفيد المعارض وأسواق السفر الثابتة والمتحركة في التعريف بإمكانات الدولة السياحية بشكل مؤثر. الدولة التي تهدف أن تكون مركز جذب سياحي عند مشاركتها في المعارض وأسواق السفر الدولية يجب أن تركز على الأمور التالية (36).

- التخطيط قبل فترة من الوقت لمعرفة أي المعارض وأسواق السفر سيتم المشاركة فيها.
- تحديد جميع تفاصيل المشاركة.
- تنظيم المعرض بشكل جذاب.
- أن يكون الأشخاص المشاركون في المعرض ذوي قدرة على التعامل مع الزوار بلطف.
- التعاون ما بين القطاعين العام والخاص.
- عرض رقصات شعبية وموسيقى للبلد السياحي في أول يومين في المعرض وسوق السفر، وبعد ذلك عرض نشاطات خاصة.

ب- **المهرجانات الدولية:** يجب التخطيط للمهرجانات الدولية بشكل جيد من أجل إعطاء انطباع إيجابي عن الدولة السياحية، من خلال إعطاء معلومات تفصيلية عن إمكانيات الدولة وجذب السياح الأجانب إليها.

5- **المؤتمرات الدولية:** ينظم في كل عام العديد من المؤتمرات السياحية الدولية، حيث يمكن من خلال المشاركة في هذه المؤتمرات تسويق الدولة السياحية بشكل جيد، ومن أجل المشاركة الفاعلة في المؤتمرات السياحية الدولية يجب مراعاة ما يلي:

- التخطيط المسبق للمؤتمر وبشكل جيد.
- تقديم عروض جذابة للمشاركين بخصوص السفر والإقامة.

- تقديم عروض سياحية مسلية ومريحة.

- توزيع نشرات تعريفية كثيرة.

ثامناً: أهمية العلاقات العامة الدولية في التسويق السياحي الخارجي:

تبرز أهمية العلاقات العامة الدولية في التسويق السياحي الخارجي كون العلاقات العامة تستفيد بشكل عام من وسائل الإعلام المختلفة من غير مقابل، وتستطيع الوصول إلى فئات متعددة من السياح المحتملين وإعطائهم معلومات تفصيلية عن الإمكانيات السياحية الموجودة في البلد السياحي، وتعدّ العلاقات العامة إعلاناً بدون مقابل، ولكنها تتميز عن الإعلان ببعض الميزات، وهذه الميزات هي⁽³⁷⁾:

- درجة الصدق والإقناع مرتفعة.

- تثير الاهتمام وحب المعرفة.

- تستطيع الوصول إلى الفئات المستهدفة بكل سهولة.

ولكي تكون نشاطات العلاقات العامة الدولية أكثر تأثيراً على السياح الأجانب، لا بد من الحصول على معلومات عن هؤلاء السياح قبل البدء بنشاطات التسويق السياحي الخارجي. ويمكن الاستفادة من الطرق التالية في جمع المعلومات:

- اللقاء المباشر.

- الاستفادة من المؤسسات البحثية.

- إرسال مكاتيب السؤال والجواب.

- عمل استبانة.

- استخدام طرق الاستبانة واللقاء معاً.

- الاستفادة من المشاهدة وعمل نماذج.

يجب أن يراقب خبير العلاقات العامة التغيرات في أفكار السياح الأجانب ورغباتهم. فالعلاقات العامة الدولية لا تحقق الريح بشكل مباشر، ولكنها تتيح المجال للدولة السياحية بأن تستمر وتنمو، وتعدّ متابعة التغيير في أذواق السياح الأجانب ذات أهمية كبرى بالنسبة للعلاقات العامة الدولية، ويستفيد خبراء التسويق من هذه المعلومات من أجل اقتراح خدمات جديدة أو تعديل الخدمات المقدمة، وتعرض التغيرات على الفئات المستهدفة بمساعدة العلاقات العامة الدولية. يعدّ تفضيل إحدى الدول الأوروبية على دولة أوروبية أخرى، أو تفضيل الطائرة على السفينة في

سياحة ما وراء البحار دليلاً على مرونة السياحة الخارجية، وارتباط السوق السياحي الخارجي بالرأي العام.

وتهتم العلاقات العامة الدولية بالمحافظة على السمعة الجيدة للدولة لدى الفئات المستهدفة الدولية، وتسعي لتحسين هذه السمعة باستمرار، لأن العلاقات العامة الدولية عبارة عن نشاطات مستمرة ومنظمة تهدف لوصول الدولة إلى مكانة مرموقة في الأسواق الخارجية، ونظراً لتطور السياحة الخارجية بشكل كبير، زادت أهمية العلاقات العامة الدولية في التسويق السياحي الخارجي، ولكن يجب أن تكون جهود العلاقات العامة الدولية منسقة مع فنون الاتصال الأخرى⁽³⁸⁾.

تاسعاً: دراسة الحالة (حملة العلاقات العامة الدولية للترويج للبتراء)

1- تحليل الوضع: أول مرحلة في الحملة هي تحليل الوضع السياحي لمدينة البتراء، ومن ثم تحديد الخطوات التالية للحملة وفق هذا التحليل. يبين الشكل رقم (1) أدناه انتشار مكاتب تمثيل الهيئة في مختلف أسواق ودول العالم⁽³⁹⁾.



شكل رقم (1)

نلاحظ من الشكل رقم (1) انتشار مكاتب هيئة تنشيط السياحة في العديد من دول العالم من الولايات المتحدة الأمريكية وكندا، مروراً بأوروبا والخليج العربي وروسيا والهند وأستراليا، وتشكل هذه الدول الأسواق الرئيسية المصدرة للسياحة العالمية، مما يعني انتشار نشاطات العلاقات العامة الدولية لهيئة تنشيط السياحة في كافة دول العالم تقريباً؛ كون مكتب التمثيل الواحد قد يشمل أكثر من دولة من حيث دراسة السوق، والقيام بنشاطات العلاقات العامة المختلفة. وتشير بيانات هيئة تنشيط السياحة إلى أن عدد الزوار الأجانب لمدينة البتراء قد زاد في السنوات الأخيرة وأصبح يشكل ما نسبته (82%) من مجموع السياح الزائرين للمدينة⁽⁴⁰⁾.

إن الجهود المبذولة للتسويق السياحي الخارجي للمملكة الأردنية الهاشمية بشكل عام، ولمدينة البتراء الأثرية بشكل خاص، كانت تقوم بها في السابق وزارة السياحة والآثار الأردنية والقطاع السياحي الخاص في الأردن، ولكن لم يكن هناك تنسيق بين هذه الجهات، ونظراً لأهمية السياحة بالنسبة للقطاعين العام والخاص تم تأسيس هيئة تنشيط السياحة في تاريخ 1999/3/16. والأعضاء الدائمون في هذه الهيئة هم⁽⁴¹⁾:

- وزارة السياحة الأردنية والآثار الأردنية.
- هيئة تطوير الصادرات. - الأجنحة العربية. - منظمة الفنادق الأردنية.
- الخطوط الجوية الملكية الأردنية. - منظمة الشركات السياحية.
- الشركات التي تعمل في مجال السياحة (بشرط تأمين جذب السياح الأجانب بمقدار 10.000 ليلة).

تم تحليل البيئة الداخلية والخارجية للبتراء باستخدام مصفوفة التحليل الرباعي SWOT

- Strengths نقاط القوة
- Weaknesses نقاط الضعف
- Opportunities الفرص
- Threats التهديدات

أ - نقاط القوة: Strengths

- مدينة البتراء الأثرية في جنوب الأردن هي عمل العرب الأنباط قبل 2000 عام، حيث تم حفر المدينة في الجبل.
- كانت المدينة مركز التجارة العربية القديمة.
- يوجد في نهاية السيق خزنة بارعة الجمال.
- فيها الرسوم الجميلة المرسومة على الجدران.
- تحتوي على مسرح من القرن الأول يتسع لثلاثة آلاف شخص.
- مقام النبي هارون عليه السلام.
- يوجد في البتراء قبر فاخر ودير راهبات على الطراز الروماني.

ب) نقاط الضعف: Weaknesses

- البتراء ما تزال تفتقر إلى مقومات سياحة حقيقية تضع بعين الاعتبار وضع لمسات ذاتية تجذب السائح.
- البنية التحتية بحاجة إلى التطوير.
- عدد الغرف الفندقية في المدينة لا يتجاوز 2000 غرفة.

- هناك حاجة لعمل بوابات سياحية لربط البتراء بالمعالم السياحية المجاورة، وعمل طرق سريعة وإنشاء مطار.
- عدم الاهتمام الكافي بالبيئة والنظافة.
- عدم ترويج البعثات الدبلوماسية الأردنية للمدينة بالشكل الكافي.

ج- الفرص Opportunities:

- فوز البتراء كإحدى عجائب الدنيا السبع الجديدة عام 2007 وحصولها على المركز الثاني.
- اختيار شبكة CNN البتراء في عام 2005 لبث برامجها بمناسبة ذكرى تأسيسها، وشاهد ذلك العرض أكثر من 200 مليون شخص.
- اختيار شبكة BBC البتراء في عام 2006 ضمن أهم المواقع في العالم التي يجب أن يزورها الإنسان قبل وفاته.

د- التهديدات Threats:

- النزاعات السياسية والأوضاع غير المستقرة في الشرق الأوسط.
- لا تعد مدينة البتراء مقصداً رئيسياً للكثير من السياح الأجانب، فلذلك يمرون بالبتراء دون مبيت.

2- تحديد الأهداف: يمكن تلخيص أهم أهداف هيئة تنشيط السياحة على النحو الآتي⁽⁴²⁾:

- توزيع قاعدة موزعي المنتج السياحي الأردني دولياً.
- تدعيم قاعدة موزعي المنتج السياحي الأردني دولياً.
- رفع صورة الأردن كمقصد سياحي آمن ومتميز.
- تحسين الإمكانيات السياحية في البتراء.
- زيادة مدة إقامة السياح الأجانب في البتراء.

3- تحديد الفئات المستهدفة: الفئات المستهدفة لهيئة تنشيط السياحة تتمثل في الدول التالية⁽⁴³⁾:

- | | | |
|------------------------------|-----------|-----------|
| - دول الخليج العربي | - روسيا | - فرنسا |
| - الدول الأسكندنافية | - الهند | - ألمانيا |
| - الولايات المتحدة الأمريكية | - إسبانيا | - بلجيكا |
| - المملكة المتحدة | - هولندا | - إيطاليا |

- 4- اختيار الوسائل: تسعى الهيئة لتعزيز الشركات والعلاقات مع جميع الجهات ذات العلاقة داخل الأردن وخارجه، لتوحيد الجهود للترويج للمنتج السياحي الأردني وذلك من خلال⁽⁴⁴⁾:
- 1- العمل على تفعيل دور السفارات الأردنية والبعثات الدبلوماسية في الخارج، للترويج للمنتج السياحي الأردني من خلال تنفيذ العديد من البرامج والأنشطة، وهي:
 - وضع خطة وبرنامج تدريبي و تثقيفي بالتنسيق مع وزارة الخارجية لجميع الدبلوماسيين الأردنيين في الخارج (السفراء وجميع كوادر السفارات)؛ لتمكينهم من الإحاطة بكل الأساليب والأدوات التسويقية والترويجية وبرامج العمل المعتمدة لترويج الأردن وتسويقه سياحياً.
 - عقد ورش عمل (لقاءات) من خلال السفارات في الخارج للصحفيين والإعلاميين ومكاتب السياحة والسفر وشركات الطيران في كل بلد، وذلك لإطلاعهم على المنتج السياحي الأردني ومميزاته.
 - التعاون والتنسيق مع جميع السفارات بخصوص الأخبار الصحفية التي تصدر في كل بلد، بالإضافة إلى تزويد السفارات الأردنية بالتعاميم والأخبار المتعلقة بالقطاع السياحي.
 - تزويد جميع السفارات الأردنية بالمواد الترويجية اللازمة.
 - 2- العمل على تعزيز دور مكاتب الملكية في الخارج، للترويج للمنتج السياحي الأردني، بالتنسيق مع هيئة تنشيط السياحة.
 - 3- العمل على تفعيل دور مكاتب هيئة الاستثمار في مختلف البلدان.
 - 4- التواصل وتعزيز التعاون مع السفارات الأجنبية والعربية في الأردن.
 - 5- عقد دورات تدريبية وورش عمل لجميع أعضاء الهيئة وذلك بهدف إطلاعهم على كل الأدوات التسويقية التي تنتجها الهيئة للترويج للمنتج السياحي و تثقيفهم، بالإضافة إلى تبادل الأفكار والحصول على التغذية الراجعة منهم. وقد اعتمدت هيئة تنشيط السياحة للترويج لمدينة البتراء في الأسواق السياحية الخارجية عام 2014 وسائل العلاقات العامة الدولية التالية:
 - أ- مكاتب التمثيل: يوجد للهيئة 12 مكتب تمثيل في أهم الأسواق الرئيسية المستهدفة، تعمل على زيادة الوعي بالمنتج السياحي الأردني، وزيادة عدد شركات السياحة والسفر التي تقوم بترويج الأردن كمقصد سياحي، وتدريب بائعي المنتج السياحي الأردني على تقديمه للمستهلك، بالإضافة إلى تنفيذ الحملات الإعلامية ومراقبة تنفيذها ومردودها، وترتبط هذه المكاتب بالهيئة من خلال عقود سنوية تحدد الأهداف المطلوبة منها، وطريقة تنفيذها بالإضافة إلى آلية مراقبة أدائها والشؤون المالية بين الطرفين. هذا ويوجد للهيئة مكاتب تمثيل في كل من الأسواق التالية⁽⁴⁵⁾:

- الولايات المتحدة (سوق أمريكا الشمالية وكندا والمكسيك) مكتب فرعي تابع للمكتب الرئيسي في الأردن.

- المملكة المتحدة - إيطاليا - أستراليا - النمسا (وسويسرا).

- فرنسا - إسبانيا - ألمانيا - روسيا.

- هولندا (بلجيكا+لوكسمبورغ) - الهند - البرازيل.

وتتطلع الهيئة إلى التوسع وفتح مكاتب جديدة في الأسواق الواعدة مثل أمريكا الجنوبية، والصين (هونغ كونغ)، واليابان. أما بالنسبة إلى آلية عمل الهيئة في الأسواق الخارجية فيمكن تصنيفها إلى قسمين رئيسيين بحسب الفئة المستهدفة: الشركات والأفراد؛ وتكون على النحو التالي:

على نطاق الشركات:

- تحديد الشركات التي تبيع المنتج السياحي، ومن يعمل على السوق الأردني منها.
- تقديم المنتج السياحي الأردني، وتقديم البتراء للشركات الجديدة عن طريق الزيارات الميدانية، وورش العمل، والمعارض المتخصصة، والصحافة المتخصصة.
- إقناع الشركات ببيع المنتج السياحي الأردني عن طريق تنظيم الرحلات الاستطلاعية إلى الأردن مع التركيز على البتراء.
- دعم الأنشطة التسويقية والإعلانية لهذه الشركات مثل: المنشورات والملصقات ومواقع الإنترنت، والاعلانات في المجالات المتخصصة، والكتيبات السياحية، وربط الشركات بمزودي الخدمة السياحية في الأردن على نطاق المستهلكين.

على نطاق الأفراد: دراسة أنماط السفر والإنفاق على السياحة الخارجية والمنتجات المطلوبة.

- تقديم البتراء للمستهلك مباشرة عن طريق الحملات الإعلانية والإعلامية في الصحف والمجلات ومحطات التلفزة والإذاعة.
- تنظيم الرحلات الاستطلاعية للكتاب والصحفيين إلى المملكة.
- دعم الأنشطة والمسابقات الترويجية المنظمة للمستهلكين.
- تنظيم زيارات للشخصيات المؤثرة في الرأي العام العالمي.

ب - المعارض الدولية السياحية المتخصصة: تقوم الهيئة بالمشاركة في مختلف المعارض السياحية الدولية العامة والمتخصصة، بهدف الترويج للمنتج السياحي الأردني لكل من الشركات السياحية والمستهلكين في الأسواق الخارجية، ويبين جدول رقم (1) المعارض التي تم المشاركة بها في عام 2014⁽⁴⁶⁾.

اسم المعرض	المدينة التي أقيم فيها	التاريخ	المشاركين من القطاع السياحي الأردني
معارض متخصصة بالقطاع السياحي (Trade Fairs)			
MITT	موسكو/روسيا	أذار	8
ITB	برلين/ألمانيا	أذار	16
IMEX	فرانكفورت/ألمانيا	أيار	9
BIT	ميلانو/إيطاليا	شيفد	6
IFTM TOP RESA	باريس/فرنسا	أيلول	5
ILTM Cannes	كان/فرنسا	كانين الأول	6
COTTM	بكين/الصين	نيسان	3
Taipei International Travel Fair	تايبيه/تايوان	تشرين الثاني	1
IMTEC	دبي/الإمارات	أذار	5
JITX	جدة/السعودية	شيفد	-
GIBTM	أبو ظبي/الإمارات	أذار	6
Riyadh Travel Fair	الرياض/السعودية	نيسان	-
ATM Dubai	دبي/الإمارات	أيار	8
Arabian Souk	زبورخ/سويسرا	أذار	-
Ecotur	إيطاليا	أذار	-
Rutland Bird Fair	بريطانيا	أب	-
Tournatur	ألمانيا	أيلول	-
New York Times Travel Show	نيويورك/أمريكا	شيفد	-
معارض سياحية خاصة بالمستهلكين (Consumer Fairs)			
CMT Stuttgart	شتوتغارت/ألمانيا	كانين الثاني	-
Fre e Munich	ميونخ/ألمانيا	شيفد	-
Vakantiebeurs	أوترخت/هولندا	كانين الثاني	-
Salon de Vacances	بروكسل/بلجيكا	شيفد	3
KOTFA	سيول/كوريا	أيار/حزيران	-
Incheon Tour & Leisure Sports Fair	انشين/كوريا	أب	1
JATA	طوكيو/اليابان	أيلول	-
FERIEN WIEN	فيينا/النمسا	كانين الثاني	5
FERIEN LINZ	لينز/النمسا	كانين الثاني	-
REISESALON	فيينا/النمسا	تشرين الأول	-
Ferienmesse	بازل/سويسرا	شيفد	-
Adventure Travel Show	لندن/بريطانيا	كانين الثاني	-
Grand Bivouac	فرنسا	تشرين الأول	-
Taste of London	لندن/بريطانيا	أب	-
Times Travel Show	لوس أنجلوس/أمريكا	كانين الثاني	-

نلاحظ من خلال جدول (1) مشاركة هيئة تنشيط السياحة في العديد من المعارض الإقليمية والدولية الموجهة للشركات السياحية والسياح الأجانب خلال عام 2014، وذلك بهدف وضع الأردن ومدينة البتراء على الخارطة السياحية العالمية كوجه سياحية آمنة ومستقرة. كما نلاحظ أن المشاركة في المعارض موزعة على مدار العام، مع التركيز على فترة الربيع (آذار ونيسان) وفترة الخريف (تشرين الأول والثاني) لكونهما يشهدان حركة سياحية أمريكية وأوروبية نشطة، بسبب إجازة عيد الفطر في الربيع، وبسبب اعتدال الحرارة في البتراء في الخريف مقارنة بمناخ أمريكا وأوروبا في تلك الفترة.

ج- استضافة الوفود الصحفية والإعلامية وممثلي شركات السياحة والسفر العالمية والحملات الإعلانية: تعمل الهيئة بالتعاون مع مكاتب التمثيل على استضافة العديد من الصحفيين والإعلاميين وتنظيم برامج سياحية متنوعة لهم داخل المملكة، وقد تم استضافة الوفود وعمل الحملات الإعلانية التالية⁽⁴⁷⁾:

- استضافت الهيئة الطاقم بقناة Vox الألمانية لإنتاج حلقة ضمن برنامج "Naturally Beautiful" والذي قام بالتصوير في عمان والبحر الميت والبتراء ووادي رم، وتم عرض العمل ضمن إحدى حلقات البرنامج لمدة 25 دقيقة.

- تم تصوير وعرض إحدى الحلقات النهائية للبرنامج الألماني الشهير "The Bachelor".

- تنفيذ عدد من الحملات الإعلانية في أكبر وأهم المجالات والصحف الألمانية، إضافة إلى تنفيذ حملات إعلانية مشتركة بالتعاون مع 17 مكتب سياحة وسفر ألماني للترويج للمنتج السياحي الأردني، مستخدمين العديد من الأدوات التسويقية.

- استضافت الهيئة 18 صحفياً ألمانياً بالإضافة إلى 15 صحفياً من هولندا وبلجيكا للترويج للمنتج السياحي الأردني، هذا وقد قامت الهيئة باستضافة رحلات استطلاعية لاثنتين من الرباحين ضمن فعاليات الحملة الترويجية الخاصة بمعرض Exposition Petra.

- قامت الهيئة بعمل زيارات ميدانية مختلفة لعدد من وكلاء السياحة والسفر في كل من ألمانيا وفرنسا وهولندا وبلجيكا، وذلك بهدف تعريفهم بالمنتج السياحي الأردني، إضافة إلى مناقشة أبرز التوجهات الجديدة في تلك الأسواق، وأبرز المشاكل والتحديات التي تواجه المكاتب التي تبيع المنتج السياحي الأردني ضمن برامجها.

- قامت الهيئة بتنفيذ حملة إعلانية مشتركة في فرنسا وبالتعاون مع شركة KitchenTrotter حيث تهدف هذه الحملة إلى ترويج سياحة الطعام وتعريف المستهلكين الفرنسيين بتنوع المطبخ الأردني وأطباقه التقليدية.

- شاركت الهيئة في المعرض الفرنسي Spot الذي يهدف إلى تعريف وكلاء السياحة والسفر الفرنسيين بنظرائهم الأردنيين، ونشر الوعي حول المنتج السياحي الأردني.
- بهدف الترويج لأكاديمية الأردن الإلكترونية وزيادة عدد وكلاء السياحة والسفر الفرنسيين المسجلين فيها، قامت الهيئة بتنفيذ حملة تسويق إلكتروني، علاوة على استضافة رحلة استطلاعية لعشرة وكلاء السياحة والسفر الراحين في الحملة الخاصة بالأكاديمية.
- قامت الهيئة بإعداد دليل سياحي مصغر يحتوي على معلومات عن أغلب المنتجات السياحية الأردنية (Tour Hebdo) حيث تم توزيعه على المستهلك الفرنسي مباشرة بالتعاون مع المجلة الفرنسية الأسبوعية.
- شاركت الهيئة في معرض سياحي متنقل مع شركة (Jet Air) في مدينة بروكسل البلجيكية بهدف نشر الوعي بالمنتج السياحي الأردني وتنوعه.

د- المطبوعات والنشرات والإنترنت واستخدام وسائل التكنولوجيا الحديثة: تقوم الهيئة بتصميم العديد من النشرات والكتيبات السياحية وبمختلف اللغات الرئيسية، كما تقوم بطباعة العديد من الصور والخرائط والملصقات عن مختلف مناطق المملكة، ويتم توزيع هذه المطبوعات جميعها، إما في السوق المحلي (مكاتب السياحة والسفر، الفنادق، المعابر الحدودية،) وإما في الأسواق الخارجية عن طريق مكاتب التمثيل والسفارات وغيرها. كما تولي الهيئة اهتماما خاصا بالتسويق الإلكتروني، حيث يقدم الموقع الإلكتروني للهيئة العديد من المعلومات والصور وبرامج الزيارة التي تبرز مزايا المنتج السياحي الأردني بالإضافة إلى جميع المعلومات التي يحتاجها الزوار عن المملكة بشكل عام وعن البتراء بشكل خاص.

هـ- الدراسات المتخصصة بالأسواق وتوجهات المستهلكين في الأسواق المستهدفة: تقوم دائرة الأبحاث في الهيئة بإجراء أبحاث السوق الكمية والنوعية لمساعدته راسمي السياسات وأعضاء الهيئة والدوائر الأخرى في الهيئة على اتخاذ القرارات ووضع البرامج التسويقية، بالاعتماد على ما تقدمه الدائرة من بيانات إحصائية، ودراسات الأسواق الكلية، ونتائج المسوحات وغيرها من المعلومات المرتبطة بقطاع السياحة في الأردن، حيث يتم اتخاذ القرارات التسويقية بناء على دراسات علمية توضح توجهات السوق والمستهلكين. كما تعمل على استطلاع آراء السياح والخبراء وتقييمهم لرحلتهم إلى الأردن بهدف المشاركة في عملية تحسين المنتج السياحي، ومتابعة ملاحظاتهم، ومعالجة نقاط الضعف ان وجدت. ودراسة زوار مدينة البتراء؛ وذلك بهدف الوقوف على عدد زوار المدينة موزعا حسب الجنسية، والفئة العمرية، والجنس. فيما أن البتراء تعدّ أهم معلم سياحي في الأردن وتستقطب أكبر عدد ممكن من الزوار، بالمقارنة مع باقي المواقع السياحية، فهي تعكس بشكل كبير النشاط

السياحي بالأردن. ولعبت الهيئة دورا كبيرا وفاعلا في مجال النشاط الإعلامي للترويج للبتراء، وخصوصا ما يتعلق بنشر الإعلانات في الصحف اليومية والأسبوعية؛ هذا بالإضافة إلى طباعة أعداد كبيرة من الملتصقات باللغتين العربية والإنجليزية لإيضاح آلية التصويت، تم توزيعها في جميع مواقع المملكة، وكذلك السفارات ومكاتب الملكية في أنحاء العالم.

5- الميزانية: تم توزيع ميزانية هيئة تنشيط السياحة لعام 2014 بالدينار الأردني كما في جدول رقم (2)⁽⁴⁸⁾.

جدول رقم (2)

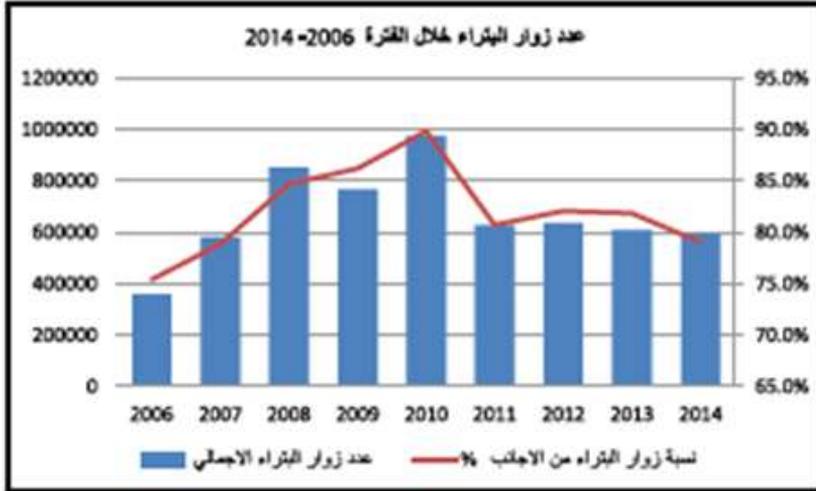
النفقات	2014 بالدينار الأردني	2013 بالدينار الأردني
مكاتب التمثيل وحملات تسويقية في الخارج	4.407.604	6.221.606
معارض	1.336.703	1.431.418
حملات إعلانية وتسويق إلكترونية	695.799	1.065.543
نفقات زيارة قداسة البابا	567.797	-
دعم المنتج المحلي والقطاع الخاص ونفقات ترويجية محلية أخرى	322.563	239
نشرات وملصقات	156.177	122.722
دعم فعاليات وأنشطة عالمية تقام في الأردن	65.282	17.220
دراسات وأبحاث	57.464	40.373
أفلام دعائية وسلايدات وإنترنت	31.364	19.152
ورش عمل ومؤتمرات	24.166	79.845
المجموع	7.664.919	9.237.680

نلاحظ من خلال الجدول رقم (2) انخفاض نفقات مكاتب التمثيل والحملات التسويقية في الخارج والمعارض والحملات الإعلانية والتسويق الإلكتروني وورش العمل والمؤتمرات في عام 2014 بشكل ملحوظ، بينما زادت نفقات دعم المنتج المحلي والقطاع الخاص والنشرات والملصقات والدراسات والأبحاث والأفلام الدعائية والسلايدات والإنترنت في العام نفسه. كما نلاحظ الانخفاض الملموس في النفقات بشكل عام في عام 2014 إذا ما قورنت بنفقات 2013.

6- تقييم نتائج حملة العلاقات العامة: الجوانب الإيجابية لنشاطات العلاقات العامة الدولية الهادفة للتسويق السياحي الخارجي لمدينة البتراء، كما هو معروف أن نتائج نشاطات العلاقات العامة طويلة الأمد ومن الصعب الحصول على نتائج سريعة؛ لأن هدف العلاقات العامة

الأساسي كسب ثقة ومودة الفئات المستهدفة، ويمكن لبعض الأرقام أن تعطي فكرة عن نجاح نشاطات العلاقات العامة، فيمكن تلخيص الجوانب الإيجابية لحملة العلاقات العامة الدولية للتسويق السياحي الخارجي للبتراء عن طريق الأرقام التالية:

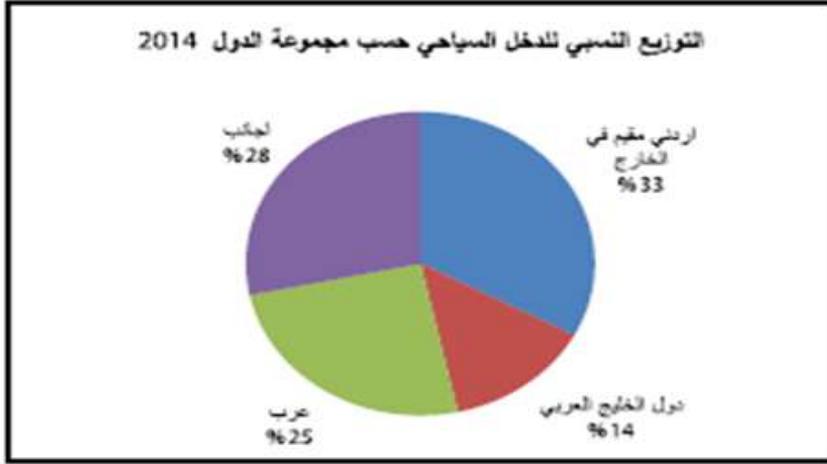
- زار المدينة الوردية 597 ألف سائح خلال عام 2014.
- تشكل متوسط نسبة عدد السياح الأجانب الذين زاروا المدينة الوردية خلال السنوات التسع الماضية حوالي 82%، والجدول التالي يبين عدد زوار البتراء خلال السنوات الماضية ونسبة الزوار الأجانب من إجمالي عدد زوار البتراء، حسب ما هو وارد في الشكل رقم (2)⁽⁴⁹⁾:



شكل رقم (2)

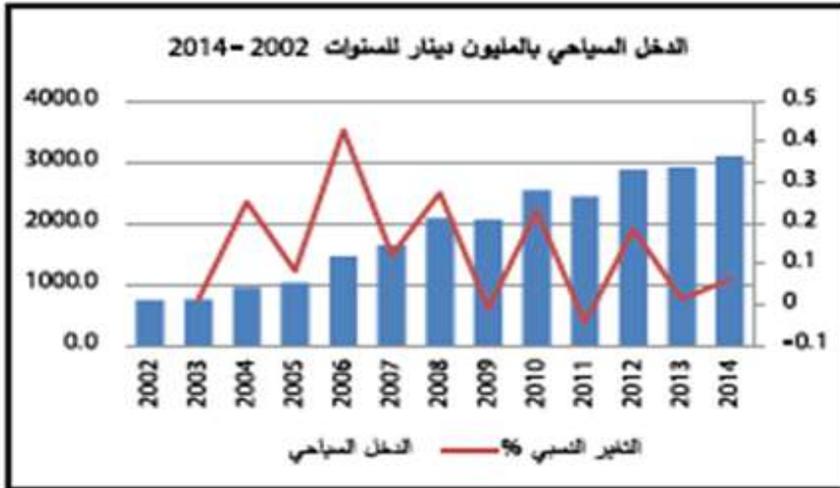
نلاحظ من خلال الشكل رقم (2) انخفاض عدد زوار البتراء في السنوات الأخيرة وارتفاع نسبة الزوار الأجانب خلال تلك الفترة.

يوضح الشكل رقم (3) التنوع في الدخل السياحي⁽⁵⁰⁾:



شكل رقم (3)

نلاحظ في الشكل رقم (3) أن حوالي 39% من الدخل السياحي المتوقع عام 2014 مصدره السياح العرب، 28% من الأجانب و33% من الأردنيين المقيمين في الخارج. ويمثل هذا الرقم إنفاق السياح داخل المملكة الأردنية الهاشمية باستثناء الإنفاق على أجور النقل الجوي. حقق الدخل السياحي نمواً ملحوظاً في عام 2014، ويبين الشكل رقم (4) التغيير النسبي في الدخل السياحي⁽⁵¹⁾:



شكل رقم (4)

كما هو موضح بالشكل رقم (4) حقق الدخل السياحي نمواً جيداً خلال عام 2014 بلغت نسبته 6.3% مقارنةً بعام 2013 ليصل إلى حوالي 3.1 مليار دينار.

تقييم نشاطات العلاقات العامة الدولية في ضوء الأرقام أعلاه:

- التعاون مع شركات العلاقات العامة والتسويق الدولية. - المشاركة في معارض السياحة الدولية.
- إطلاق حملات إعلانية مكثفة في العديد من الدول. - دعم شركات السياحة الأجنبية.
- دعم إقامة المؤتمرات والمهرجانات الدولية في الأردن ودعم نشاطات القطاع الخاص الترويجية.
- تحضير الأفلام، والملصقات، والنشرات، والأدوات الترويجية الأخرى. - تنظيم رحلات إلى الأردن.

من الجوانب السلبية لحملة العلاقات العامة الدولية للتسويق السياحي الخارجي للبتراء:

- عدم إعطاء الأهمية الكافية لدراسة الأسواق السياحية المستهدفة الخارجية قبل البدء بنشاطات العلاقات العامة. - عدم إعطاء الأهمية للتسويق السياحي لدول الجوار.
- محدودية الميزانية بحيث لا يمكن تغطية الكثير من الأسواق بنشاطات العلاقات العامة الدولية.
- عدم الاستفادة بشكل منظم من الطلبة الأردنيين الدارسين في الخارج للتسويق السياحي للبتراء.
- توزيع الملصقات في أماكن محدودة. - عدم الاستفادة من السينما.

عاشراً: النتائج والتوصيات:

في ضوء المعلومات والأرقام أعلاه توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

- تبرز أهمية السياحة في تطوير الاقتصاد الوطني وارتفاع مستوى المعيشة للمواطنين، وتبرز أهمية السياحة حسب الإمكانية السياحية للدولة وجهودها الترويجية.
- يجب على الهيئة تقييم العلاقات العامة الدولية في التسويق السياحي الخارجي من عدة جوانب؛ لأن الإمكانات السياحية تخاطب أشخاصاً ذوي اختلاف في سلوكيات الاستهلاك، لذلك فإن على العلاقات العامة الدولية أن تراعي خصائص المجتمع المستهدف.
- نتيجة نشاطات العلاقات العامة الدولية الجيدة والمتواصلة، فإن السائح الذي يزور الدولة السياحية، ويستخدم وسائل النقل والفنادق والمطاعم الموجودة فيها، يتحدث بعد عودته إلى بلده عن تلك الدولة بشكل إيجابي؛ لأن العلاقات العامة عمل كل شخص يتعامل مع السياح الأجانب.

- جهود العلاقات العامة الدولية في التسويق السياحي الخارجي يجب أن تعمل سمعة محايدة وإيجابية، وتعطي معلومات واضحة وشاملة للسائح الأجنبي من أجل تقبله المنتج السياحي؛ لأن هذه الجهود لا تشابه خصائص الإعلان، وتعتبر أكثر قدرة على الإقناع والتأثير، خصوصا على السياح الذين لا يعجبون بالإعلانات، وإذا ما تم تنظيم نشاطات العلاقات العامة الدولية بشكل جيد، فإن من المتوقع أن تلفت انتباه السائح الاجنبي وتثير اهتمامه، ومن ثم تقبله للمنتج السياحي.
- تعدّ العلاقات العامة الدولية في التسويق السياحي الخارجي عملا حساسا، ولذا فإن على العلاقات العامة العمل بشكل منظم ومستمر مع فنون الاتصال الأخرى، والإعلان والدعاية الإعلامية والدبلوماسية واللوبي.
- ما زالت البتراء تفتقر إلى مقومات سياحية حقيقية تأخذ في الحسبان وضع لمسات ذاتية تجذب السائح للمنتج، وتطوير البنية التحتية، وعمل بوابات سياحية تربط البتراء بالمعالم السياحية المجاورة، كإنشاء مطار وعمل تلفريك، والاهتمام بالبيئة والنظافة، وزيادة عدد الغرف في الفنادق من 2000 إلى 10000.
- لا شك أن هيئة تنشيط السياحة عملت بشكل علمي ومنظم وبالتنسيق بين القطاع العام والقطاع الخاص على الترويج للبتراء. ومن أهم نتائج جهود الهيئة فوز البتراء كإحدى عجائب الدنيا السبع، ولكن لأن التسويق السياحي الخارجي عمل بحاجة إلى جهود ترويجية كبيرة يجب زيادة ميزانية الهيئة من 7 مليون إلى 12 مليون دينار.
- على هيئة تنشيط السياحة إعطاء أهمية أكبر لنشاطات العلاقات العامة الترويجية في دول الجوار مثل دول الخليج ولبنان ومصر وتركيا؛ لأن هذه الأسواق قريبة من حيث المسافة والعادات والتقاليد، فيمكن أن تأتي أعداد كبيرة من السياح من هذه الدول لزيارة البتراء، خصوصا بعد فوز البتراء كإحدى عجائب الدنيا السبع.

The Role of Public Relations in International Marketing of Tourism in Jordan – Exploratory Study: A Case Study of Petra

Yousef Abu Eid, *Public Relation Department, Faculty of Mass Communication Yarmouk University, Irbid, Jordan.*

Abstract

This study aims to show the importance of the role of public relations in marketing Jordan tourism outside Jordan. As the international competition has increasingly become fierce, it becomes very important to plan marketing tourist activities targeting various groups to promote Jordan internationally. In the field of marketing tourism internationally, there is great importance for communication skills, public relations, promotion, lobbying, propaganda, and diplomacy. Thus, some methods in international public relations are extremely important. Some of these methods include: written messages, audiovisual, and electronic means of communications. These means of communications should be used within public relations programs supported by the state. The researcher has used the analytical approach through observations and analysis of public relations campaigns to internationally promote Petra as a tourist destination. The study has concluded that the efforts of public relations made by Jordan Tourism Board are not enough to internationally promote Jordan and the partnership between public and private sectors to promote tourism is lacking.

Key words: Public relations, international tourism marketing, Petra, diplomacy, propaganda, advertising, lobbying.

الهوامش:

- 1- صارم أحمد محمد، أثر الإعلان في رفع كفاءة التسويق السياحي - دراسة ميدانية للمنشآت السياحية في الساحل السوري، رسالة ماجستير غير منشورة، سوريا، جامعة تشرين، 2008، ص1.
- 2- دياب وليد خلف، " دور العلاقات العامة في القطاع الدبلوماسي: دراسة تطبيقية على مكاتب السفارات العربية والأجنبية"، رسالة دكتوراه غير منشورة، مصر، جامعة جنوب الوادي، 2010، ص1.
- 3- GÜRSON A. Poyraz, "Dis Turizm Amacli Tanitimda İl Bazli Pazarlamanin Önemi, Halkla İlişkilerin Rolu ve Karsilastirmali Örnek Çalışma", yainlanmamis doktora tezi, Izmir E.U.s.b.e.h.i.t.ABD, 1994,p.2
- 4- kent Michal L.,Taylor Maureen, "Public Relations Theory and Practice in Nation", U.S.A., Elsevier Public Relations Review, 2006,p.3.
- 5- ARIONESEI Gabriela and IVAN Paul," Marketing Of Tourism Destinations From The Public Relations' Perespective" Romania, *Journal of tourism* [Issue 14], 2012,p.1.
- 6- Becerekli Sema Yildirim, kilic Nilufer Pinar, Merkez ve Dogu Avrupa, da Halkla Iliskiler Uygulamalari: Romaniya Ornegi, Ankara, *Ankara Uni. S.B.E. Dergisi*, 2012, p.2.
- 7- البكري فؤاد، العلاقات العامة بين التخطيط والاتصال، مصر، دار نهضة الشرق للطبع والنشر، 2001، ص10.
- 8- سنهوري حسن، التسويق السياحي، السودان. منشورات جمعية التسويق السودانية، ص6.
- 9- Ozdemir Mehmet, *Dis Tanitim*, Ankara, Turkiye is Bankasi Yay.1984,p.33.
- 10- Ozdemir,p.38.
- 11- حجاب منير، الإعلام السياحي، الأردن، دار الفجر للنشر والتوزيع، 2003، ص29.
- 12- Hacioglu Necdet, *Turizm Pazarlamasi*, Bursa, Uludag Uni. Basimevi, 3. Baski., 1997, p.119.
- 13- Ertekin Yucel,Turizm, Izmir, Turkey, Egen Uni.ilet.Yay.,1995,p.13.
- 14- Barutcugil Ismat, *Turizm Isletmeciligi*, Bursa, UludagUni.Basimevi , 1982,p.p.101-102.

- 15- Ertekin,p.9.
- 16- Olali Hasan, Selcuk, Kircioglu Sumer, Dis Tanitim, Ankara, Turkiye is Bankasi, Yay., 1983,p.96.
- 17- Thurston Robert, *The Role of Public Relations in Marketing*, N.J, Englewood cliffs, 1971,p.p.153-154.
- 18- Ors Feral, "Uluslararası, Turizm ve halka ilişkiler", Turkey, *Media cat Dergisi*, Yil 7, sayi 56,1999,p.53.
- 19- Goksel Ahmet Bulent , *Halkla ilişkiler*, Izmir, Turkey, Egen Uni.ilet.Yay.No:7, 1994,p.p.125-126.
- 20- الخضيرى محسن، التسويق السياحي، الأردن، دار نمر للنشر، 1989، ص.ص.168-169.
- 21- SecimIsmet,Selma Coskun, *Halkla Iliskiler*, Eskisehir,Anadolu Uni. Yay., 1992,p.25
- 22- Dincer Mujde Ker, *Lobicilik* , Izmir ,Alf Basın Yayın Dagitim Ltd., 1999,p.p.126-127.
- 23- الموسى عصام، مدخل في الاتصال الجماهيري، الأردن، إثناء للنشر والتوزيع، 2009، ص.ص.283.
- 24-Ors,p.20.
- 25- Tuncer Huner, *EskiveYeni Diplomasi*, Ankara,Umit Yayincilk, 1995,p.11.
- 26- Goltekin Bilgehan, "*Devletlerarası İlişkilerde Halklaİlişkiler ve siyasal Propaganda Rolü*", Yayınlanmamış Doktora Tezi, Izmir E.U.s.b.e.h.i.t.ABD, 2001,p.137.
- 27- الموسى، السابق نفسه، ص.ص.138.
- 28- Vellas Fancois and Becherel, Lionel, *International Tourism*, Macmillan press LTD ,1995,p.185.
- 29- Goksel Ahmet Bulent, Guneri Belma, *Reklam Kampanyalari ve Medya Planlamasi*, Izmir E.U.iletisim Fak.Yay., 1993,p.29.
- 30- Goksel, p.83.
- 31- Goksel, p92.
- 32- Tuncer, p.31.

33-Goltekin,p.99

34- Ors, p.22.

35- Goltekin,p.100.

36-Goksel and Guneri,p.p.93-94.

37- Witzky K. Herbert, *Modern Hotel – Motel management Methods*, New York, Ahrens Book company inc.,1964,p.p.224-225.

38- Ors,p,28.

39- التقرير السنوي لهيئة تنشيط السياحة، الأردن، 2014، ص 19.

40- المرجع نفسه، ص 13.

41- مقابلة شخصية مع هيئة تنشيط السياحة، 2014.

42- السابق نفسه، ص 20.

43- المرجع نفسه، ص 11.

44- المرجع نفسه، ص 19.

45- التقرير السنوي لهيئة تنشيط السياحة، الأردن، 2013، ص 16.

46- السابق نفسه، ص 38.

47- المرجع نفسه، ص.ص 35-38.

48- المرجع نفسه، ص 60.

49- المرجع نفسه، ص 13.

50- المرجع نفسه، ص 12.

51- المرجع نفسه، ص 12.

المراجع العربية

البكري فؤاد، العلاقات العامة بين التخطيط والاتصال، مصر، دار نهضة الشرق للطبع والنشر، 2001.

الخصيري محسن، التسويق السياحي، الأردن، دار نمر للنشر، 1989.

الموسى عصام، مدخل في الاتصال الجماهيري، الأردن، إثراء للنشر والتوزيع، 2009.

حجاب منير، الإعلام السياحي، الأردن، دار الفجر للنشر والتوزيع، 2003.

دياب وليد خلف، " دور العلاقات العامة في القطاع الدبلوماسي: دراسة تطبيقية على مكاتب السفارات العربية والأجنبية"، رسالة دكتوراه غير منشورة، مصر، جامعة جنوب الوادي، 2010.

سنهوري حسن، التسويق السياحي، السودان، منشورات جمعية التسويق السودانية، ص6.

صارم أحمد محمد، أثر الإعلان في رفع كفاءة التسويق السياحي - دراسة ميدانية للمنشآت السياحية في الساحل السوري، رسالة ماجستير غير منشورة، سوريا، جامعة تشرين، 2008.

المراجع الأجنبية:

ARIONESEI Gabriela and IVAN Paul," Marketing Of Tourism Destinations From The Public Relations' Perespective" Romania, *Journal of tourism* [Issue 14], 2012.

Barutcugil Ismat, *Turizm Isletmeciligi*, Bursa, UludagUni.Basimevi , 1982.

Becerekli Sema Yildirim, kilic Nilufer Pinar, Merkez ve Dogu Avrupa, da Halkla Iliskiler Uygulamalari: Romaniya Ornegi, Ankara, Ankara Uni. S.B.E. Dergisi, 2012.

Dincer Mujde Ker, *Lobicilik* , Izmir ,Alf Basin Yayin Dagitim Ltd., 1998.

Ertekin Yucel, *Turizm*, Izmir, Turkey, Egen Uni.ilet.Yay.,1995,p.13.

Goksel Ahmet Bulent , *Halkla iliskiler*, Izmir, Turkey, Egen Uni.ilet.Yay.No:7, 1994.

Goksel Ahmet Bulent, Guneri Belma, *Reklam Kampanyalari ve Medya Planlamasi*, Izmir E.U.iletisim Fak.Yay., 1993.

- Goltekin Bilgehan, "*Devletlerarasi Iliskilerde Halklailiskiler ve siyasal Propaganda Rolu*", Yayinlanmamis Doktora Tezi, Izmir E.U.s.b.e.h.i.t.ABD, 2001.
- GÜRSON A. Poyraz, "*Dis Turizm Amacli Tanitimda İl Bazli Pazarlamanin Önemi, Halkla Iliskilerin Rolu ve Karsilastirmali Örnek Çalışma*", yainlanmamis doktora tezi, Izmir E.U.s.b.e.h.i.t.ABD, 1994.
- Hacioglu Necdet, *Turizm Pazarlamasi*, Bursa, Uludag Uni. Basimevi, 3. Baski., 1997.
- kent Michal L., Taylor Maureen, *Public Relations Theory and Practice in Nation*, U.S.A., Elsevier Public Relations Review, 2006.
- Medlik Burkart, *Tourism: past, present and future*, Heinemann , London, Coxand Wyman Ltd, 1976.
- Olali Hasan, Selcuk, Kircioglu Sumer, *Dis Tanitim*, Ankara, Turkiye is Bankasi, Yay., 1983.
- Ors Feral, "Uluslararası, Turizm ve halka iliskiler", Turkey, *Media cat Dergisi*, Yil 7, sayi 56,1999.
- Ozdemir Mehmet, *Dis Tanitim*, Ankara, Turkiye is Bankasi Yay.1984.
- SecimIsmet,Selma Coskun, *Halkla Iliskiler*, Eskisehir,Anadolu Uni. Yay., 1992.
- Thurston Robert, *The Role of Public Relations in Marketing*, N.J, Englewood cliffs, 1971.
- Tuncer Huner, *EskiveYeni Deplomasi*, Ankara,Umit Yayincilk, 1995.
- Vellas Fancois and Becherel, Lionel, *International Tourism*,Macmillan press LTD ,1995.
- Witzky K. Herbert, *Modern Hotel – Motel management Methods*, New York, Ahrens Book company inc.,1964.

مراجع أخرى:

- 1- التقرير السنوي لهيئة تنشيط السياحة، الأردن، 2014.
- 2- التقرير السنوي لهيئة تنشيط السياحة، الأردن، 2013.
- 3- لقاء مع هيئة تنشيط السياحة، الأردن. 2014.
- 4- www.visitjordan.com.
- 5- www.seejordan.com.

اللازم والمتعدي في استعمال متعلمي العربية من الناطقين بغيرها

- دراسة في تحليل الأخطاء -

جميلة عابد أبو مغنم*

تاريخ الاستلام 2016/10/5

تاريخ القبول 2016/12/11

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل أخطاء متعلمي اللغة العربية من الناطقين بغيرها في الأفعال اللازمة والمتعدية، وتكونت عينة الدراسة من (54) طالبا وطالبة من متعلمي اللغة العربية من الناطقين بغيرها في مركز اللغات في الجامعة الأردنية، واقتضت الدراسة اتباع المنهج الإحصائي الوصفي في رصد تكرار الأخطاء، واستثمار منهج تحليل الأخطاء في توصيف الأخطاء وتصنيفها وتفسيرها والكشف عن مصادرها.

وكشفت الدراسة أن الخطأ في الفعل اللازم والمتعدي يحتل مرتبة متقدمة في أنواع الأخطاء اللغوية الشائعة (الصرفية والنحوية)، كما كشفت عن أخطاء لدى المتعلمين في صياغة الأفعال اللازمة والمتعدية، وفي التعامل مع وسائل التعدية واللزوم، وأخطاء في توظيف حروف الجر المناسبة للأفعال المتعدية بحرف الجر، كما تنوعت مصادر الخطأ لدى الدارسين، حيث ارتبط بعضها بعوامل لغوية متمثلة بالنقل السلبي عن اللغة الأم وتداخل اللغة الهدف، وعوامل غير لغوية ترتبط باستراتيجيات التواصل والبيئة التعليمية.

وخلصت الدراسة إلى أن اتباع معيار الوظيفية في تقديم الدرس النحوي يقلل من الخطأ في المنظومة اللغوية، ويمكن المتعلم من تحقيق كفايته اللغوية.

الكلمات المفتاحية: الفعل اللازم والمتعدي، تحليل الأخطاء، تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها.

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2017.

* مركز اللغات، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

المقدمة:

تفترق اللغات الإنسانية في أنظمتها اللغوية، إذ إن لكل لغة نظاما مائزا في معايير وأنساقه، ويؤدي هذا التباين إلى صعوبات عند تعلّم نظام لغوي مغاير للنظام اللغوي في اللغة الأم، ولذلك يحتاج متعلم اللغة الثانية وقتا وجهدا حتى يتمكن من النظام اللغوي الجديد.

ومن هنا نجد أنّ متعلمي اللغة العربية ينزلون إلى الخطأ والزلل في طريق تحقيق كفايتهم اللغوية، فيجترحون الأخطاء اللغوية في مستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية والدلالية، لما تنماز به اللغة العربية من خصائص لغوية وسمات خاصة بها.

ولقضية اللزوم والتعدي أهمية خاصة في الدرس النحوي، وذلك لاتصالها بالنظام اللغوي في العربية من حيث البنية والدلالة والإعراب والوظيفة التركيبية ووسائل التحويل، وعليه يعد الخطأ لدى المتعلمين خطأ جوهريا، قد يذهب بالمعنى المقصود، كما يشي بقصور معرفي لدى المتعلم، فقد لا يلمّ بقاعدة اللزوم والمتعدي إماما صحيحا أو كاملا، مما يجعله يرتكب الخطأ إما في توظيف الأفعال وإما في صياغتها، أو الخطأ في التعامل مع وسائل التعدي واللزوم.

وتفيد دراسة تحليل الأخطاء في التعرف إلى الصعوبات التي تكثف عملية اكتساب اللغة، وتزوّد الباحثين بأدلة عن كيفية تعلم اللغة والأساليب التي يستخدمها الفرد لاكتسابها، كما تفيد في إعداد المواد التعليمية ووضع المناهج واختيار أساليب التقويم المناسبة⁽¹⁾.

المبحث الأول: أ- الفعل اللزوم والمتعدي في العربية:

الأفعال في العربية قسمان: الفعل اللزوم: "وهو ما لا يصل إلى مفعوله إلا بحرف جر، نحو "مررت بزيد" أو لا مفعول له، نحو "قام زيد"."⁽²⁾ فالفعل اللزوم فعل يكتفي بفاعله مع تمام المعنى، وقد أطلق عليه النحاة اسم القاصر⁽³⁾ لقصوره عن المفعول به، واقتصراره على الفاعل.

والفعل المتعدي: "هو الذي يصل إلى مفعوله بغير حرف الجر، نحو "ضربت زيدا"⁽⁴⁾، وعرفه ابن السراج بقوله: ما افتقر إلى فاعله، إلى محل مخصوص يحفظه"⁽⁵⁾، ويقصد بذلك عدم اكتفاء الفعل بفاعله، بل يحتاج إلى المفعول به لإتمام المعنى.

وتشعبت آراء النحاة واختلفت مذاهبهم في تحديد ماهية الأفعال في اللزوم والتعدي، لا سيما ما اشترك بينهما، فقد انصرف بعض اللغويين إلى تقسيم الفعل إلى ثلاثة أقسام: **الفعل اللزوم، والفعل المتعدي، وما ليس بلزوم أو متعد، وجعلوا في هذا القسم كان وأخواتها؛ لأنها لا تنصب المفعول به ولا تتعدى إليه بحرف الجر. ومنهم من جعلها أربعة أقسام وجعلوا فيها**

الأفعال التي وردت تارة متعدية بنفسها، وتارة أخرى متعدية بحرف الجر نحو: (نصحته ونصحت له)⁽⁶⁾.

وتنأى هذه الدراسة عن الخلافات النظرية التي اشتملت عليها كتب النحويين الأولين والمتأخرين في تقسيم الأفعال، وارتأت تقسيم الأفعال إلى قسمين: لازم، ومتعد، وهو رأي أكثر النحاة.

ب- الخطأ في ضوء نظرية تحليل الأخطاء:

اللغة نظام يتألف من مجموعة من الأنظمة الفرعية والعناصر اللغوية، وتختلف اللغات الإنسانية في أنظمتها ومكوناتها، إذ إن لكل لغة نظامها الخاص، فهناك اللغات الاشتقاقية واللغات الإلصاقية واللغات العازلة، ولا شك أن عملية اكتساب نظام لغوي جديد عملية معقدة نظرا لارتباطها بعوامل متعددة لغوية ونفسية وحركية ومعرفية.

وإن معظم البحوث التي أجريت في مجال اللسانيات التطبيقية، كان محورها معرفة كيفية اكتساب اللغة، وإدراك العقبات والعوائق التي تقف حجر عثرة في طريق تعلم اللغة، وما زال هذا التعلم يحظى بالاهتمام الكبير على الصعيدين النظري والتطبيقي، فقد تعددت النظريات والفرضيات التي تحاول تفسير هذا النوع من التعلم، ومن أبرزها النظرية السلوكية التي ترى أن اللغة تتطور نتيجة عوامل ومؤثرات بيئية، والنظرية المعرفية التي ترى أن اللغة تتطور بفعل عوامل فطرية تولد مع الإنسان، وهي موجودة في داخله، أما النظريات الحديثة فتركز على التفاعل بين العوامل البيئية والقدرات الفطرية، ويمكن أن نطلق عليها النظريات التفاعلية⁽⁷⁾.

ولا شك أن المتعلمين يخطئون في أثناء عملية اكتساب اللغة، والخطأ هنا جزء من عملية التعلم، فظهرت العديد من النظريات التي تتناول هذا الخطأ بالتحليل والدراسة، ومنها نظرية تحليل الأخطاء (Error Analysis) وهي منهج يقوم على البحث في الأخطاء اللغوية لمتعلمي اللغات الأجنبية، ووصفها وتحليلها بهدف تحسين العملية التعليمية⁽⁸⁾.

ولقد نشأت هذه النظرية كرد فعل لقصور نظرية التحليل التقابلي التي تعزو أخطاء متعلمي اللغات الأجنبية إلى (التداخل) أي النقل السلبي من اللغة الأم إلى اللغة الهدف، في حين تقوم نظرية تحليل الأخطاء بوصف الأخطاء الفعلية التي يقع فيها متعلمو اللغة من الأجانب، وتفسيرها ورودها إلى أسبابها الحقيقية، سواء أكانت تلك الأخطاء ناتجة من التداخل بين اللغة الأم واللغة الهدف، أم كانت ناتجة من القياس الخاطئ في اللغة الأجنبية، أم بتأثير عوامل غير لغوية⁽⁹⁾.

واتفق اللسانيون التطبيقيون على أن عملية تحليل الأخطاء تسير في ثلاث مراحل: التعرف إلى الأخطاء الحقيقية وتمييزها عن الأخطاء الناجمة عن السهو وعدم الاكتراث، ثم وصف هذه الأخطاء وتصنيفها (أخطاء صوتية أو صرفية أو نحوية)، وبعد ذلك تحديد أسباب هذه الأخطاء⁽¹⁰⁾.

وعلى هدي هذه الإضاءة، ستقدم الدراسة توصيفا دقيقا لأخطاء متعلمي العربية في توظيف الأفعال اللازمة والمتعدية، ومن ثمّ البحث في مصادر هذا الخطأ.

ج_ الدراسات السابقة:

لقد تناول العديد من اللغويين المتقدمين والمتأخرين قضية اللزوم والتعدي بالبحث والدراسة، لا سيما ما اشتملت عليه كتب النحاة السابقين في تقسيم الأفعال وتصنيفها، كما تناولت الدراسات الحديثة هذه الظاهرة، ومنها دراسة الشمسان (1987)، (قضايا التعدي واللزوم في الدرس النحوي)، وهدفت هذه الدراسة إلى النظر في قضية اللزوم والتعدي وجمعها في حيز واحد، وتصنيفها والخلوص فيها إلى رأي⁽¹¹⁾. وللباحث الشمسان (1986) دراسة أخرى معنونة بـ (الفعل في القرآن الكريم تعديته ولزومه)، حيث تناول ظواهر عديدة للفعل اللازم والمتعدي في القرآن الكريم، مبينا أقسام الأفعال ودلالاتها في السياق القرآني⁽¹²⁾.

وصدرت مؤخرا دراسة من إعداد لجنة الرصد الإعلامي اللغوي (2014) في مجمع اللغة الأردني بعنوان (صورة اللغة العربية في وسائل الإعلام والاتصال)، تهدف إلى رصد المادة اللغوية في مختلف وسائل الإعلام وتحليل بياناتها تحليلاً إحصائياً، وذلك لقياس أثر ضعف مستوى التحدث باللغة الأم في ظهور الأخطاء والعيوب في مختلف وسائل الإعلام والاتصال، وطرحت الدراسة عددا من التوصيات، منها ضرورة إنشاء وكالة أبناء كبرى عالمية تتبع جامعة الدولة العربية وتتبنى نشر الأخبار وترجمتها، كما أكدت التوصيات ضرورة إنشاء مرصد لغوي عربي ودعمه بالأجهزة والتقنيات الحديثة وبالكوادر العلمية والفنية المتخصصة من أجل وضع المصطلحات العلمية والتقنية والحضارية الحديثة، وتعريبها وتوحيدها والعمل على إشاعتها في الاستعمال في مختلف المجالات⁽¹³⁾.

لقد هدفت دراسة لجنة الرصد الإعلامي إلى رصد الأخطاء اللغوية بأنواعها لدى أبناء اللغة العربية، بينما تهدف هذه الدراسة إلى تحليل الأخطاء اللغوية لدى متعلمي اللغة العربية من الناطقين بغيرها في استعمال الفعل اللازم والمتعدي تحديداً.

أما في ميدان تحليل الأخطاء فتناولت كثير من الدراسات أخطاء متعلمي اللغة العربية من الناطقين بغيرها، ومنها دراسة التل (1989) (تحليل الأخطاء الكتابية لدى متعلمي اللغة العربية من غير الناطقين بها)، وهدفت هذه الدراسة إلى تحليل الأخطاء الكتابية لدى طلبة المستويين المتوسط والمتقدم من متعلمي العربية من غير الناطقين بها، وكشفت نتائج الدراسة عن وجود أربعة أنواع من الأخطاء الكتابية: الأخطاء الإملائية تليها الأخطاء النحوية والصرفية، ثم الأخطاء الدلالية⁽¹⁴⁾.

ودراسة الفاعوري (2011) الموسومة بـ (الأخطاء الكتابية لدى طلبة السنة الرابعة في قسم اللغة العربية في جامعة جين جي في تايوان)، واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي الإحصائي في رصد الأخطاء وتوصيفها، وبناء على نتائج هذه الدراسة تصدرت الأخطاء النحوية قائمة الأخطاء الكتابية تليها الأخطاء الصرفية والدلالية، كما ربطت الأخطاء بالنقل السلبي عن اللغة الأم والنقل السلبي داخل اللغة الهدف⁽¹⁵⁾.

ولقد اقتصرَت الدراسات السابقة - التل والفاعوري - على ذكر أنواع الأخطاء اللغوية الكتابية وتكرارها ونسبها المئوية، وجاء الخطأ في الفعل اللازم والمتعدي في ثنايا الأخطاء النحوية، دون تحليل دقيق لطبيعة هذا الخطأ أو البحث في مصادره.

أما في ميدان الدراسات التقابلية فكانت دراسة ابن جعفر (2006) (الفعل المتعدي واللازم في اللغتين العربية والماليزية)، إذ قدّمت وصفا شاملا للفعل في اللغتين العربية والماليزية وتحليلهما تحليلا تفصيليا، بغية الاستفادة من هذا التحليل في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، وكشفت الدراسة عن نقاط الاتفاق والافتراق بين اللغتين في استعمال اللازم والمتعدي، وخلصت إلى أنّ اختيار أساليب التدريس المناسبة للطلاب أمر مهم جدا في مجال تعليم العربية للناطقين بغيرها، كما ينبغي أنّ تطور دراسة الفعل المتعدي واللازم في مجال التعليم⁽¹⁶⁾.

ولم أقف على دراسة تناولت أخطاء متعلمي العربية من الناطقين بغيرها في قضية اللزوم والتعدي تحديدا، باستثناء ما جاء في ثنايا الدراسات التي تناولت الأخطاء اللغوية في مجملها، ومنها دراسة العصيلي (2005) الموسومة بـ (التحجّر في لغة متعلمي اللغة العربية من الناطقين بغيرها) فقد كشفت الدراسة التطبيقية عن تحجّر⁽¹⁷⁾ لدى المتعلمين في جانبيين رئيسيين، هما: صياغة أفعال معينة صياغة خاطئة لتعديتها، نحو (الجامعة وجدت) (أوجدت) (المنح الدراسية)، وثانيهما: تحجّر في استعمال حروف الجر حذفًا وزيادة، نحو ويستشير بالآخرين (الآخرين)⁽¹⁸⁾.

وانطلاقاً مما تقدم، نلاحظ أنّ الدراسات السابقة تناولت جميع الأخطاء اللغوية لدى متعلمي اللغة العربية من الناطقين بغيرها (الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والإملائية)، وجاء الخطأ في الفعل اللازم والمتعدي ضمن الأخطاء النحوية والتركيبية دون أن تسلط الضوء على طبيعة هذا الخطأ، أو البحث في أسبابه، علماً بأن قضية التعدي واللزوم من القضايا اللغوية التي تعد أصلاً من أصول اللغة، فهي قسيم علمي الصرف والنحو، وتحتل نسبة عالية من أخطاء المتعلمين، لذا تميزت هذه الدراسة عن غيرها في كونها تنفرد بتحليل أخطاء متعلمي اللغة العربية من الناطقين بغيرها في الأفعال اللازمة والمتعدية، كما استثمرت أدوات المنهج الوصفي الإحصائي في رصد أخطاء المتعلمين، ومعطيات علم اللغة التطبيقي بركنه الأساس وهو منهج تحليل الأخطاء في تصنيفها وتوصيفها والبحث في مصادرها، وفي ضوء نتائج الدراسة قُدّم مقترح لتقديم الدرس النحوي للناطقين بغير العربية وذلك لتقليل الأخطاء اللغوية في هذا المستوى.

المبحث الثاني: الطريقة والإجراءات

يقدم هذا المبحث وصفا لأسئلة الدراسة وأهميتها والتعريفات الإجرائية، كما يتضمّن وصفا لمجتمع الدراسة الذي أخذت منه العينة والطريقة التي اختيرت بها، وكذلك وصف أداة الدراسة، ووصف طريقة جمع البيانات، فضلاً عن الإشارة إلى الأساليب الإحصائية التي استخدمت، وجاء ذلك على النحو الآتي:

أسئلة الدراسة:

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ما نسبة الأخطاء في الأفعال اللازمة والمتعدية مقارنة بالأخطاء اللغوية (الصرفية والنحوية) الشائعة في كتابات متعلمي اللغة العربية من الناطقين بغيرها؟
- ما أنواع الأخطاء في الفعل اللازم والمتعدي، وما نسبة تكرارها لدى متعلمي اللغة العربية من الناطقين بغيرها؟
- ما مصادر الأخطاء (اللغوية، وغير اللغوية) في الأفعال اللازمة والمتعدية؟
- ما الحلول المقترحة لتقليل من الخطأ في الفعل اللازم والمتعدي؟

أهمية الدراسة:

تتبع أهمية الدراسة من أهمية الموضوع نفسه، حيث تعد قضية اللزوم والتعدي أصلاً من أصول النظام اللغوي في العربية، فهي قضية جوهرية تتقاسمها علوم اللغة الصرفية والنحوية والدلالية، ونجد أن كثيراً من الدراسات تناولت أخطاء الناطقين بغير العربية، بيد أنها لم تفرد

هذا الموضوع بالتحليل والدراسة، على الرغم من شيوع الخطأ في الفعل اللازم والمتعدي شفويا وكتابيا، سواء في صياغة الأفعال، أو توظيف وسائل اللزوم والتعدية، أو في تركيب الجملة، أو توظيف حروف الجر المناسبة للأفعال المتعدية بحرف الجر، وتتبع أهمية الدراسة إذاً من كونها دراسة عملية تطبيقية تسلط الضوء على طبيعة هذه الأخطاء وتصنيفها وسبر غورها وتعرّف مصادرها، ومن ثمّ الخلوص إلى حلول تقلل من هذه الأخطاء.

منهج الدراسة:

اقتضت طبيعة الموضوع أن أتبع منهجا وصفيا إحصائيا، إذ يجب أن يسبق عملية وصف الظواهر اللغوية وتحليلها وتفسيرها عملية رصد الأخطاء، لذلك استثمرت الدراسة أدوات المنهج الوصفي الإحصائي الذي يعد من دعائم الدراسات اللغوية في رصد تكرار الأخطاء في الفعل اللازم والمتعدي مقارنة بالأخطاء اللغوية الشائعة، وفي رصد تكرار الأخطاء الفرعية. كما استثمرت الدراسة منهج تحليل الأخطاء في توصيف الأخطاء وتصنيفها وتفسيرها والبحث في مصادرها.

التعريفات الإجرائية:

- الأخطاء اللغوية الشائعة: ونقصد بذلك الأخطاء اللغوية التي ارتكبتها متعلم اللغة العربية من الناطقين بغيرها في الكتابة، وشكلت نسبة تكرار عالية مقارنة بغيرها، علما بأن هذه الدراسة رصدت الأخطاء اللغوية الشائعة في المستويين الصرفي والنحوي فقط، وذلك لارتباط قضية اللزوم والتعدي بهذين المستويين بشكل كبير.

- الخطأ في الفعل اللازم: ونقصد بذلك أن يجعل المتعلم الفعل اللازم الذي يتعدى بحرف الجر متعديا بنفسه وذلك بإسقاط حرف الجر، مما يخالف قواعد النحو ولا يندرج تحت ما يعرف عند النحاة بالتضمين⁽¹⁹⁾ أو المنصوب على نزع الخافض⁽²⁰⁾. وكان في هذا الخطأ مخالفة صريحة لقواعد اللغة.

- الخطأ في الفعل المتعدي: ويقصد بذلك جعل الفعل المتعدي بنفسه فعلا لازما يتعدى بحرف الجر، أي إقحام حرف الجر مع الأفعال التي تتعدى بنفسها، ولم تكن هذه الأفعال من الأفعال التي جاءت متعدية بنفسها تارة ومتعدية بحرف الجر تارة أخرى.

- الخطأ في اختيار حرف الجر المناسب: ونقصد بذلك أنّ بعض المتعلمين استبدل بحرف الجر المستعمل لتعدية الفعل اللازم حرفا آخر غير صحيح وغير مناسب للسياق.

- صياغة الفعل اللازم والمتعدي (توظيف وسائل التعدية): ونقصد بهذا الخطأ عدم قدرة المتعلم على توظيف وسائل نقل الفعل اللازم إلى متعد، أو نقل الفعل المتعدي إلى لازم، فكانت صيغة الفعل غير مناسبة للسياق اللغوي.

وتجدر الإشارة إلى أن الدراسة اعتمدت هذا التفصيل الدقيق في توصيف الأخطاء في الفعل اللازم والمتعدي على الرغم من تداخلها وصعوبة فصلها، وذلك بهدف تقديم معالجة لغوية دقيقة ودراسة فاحصة لطبيعة هذا الخطأ، مما يقدم تصورا واضحا لمصادر هذه الأخطاء، ومن ثم اقتراح منهجية لتقديم قضية اللازم والمتعدي في العربية لمتعلميها من الناطقين بغيرها تحول دون تكرار هذه الأخطاء أو التقليل منها.

مجتمع الدراسة:

تكوّن مجتمع الدراسة من متعلمي اللغة العربية من الناطقين بغيرها في مركز اللغات في الجامعة الأردنية في الفصلين الأول والثاني من العام الدراسي (2016/2015).

عينة الدراسة:

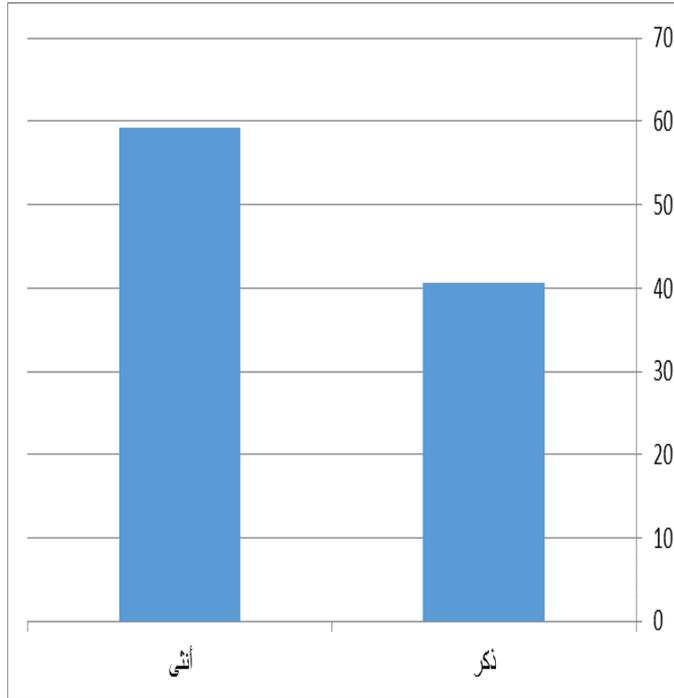
تكونت عينة الدراسة من (54) طالباً وطالبة من طلاب المستوى السادس في مركز اللغات في الجامعة الأردنية، في الفصلين الأول والثاني من العام الدراسي 2016/2015م. وقد تم اختيار العينة بالطريقة القصدية، وهم من الذكور والإناث ومن جنسيات مختلفة، والجدول (1) يوضح التوزيع الديموغرافي لأفراد عينة الدراسة، التي استخدمت فقط للتوضيح ولم تخضع للمقارنة، لعدم ورودها في أسئلة الدراسة.

الجدول (1): توزيع أفراد عينة الدراسة حسب المتغيرات الديموغرافية

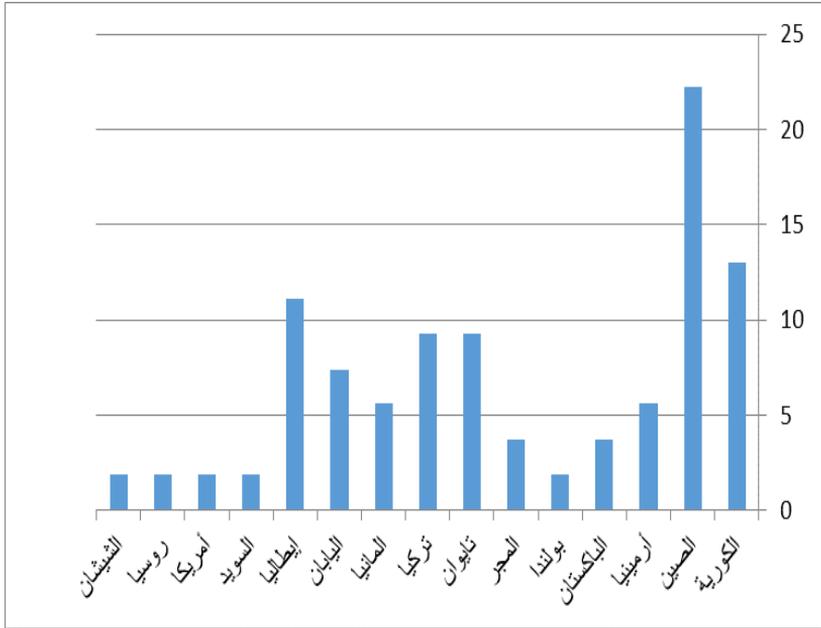
المتغير	التكرار	النسبة المئوية
الجنس		
ذكر	22	40.7
أنثى	32	59.3
المجموع الكلي	54	100.0
الجنسية		
كوريا	7	13.0
الصين	12	22.2
أرمينيا	3	5.6
الباكستان	2	3.7
بولندا	1	1.9
المجر	2	3.7
تايوان	5	9.3

اللازم والمتعدي في استعمال متعلمي العربية من الناطقين بغيرها - دراسة في تحليل الأخطاء -

المتغير	التكرار	النسبة المئوية
تركيا	5	9.3
ألمانيا	3	5.6
اليابان	4	7.4
إيطاليا	6	11.1
السويد	1	1.9
أمريكا	1	1.9
روسيا	1	1.9
الشيستان	1	1.9
المجموع	54	100.0



الشكل (1): توزيع أفراد الدراسة حسب الجنس



الشكل (2) توزيع أفراد الدراسة حسب الجنسية

أداة الدراسة:

تمثلت أداة الدراسة في كتابة موضوع تعبير (مقالة، رسالة، وصف)، بشرط ألا يقل الموضوع عن 150 كلمة ولا يزيد عن 200 كلمة، واختيرت هذه الأداة لأنها تكشف الخطأ في مستويات اللغة كافة: الصرفية والنحوية والدلالية والمعجمية والإملائية، وتمّ تصحيح أوراق العينة بدقة، واستخراج الأخطاء اللغوية (الصرفية والنحوية) الشائعة لديهم، ومستويات الخطأ في الفعل اللازم والمتعدي، ثم صُنفت الأخطاء وفق أنواعها في جداول، وتمّ حساب تكرار كل نوع منها، ونسبها المئوية بالتفصيل.

نتائج الدراسة

يتضمن هذا الفصل الإجابة عن أسئلة الدراسة، حيث استخرجت التكرارات والنسب المئوية واستخدم اختبار مربع كاي (Chi2) للتعرف إلى الأخطاء في الفعل اللازم والمتعدي مقارنة بالأخطاء اللغوية الشائعة (الصرفية والنحوية) لدى الناطقين بغير العربية، وفيما يلي نتائج الدراسة:

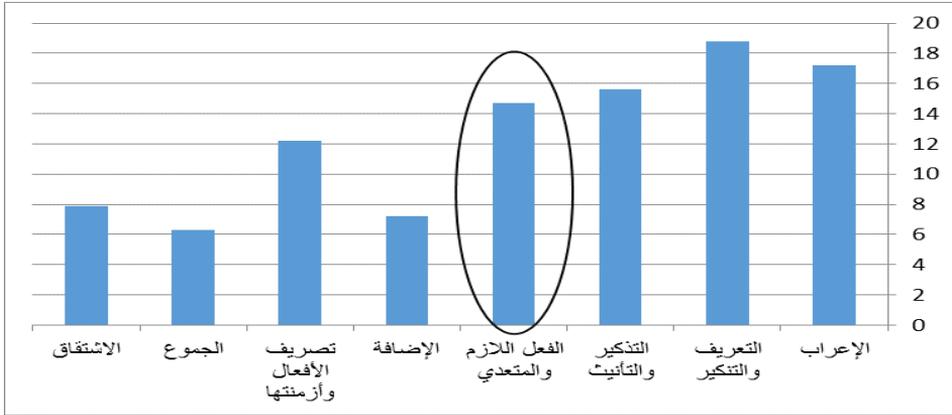
نتائج السؤال الأول: هل يوجد فروق دالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05) في الخطأ في الفعل اللازم والمتعدي مقارنة بالأخطاء اللغوية الشائعة (الصرفية والنحوية) لدى الناطقين بغير العربية؟

للتعرف إلى الفروق في الخطأ في الفعل اللازم والمتعدي مقارنة بالأخطاء اللغوية الشائعة (الصرفية والنحوية) لدى الناطقين بغير العربية، تم استخراج التكرارات والنسب المئوية واستخراج قيمة مربع كاي Chi2، وفيما يلي النتائج:

الجدول (2): التكرارات والنسب المئوية لتصنيف الفعل اللازم والمتعدي مقارنة بالأخطاء اللغوية الشائعة (الصرفية والنحوية) لدى الناطقين بغير العربية

الأخطاء الشائعة	التكرار	النسبة المئوية
الإعراب	76	17.2
التعريف والتنكير	83	18.8
التذكير والتأنيث	69	15.6
الفعل اللازم والمتعدي	65	14.7
الإضافة	32	7.2
تصريف الأفعال وأزمنتها	54	12.2
الجموع	28	6.3
الاشتقاق	35	7.9
المجموع	442	100.0

أظهرت نتائج الجدول (2) احتلال الخطأ الشائع (الفعل اللازم والمتعدي) المرتبة الرابعة بين الأخطاء اللغوية الشائعة (الصرفية والنحوية) لدى الناطقين بغير العربية، إذ يتصدر (التعريف والتنكير) رأس قائمة الأخطاء، وحاز على نسبة (18.8%) من مجموع الأخطاء الشائعة، ومن ثم جاء الخطأ الشائع المتعلق بالإعراب، وحاز على نسبة (17.2%) من مجموع الأخطاء الشائعة الصرفية والنحوية، وجاء ثالثاً الخطأ الشائع المتعلق بالتذكير والتأنيث وبنسبة (15.6%)، وجاء رابعاً الفعل اللازم والمتعدي بنسبة مئوية بلغت (14.7%)، والشكل رقم (3) يوضح ذلك:



الشكل رقم (3): تصنيف الفعل اللازم والمتعدي مقارنة بالأخطاء اللغوية الشائعة (الصرفية والنحوية) لدى الناطقين بغير العربية

الجدول (3): اختبار مربع كاي للتعرف إلى الفروق في تصنيف الأخطاء في الفعل اللازم والمتعدي مقارنة بالأخطاء اللغوية الشائعة (الصرفية والنحوية) لدى الناطقين بغير العربية

الأخطاء الشائعة	التكرار	مربع كاي	درجات الحرية	الدلالة الإحصائية
الإعراب	76	57.548	7	*0.000
التعريف والتعكير	83			
التذكير والتأنيث	69			
الفعل اللازم والمتعدي	65			
الإضافة	32			
تصريف الأفعال وأزمنتها	54			
الجموع	28			
الاشتقاق	35			
المجموع	442			

*دالة عند مستوى (0.05) فأقل

يتضح من الجدول (3) وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05) فأقل في الفعل اللازم والمتعدي، مقارنة بالأخطاء اللغوية الشائعة (الصرفية والنحوية) لدى الناطقين بغير العربية، إذ بلغت قيمة مربع كاي Chi2 (57.548) وهي قيمة معنوية عند مستوى الدلالة (0.05) أو أقل، وأظهرت النتائج تفاوتاً جوهرياً ما بين الأخطاء اللغوية الشائعة (الصرفية

والنحوية) لدى الناطقين بغير العربية، كان أعلاها للخطأ المتعلق بالتعريف والتذكير، وجاء أدناها للمجموع، فيما جاء الخطأ الشائع المتعلق بالفعل اللازم والمتعدي بالمرتبة الرابعة، وهذا يدل على تفاوت واضح في الأخطاء اللغوية الشائعة (الصرفية والنحوية).

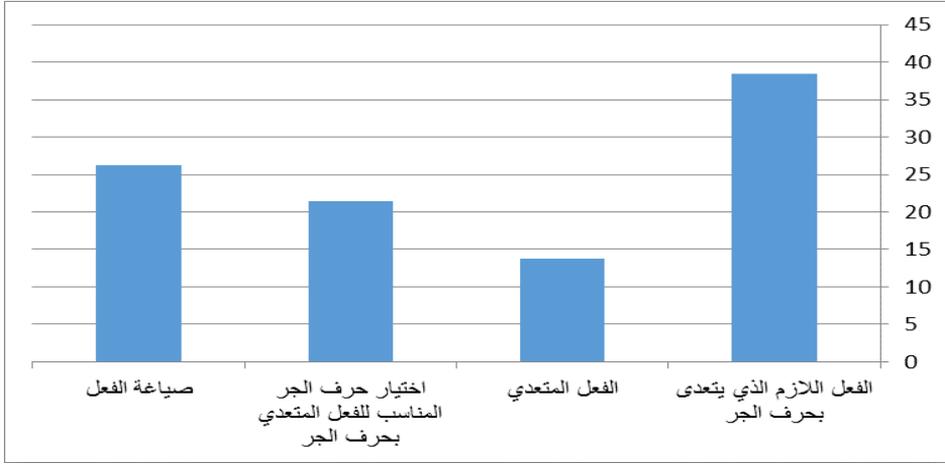
نتائج السؤال الثاني: ما مستوى الأخطاء في الفعل اللازم والمتعدي لدى متعلمي اللغة العربية من الناطقين بغيرها؟

للتعرف إلى مستوى الأخطاء في الفعل اللازم والمتعدي لدى متعلمي اللغة العربية من الناطقين بغيرها، تم استخراج التكرارات والنسب المئوية، والجدول (4) يوضح ذلك:

الجدول (4): التكرارات والنسب المئوية لتصنيف الأخطاء في الفعل اللازم والمتعدي

توصيف الخطأ	التكرار	النسبة المئوية
الفعل اللازم الذي يتعدى بحرف الجر	25	38.5
الفعل المتعدي	9	13.8
اختيار حرف الجر المناسب لتعدية الفعل اللازم	14	21.5
صياغة الفعل (توظيف وسائل التعدية واللزوم)	17	26.2
المجموع	65	100.0

أظهرت نتائج الجدول (4) أن أكثر الأخطاء تكرارا في الفعل اللازم والمتعدي لدى الناطقين بغير العربية كانت في (الفعل اللازم الذي يتعدى بحرف الجر)، إذ بلغت نسبة ذلك الخطأ (38.5%)، وفي المرتبة الثانية جاء الخطأ الشائع المتعلق بـ (صياغة الفعل) بنسبة مئوية بلغت (26.2%)، وجاء ثالثاً الخطأ الشائع المتعلق بـ (اختيار حرف الجر المناسب لتعدية الفعل اللازم) بنسبة (13.8%)، وجاء رابعاً وأخيراً الخطأ الشائع والمتعلق بـ (الفعل المتعدي) بنسبة مئوية بلغت (21.5%)، والشكل رقم (4) يوضح ذلك:



الشكل رقم (4): تصنيف الأخطاء في الفعل اللازم والمتعدي

نتائج السؤال الثاني: هل يوجد فروق دالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05) في تصنيف الأخطاء في الفعل اللازم والمتعدي لدى متعلمي اللغة العربية من الناطقين بغيرها؟

للتعرف إلى الفروق في تصنيف الأخطاء في الفعل اللازم والمتعدي لدى متعلمي اللغة العربية من الناطقين بغيرها، تم استخدام اختبار مربع كاي، والجدول (5) الآتي يوضح ذلك:

الجدول (5): اختبار مربع كاي للتعرف إلى الفروق في تصنيف الأخطاء في الفعل اللازم والمتعدي لدى متعلمي اللغة العربية من الناطقين بغيرها

توصيف الأخطاء	التكرار مربع كاي	درجات الحرية	الدلالة الإحصائية
الفعل اللازم الذي يتعدى بحرف الجر	25		
الفعل المتعدي	9		
اختيار حرف الجر المناسب لتعدي الفعل اللازم	14	3	*0.040
صيغة الفعل	17		
المجموع	65		

*دالة عند مستوى (0.05) فأقل

يتضح من الجدول (5) وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05) فأقل في تصنيف الأخطاء في الفعل اللازم والمتعدي لدى متعلمي اللغة العربية من الناطقين بغيرها، إن بلغت قيمة مربع كاي Chi2 (8.292) وهي قيمة معنوية عند مستوى الدلالة (0.05) أو أقل، وتظهر النتائج أن مصدر الفروقات في الأخطاء كان في الفعل اللازم الذي يتعدى بحرف الجر، حيث سُجّلت أعلى القيم لذلك الخطأ.

- المبحث الثالث: تحليل نتائج الدراسة في ضوء نظرية تحليل الأخطاء:

نلاحظ في الدراسة الإحصائية أن الخطأ في الأفعال اللازمة والمتعدية احتل المرتبة الرابعة من الأخطاء اللغوية الشائعة (الصرفية والنحوية) بنسبة تكرار بلغت (14.7%)، وجاء بعد التذكير والتأنيث والتعريف والتكبير والإعراب، وبنسبة تفوق الأخطاء الشائعة في الإضافة وتصريف الأفعال والجموع والاشتقاق، وفي هذا دلالة على شيوع الخطأ في الأفعال اللازمة والمتعدية، مما يخل بتحقيق الكفاية اللغوية لدى متعلمي اللغة العربية من الناطقين بغيرها.

وبالنظر إلى تصنيف الأخطاء نجد أن الخطأ في (الفعل اللازم المتعدي بحرف الجر) قد احتل المرتبة الأولى بنسبة تكرار بلغت (38.5%) من مجموع الأخطاء، كما هو موضح في الجدول أدناه:

أولاً: - الخطأ في الفعل اللازم (وذلك عند جعل الفعل اللازم متعدياً بنفسه أو عند حذف حرف الجر):

توصيف الخطأ	نسبة التكرار	الخطأ	الصواب
- تعديّة الفعل اللازم بنفسه.	38.5%	- يضحّي حياته للآخرين - يفكرون رسالتهم. - اجتمعتمهم. - يعبرون آراءهم بكل حرية. - استمتعنا الوقت كثيراً - سلمته	- يضحّي بحياته للآخرين - يفكرون في رسالتهم. - اجتمعت بهم. - يعبرون عن آرائهم بكل حرية. - استمتعنا بالوقت كثيراً - سلمت عليه

ويعزى هذا النوع من الأخطاء إلى التداخل اللغوي، أو نقل الخبرة من اللغة الأم، لأن اللغات الإنسانية تختلف في أنظمتها اللغوية، وما يكون لازماً في لغة قد يكون متعدياً في لغة أخرى، وقد يسقط المتعلم في أثناء تعلم اللغة العربية أنظمة لغته الأم على اللغة الهدف، فيجتري الأخطاء،

ومثال ذلك أن يتجاهل لزوم بعض الأفعال باستخدامها متعدية، كقول بعض المتعلمين: (اجتمعتم)، بدلا من (اجتمعت بهم)⁽²¹⁾.

ومن أمثلة الاختلاف بين الأنظمة اللغوية في قضية اللزوم والتعدي، الفعل (وَثِقَ - يَثِقُ) بمعنى (ائتمن وصدق) فعل لازم متعدٍ بحرف الجر في العربية، بينما هو فعل متعدٍ بنفسه في اللغة الإنجليزية.

- نقول في العربية: (وَوَثِقْتُ بِكَ) ويقابلها في الإنجليزية: (I trusted you)

فالفعل (trust) يصل إلى مفعوله مباشرة في الإنجليزية، بينما في العربية لا يصل إلى مفعوله إلا بحرف الجر، لذا قد ينقل المتعلم خبرته باللغه الأم إلى اللغة العربية، فيجعل الفعل اللازم متعديا والمتعدي لازما.

ثانيا: - الخطأ في صياغة الفعل اللازم والمتعدي (توظيف وسائل التعدية واللزوم):

توصيف الخطأ	نسبة التكرار	الخطأ	الصواب
- تعدية الثلاثي دون زيادة الهمزة	%26.2	- قام المركز حفلا لاستقبال الطلاب. - عَجَبَه مشاهدة البترا. - نسيت هل قفلت باب الشقة؟	- أقام المركز حفلا لاستقبال الطلاب. - أعجبه مشاهدة البترا. - نسيت هل أقفلت باب الشقة؟
- زيادة الهمزة مع الفعل المتعدي بنفسه		- أشغلتنني الدراسة عن السفر. - شغلتنني الدراسة عن السفر.	

احتلت الأخطاء في بناء الأفعال اللازمة والمتعدية المرتبة الثانية، وشكلت ما نسبته (26.2%) من مجموع الأخطاء، ويعد هذا الخطأ نتيجة تداخل اللغة نفسها، فوسائل تحويل الأفعال اللازمة إلى متعدية أو المتعدية إلى لازمة ترتبط بطبيعة النظام الصرفي في اللغة الهدف، فاللغة العربية لغة اشتقاقية تصريفية، تتصف بارتقاء نظامها الصرفي. وقد يعجز المتعلم عن توظيف حروف الزيادة (حذفا وإضافة) نتيجة القياس الخاطئ، أو تعميم مبالغ فيه للقاعدة أو تطبيق خاطئ للقاعدة⁽²²⁾، فالطالب يتعلم أساليب نقل اللازم إلى متعد، فيقول مثلا: (نزل_أنزل) (ذهب _ أذهب) (قام _ أقام) ثم يقيس على هذه القاعدة فيقول: (نام _ أنوم) بينما يتعدى

الفعل (نام) بالتضعيف، فالصواب (نوم). وقد يكون هذا الخطأ نتيجة تطبيق خاطئ للقاعدة، ومثال ذلك أن يسقط حروف الزيادة نحو: (قام المركز حفلا) بدلا من (أقام المركز حفلا)، ظنا منه أن الفعل (قام) فعل متعدد بنفسه دون زيادة أحد أحرف التعدية.

ثالثا: - الخطأ في اختيار حرف الجر المناسب لتعدية الفعل اللازم.

توصيف الخطأ	نسبة التكرار	الخطأ	الصواب
الخطأ في اختيار حرف الجر المناسب لتعدية الفعل اللازم.	21.5%	- فالمعلمون ينصحون إلى الطلاب. - يفكرون عن اللهو واللعب. - يكذبون لأبيهم. - تعرفتُ على أصدقاء كثيرين في عمان.	- فالمعلمون ينصحون (للطلاب) ⁽²³⁾ . أو ينصحون الطلاب. - يفكرون في اللهو. - يكذبون على أبيهم. - تعرفتُ إلى أصدقاء كثيرين / تعرفت أصدقاء كثيرين.

جاءت الأخطاء في (توظيف حروف الجر المناسبة لتعدية الأفعال اللازمة) في المرتبة الثالثة بنسبة تكرار مقدارها (21.5%)، ويعزى هذا النوع من الأخطاء إلى (الجهل بالقاعدة وقبورها) أي تطبيق بعض القواعد في سياقات لا تنطبق عليها، مثال ذلك: أن يدرك المتعلم أنّ ثمة أفعالا لازمة تتعدى بحرف جر، ولكنه يخطئ في اختيار حرف الجر المناسب للسياق، مثال ذلك قوله:

- تعرفتُ على أصدقاء جدد. والصواب (تعرفتُ أصدقاء جدد) أو (تعرفتُ إلى أصدقاء جدد).

وقد لا يدرك أن المعنى المقصود في العربية يختلف باختلاف دلالة حرف الجر، فيلتبس عليه المعنى. مثال ذلك اختلاف دلالة الفعل (رغب)⁽²⁴⁾ باختلاف حرف الجر:

- رغب إليه (الضراعة والمسألة).
- رغب في الشيء (أراده).
- رغب عن الشيء (تركه متممدا وزهد فيه ولم يرد).
- رغب بنفسه عنه (رأى لنفسه عليه فضلا).

ونلاحظ في هذا النوع من الأخطاء أن ثمة تقاطعا بين أخطاء متعلمي اللغة العربية من الناطقين بغيرها وأخطاء أبناء اللغة، حيث كشفت الدراسات عن أخطاء لدى أبناء العربية في توظيف الأفعال اللازمة والمتعدية لا سيما في اختيار حرف الجر المناسب لتعدية الأفعال اللازمة⁽²⁵⁾. كقولهم (تخرّجت من الكلية) والصواب (تخرّجت في الكلية). أو قولهم (أجاب على السؤال) والصواب (أجاب عن السؤال) وغيرها.

رابعا:- الخطأ في الفعل المتعدي (زيادة حرف الجر لتعدية الفعل المتعدي بنفسه).

توصيف الخطأ	نسبة التكرار	الخطأ	الصواب
- زيادة حرف الجر لتعدية الفعل المتعدي بنفسه	13.8%	- يؤسفني أن أقدمكم هذا الشيء. - يدمن على مواقع التواصل الاجتماعي. - قبلتُ بالعمل الجديد. - تعودتُ على الحياة في الأردن.	- يؤسفني أن أقدم لكم هذا الشيء. - يدمن مواقع التواصل الاجتماعي. - قبلتُ العمل الجديد. - تعودتُ الحياة في الأردن.

احتلت الأخطاء في الفعل المتعدي المرتبة الرابعة بنسبة مئوية مقدارها (13.8%) من مجموع الأخطاء. ويعزى هذا النوع من الأخطاء إلى تداخل اللغة الهدف، إذ قد يختلط على المتعلم التمييز بين الأفعال اللازمة المتعدية بحرف الجر والأفعال المتعدية بنفسها.

وقد تكون هذه الأخطاء نتيجة الجهل بقواعد اللغة الجديدة، أو التداخل بينها في عقل المتعلم، ويسمى هذا النوع من الأخطاء بـ (الأخطاء التطورية)⁽²⁶⁾، حيث يُنظر إلى تعلم اللغة الأجنبية على أنها سلسلة من عمليات الانتقال من مرحلة إلى مرحلة أخرى تقرب المتعلم من اللغة الأجنبية الهدف⁽²⁷⁾. وتقل هذه الأخطاء والانحرافات اللغوية شيئا فشيئا كلما تقدم المتعلم في دراسة اللغة.

وتتمثل الأخطاء المرحلية لدى المتعلمين في ظاهرة اللزوم والتعدي في العربية، بدءا بالخلط بين الأفعال اللازمة والمتعدية، ثم تتقدم معرفة المتعلم في اللغة فيستطيع التمييز بين ما هو لازم ومتعد، ثم في مرحلة ما قد يخطئ في نقل الفعل اللازم إلى متعد، أو في استخدام حرف الجر المناسب للفعل اللازم المتعدي بحرف الجر.

كما تعزى بعض الأخطاء السابقة إلى عوامل غير لغوية منها (استراتيجية الاتصال) ويقصد بها الأساليب التي يلجأ إليها متعلم اللغة الثانية أو الأجنبية، للتغلب على المشكلات التي تواجهه في توصيل رسالته، كأن يصعب عليه ذكر كلمة مناسبة للسياق، أو بناء الجملة بناء سليما، فيلجأ حينئذ إلى الإشارات، أو الحركة الجسدية، أو الاختصار، أو تحاشي العبارات الصعبة⁽²⁸⁾، ويستعين المتعلم عادة بهذه الإستراتيجيات تجنباً للكشف عن مواطن ضعفه وعجزه في اللغة.

وقد لوحظ في هذه الدراسة أن المتعلمين تحاشوا صياغة الجمل المكونة من مفعولين أو ثلاثة مفاعيل، وربما يرجع هذا التحاشي إلى الخوف من الوقوع في الخطأ، فيلجأ إلى صياغة الجملة بطريقة مختلفة تجنباً لبناء الجملة المركبة من مفعولين أو ثلاثة مفاعيل، فيقول مثلاً:

(أعطى الرجلُ المالَ إلى الفقير) بدلا من (أعطى الرجلُ الفقيرَ مالا).

أو يقول (أرى أن الامتحانَ سهلٌ) بدلا من (أرى الامتحانَ سهلاً)

أو يتجنب نقل اللازم إلى متعدياً أو نقل المتعدي إلى لازم، فيقول مثلاً: (كسِرَ الغصنُ) بدلا من (انكسر الغصن).

وقد لا تكون الإستراتيجيات التي يلجأ إليها المتعلم خاطئة لغويا، ولكن توظيفها واللجوء إليها دائما يشي بقصور معرفي يجب استدراكه وعلاجه. ويمكن للمعلم أن يلاحظ ذلك لدى المتعلمين سواء في المهارة الشفوية أو الكتابية، عندما يلحظ تكرارا لأنماط لغوية معينة، أو تجنب المتعلم توظيف قاعدة نحوية درسها، أو اعتمادها على استظهار جمل وأفعال بعينها، أو عجزه عن توليد تراكيب وجمل جديدة.

وتعزى بعض الأخطاء في ضوء نظرية تحليل الأخطاء إلى (البيئة التعليمية) التي تعد ركيزة أساسية في عملية اكتساب اللغة، بمكوناتها الرئيسية من الحجرة الصفية والمعلم والكتاب المقرر والموقف التعليمي، إذ لها تأثير جوهري ومفصلي في تحقيق الكفاية اللغوية، وقد تكون مصدرا أساسيا في اجتراح الأخطاء، فالمتعلمون "كثيرا ما يقعون في أخطاء ترجع إلى الشرح الخاطئ الذي يقدمه المدرس، أو إلى تقديم بعض التراكيب أو الكلمات في الكتاب المقرر بطريقة خاطئة"⁽²⁹⁾.

فقد تؤدي الطريقة التي يعرض فيها المقرر درس اللازم والمتعدي إلى ارتكاب الخطأ، كأن يقدم الفعل اللازم والمتعدي على أنه قاعدة نحوية تركيبية مقطوعة عن المنظومة اللغوية، لا سيما المستوى الصرفي والدلالي، أو تسرد الأمثلة في سياق غير مناسب، أو أن تعرض القاعدة دفعة

واحدة فلا يستطيع المتعلم الإلمام بها، أو أن تفتقر المقررات إلى تدريبات وأنشطة لغوية تعزز معرفة المتعلم بالتركيب اللغوي الجديد.

وقد تكون الأخطاء الشائعة في استعمال الأفعال اللازمة والمتعدية بين أبناء العربية سببا في الخطأ لدى متعلميها من الناطقين بغيرها، فقد يجري شيء منها على ألسنة معلمي اللغة العربية للناطقين بغيرها، فيقول مثلا:

- (أكدتُ على الأمر) والصواب (أكدتُ الأمر).

أو يقول - (اشتقت لكم) والصواب (اشتقتكم أو اشتقت إليكم).

وغيرهما من الأخطاء الشائعة، ثم إن الطالب يسمعا من معلمه أو في بيئته التعليمية فيحفظها ويكررها حتى تستقر في ذهنه، فيجتري الخطأ شفويا وكتابيا.

وفي واقع الأمر يصعب التثبت من الأخطاء الناشئة عن الطرق أو المواد المستخدمة في التدريس، فلا يسهل التعرف إليها إلا إذا ربطنا تحليل الأخطاء بدراسة دقيقة للمواد التعليمية وأساليب التدريس التي يتعرض لها الدارس، وربما كان هذا هو السبب في قلة المعلومات عن هذه الأخطاء⁽³⁰⁾.

والجدير بالذكر أنّ الأخطاء لدى المتعلمين تختلف باختلاف مستوياتهم وقدراتهم، ولا يمكن للباحث في أخطاء متعلمي اللغة الثانية الجزم بمصدر الخطأ على وجه اللزوم، فقد يكون للخطأ الواحد مصادر عديدة لغوية وغير لغوية، ومنها مثلا التركيبية الانفعالية والنفسية لدى المتعلم، الأمر الذي يصعب قياسه أو الكشف عنه، بيد أنّ تمثل مصادر هذه الأخطاء بأنواعها اللغوية وغير اللغوية قبل الشروع بتعليم اللغة الثانية يسهم في التقليل منها ومعالجتها في حال وقوعها.

المبحث الخامس: تقديم الفعل اللازم والمتعدي للناطقين بغير العربية:

يمثل المستوى النحوي في المنظومة اللغوية بنيتها الأساسية، وركزتها المفصلية، لذا تتباين طرق تعليم اللغات للناطقين بغيرها في الآلية التي يُقدّم بها الدرس النحوي، حيث تنطلق كل طريقة من رؤية وفلسفة خاصة⁽³¹⁾، ولكن بدأ الاتجاه حديثا إلى تعليم اللغة وظيفيا (Functionally) سواء لأبنائها أو للناطقين بغيرها، ويقصد بذلك أن يهدف تعليم اللغة إلى تحقيق القدرات اللغوية عند المتعلم بحيث يتمكن من ممارستها في وظائفها الطبيعية العلمية ممارسة صحيحة⁽³²⁾.

لذا يعد اختيار المادة النحوية من أصعب المهام المنوطة بالمعلم، إذ عليه أن يتخير من القواعد النحوية ما يتناسب وحاجة المتلقي، ويحقق له الكفاية اللغوية بما يحفظ لسانه وقلمه من الزلل، دون غلو وتبحر في فلسفة النحو، لا سيما إذا كان المتعلم من غير المتخصصين في اللغة، وهذا ما أشار إليه الجاحظ بقوله: " أما النحو فلا تشغل قلب الصبي منه إلا بقدر ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن... وما زاد على ذلك فهو مشغلة عما هو أولى به...وعويص النحو لا يجري في المعاملات ولا يضطر إليه شيء" (33).

وتزداد هذه الصعوبة في وجه معلم اللغة العربية للناطقين بغيرها، إذ عليه أن يتمثل مجموعة من الخطوات قبل أن يشرع في تعليم النحو، منها مستوى الدارسين وأهدافهم ودوافعهم وقدراتهم اللغوية، والآلية التي سيقدم بها الدرس النحوي؛ لذلك عليه أن يسأل نفسه قبل أن يقدم أي جزء من القواعد: هل ما يقدمه مفيد ونافع للدارسين؟ هل هو ضروري لتحقيق أهدافهم من تعلم اللغة؟ هل هذا هو الوقت المناسب لتقديمه؟ لماذا يدرس النحو بهذا المحتوى وبتلك الطريقة فقط دون غيرها؟ (34).

وعلى المعلم أن يراعي في اختياره للقواعد النحوية أسس تقديم النحو للناطقين بغير العربية، من حيث الشيوخ (35) والتكامل (36) والتدرج (37) والوظيفية (38) والابتعاد عن الشواذ وكل ما لا يحتاجه المتعلم، وعليه أن يتمثل دائما أن تدريس النحو ليس مقصودا لذاته بل بهدف فهم اللغة واكتساب مهاراتها الأربع قراءة وكتابة ومحادثة واستماعا والقدرة على استعمالها في المواقف الطبيعية استعمالا صحيحا.

وتبدأ أولى خطوات تقديم الفعل اللازم والمتعدي في التخطيط للدرس، ثم اختيار الطريقة المناسبة والإستراتيجية الصحيحة لعرض المحتوى النحوي، ومن ثم تقديم الأمثلة والتدريبات اللغوية والإثرائية لتعزيز المعرفة بالقاعدة النحوية.

والأفضل أن يبدأ بالفعل اللازم لأن تركيب الجملة فيه أسهل من تركيب الجملة في الفعل المتعدي، وهذا ما دعا إليه داود عبده بقوله: إن اكتساب اللغة عند الأجانب قائم على اكتساب القواعد اللغوية، ويتم ذلك بتعلم التراكيب الأقل تعقيدا أولاً، ثم الأكثر تعقيدا، والفعل المتعدي أصعب من الفعل اللازم؛ ولهذا يتعلم الطفل "نام" قبل كلمة "نوم" (39)، وهذا التدرج ضروري لتثبيت القاعدة في أذهان المتعلمين.

ثم يعرض المعلم مجموعة من الأفعال الشائعة في سياقات لغوية طبيعية، ويتجنب الأفعال القليلة الاستعمال التي لا يحتاجها الدارس، ويراعي معيار السهولة والوضوح؛ كي لا ينصرف جهد

المعلم إلى تفسير معاني الأفعال بدلا من شرح القاعدة النحوية، فيتشقت بذلك جهد المعلم وتركيز المتعلم.

ويمكن للمعلم أن يستثمر نظرية القوالب كي يعزز معرفة المتعلم بالقاعدة ويرسخ النمط اللغوي الصحيح في ذهنه، حيث تقدم لنا نظرية القوالب خدمة ممتازة في المران على التراكيب اللغوية الجديدة، وذلك بتكرار التركيب مع التعويض بكلمة مختلفة في كل مرة، نحو:

- حصل الطالب على الجائزة.

ويكلف المعلم الطالب باستبدال بنية أخرى ببنية في الجملة، مثلا أن يستبدل بالفعل (حصل على) الفعل (نال أو أخذ)، مع تغيير ما يلزم.

ثم يكثف التدريبات اللغوية؛ لأن فهم الطالب للقواعد النحوية لا يكفي لتكوين السلوك اللغوي، بل يحتاج عادة إلى تدريبات وتطبيقات كثيرة ومستمرة⁽⁴⁰⁾، فالتدريب اللغوي "وسيلة لحفر المهارة التي تعلمها الفرد وتثبيتها عنده، وتدعيم ما تعلمه بشأنها"⁽⁴¹⁾.

وعليه أن يدرّب المتعلمين على توظيف وسائل التعدية واللزوم ودلالة كل منها، كالتفريق بين الأفعال (خرج وأخرج وخرّج واستخرج)، والتمييز بين الأفعال المتعدية بحرف الجر نحو: (ملت إلى الشيء) و(ملت عن الشيء) أو (اطمأن به) و(اطمأن عليه) و(اطمأن له)، وتكليف الطلبة بتوظيف الأفعال في التعبير الشفوي، وتصحيح أخطائهم وعدم التجاوز عنها، لا سيما الأخطاء الشائعة في الفعل اللازم والمتعدي، لأن بعض المعلمين يرون أن ابن اللغة يخطئ فيها، فلا ضير إن أخطأ متعلمو العربية من الناطقين بغيرها، كقولهم: تعرف على، تخرّج من الكلية، أجاب على السؤال..... إلخ.

وينبغي ألا تقدم التراكيب النحوية بعامة، والفعل اللازم والمتعدي بخاصة في سياقات مقطوعة عن المهارات اللغوية الأربع: القراءة (الفهم والاستيعاب)، والمحادثة، والاستماع، والكتابة، إذ يجب على المعلم أن يراقب استخدام الطلبة للأفعال في تعبيرهم الشفوي والكتابي، ويتأكد من قدرتهم على استدراك دلالاتها في نصوص الفهم والاستيعاب والاستماع.

النتائج والتوصيات:

ومنتهى القول أن هذه الدراسة حاولت البحث في أخطاء استعمال الفعل اللازم والمتعدي لدى عينة من طلاب المستوى السادس في مركز اللغات في الجامعة الأردنية، وفي ضوء استقرار أخطاء العينة، توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج والتوصيات:

- يحتل الخطأ في الفعل اللازم والمتعدي مرتبة متقدمة في الأخطاء اللغوية الشائعة لدى عينة الدراسة، إذ كشفت الدراسة عن قصور لدى المتعلمين في بناء الأفعال وتوظيفها وسائل نقلها من حالة اللزوم إلى التعدي.

- تتعدد مصادر الخطأ في الفعل اللازم والمتعدي لدى أفراد العينة، فمنها ما يرتبط بالنقل السلبي عن اللغة الأم أو تداخل اللغة الهدف، وبعضها يرتبط بالبيئة التعليمية وإستراتيجيات التواصل، ولا يمكننا التثبت من مصدر الخطأ على وجه اليقين؛ لأن الحجرة التعليمية تضم طلبة من جنسيات وخلفيات اجتماعية مختلفة، كما يتباين التركيب النفسي والانفعالي من متعلم إلى آخر، أضف إلى ذلك افتراق المتعلمين في قدراتهم العقلية وخبراتهم اللغوية والمعرفية، ولكن تمثل هذه المصادر جميعها قبل العملية التعليمية وأثناءها سيدل العثرات خلال مراحل اكتساب اللغة الثانية.

- نلاحظ أن ثمة تقاطعا بين أخطاء عينة الدراسة وأخطاء أبناء اللغة العربية، لا سيما في الأفعال الشائعة: مثل (أكد على، تعرف على)، وربما ترجع هذه الأخطاء إلى الطريقة النمطية التقليدية التي يقدم بها درس النحوي، من حيث المثال المصنوع، والابتعاد عن الوظيفية، وتجاهل الأخطاء الشائعة، أضف إلى ذلك انتشار المقالات المترجمة التي لم تخضع للتدقيق اللغوي، وهذا الأمر يستدعي إعادة النظر في تقديم الدروس اللغوية واتباع منهج تربوي - نفسي سليم، وإجراء المزيد من الدراسات التقابلية التي تبحث في الأخطاء المشتركة بين متعلمي العربية من الناطقين بغيرها وأبناء العربية.

- ينبغي التوجه إلى تحليل الأخطاء الفرعية لدى متعلمي اللغة العربية من الناطقين بغيرها، وألا تقتصر الدراسات على تحليل الأخطاء الكلية في مستويات اللغة العامة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية والدلالية، لأن الدراسات البحثية التفصيلية للأخطاء الفرعية تبصر الباحث اللغوي بمصادر للخطأ وعقبات تحول دون اكتساب اللغة، مما لا يتجلى في الدراسات الكلية.

- إن استثمار معطيات علم اللغة التطبيقي، والاستعانة بالنظريات الحديثة في تعليم اللغة للناطقين بغيرها، واتباع معيار الوظيفية لا سيما في تقديم المستوى النحوي، سيققل من اجترار الأخطاء اللغوية بأنواعها.

Arabic Transitive and Intransitive Verbs in the Use of Non-Arab Learners: A study of Errors Analysis

Jamela Abu Mughnam, *Languages Center, Jordan University, Amman, Jordan.*

Abstract

This study aims at analyzing the errors made by learners of Arabic from other languages when it comes to using transitive and intransitive verbs. The sample of the study consisted of (54) male and female students at the University of Jordan who are learners of Arabic from other languages at the university's Language Center. The study required the use of the descriptive statistical approach in counting repetitive errors, and it utilized the error analysis approach in detecting, describing, and explaining errors as well as revealing their sources.

The study has uncovered that mistakes made in the use of transitive and intransitive verbs are at the top of the list of the common grammatical errors (morphological and syntactic) made by learners. It has also exposed some mistakes made by the learners in forming transitive and intransitive verbs, applying the different transitive/intransitive techniques, and using inappropriate prepositions with transitive verbs that required them. The study has also unveiled a diversity of the sources of those errors made by learners where it was found that some of these errors relate directly to Linguistic factors represented in the negative transfer from the learner's native language into the target language, and non-linguistic factors related to Communication Strategies, and educational environment. The study has concluded that following the functional criterion teaching grammar or syntax minimizes linguistic errors and enables learners to achieve language proficiency.

Key words: Transitive and Intransitive Verb, Error Analysis, Teaching Arabic for Non-Native Speakers.

الهوامش

- (1) طعيمة، رشدي أحمد.، تعليم العربية لغير الناطقين بها، ص54.
- (2) ابن عقيل، شرح ابن عقيل، 483-484.
- (3) ينظر: الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، ص 56.
- (4) ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ص 485

- (5) ابن السراج، الأصول في النحو، ص 267.
- (6) ومنهم السيوطي في كتابه (همع الهوامع في شرح جمع الجوامع) حيث جعل الفعل: لازما ومتعديا وواسطة وما لا يوصف بلزوم أو تعدد وهو الناقص: كان وكاد وأخواتهما، وما يوصف بهما أي باللزوم والتعدي معا؛ لاستعماله بالوجهين فيقال: شكرته، وشكرت له، ونصحته ونصحت له (السيوطي، 1979، ج 5، ص 9).
- (7) حتاملة، موسى رشيد، نظريات اكتساب اللغة الثانية وتطبيقاتها التربوية، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد (70) عام (1427هـ)، من الصفحة 69 إلى 90.
- (8) العصيلي، عبد العزيز إبراهيم، طرائق تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها، ص 248.
- (9) العناتي، وليد، اللسانيات التطبيقية وتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، ص 178.
- (10) خرما، وحجاج، اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها، ص 78).
- (11) ينظر: الشمسسان، أبو أوس إبراهيم، قضايا التعدي واللزوم في الدرس النحوي، جدة، مطبعة المدني، 1987م.
- (12) ينظر: الشمسسان، أبو أوس إبراهيم، الفعل في القرآن الكريم تعديته ولزومه، الكويت: ذات السلاسل للطباعة والنشر، 1986).
- (13) صورة اللغة العربية في وسائل الإعلام والاتصال، إعداد فريق الرصد الإعلامي اللغوي، منشورات اللجنة الوطنية الأردنية للنهوض باللغة العربية، عمان، تموز 2014م.
- (14) ينظر: التل، عاتكة، تحليل الأخطاء الكتابية لدى متعلمي اللغة العربية من غير الناطقين بها، كلية التربية، جامعة اليرموك، 1989م.
- (15) ينظر: الفاعوري، عوني، الأخطاء الكتابية لدى طلبة السنة الرابعة في قسم اللغة العربية في جامعة (جين جي في تايوان): دراسة تحليلية، مجمع اللغة الأردني، ع 81. 2011م.
- (16) ينظر، ابن جعفر، محمد نجيب. الفعل المتعدي واللازم في اللغتين العربية والماليزية دراسة في التحليل التقابلي، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا. (2006م).
- (17) التحجر: "ويقصد به التحجر اللغوي، وهو ثبوت الخطأ اللغوي لدى متعلم اللغة الأجنبية في مرحلة من مراحل تعلمها، حتى يصبح الخطأ سلوكا ثابتا لدى المتعلم، بحيث يصعب عليه تعديله أو تصحيحه أو التحول عنه." (ينظر: العصيلي، عبد العزيز بن إبراهيم، طرائق تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها، ص 247).

- (18) ينظر: العصيلي، عبد العزيز بن إبراهيم، التحجر في لغة متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج 17، عدد 33، 1426هـ، ربيع الأول) (ص 301-389).
- (19) التضمين: هو إشراب لفظ معنى لفظ آخر، وإعطاؤه حكمه، لتصير الكلمة تؤدي معنى الكلمتين. ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب (2/ 791)، أي أن تشرب كلمة لازمة معنى كلمة متعدية لتتعدى تعديتها، أو أن تشرب كلمة متعدية معنى كلمة لازمة، لتصير مثلها.
- (20) منصوب على نزع الخافض: أي حذف حرف الجر من الاسم مما يترتب عليه نصب الاسم الذي نزع منه حرف الجر، ينظر: اللبدي، محمد سمير نجيب، معجم المصطلحات النحوية والصرفية: ص222.
- (21) أبو الرب، محمد، الأخطاء اللغوية في ضوء علم اللغة التطبيقي، ص200
- (22) خرما، وحجاج، اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها، ص94.
- (23) جاء في لسان العرب " والنُّصْحُ نقيض العُشِّ مشتق منه نَصَحَ له نَصَحًا ونَصَحًا ونَصِيحَةً ونَصَاحَةً ونِصَاحَةً ونِصَاحِيَّةً ونِصَاحًا، وهو باللام أَفْصَحُ؛ قال الله تعالى: وَأَنْصَحْ لَكُمْ. ويقال: نَصَحْتُ له نَصِيحَتِي نُصُوحًا أَي أَخْلَصْتُ وَصَدَقْتُ، والاسم النصيحة.
- (24) ابن منظور، لسان العرب، مادة رغب.
- (25) ينظر المزيد من التفاصيل: (العدناني، محمد فريد عبدالله (1993)، معجم الأخطاء الشائعة، مكتبة لبنان، بيروت، ط 2.
- (26) طعيمة، رشدي أحمد، تعليم العربية لغير الناطقين بها، ص 55.
- (27) خرما، والحجاج، اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها، ص 79.
- (28) العصيلي، عبد العزيز بن إبراهيم، طرائق تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها، ص245.
- (29) براون، هـ. دوجلاس، أسس تعلم اللغة وتعليمها، ص219.
- (30) صيني، والأمين، التقابل اللغوي وتحليل الأخطاء، ص147.
- (31) ينظر لمزيد من التفاصيل عن طرق تدريس اللغة الثانية: إبراهيم، حمادة (1987) الاتجاهات المعاصرة في تدريس اللغة العربية واللغات الحية الأخرى لغير الناطقين بها.
- (32) عبده، داود، نحو تعليم اللغة وظيفيا، ص9.
- (33) الجاحظ، عمرو بن بحر (ت 255هـ) الرسائل، ج3، ص38.

(34) الناقة، محمود كامل، تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى: أسسه - مداخله - طرق تدريسه، ص285.

(35) الشيوخ (frequency): ويقصد به عدد المرات التي ترد فيها الكلمة أو التركيب أو الصيغة الصرفية أو الوظيفة النحوية في نص أو مجموعة من النصوص المدروسة، فالتركيب الأكثر شيوعاً غالباً ما تكون سهلة ومهمة في فهم اللغة واستعمالها. (العصيلي، 2002، ص255).

(36) يقصد بالتكامل ربط الدرس النحوي بالمهارات اللغوية من قراءة وكتابة واستماع ومحادثة، بحيث يمكن المتعلم من توظيفها واستعمالها في المواقف الطبيعية.

(37) يقصد بالتدرج البدء بتدريس التراكيب اللغوية الأقل تعقيداً ثم الأكثر تعقيداً.

(38) يقصد بالوظيفية أن يكون الهدف من تعليم اللغة تحقيق القدرات اللغوية عند المتعلم بحيث يتمكن من ممارستها في وظائفها الطبيعية العملية ممارسة صحيحة. (عبده، داود، نحو تعليم اللغة وظيفياً، ص9).

(39) عبده، داود، دراسات في علم اللغة النفسي، ص 83.

(40) الركابي، جودت، طرق تدريس اللغة العربية، ص 182.

(41) طعيمة، رشدي أحمد، تعليم العربية لغير الناطقين بها، ص227.

المصادر والمراجع:

إبراهيم، حمادة. (1987) الاتجاهات المعاصرة في تدريس اللغة العربية واللغات الحية الأخرى لغير الناطقين بها، القاهرة: دار الفكر العربي.

براون، هـ. دوجلاس. (1994) أسس تعلم اللغة وتعليمها، ترجمة عبده الراجحي وعلي شعبان، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

الجاحظ، عمرو بن بحر (ت 255هـ) الرسائل، تحقيق عبد السلام هارون، (1991) بيروت: دار الجيل.

خرما، نايف. الحجاج، علي. (1988)، اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها، عالم المعرفة، العدد 126، الكويت.

أبو الرب، محمد. (2005) الأخطاء اللغوية في ضوء علم اللغة التطبيقي، عمان: دار وائل للنشر والتوزيع. ط1.

- الركابي، جودت. (1986) طرق تدريس اللغة العربية، الرياض: دار الفكر، ص182.
- ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل بن السراج البغدادي، الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، (1988) بيروت: مؤسسة الرسالة، ط3.
- السيوطي، جلال الدين (ت 911 هـ)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق عبد العال سالم مكرم، (1979) الكويت: دار البحوث العلمية، ج5.
- الشمسان، أبو أوس إبراهيم. (1986) الفعل في القرآن الكريم تعديته ولزومه، الكويت: ذات السلاسل للطباعة والنشر.
- الشمسان، أبو أوس إبراهيم. (1987) قضايا التعدي واللزوم في الدرس النحوي، جدة: مطبعة المدني.
- صيني، إسماعيل، الأمين، إسحاق محمد. (1982) التقابل اللغوي وتحليل الأخطاء، الرياض: جامعة الملك سعود. ط1.
- طعيمة، رشدي أحمد. (1989) تعليم العربية لغير الناطقين بها، الرباط: منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو.
- عبده، داود. (1984) دراسات في علم اللغة النفسي، جامعة الكويت: مطبوعة الجامعة.
- عبده، داود. (1979) نحو تعليم اللغة وظيفيا، الكويت: مؤسسة دار العلوم. ط1.
- العدناني، محمد فريد عبد الله (1993)، معجم الأخطاء الشائعة، مكتبة لبنان، بيروت، ط2.
- العصيلي، عبد العزيز بن إبراهيم. (2002) طرائق تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها.
- ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله (ت 769هـ)، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، (1980)، القاهرة: دار التراث، ط 20.
- العناتي، وليد. (2003) اللسانيات التطبيقية وتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، عمان: الجوهرة للنشر والتوزيع، ط1.

اللبيدي: محمد سمير نجيب، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، بيروت، مؤسسة الرسالة دار الفرقان، ط1، 1985م.

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711هـ) لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1968م. الناقاة، محمود كامل. (1985) تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى: أسسه - مداخله - طرق تدريسه، جامعة أم القرى.

ابن هشام، عبد الله بن يوسف (ت: ٧٦١هـ)، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1991.

المجلات:

حتاملة، موسى رشيد (1427هـ)، نظريات اكتساب اللغة الثانية وتطبيقاتها التربوية، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني العدد (70)، (من ص 69-90).

الفاعوري، عوني (2011م)، الأخطاء الكتابية لدى طلبة السنة الرابعة في قسم اللغة العربية في جامعة (جين جي في تايوان): دراسة تحليلية، مجمع اللغة الأردني، ع 81.

العصيلي، عبد العزيز بن إبراهيم (1426هـ، ربيع الأول)، التحجر في لغة متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج 17، عدد 33، (ص 301-389).

المنشورات:

صورة اللغة العربية في وسائل الإعلام والاتصال، إعداد فريق الرصد الإعلامي اللغوي، منشورات اللجنة الوطنية الأردنية للنهوض باللغة العربية، عمان، تموز 2014م.

الرسائل الجامعية:

ابن جعفر، محمد نجيب. (2006)، الفعل المتعدي واللازم في اللغتين العربية والماليزية دراسة في التحليل التقابلي، رسالة ماجستير -غير منشورة- الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا.

التل، عاتكة. (1989)، تحليل الأخطاء الكتابية لدى متعلمي اللغة العربية من غير الناطقين بها، رسالة ماجستير -غير منشورة- كلية التربية، جامعة اليرموك.

ملاح الشعريّة في رواية "جدائل الصبر"

لإيمان الكريمين

إبراهيم منصور الياسين*

تاريخ الاستلام 2016/10/5

تاريخ القبول 2017/1/23

ملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة الشعريّة في رواية "جدائل الصبر" للكاتبة إيمان الكريمين، بوصفها ظاهرة أسلوبية لها عناصرها التي تسهم في تشكيل البنية اللغوية والدلالية في النص، وتُساعد في نقل أحاسيس الكاتبة ومشاعرها، والتعبير عن آرائها وأفكارها بصورة غير مباشرة.

وجاءت الدراسة في مقدّمة ومحورين هما:

- المحور التنظيري: يتناول مفهوم الشعريّة من وجهة نظر عدد من النقاد الغربيين والعرب، ويبيّن أهمّيته في بنية النصّ الأدبيّ الشكلية والمضمونية، وأثر ذلك في المتلقّي.

- المحور الإجرائي: يتوقّف على بعض ملاح الشعريّة، التي ظهرت في رواية "جدائل الصبر"، ويبيّن أثرها في نسيجها الداخليّ وأبعادها الدلالية.

وقد تبين أنّ لغة الرواية تقترب من لغة الشعر، وتجلّت ملاح تلك اللغة الشعريّة فيها من خلال استخدام الكاتبة بشكل مكثّف أساليب بلاغية متعدّدة: كالانزياح، والتصوير الحسيّ، والمفارقة، والتشبيه؛ وذلك من أجل إغناء معانيها، وتعزيز إيحاء الكلمات لديها، وكل ما يهتمّها قوة اللغة، وطاقتها التعبيرية.

الكلمات المفتاحية: الشعريّة، الانزياح، التصوير الحسيّ، المفارقة، الوصف.

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2017.

قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الطفيلة التقنية، الطفيلة، الأردن.

المقدمة:

اللغة هي الوسيلة الأساسية في التعبير عن أفكار المُبدع ورؤاه، وتصوير مشاعره وأحاسيسه، وهي ليست أداة اتصال حسب، وإنما أداة جمالية للتأثير في المُتلقي، ومنها تنبع "الشعرية"؛ ولذا يُصبح البحث في بنيات تلك اللغة وأبعادها الدلالية أمراً مهماً للقارئ للوصول إلى عقل الكاتب وقلبه. فالبنية كلٌّ مكوّن من ظواهر متماسة، تتضمن مجموعة من الوحدات والعناصر مرتبة ومنظمة، تنشأ بينها علاقات خاصة؛ فتحمل دلالات متعددة⁽¹⁾ ترتبط بطبيعة تلك العلاقات، التي تُشكّل في جوهرها النص، وتتحقّق من خلالها قيمته وفائدته.

وعليه، فإنّ هذه الدراسة تروم فحص ملامح الشعرية في رواية "جدائل الصبر" للكاتبة إيمان الكريمين⁽²⁾، التي تُسهم في تشكيل البنية اللغوية والدلالية في النص، وتُساعد في نقل أحاسيس الكاتبة ومشاعرها، والتعبير عن آرائها وأفكارها بصورة غير مباشرة.

وقد اعتمدت الدراسة منهجاً أسلوبياً، رصدت من خلاله النصوص التي تُمثّل الظاهرة، وحلّلتها تحليلاً دقيقاً بيّن أبعادها اللغوية والدلالية، ثم استخلصت نتائجها.

أولاً: المحور التنظيري: مفهوم الشعرية

تُشكّل اللغة اللبنة الأساسية في الخطاب الأدبي، فهي ليست وسيلة اتصال حسب، بل وسيلة جمالية للتأثير في المُتلقي، ومنها تنبع "الشعرية"، التي توصف بأنها "أسلوبية النوع"، أو "علم الأسلوب الشعري"⁽³⁾، أو "علم الأدب"⁽⁴⁾، أو "قوانين الكتابة الإبداعية"⁽⁵⁾. وتُوصف الشعرية اللغة بأنها "لغة عن اللغة. تحتوي اللغة وما وراء اللغة، ممّا تحدّثه الإشارات من موحيات لا تظهر في الكلمات، ولكنها تختبئ في مساربها"⁽⁶⁾، وتسعى إلى معرفة "القوانين العامة التي تُنظّم ولادة كل عمل، وتبحث عن هذه القوانين داخل الأدب ذاته... وتعنى بالخصائص المجردة التي تُصنّع فرادة الحدث الأدبي أي الأدبية"⁽⁷⁾.

والشعرية مصطلح قديم جديد في الوقت نفسه، وترجع أصوله إلى أرسطو في شعرياته، وإشاراتهِ الدقيقة إلى الأنواع الأدبية وخصائص كلٍّ منها، وتفاعلها مع بعضها بعضاً⁽⁸⁾، ومن ذلك قوله على سبيل المثال لا الحصر: "إنّ كثيراً من الصيغ الشعرية التي توفرت في الخطابة مكنتها من التأثير أكثر، مثل الترمويه الذي يدركه السامع فيما بعد، وتكرار الألفاظ المجازية، والاستعارة المقبولة والتقابل والطباق والأمثال وصيغ المبالغة، أمّا الوزن فليس من باب الخطبة ويجب أن يبتعد عنه"⁽⁹⁾.

وتُعرّف الشعرية أيضاً بأنها ذلك الفرع من اللسانيات الذي يُعالج الوظيفة الشعرية في علاقاتها مع الوظائف الأخرى للغة كالانفعالية، والإفهامية، والانتباهية...، وتهتمّ بهذه الوظيفة

خارج الشعر⁽¹⁰⁾، وبأنها "بحث مؤلم عن الجديد، ومغامرة في اللغة ومعها، وهي أيضاً انحراف بأساليب القول عن شيوعه ومألوفيته إلى أفق مختلف يتأسس على لذة الغرابة، وصدمة المفاجأة"⁽¹¹⁾، وأنها "محاولة وضع نظرية عامة ومجردة ومحايدة للأدب بوصفه فناً لفظياً، إنها تستنبت القوانين التي يتوجه الخطاب اللغوي بموجبها وجهة أدبية"⁽¹²⁾.

وللشعرية خصيصة سياقية علائقية؛ إذ إنها "تجسد في النص لشبكة من العلاقات التي تنمو بين مكونات أولية سمّتها الأساسية أن كلاً منها يمكن أن يقع في سياق آخر دون أن يكون شعرياً، لكنه في السياق الذي تنشأ فيه هذه العلاقات، وفي حركته المتواشجة مع مكونات أخرى لها السمة الأساسية ذاتها، يتحول إلى فاعلية خلق للشعرية ومؤشر على وجودها"⁽¹³⁾.

ويتركز موضوع الشعرية في "دراسة الإجراءات اللغوية التي تمنح لغة الأدب خصوصية مميزة تفصلها عن أنماط التعبير الفنية واللغوية الأخرى هذه الخصوصية تتميز بأنها منبثقة من الأدب ذاته ومائلة في أبنيتها التعبيرية"⁽¹⁴⁾؛ فالشعرية "وظيفة من وظائف العلاقة بين البنية العميقة والبنية السطحية؛ وتتجلى هذه الوظيفة في علاقات التطابق المطلق أو النسبي بين هاتين البنيتين، فحين يكون التطابق مطلقاً تنعدم الشعرية (أو تخف إلى درجة الانعدام تقريباً) وحين تنشأ خلخلة وتغاير بين البنيتين تنبثق الشعرية وتتفجر في تناسب طردي مع درجة الخلخلة في النص"⁽¹⁵⁾.

وأما اللغة الشعرية، فهي انزياح عن مستوى اللغة العادي، أي خرق لقانون اللغة العادية، فكل صورة تخرق قاعدة من قواعد اللغة، أو مبدأ من مبادئها، وهذا الانزياح محكوم بقانون يجعله مختلفاً عن غير المعقول⁽¹⁶⁾، وعليه يمكن القول بأن المبدع يولد الشعرية في نصه من خلال استخدام الأساليب البلاغية المختلفة: كالاستعارة، والانزياح، والتصوير الحسي، والتشبيه، والمفارقة، والإيحاء، والتلميح، والتّمثيل، والتّرميز... وغيرها، وغاية هذه الأساليب الابتعاد عن السطحية والمباشرة في توصيل المعنى للقارئ من جهة، وتوسيع الدلالة وتعميقها وصولاً إلى ما أسماه عبد القاهر الجرجاني "معنى المعنى"⁽¹⁷⁾ من جهة أخرى؛ ولذا فهي بحاجة إلى قارئ صاحب كفاية "يثار وعيه عندما يُصادف كسراً لنظام اللغة وتشويشاً لما هو ثابت في ذهنه ووعيه، ولذلك يتولد عنده إحساس بالدهشة والمفاجأة في اللامتظر واللامتوقع، وأن هذا الإحساس يأسره ويُشكّل لديه لذة وطرافة وغرابة"⁽¹⁸⁾.

ثانياً:- المحور الإجرائي: ملاحم الشعرية في الرواية

تحاول هذه الدراسة، انطلاقاً من المحور السابق، أن تكشف عن ملاحم الشعرية في رواية "جدائل الصبر"؛ وذلك بالوقوف على عناصر اللغة الشعرية وسماتها، التي تقرب لغة الرواية من لغة الشعر، وتكسيها أبعاداً فنية محمّلة بدلالات مجازية، تعطي المتلقي فرصة التأويل والقراءة المتعددة.

أولاً: شعرية العنوان

النص عالم مغلق متعدد الأضلاع والأبواب؛ لذا فإن القارئ بحاجة ماسة لوجود نوافذ تدخله إليه، والعنوان واحد من تلك النوافذ؛ بوصفه وسيلة الاتصال الأولى بين المُبدع والقارئ، وهو "تحديد لاتجاه القراءة، ورسم لاحتمالات المعنى"⁽¹⁹⁾. هذا فضلاً عن أنه "ذو محمولات دلالية، وعلامات إيحائية شديدة التنوع والثراء، مثله مثل النص، بل هو نص مواز، كما عند جبرار جينيت. وإذا كان النص نظاماً دلالياً وليس معاني مبلّغة، فإن العنوان كذلك نظام دلالي رامن له بنيته السطحية ومستواه العميق مثله مثل النص تماماً"⁽²⁰⁾.

ويؤدّي العنوان في أي نص أدبي "دوراً محورياً في تشكيل اللغة الشعرية، من خلال علاقة الاتصال والانفصال مع النص، ولا تتحدّد هذه العلاقة من خلال البعد الإيصالي فحسب، وإنما من خلال البعد الجمالي. كما يرى السيميولوجيون - إذ تتلمّس هذه العلاقة بالبحث والتأمل"⁽²¹⁾.

فعنوان الرواية "جدائل الصبر"⁽²²⁾ مُكوّن من جملة اسمية ذُكر فيها المسند/ الخبر، وحُدّف منها المسند إليه/ المبتدأ، وهذا الحذف فيه استفزاز مُبكر للقارئ للبحث عن المحذوف، ويمكن تقديره هنا باسم الإشارة (هذه)، وقد جاء المسند جمعاً نكرة، وأضيف إلى مفرد مذكّر، ولكن التركيب فيه خروج على مألوف اللغة، وانزياح دلالي واضح، ناتج عن إضافة كلمة "الصبر" لكلمة "الجدائل". وقد عدّ هذا النوع من الانزياح من باب التوقع الخائب أو المفاجأة، التي تولد من خلال المنتظر، الذي يتعارض مع المحور النسقي، الذي يضمّ عدداً من خيارات الإضافة المتاحة غير أن المبدع يختار منها ما يراه مناسباً.

والإضافة من المتلازمات فالمضاف والمضاف إليه يُشكّلان بنية دلالية متكاملة؛ لذلك لا غرابة في أن نتوقع مضافاً إليه مناسباً لكلمة (جدائل) كأن نختار كلمة من مثل: العروس، أو الطفلة، أو الفتاة، أو اللعبة...، وأما أن نقول "جدائل الصبر" فهذا يحدث مفاجأة غير متوقعة للقارئ؛ فالمنافرة بين المضاف والمضاف إليه هنا ضرب من المجاز، وانتهاك لغوي واضح يُؤثر في الدلالة؛ إذ تجعل الكاتبة (للصبر) وهو شيء معنوي (جدائل) طويلة، تمتدّ لتتدلّى على "أكتاف العمر" كما تقول، ولا يكون أمامها إلا أن تجلس والحزن ينفذ نسج قلبها؛ كي تُجدّل تلك الصفائر بجهد، وأناة لا حدود لهما، لتكوّن ثماني وعشرين جديلة، لكل واحدة منها عنوان فرعي يُعبّر عن مضمونها.

وقد صاغت الكاتبة تلك العنوانات الفرعية بلغة شعرية مجازية تصويرية، تحمل دلالات متعدّدة؛ إذ اعتمدت في بعضها على الانزياح الدلالي القائم على التصوير الحسيّ مثل: (راحة الغياب ومذاق الألم، وسكون يتبعه أنين الرحيل، وأنين في أروقة الفراق، وغياهب الهديان، ونبيد

القول من وجع فوق ممرات الذّاكرة، ونزف الورد وبكاء الغيوم، وسطوة بلمح البصر، ونفحات من عبير الحضرة)، وعلى الانزياح بأشكاله المختلفة مثل: (تقاسيم الأقدار بخطى الأسفار، وسطور حائرة، وطفولة وأحلام البراءة، وتساؤلات حائرة، ووأدُ براعم الهوى، ونام الكلام وانطفأ وهج السراج، وموودة الرّوح، ومن بين أهذاب الظلام ارتعشت نظرات القسوة، وصحوة بين حطام الانفصام، وقرابين الاستغفار، وعيون النهاية)، واعتمدت في بعضها الآخر على المفارقة (نبيحة على مسرح الفرح، وزغاريد الروح ولحن الوداع، وتخضّب الخطيئة برغوة الألم).

وهذه العنوانات كلّها تنطوي تحت العنوان الرئيس للرواية "جدائل الصبر"، تلك الجدائل التي تخلصت على أنات الروح، وأوجاع القلب، وكشفت عن معاناة الأثى، وصوّرت عذاباتها المتراكمة في مجتمع لا يرحم؛ إذ كبلها بقيود بعض العادات والتقاليد الجائرة، التي أهدرت كرامتها، وسلبت حريتها، واغتالت إنسانيتها.

ثانياً: شعريّة اللغة

تعدّ الصور والمجازات من الخصائص الجوهرية للعمل الأدبي بوصفها خرقاً أو انزياحاً لقانون اللغة، وهو وحده الذي يزود الشعريّة بموضوعها الحقيقي⁽²³⁾، ويكون المعنى أساس هذه الصور والمجازات؛ لأنّه ينتج في التركيب اللغوي الروائي (المجازي) من التفاعل بين التعبير المستعمل مجازياً وبين التعبير المستعمل حرفياً، وتسدّد دراسته في النصّ للشعريّة، التي توسّع القراءة إلى ما وراء البنى الداخلية للنصّ، وتتعداه إلى التفاعل بين النصّ والقارئ والعكس⁽²⁴⁾.

ويجد القارئ المتفحص للرواية لغة شعريّة ترتكز بصورة أساسية على الانزياح، والتّصوير الحسيّ، والمفارقة، وتعدّ من أقوى أركان الصورة الشعريّة. ومما زاد من شعريّة الرواية أيضاً تلك النصوص الشعريّة التي استحضرتها الكاتبة من مخزونها الثقافي، أو من إنتاجها الفكري، ووظفتها في روايتها بصورة دقيقة واعية؛ فدعمت لغة الرواية، وأكسبتها عمقاً وجمالاً.

1- الانزياح

الانزياح اللغوي هو "خرق لقانون اللغة"⁽²⁵⁾، أو "انحراف عن قاعدة ما"⁽²⁶⁾، أو "انزياح عن النمط التعبيري المألوف أو المتواضع عليه"⁽²⁷⁾، وهو وحده الذي يزود الشعريّة بموضوعها الحقيقي⁽²⁸⁾. وحدّد تشومسكي الاستعارة بأنّها "انحراف عن بنية اللغة"⁽²⁹⁾، واعتبرها جان كوهن العنصر الذي "يكون الخاصية الأساسية للغة الشعريّة"⁽³⁰⁾، وقد أكدّ سيسيل لويس أهميتها ومقدرتها في التعبير عن الانفعالات القوية بقوله: "هي اللغة الطبيعية للحالات المتوترة وللإثارة؛ لأنّها تمكّن الإنسان بعنف مُركّز من التعبير عن الارتفاع في مستوى الموقف العنيف الذي يثيره"⁽³¹⁾.

وقد اعتمدت الكريمين في روايتها على الانزياح بكلِّ صوره وأنماطه بشكلٍ جليٍّ؛ فثمة انزياحات استبدالية كما في قولها: (تمرّد حبي، والحزن مزروع فينا، والفرح زائر غريب، والسعادة عملة نادرة، وينمو الإبداع، وبكت الغيوم، وابتلعني الصمت، والكلمات تغفو، ويستفيق الوقت، والليل يبكي، والأحلام تفتش أحضان الأمنيات، وأفسده الدهر)⁽³²⁾، وانزياحات دلالية متعدّدة: كانزياح الصفة عن الموصوف في قولها: (الألم المعتق، وصوت عذب، والصمت الوقور، والوقت الضائع، وخاطرة شفاقة، وفراغ أغلس، وابتسامه شفاقة، وصوت زابل، والأحلام المتناثرة، وقلبي المتصحر، والليل الحائر، والبوح المدمى، والكلام المعسول، وعالمي المتصحر، والنبض أخضر غص)⁽³³⁾، وانزياح المضاف عن المضاف إليه في قولها: (جدائل الألم، ومعطف الغموض، وخطيئة الكلام، وأذيال التمني، وعين الأمل، ومحطة الأمل، وأسوار الوعي، ودروب الهذيان، ودياجير الأنين، ولعبة الأيام، وثوب الحسرة، وأشواك القهر، وبحر التيه، وبحر الأسى، واهتراء الأمل، وبوابات الرحيل، وعين الندم، وجمر لظى الأمومة، وجرح الزمن، وصهوة الرحيل، وذيول الخيبة، وحواجز الصمت، وكأس الموت، ولباس المغفرة، وقطار الألم، وجراحات الألم، وذكريات الألم، وغيوم الألم، وحبل الألم، وحبال البوح، وابنة الألم، ووسادة الحب، ولباس الفرح، وطعم البهجة، وفتيل الملل، ودموع الغيم، ودنيا الغربية)⁽³⁴⁾.

وقد جسّدت هذه الانزياحات أوجاع الأنثى، وعبرت بعمق شديد عن انفعالاتها ومشاعرها وأحزانها، حيث تقول الكاتبة على لسان (دنيا) مخاطبة (مجدولين) بطلاة الرواية: "يا عزيزتي السعادة في زمننا هذا عملة نادرة التداول، والأسى والحزن باتا فايروساً يمتص كل خلية فرح، وكأني أرى الفرح زائراً غريباً يأتينا على استحياء لبضع لحظات، لا يلبث أن يقيم حتى يغادرنا بغصات موجعة"⁽³⁵⁾.

فهي تصوّر الفرح وتُشخصه على هيئة زائر خفيف الظل حيي سريع لا يلبث أن يأتي لبرهة فيغادر، معتمدة في هذا التصوير على الانزياح الاستبدالي بين الفعل وفاعله في قولها: "يأتينا على استحياء"؛ إذ أسندت فعل (الاتيان) وهو مادي (للفرح) وهو شيء معنوي، وعلى الانزياح الاستبدالي بين المبتدأ وخبره في قولها: "السعادة عملة نادرة التداول"؛ إذ جسّدت (السعادة) وهي شيء معنوي بصورة (العملة) وهي شيء مادي؛ لتبين قيمتها الثمينة، وتكشف عن مدى حاجة المرء إليها في لحظات اليأس والحزن والألم.

كما استعانت الكاتبة في إبراز صورتها السابقة على عنصر التّضاد بين الفرح والحزن، والسعادة والأسى، ما يعكس الصراعات النفسية والفكرية، التي عاينتها ووقفت حائرة أمامها؛ فقد رسمت للأسى والحزن صورة جديدة مبتكرة؛ إذ جسّدت على هيئة مخلوقات ضارة، تقنّات على مصّ خلايا الفرح. وهي صورة مغايرة لصورة الفرح والسعادة. وهذا الجمع بين الانزياح القائم

على عنصري التشخيص والتجسيد وبين التضاد يُعمق حالة القلق والتوتر التي تعيشها الكاتبة، وتنقل القارئ إلى حيرتها وترددها بين الفرح والحزن، والسعادة والأسى. ومما لا شك فيه أن "ازدياد درجة التضاد ثم البلوغ إلى التضاد المطلق قادر على توليد طاقة أكبر من الشعريّة... فإن مولد الشعريّة في الصورة وفي اللغة هو التضاد لا المشابهة"⁽³⁶⁾.

وتقول محدثة عن (مجدولين): "منذ دقائق كانت تتصارع مع السطور، كانت تسترقّ الدقائق لتخطّ أكبر سيل من الكلام؛ فعندما يستفيق الوقت الضائع منّا، ونبدأ بللمة أحلامنا المتناثرة، نسابق الزمن لنصل إلى عين الأمل؛ فنكون قد وصلنا لمرحلة توشك على النهاية، وبتنا نجرّ أذيال التمني ونقاوم التلاشي الذي بدأ يتسلّل لأرواحنا، وقتها يجب أن نعلم أننا نعيش بمرحلة النقاهاة، المرحلة التي تسبق النهاية"⁽³⁷⁾.

فالكاتبة في هذا المقطع ترصد حركة الزمن، وتصور اللحظات الدقيقة من عمر الإنسان، وتؤكد أهمية الزمن وحضوره في حياته من خلال تكرار مفردات متعلّقه بدالة الزمن: (الزمن، والدقائق، والوقت، والمرحلة، والنهاية)، وهذه الألفاظ ترتبط بأفعال مضارعة مستمرة مفعمة بالحركة الدائبة، التي تعكس حركة الزمن ودورانه وسرعته (تتصارع، وتسترقّ، ويستفيق، ونسابق، ونجرّ، ونصل، ونقاوم، ويتسلّل، ونعيش، وتسبق).

وقد اتّكأت الكاتبة في هذا التصوير على لغة شعريّة تزخر بأشكال الانزياح المختلفة: كالانزياح الاستبدالي بين الفعل وفاعله في قولها: "يستفيق الوقت"؛ إذ تشخص الزمن وتصوره في هيئة إنسان يستفيق من نومه؛ ليبدأ رحلته بمسابقة المرء وملاحقته للوصول به إلى مرحلة النهاية، والانزياح الدلالي بين النعت ومنعوته في قولها: "أحلامنا المتناثرة"؛ إذ جعلت (الأحلام)، وهي شيء معنوي، شيئاً مادياً متناثراً، وهذا وصف لا ينسجم وطبيعتها، والانزياح الدلالي بين المضاف والمضاف إليه في قولها: "عين الأمل" و"أذيال التمني". ومثل هذه التراكيب المنزاحة تحدث رهشة واستغراباً لدى المتلقّي تدفعه لفحصها، والوقوف عند دلالاتها العميقة؛ لما فيها من خرق لقانون اللغة.

تقول على لسان (مجدولين): "كثيراً ما كانت تجتاحني أحلام اليقظة فتجعلني أفترش أحضان الأمنيات، فقد تفتحت براعمها بدخول خالد إلى عالمي المتصّحّر، وبانت هذه الأمنيات تسلخني عن وجه الواقع شيئاً فشيئاً"⁽³⁸⁾. فالكاتبة ترسم صورة مشرقة للأمنيات (مجدولين) وأحلامها، وتجسدها على شكل نبتة ندية تفتحت براعمها، ونضجت ثمارها، فغيّرت عالمها المتصّحّر الجديب إلى عالم مُخضّر خصيب؛ وذلك بدخول أخيها خالد إلى حياتها.

وقد اعتمدت في إبراز هذه الصورة على الانزياح الدلالي بين المضاف (أحضان) والمضاف إليه (الأمنيات)، وبين المنعوت (عالمي) والنعت (المتصخر)، وعلى الانزياح الاستبدالي بين الفعل وفاعله في قولها: "تجتاحني أحلام اليقظة" و"تسلخني الأمنيات"، وإن الفعلين المضارعين (تجتاحني وتسلخني) يُجسدان بعمق تلك الحركة القوية الناتجة عن فعل الأمنيات والأحلام وما أعقبها من تغيير واضح في حياة (مجدولين) جعلها تشعر بالفرح وحب الحياة بعدما كانت يائسة حزينة.

2- التصوير الحسي

التصوير الحسي هو العمل على تقريب المعطيات، أو المعاني الذهنية، أو المعنوية غير المحسوسة إلى ذهن المتلقي بتصويرها على نحو يتم إدراكه بإحدى الحواس الخمس؛ ذلك لأن الأساس النفسي للصورة يقوم على "النزوع من داخل مضطرب إلى موضوع خارجي منسجم متحد، والأصل في هذا الموضوع أن يكون حسيًا يمكن إدراكه بإحدى الحواس"⁽³⁹⁾. التي تساعد على توسيع مجال الرؤية؛ وذلك بإشراك البصر والسمع والشم والذوق واللمس والحركة.

ولذا فقد نقلت الكاتبة أحاسيسها ومشاعرها الجوانية المكبوتة في أعماقها في صور حسيّة مدهشة، وأهمّها: الصورة البصرية بشقيها اللونية والحركية، والصورة الذوقية، والصورة السمعية؛ فقد رسمت للهموم والأوجاع والأحزان والأفراح صوراً حسية بصرية لونية، وحركية، وذوقية، وشمية، ومنها قولها: (للغياب رائحة تشبه رائحة الغصّة، وللغياب مذاق يشبه مذاق الألم المعتق، والغياب أنين يسري مسرى الدم في الشرايين، ويشتم رائحة الأحداث، وارتشفت من الألم شهد النجاح، والممزوج بعبق البراءة، وتعانق ترنيمات المساء، ونبيد القول من وجع يتناثر، ورشف السعادة والأمل بقربي، وأحتسي كؤوس الألم فمذاقه المرّ يليق بعلقم أيامي، وأشتم رائحة الوحشة، والليل أرخى سدوله والنهار لاز بأذياله، وهمس الحكايات أتعب خافقي، ونار الحقد والقهر تلتهم أحشائي، وفاحت رائحة الغلاء، وترياق الشفاء من جراحها هاجر إلى بلاد البعاد)⁽⁴⁰⁾.

تقول الكريمين على لسان (دنيا): "للرحيل كما للغياب رائحة تشبه رائحة الغصّة، ومذاق يشبه مذاق الألم المعتق، تتذوقه خلجات الروح والفؤاد ليجعلنا نثمل من شدة الوله ونهذي من الالتياح والشوق...فغيابك أنين يسري مسرى الدم في الشرايين، يمتص كل خلية فرح في كياني"⁽⁴¹⁾.

فهي ترسم للغياب صورة حسية شمّية ذوقية سمعية حركية؛ فتجعل له رائحة، وطعمًا، وصوتًا، وحركة، وبذا يصير الشيء المعنوي عندها مادة تُشم، وشرابًا يُذاق، وصوتًا يُسمع، وحركة تُحس، ولم تتوقف الكاتبة في رسم هذه الصورة على هذا الحدّ، بل اعتنت بإبراز كل

تفصيلاتها، وكشفت عن طبيعة رائحة الغياب التي تُشبه "رائحة الغصة"، وطبيعة مذاقه التي تُشبه "مذاق الألم المعتق"، وطبيعة صوته التي تُشبه "الأنين"، وطبيعة حركته التي تُشبه "مسرى الدم في الشرايين"، معتمدة في هذا كله على التشبيه تارة، والانزياح بكل أشكاله تارة أخرى. وهذا الوصف الدقيق للغياب يُظهر مدى مرارته وصعوبته وقسوته وألمه على نفسية الأنثى.

وتقول: "توقفتُ هنا مجدولين ولم تكمل، أشعر بوجعها للرحيل غصة مغلقة بأنين يُشبه أنين تجرّع كأس الموت، فالعبرات تختنق في الحناجر، والدموع تتجمد في المحاجر. لا بد أنها أصيبت بقر، وتدفق ذكريات الألم في تلك الفترة"⁽⁴²⁾.

فالكريمين ترسم للرحيل صورة حسية حركية سمعية زوقية؛ إذ تجعل له صوتاً مؤلماً، وطعماً مرّاً يُشبه صوت من يتجرّع كأس الموت، كما تجعل له حركة (غصة، وتجرّع، وتختنق، وتتجمد، وتدفق) وقد صوّرت هذه الألفاظ تلك الحركة القاسية الصعبة المؤثرة، التي تشبه غصة الطعام وتجرّع كأس الموت.

وتقول: "فقط اليوم قررت أن أسدل الستارة عن حكايتي معك، حكاية طالما كان سردها ملازماً لرقصك بمتعة على إيقاع دفوف الغياب، والنقر على وتر العذاب. فأنت لم تتعب يوماً من مراقبة عذاباتي"⁽⁴³⁾. فهذه الصورة الحسية الحركية السمعية تكشف عن نظرة الكاتبة للمحب المخارع الأناني، الذي يتمتع بتعذيب الآخر، ويلوذ بالفرار هرباً من المواجهة، وهي نظرة تفيض بالأوجاع والأحزان، وعذابات الروح والوجدان. وقد اعتمدت الكريمين في رسم هذه الصورة على الانزياح الإضافي في قولها: "دفوف الغياب" و"وتر العذاب"؛ إذ جعلت للغياب دفوفاً، وللعذاب وترّاً وأن ذلك المحبّ المخارع قد عزف على تلك الدفوف، ونقر على ذلك الوتر؛ ليرقص بمتعة على عذابات تلك الأنثى المخلصة والوفية في حبها.

وتقول: "لا أريد تعليق حزني على حبال بوحك المدمى يا مجدولين فكلّ منا يشدّ حبل الألم على حوائط أيامه"⁽⁴⁴⁾. فالكاتبة ترسم للحزن صورة بصرية حركية؛ فتجعله شيئاً مادياً معلقاً على حبال البوح المدمى، معتمدة فيها على الانزياح الدلالي بين النعت (المدمى) والمنعوت (البوح) في قولها "بوحك المدمى"، الذي منح الصورة أبعاداً دلالية عميقة كشفت عن أوجاع الكاتبة وآلامها.

3- المفارقة

المفارقة في أبسط تعريفاتها أن تقول شيئاً وتريد نقيضه، وهي كما حدّثا (دي. سي ميويك) "قول شيء بطريقة تستثير لا تفسيراً واحداً، بل سلسلة لا تنتهي من التفسيرات المغيرة"⁽⁴⁵⁾.

وهي أيضاً "تعبير لغوي بلاغي، يرتكز أساساً على تحقيق العلاقة الذهنية بين الألفاظ أكثر مما يعتمد على العلاقة النغمية والتشكيلية"⁽⁴⁶⁾، وقد عدّها محمد العبد "نوعاً من التّضاد، بين المعنى المباشر للمنطوق والمعنى غير المباشر"⁽⁴⁷⁾، وعرفها ناصر شبانة بأنها "انحراف لغوي يُؤدّي بالبنية إلى أن تكون مراوغة وغير مستقرة ومتعدّدة الدلالات"⁽⁴⁸⁾.

فالمفارقة إذاً تقوم في أساسها على الازدواج الدلالي؛ إذ تحمل معنيين متضادين: أحدهما ظاهر والآخر خفي، ولا يدرك هذا التّضاد إلا صانع المفارقة، الذي يتظاهر بالبراءة، وملتقٍ واعٍ وذكيّ، يعتمد على فطنته في استيعاب المفارقة ومعرفة حقيقتها. وقد تجلّت المفارقة في الرواية بصور متعدّدة كالمفارقة اللفظية، ومفارقة الموقف.

1- المفارقة اللفظية

المفارقة اللفظية هي تناقض بين معنَي الألفاظ: المعنى الحرفي، والمعنى المخفي الذي يقصده صانع المفارقة، وهي بهذه البنية ذات الدلالة الثنائية أو الازدواجية الدلالية تشبه الاستعارة، غير أنها تشتمل على علاقة توجه انتباه المخاطب نحو التفسير السليم للقول⁽⁴⁹⁾، وتتكوّن حين يُؤدّي الدال مدلولين نقيضين: أحدهما قريب نتيجة تفسير البنية اللغوية حرفياً، والآخر سياقيّ خفيّ يجهد القارئ في البحث عنه واكتشافه⁽⁵⁰⁾. ويُسهّم هذا النوع من المفارقة في تقوية النص، وإغنائه ومنحه مزيداً من الترابط والعمق.

وقد اعتمدت الكريمين في صياغة روايتها على اللغة، بوصفها الوسيلة الأساسية في التعبير عن أفكارها ورؤاها، وهذا يستلزم بحثاً عميقاً في تلك اللغة، وأبعادها الدلالية؛ للوصول إلى أفكار الكاتبة وتصوراتها. والقارئ المتفحص للرواية يجد فيها مجموعة من الصيغ اللفظية ذات الأبعاد الدلالية، التي لا تفهم فهماً سليماً إلا في سياقاتها الخاصة، وربطها بعد ذلك بالفكرة الرئيسة للنص، إذ تخرج هذه الصيغ عن دلالاتها الحرفية إلى دلالات أخرى خفية تكون مناقضة تماماً للدلالة الأولى؛ وذلك من خلال تفاعلها وتعالقها مع الأنساق اللغوية الأخرى؛ من أجل تعميق سلوك بعض الشخصيات، أو وصف ردة فعلها على موقف معين، ومن ذلك قولها على لسان (دنيا) لسيد غيابها: "أتدري؟ أتمنى أن أراك الآن لأخبرك بأنك لم تهديني السعادة برحيلك، بل أهديتني الجراح على طبق فاخر، أهديتني لقباً مُطرزاً بعلامات استفهام"⁽⁵¹⁾. فالجراح أشياء مؤلمة وقاسية لا تهدي، ولكنها تصبح في النص هدية ثمينة تقدّم على طبق فاخر من محبّ أناني مستهتر بمحبوبة عاشقة مخلصه وفيّة، وتلك مفارقة كبرى.

وقولها تصف ردّ فعل (مجدولين) على زواجها القسري: "سَلْموني ليد عمي ليستلمني زوجي، وهكذا كانت طقوس الجنّازة أقصد الزفاف"⁽⁵²⁾. فالزواج شيء مقدّس جميل، لكنّه

صار في النص الروائي جنازة، أو حرباً، أو مذبحة، أو قتلاً، أو اغتصاباً؛ لأنه تمّ بصورة غير عادية؛ إذ أُجبرت (مجدولين) على الزواج من ابن عمّها (مصطفى) في ظلّ ظروف اجتماعية واقتصادية صعبة، فأحسّت أنها مجرد سلعة تُباع وتُشترى، وتسلّم من يد لأخرى، وقد أكّدت ذلك بقولها لأمها: "هذا هو ثمني! كم أساوي عند الجميع؟ لا أعرف حتى عدد النقود التي لم تلبث بيدي سوى عدة دقائق؛ لأنّ أُمّي خطفتها على الفور من يدي"⁽⁵³⁾، وقولها: "لا تختلف قصة الحروب في نظري عن قصة زواجي من مصطفى أو كما كنت أقول عنها "صفقة بيعي لمصطفى" فهناك من يخطط وهناك من يُنفذ، وهناك من يكون الضحية"⁽⁵⁴⁾، وقولها: "لو كنت موجوداً يا أبي هل ستسمح لهم بقتلي؟ الجميع قتلوني وأُمّي زغردت يوم موتي"⁽⁵⁵⁾، وقولها: "هي ذبيحة على مسرح الغضب والإكراه، ومئات النساء ذُبحن بنفس الطريقة تحت اسم زواج وهو ليس بزواج، بل اغتصاب لروح قبل الجسد ولكن بثياب بيضاء وفرح وغناء والعنوان "زواج"⁽⁵⁶⁾.

وتقول الكريمين: "الكل يُشاهد والكل يقترب بحقها خطيئته الخاصة، وهي ليس لها إلا أن تخضّب خطاياهم برغوة حناء الألم... لقد خضبت مجدولين الخطايا لهم جميعاً بالحناء لتتمكن من رؤية أثرها على أيامها القادمة، وجعلت من الظلم مجذاًفاً تُجذّف به في بحر دامس"⁽⁵⁷⁾، فالخضاب بالحناء شيء جميل يُوضع في أماكن خاصة للتزيّن في لحظات الفرح والجمال، لكنّه يصبح في النص مادة تزيّن بها الخطايا؛ وذلك لتتمكّن (مجدولين) من رؤية أثرها على أيامها في المستقبل، وفي هذا التعبير مفارقة لفظية واضحة، وفيه انزياح دلالي مثير؛ إذ تجعل الكاتبة للألم، وهو شيء معنوي، (حناء) وهو شيء مادي وتقوم (مجدولين) بتخضيب خطايا من حولها برغوته.

2- مفارقة الموقف أو الحدث

مفارقة الموقف هي "انقلاب يحدث مع مرور الزمن"⁽⁵⁸⁾، وإنّ أية انقلابات ذهنية متجاوزة يمكن ملاحظتها، أو أيّ تعارض يحدث بين ما يتوقّعه المرء وبين ما يحدث تندرج تحت هذا النوع من المفارقة، كما أنّ "التناقض بين الإنسان بآماله ومخاوفه وأعماله وبين القدر المظلم العنيد يقدم مجالاً واسعاً للكشف عن المفارقة المأساوية"⁽⁵⁹⁾.

وقد اهتمت الكاتبة في روايتها بهذا النوع من المفارقة؛ لتكشف عن التغييرات الفكرية والنفسية والاجتماعية، التي تحدث للشخصية عندما تواجه الظروف والأقدار التي تلمّ بها، حيث تقول الكريمين على لسان (مجدولين) في يوم خطبتها، وقد حرّمت حق إكمال تعليمها لتجبر على

الارتباط بابن عمها (مصطفى): "حُدّد موعد الخطبة، كنت كالذبيحة التي تتخبّط بدمائها لا أحد ينقذها من الذبح. انشغل الجميع بترتيبات الخطوبة فقررت إنهاء الأمر بطريقتي، فلن ينقذني أحد من سكين الجزار، لذلك أفضل أن أنحر نفسي على أن أذبح بأيديهم ببطء الموت أرحم منهم جميعاً"⁽⁶⁰⁾.

لقد تحوّل يوم الخطوبة وهو أجمل يوم تحلم به أيتها أنثى إلى مشهد دموي مفزع، وصارت فيه (مجدولين) كالذبيحة التي لا تملك من إرادتها شيئاً، وتنقاد إلى مقصلة الجزار عنوة في صورة مبكية حزينة، وعندها فقدت (مجدولين) طعم الحياة ولذتها قرّرت الانتحار، وقد جاء هذا القرار نتيجة قاسية للظلم، الذي وقع عليها من أمها وعمها وعمتها، وهذا الموقف يكشف عن مفارقة مأساوية كبرى أحدثتها الظروف المؤلمة التي اجتاحت حياة (مجدولين).

وتقول على لسان (مجدولين) في يوم زفافها: "فتحت الستارة لتعلن عن مسرحية زفافي، الكل سعيد ومبتهج، والكل اتخذ زينته متكئاً عليها يتغاوى بها، جملوني بالمساحيق الملونة وألبسوني ثوبي العاجي، وطرحه طويلة لم أر فارقاً بينها وبين بياض الكفن، كانوا يردّون الأهازيج، ويطلقون الزغاريد وأنا كنت أخفي نواح الروح عن المسامع، ألبستني أمي مصاغي وقيدوني بخاتم الزواج...ساقوني في زفة إلى بيت العريس، كما تساق النعجة إلى يد القصاب يوم العيد، الكل مبتهج بذبحها وهي تصيح بملء الجفون لكن لا راد اليوم لا لفيض الجفون ولا للصياح"⁽⁶¹⁾.

فهي ترسم مشهداً جنازياً حزيناً لزواج (مجدولين) القسري؛ إذ صار يوم عرسها كالمسرحية، التي يقصد منها الضحك والتسلية، وغدا ثوبها الأبيض كفنًا، وخاتم الزواج قيداً، وأصبحت (مجدولين) كالنعجة التي تساق إلى يد القصاب يوم العيد، وهي تصيح وتبكي ولكن لا أحد يسمع صراخها، ولا أحد يحسّ بأناتها الملتهبة، وتلك مفارقة كبرى.

وتتجلّى مفارقة الموقف في الرواية بصورة واضحة في التغيرات، التي طرأت على تصرفات (مجدولين) وسلوكها في علاقاتها مع زوجها وعمتها ومع المشعوذ الدجال؛ وذلك نتيجة لانقلاب الظروف وتبدل الأحوال، حيث تصرّح بذلك قائلة: "قرّرت أن أغيّر طريقة تعاملي وأبدل ملامحي البائسة، فتجمّلت بابتسامة الشيطان وفي عينه المكر، فكانت أهم أدواتي، والنفاق يُزيّن تعاملي مع الجميع. تعلّمت أن لا أنطق إلا كلاماً معسولاً وخاصة مع زوجة عمي"⁽⁶²⁾.

ففي الوقت الذي كانت فيه (مجدولين) تكره ابن عمها؛ لأنه تزوجها عنوة، وكان يضربها ويُسِيء معاملتها ويهينها أمام أهله، صارت بعد وفاه والديه تُشفق عليه، وتطلب منه أن يُسامحها

على أفعالها معه، حيث تقول: "تغيّرت ملاحم الحياة على مصطفى فبعد وفاة والديه وقفت إلى جانبه من دافع الشفقة..وما زاد الأمر سوءاً عدم إنجابنا طفلاً يملأ علينا الحياة ويحيي اسم والده. كنت أتألم وأنا أراه ضعيفاً بائساً لا حول له ولا قوة"⁽⁶³⁾.

وفي الوقت الذي كانت فيه (مجدولين) تكره عمّتها، وتُخطط للانتقام منها، صارت تعطف عليها، وتساعدتها رغم أنها كانت السبب الرئيس في كل أوجاعها وأحزانها، وقد حدث هذا التغيّر في المعاملة والسلوك بسبب مرض عمّتها وموت زوجها، حيث تقول: "بدأ قلبي يلين قليلاً لها فضعفها ووجعها أنساني غيظي وأدركت أن انتقام الله أحكم وأعدل من انتقامنا"⁽⁶⁴⁾.

وأما المشعوذ فقد ساقطها عمّتها إليه عنوة وكأنّها نعمة تُقاد للمسلخ⁽⁶⁵⁾؛ كي تتعالج من أجل الإنجاب وقد توجّس قلبها خيفة منه ومن تصرفاته الشيطانية، وأما بعد أن ارتكب معها المشعوذ الخطيئة الكبرى فقد تغيّرت طريقة تعاملها معه؛ حيث راحت إليه برغبتها وبرفقة عمّتها، وعقدت معه صفقات شيطانية؛ إذ أحضرت من عنده علاجاً لزوجها يجعله غير قادر على الإنجاب، حيث تقول: "كلّما نظرت إلى نفسي في المرأة أرى مسخاً شيطانياً تلبس ملاحمي حتى بت نسخاً منسوخاً عن مسوخ الشياطين، ارتدى قلبي السواد حداداً على شرفي الذي ضيّعته زوجه عمي واعتمر رأسي قبعة الوسوس وسوء الأفكار، بت أخط وأنفذ دون أن ترف لي عين ندم، بت أبتسم في وجوههم وبودي لو يكون معي خنجر مسموم أسه في قلب كل من له يد في قتل جنيني، تحالفت مع الشيطان حتى بت ربييته وتفوقت على المشعوذ الدجال بأفعاله، هكذا أصبحت بعد أن سكنت خطيئة الشيطان في أحشائي"⁽⁶⁶⁾. وهذه التغيّرات في مواقف مجدولين وفي علاقاتها الإنسانية والاجتماعية تكشف عن مفارقات مأساوية كبرى.

ثالثاً: شعريّة الوصف

الوصف من التقنيات المهمة التي يستخدمها الروائي في رسم الأبعاد المكانية والزمانية، وفي تصوير الشخصيات، وله في البناء الروائي وظائف متعددة يمكن تحديدها في وظيفتين أساسيتين: الأولى جمالية تزيينية، تُشكل استراحة في وسط الأحداث السردية، والأخرى توضيحية تفسيرية، حيث يكون للوصف وظيفة رمزية دالة على معنى معين في إطار سياق الحكيم⁽⁶⁷⁾، هذا بالإضافة إلى أنّ الوصف يُحدث في النص الروائي "توقفاً للسرد، أو على الأقل إبطاءً لوتيرته ممّا يترتب عنه خلل في الإيقاع الزمني للسرد ويحمّله على مراوحة مكانه وانتظار أن يفرغ الوصف من مهمته لكي يستأنف مساره المعتاد"⁽⁶⁸⁾.

إن اللغة هي الطريقة المثلى في الوصف، فثمة وصف عن طريق السرد التقليدي، وآخر شاعري عميق لا يتم إلا باستخدام لغة بلاغية رفيعة في التصوير، تجعل الموصوف سواء أكان مكاناً، أم زماناً، أم شخصاً ذا قيمة؛ وهذا يدفع المتلقي للبحث عن المعنى المنبثق عن ذلك الوصف، ويُعطيه مجالاً أوسع للتأويل والتحليل.

لقد توقفت الكاتبة في روايتها على عنصرَي المكان والزمان بتجلياتهما المختلفة بوصفهما من أهم أركان العمل الروائي، فرسمت لهما مشاهد حسية أضفت عليها من روحها ومشاعرها؛ لإيمانها العميق بأن "الأماكن بداخلنا تجسّد حالات إنسانية تسمح لنا بالسير داخلها والحركة في زوايا ذاكرتها"⁽⁶⁹⁾، حيث تقول في وصف مكان طفولة (مجدولين): "البيت الصغير المزدهم بساكنيه ما زال يسكن جدران ذاكرتي...كنت ألهو مع نسيمات الهواء التي تداعب عنقوان السنابل، فتموج وأموج معها بكل فرح تموج السنابل يشعرنني وكأني أميرة السنابل، وصفير الهواء يداعب مسامعي برفق فيعزف سيمفونية هدوء الروح من الانعتاق من صخب الأزقة...وما زلت أسمع صفير الهواء يناديني لأختبئ بين السنابل، أحلم بها وكأنّ الزمان يأخذني معه إلى الماضي وينساني هناك بين أحضانه، أتوسد التراب الأحمر، وألتحف سنابل الفرحة"⁽⁷⁰⁾.

فالمكان هنا يتضجّ بالفرح، ويتموج بالسعادة، وكل شيء فيه يُحرك مشاعر الفرحة والحبّ في نفس (مجدولين) (نسيمات الهواء، والسنابل المتموجة، وصفير الهواء، وأشعة الشمس، والتراب الأحمر). إنه مكان رومانسي حالم يفيض بالجمال والهدوء والراحة، وهذا ما تشعر به (مجدولين) وهي تعود بذاكرتها للوراء، واصفة مكان طفولتها الحالم الممتلئ بالفرح.

وقد اعتمدت الكاتبة في وصفها للمكان على عنصر التشخيص؛ إذ صورته على نحو إنساني تملؤه الحركة والنشاط؛ فصارت نسيمات الهواء تداعب عنقوان السنابل، وصار صفير الهواء يداعب مسامع (مجدولين) ويناديها، ويعزف لها ألحاناً عذبة هادئة. وباتت (مجدولين) تصاحب الزمان، فيأخذها معه بعيداً في جوف الماضي الجميل فتستلقي بأحضانه، متوسدة التراب الأحمر، وملتحفة سنابل الفرحة. لقد رسمت الكاتبة للمكان والزمان معاً صورة استعارية تشخيصية منحت الصورة عمقاً وجمالاً.

وتقول في وصف مكان (دنيا): "كم أنا امرأة بائسة تتحين أية فرصة لتبدأ بوصف الوجع حتى وإن كان وجع ذاكرة الأماكن؛ فبعد رحيلك بات المكان قفراً، والشوارع خالية من الضحكات، ونجوم الليالي خلعت وشاح بريقتها وارتدت السواد السرمدية"⁽⁷¹⁾.

فالمكان قد اختلفت معالمه، وتغيرت طبائعه، فصار قفراً كثيباً حزيناً مظلماً، لا يوجد فيه فرح، أو حياة، أو جمال؛ لأنه خلا من الحبيب، الذي رحل وترك أثراً في نفس (دنيا) انعكس على المكان، فما هذا الجذب والحزن والسواد الذي وسم المكان إلا صورة مطابقة للجذب والحزن والسواد، الذي غلف قلب (دنيا) وحياتها بعد غياب حبيبها.

فالكاتبة ترسم للمكان صورة طبقاً لنفسيتها ومشاعرها، إنها ترى المكان بمرآة نفسها. وهذا يؤكد "أن ضوابط المكان في الروايات متصلة عادة بلحظات الوصف، وهي لحظات متقطعة أيضاً تتناوب في الظهور مع السرد أو مقاطع الحوار، ثم إن تغيير الأحداث وتطورها يفترض تعددية الأمكنة واتساعها، أو تقلصها حسب طبيعة موضوع الرواية"⁽⁷²⁾.

وتتوقف الكاتبة على وصف الزمن فتقول: "بدأ الليل يبكي بغزارة، واختنقت المزاريب بدموع الغيم، لم تعد النوافذ تنغلق على حكايات من خلفها، بل أصبحت تغلق خوفاً من هبات الريح الغاضبة. اختبأت النجوم بعيداً بعيداً هناك خلف اللامكان تريد أن تنام عن مراقبة البشر"⁽⁷³⁾. إن الطبيعة الصامتة تتحول في هذا المقطع الوصفي إلى ذات إنسانية تحس بإحساس الكاتبة، وتتفاعل معها؛ فإذا الليل يبكي بغزارة، والغيم يفيض بالدموع، والنجوم تختبئ خلف اللامكان. فالطبيعة بليها وغيومها ونجومها تشارك الكاتبة في حزنها وألمها وقهرها.

وتقول على لسان (مجدولين): "أصبحت الأيام بلا مصابيح تتلألأ بحالكات الأماسي، بات كل شيء حولي قاتماً بارداً، لكنني استطعت أن ألملم ما ضاع من قوتي بعد أن تخلّصت من ثمرة الخبيثة المفروضة على جسدي، وحدها فكرة الانتقام سيطرت على تفكيري، كنت كمن عقد صفقة مع الشيطان نفسه؛ لأن نار القهر والحقد التهمت ما بقي لدي من مشاعر"⁽⁷⁴⁾.

فالكاتبة ترسم صورة للزمن ممثلاً بالأيام؛ إذ رأتها ذات لون قاتم، حيث صارت "بلا مصابيح"، وباتت "تتلألأ بحالكات الأماسي"، وهذا التصوير يوحى للإنسان بالفزع والرهبنة والتشاؤم. لقد صارت أيام (مجدولين) مظلمة حالكة، تفيض بالهموم والأحزان التي تغطي قلبها؛ إذ اسودت أيامها، وتجهّم الزمن لها، فتبدلت أحوالها تبعاً لذلك، ما جعلها متشائمة من الزمن بكل تجلياته تفكر بالانتقام، وتعقد صفقة مع الشيطان.

وتقول في نهاية الرواية على لسان (مجدولين): "آه يا بلادي! كم تمنيت لو تصالحت مع الزمن من قبل؛ لأدوب عشقاً فيك كما أنا الآن. على سهولك أفترش التراب، وفوق جبالك

أناجي سامقات القمم، وبين أثارك أعانق التاريخ، وفي بواديك أذوب بأصالتك.. نعم أنا عاشقة ولست شاعرة، أصبح قلبي ينبض بنبض جديد وليد أخضر غص⁽⁷⁵⁾.

فهذا الوصف الدقيق للوطن بكل تفاصيله الجغرافية والتاريخية يعكس جماليات المكان، التي تدفع المرء لعشقه والبقاء فيه. وقد جاء هذا الوصف منسجماً وخلجات نفس (مجدولين)؛ إذ تصالحت مع الزمن واستقرت نفسيته وهدأت روحها، وصار قلبها ينبض بالحب والسلام والتفائل "أصبح قلبي ينبض بنبض جديد وليد أخضر غص"؛ فانعكس ذلك النبض على المكان والزمان معاً.

كما تفننت الكاتبة في وصف الشخصيات ورسم ملامحها، التي تكشف عن صفاتها وطبائعها، حيث تقول في وصف (مجدولين): "وجهها يسر الناظر إليه، ناعمة رغم خطوط وإرهاقات الزمن، في صوتها العذوبة الصافية رغم التردد في كلماتها، غامضة رغم وضوح مسارها، غموضها كان المحرك لحدسي الصحفي، وحيرة عينها كالموج لا تلبث النظر لشيء حتى تتفلت منه"⁽⁷⁶⁾. فالكاتبة ترسم وجهاً وسيماً جميلاً لأنثى شغلت فكرها وقلبها معاً، وقد أضفت على هذا الوصف الحسي ملامح معنوية زادت جمال الموصوفة، وكشفت عن طبائعها الدفينة.

وتقول في وصف المشعوز الدجال: "وكانت غرفة مخيفة وكأنها قبر انتزع من مقبرة الشياطين، رائحة البخور تكتم الأنفاس والدخان يحجب الرؤية تماماً إلا عن وجهه القبيح، يرتدي عمامة بيضاء وقد أطال لحيته بشكل مقزز، رائحته نتنة ووجهه معفر عليه آثار حروق بسيطة، وأظافرة طويلة ويرتدي ثوباً أبيض، بيده مسبحة طويلة بها بعض الخرزات الملونة يسبح بها بعبارات غير مفهومة"⁽⁷⁷⁾.

فهي ترسم لذلك المشعوز الدجال الغادر صورة تهكمية ساخرة ومقرزة بألفاظ منتقاة بعناية فائقة؛ لتكشف عن صفاته المادية والمعنوية، من خلال ما يمكن تسميته بـ"المفارقة الهجائية"⁽⁷⁸⁾. وتُحاول الكاتبة من خلال هذا التصوير الدقيق أن تكشف عن الوجه الحقيقي للمشعوز؛ وذلك بإبراز المفارقة الشديدة بين ما يتظاهر به من تدين بار في عمامته البيضاء، وثوبه الأبيض، ولحيته الطويلة، ومسبحته الملونة وواقع حاله الفعلي الذي لا يمكن أن يتوارى خلف هذا البياض والتدين المصطنع، فهو الذي اغتصب إنسانية (مجدولين)، وأهدر كرامتها. وهذا التعارض بين الحقيقة والمظهر هو ما يميز المفارقة⁽⁷⁹⁾. إن ميل الكاتبة إلى هذا النمط الأسلوبي دون غيره في كشف الشخصية ورصد سلوكياتها وتصرفاتها يعكس شخصيتها، وطرق تفكيرها، ويمنح نصها ملامح شعرية إضافية تزيد من أدبيته وخصائصه الجمالية.

خلاصة البحث

يمكننا القول في ضوء ما تقدم إنّنا إزاء نصّ ثريّ يقترب في لغته من لغة الشعر، وقد تجلّت ملاحم تلك اللغة الشعريّة فيه من خلال استخدام الكاتبة بشكل مكثّف للمجاز، والانزياح، والتصوير الحسيّ، والمفارقة، والوصف، فهي تبحث عن كلّ ما يُغني معانيها، ويُعزّز إحياء الكلمات لديها. وكلّ ما يُهمّها قوة اللغة، وطاقتها التعبيرية؛ ولذا صارت اللفظة تمثيلاً صادقاً لأحاسيسها ومشاعرها، وأصبحت الرواية كلّها مشبعة بالأمل والألام، ومجسّدة للاضطرابات النفسية التي تصارعت في نفسها.

لقد تمكّنت الكريمين من التعبير عن مكنونات روحها، وخلجات قلبها، واضطرابات مشاعرها في قالب روائيّ مثير، جمعت فيه بين الشعريّة والنثرية جمعاً محكماً، مع محافظتها على القوانين الخاصة لكلّ نوع منهما. وهذا ما يُقال عن انفتاح الأنواع الأدبية، وتأثيرها في بعضها، بحيث لا يُلغى تداخل نوع مع آخر خصوصية ذلك النوع.

Manifestations of Poetics in ' Jada'il Al Sabr''

By Eman Al Kraimeen

Ibrahim M. Alyaseen, *Department of Arabic Language and Literature, Tafila Technical University, Tafila, Jordan.*

Abstract

This research aims at exploring the poetics of ' Jada'il Al Sabr'' By Eman Al Kraimeen as it represents a stylistic tool with elements that contribute to forming the linguistic and semiotic structure of the text and helps to convey feelings and emotions of the author, thus elucidating her ideas and thoughts indirectly. The study consists of an introduction and two parts:

- The theoretical background: it tackles the definition of " poetics" as formulated by some Arab and Western critics, showing its significance in the formalistic as well as content structure of the literary text, and its influence on the recipient.
- The procedural part: it explores manifestations of the poetic language in the novel, highlighting its influence on the internal texture and its semiotic dimensions.

The study has concluded that the novel's language is almost poetic, which appears in the extensive use of rhetoric tools such as displacement, active imagery, irony, and simile, aiming at enriching meaning and word connotation, thus contributing to the strength of language and its denotative capacity.

Key words: Poetics, Displacement, Active Imagery, Irony, Description.

الهوامش

- (1) ينظر: فضل، صلاح: نظرية البنائية في النقد الأدبي، ط3، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1987م، ص175-178.
- (2) إيمان نمر الكريمين أدبية أردنية، وإعلامية في عدة وكالات إلكترونية، ومعدة لبرامج أطفال لإذاعة المملكة الأردنية الهاشمية، لها عدد كبير من المقالات الاجتماعية المنشورة في صحف ورقية وإلكترونية محلية وعربية، ولها مجموعة قصصية قصيرة قيد الطبع، ومجموعة من الخواطر نشر معظمها في وكالات إلكترونية ثقافية. شاركت مع عدد من الشعراء في ديوان شعر بعنوان "نبض القمر"، وهي معلمة في وزارة التربية والتعليم.
- (3) كوهن، جان: بنية اللغة الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، ط1، دار توبقال، الدار البيضاء، 1986م، ص 15-16.
- (4) مطلوب، أحمد: "الشعرية"، مجلة المجمع العلمي، ع3 م40، 1989م، ص 24.
- (5) المناصرة، عز الدين: الشعرية: قراءة مونتاجية، ط1، مكتبة برهومة، عمان، 1992م، ص31.
- (6) الغدامي، عبد الله: الخطيئة والتكفير: من البنيوية إلى التشريحية، قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر، ط1، النادي الأدبي، جدة، 1985م، ص 20.
- (7) طودوروف، تزفيتان: الشعرية، ترجمة: شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، ط1، دار توبقال، الدار البيضاء، 1987م، ص 23.
- (8) ناظم، حسن: مفاهيم الشعرية: دراسة مقارنة في الأصول والمنهج، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003م، ص 16.
- (9) أرسطو طاليس: فن الخطابة، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، ط2، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986م، ص 226.
- (10) ياكسون، رومان: قضايا الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومبارك حنون، ط1، دار توبقال، الدار البيضاء، 1988م، ص 33-35.
- (11) العلاق، علي: الدلالة المرئية: قراءات في شعرية القصيدة الحديثة، ط1، دار الشروق، عمان، 2002م، ص 30.
- (12) ناظم، مفاهيم الشعرية: دراسة مقارنة في الأصول والمنهج، ص 16.

- (13) أبو ديب، كمال: في الشعريّة، ط1، مؤسسة الأبحاث العربيّة، بيروت، 1978م، ص 14.
- (14) فضل، صلاح: بلاغة الخطاب وعلم النص، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1996م، ص69.
- (15) أبو ديب، في الشعريّة، ص57.
- (16) ينظر: كوهن، جان: بنية اللغة الشعريّة، ص 6.
- (17) ينظر: الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز في علم المعاني، علّق حواشيه: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، 1982م، ص 203.
- (18) ربابعة، موسى: الأسلوبية: مفاهيمها وتجلياتها، ط1، دار الكندي، إربد، 2003م، ص 56.
- (19) العلاق، علي: الشعر والتلقي: دراسات نقدية، دار الشروق، عمان، ط1، 1997م، ص86.
- (20) قطوس، بسام: "سيميائية العنوان"، مجلة عالم الفكر، وزارة الثقافة، عمان، ط1، 2001م، ص36.
- (21) ينظر: يعقوب، ناصر: اللغة الشعريّة وتجلياتها في الرواية العربيّة، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2004م، ص102.
- (22) الكريمين، إيمان: جدائل الصبر، ط1، المكتبة الوطنية، عمان، 2015م.
- (23) كوهن، بنية اللغة الشعريّة، ص42.
- (24) ينظر: يعقوب، اللغة الشعريّة وتجلياتها في الرواية العربيّة، ص224.
- (25) كوهن، بنية اللغة الشعريّة، ص42.
- (26) فضل، صلاح: علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته، بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1985م، ص154.
- (27) عياد، شكري: اللغة والإبداع: مبادئ علم الأسلوب العربي، ط1، القاهرة: إنترناشونال برس، 1988م، ص79.
- (28) كوهن، بنية اللغة الشعريّة، ص42.
- (29) أبو ديب، في الشعريّة، ص141.
- (30) كوهن، بنية اللغة الشعريّة، ص108.

- (31) لويس، سيسل. دي: الصورة الشعرية، ترجمة: أحمد نصيف الجنابي وآخرين، دار الرشيد، بغداد، 1982م، ص 113. انظر: طودوروف، الشعرية، ص 30-35.
- (32) ينظر: الكريمين، جدائل الصبر، ص9، 17، 18، 21، 30، 68، 110، 130، 133، 151، 157.
- (33) ينظر: الكريمين، جدائل الصبر، ص9، 10، 16، 17، 20، 21، 23، 109، 111، 149، 151، 170.
- (34) ينظر: الكريمين، جدائل الصبر، ص10، 12، 16، 21، 23، 47، 48، 61، 62، 105، 135، 136، 156، 157، 161، 170.
- (35) الكريمين، جدائل الصبر، ص18.
- (36) أبو ديب، في الشعرية، ص47.
- (37) الكريمين، جدائل الصبر، ص21.
- (38) الكريمين، جدائل الصبر، ص151.
- (39) الرباعي، عبد القادر: الصورة الفنية في شعر أبي تمام، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1999م، ص 172.
- (40) ينظر: الكريمين، جدائل الصبر، ص9، 15، 27، 39، 40، 48، 53، 64، 105، 111، 119، 135، 142، 156.
- (41) الكريمين، جدائل الصبر، ص9.
- (42) الكريمين، جدائل الصبر، ص156.
- (43) الكريمين، جدائل الصبر، ص135.
- (44) الكريمين، جدائل الصبر، ص111.
- (45) ميويك، دي، سي، المفارقة وصفاتها، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، دار المأمون، بغداد، ط2، 1987م، ص 43.
- (46) إبراهيم، نبيلة، "المفارقة"، مجلة فصول، المجلد 7، العدد 4/3، 1981، ص132.
- (47) العبد، محمد، المفارقة القرآنية: دراسة في بنية الدلالة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1994، ص15.

- (48) شبانة، ناصر، *المفارقة في الشعر العربي الحديث*، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2002م، ص46.
- (49) القاسم، سيزا، "المفارقة في القص العربي المعاصر"، *مجلة فصول*، المجلد 2، العدد 2، 1982م، ص144.
- (50) شبانة، *المفارقة في الشعر العربي الحديث*، ص64، وينظر: حماد، حسن: *المفارقة في النص الروائي*، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005م، ص139.
- (51) الكريمين، *جداول الصبر*، ص48.
- (52) الكريمين، *جداول الصبر*، ص84.
- (53) الكريمين، *جداول الصبر*، ص83.
- (54) الكريمين، *جداول الصبر*، ص81.
- (55) الكريمين، *جداول الصبر*، ص76.
- (56) الكريمين، *جداول الصبر*، ص75.
- (57) الكريمين، *جداول الصبر*، ص97.
- (58) ميويك، *المفارقة وصفاتها*، ص32.
- (59) ميويك، *المفارقة وصفاتها*، ص33-34.
- (60) الكريمين، *جداول الصبر*، ص73.
- (61) الكريمين، *جداول الصبر*، ص84.
- (62) الكريمين، *جداول الصبر*، ص119.
- (63) الكريمين، *جداول الصبر*، ص142.
- (64) الكريمين، *جداول الصبر*، ص139.
- (65) الكريمين، *جداول الصبر*، ص98.
- (66) الكريمين، *جداول الصبر*، ص105.
- (67) ينظر: لحمداني، حميد، *بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي*، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1991م، ص79؛ وينظر: بحراوي، حسن، *بنية الشكل الروائي*، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1990م، ص176.
- (68) ينظر: بحراوي، *بنية الشكل الروائي*، ص176-177.

- (69) الكريمين، جدائل الصبر، ص37.
(70) الكريمين، جدائل الصبر، ص30.
(71) الكريمين، جدائل الصبر، ص39.
(72) ينظر: لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص92.
(73) الكريمين، جدائل الصبر، ص133.
(74) الكريمين، جدائل الصبر، ص119.
(75) الكريمين، جدائل الصبر، ص119.
(76) الكريمين، جدائل الصبر، ص11.
(77) الكريمين، جدائل الصبر، ص93-94.
(78) المفارقة الهجائية: هي نوع من المفارقة التي تكشف عن اندحار ضحية غير متعاطف، للمزيد عن هذا النوع من المفارقة ينظر: ميويك، المفارقة وصفاتها، ص32-39.
(79) ميويك، المفارقة وصفاتها، ص44.

المصادر والمراجع والدوريات:

- إبراهيم، نبيلة: "المفارقة"، مجلة فصول، المجلد 7، العدد 4/3، 1981م.
أرسطو طاليس: فن الخطابة، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، ط2، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986م.
بحراوي، حسن: بنية الشكل الروائي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1990م.
الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز في علم المعاني، علق حواشيه: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، 1982م.
حماد، حسن: المفارقة في النص الروائي، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005م.
أبو ديب، كمال: في الشعرية، ط1، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1978م.
ربابعة، موسى: الأسلوبية: مفاهيمها وتجلياتها، ط1، دار الكندي، إربد، 2003م.

- الرباعي، عبد القادر: الصورة الفنية في شعر أبي تمام، ط2، المؤسسة العربية، بيروت، 1999م.
- شبانة، ناصر: المفارقة في الشعر العربي الحديث، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2002م.
- طودوروف، تزفيطان: الشعرية، ترجمة: شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، ط1، دار توبقال، الدار البيضاء، 1987م.
- العبد، محمد: المفارقة القرآنية: دراسة في بنية الدلالة، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1994م.
- العلاق، علي: الدلالة المرئية: قراءات في شعرية القصيدة الحديثة، ط1، دار الشروق، عمان، 2002م.
- العلاق، علي: الشعر والتلقي: دراسات نقدية، ط1، دار الشروق، عمان، 1997م.
- عياد، شكري: اللغة والإبداع: مبادئ علم الأسلوب العربي، ط1، القاهرة: إنترناشونال برس، 1988م.
- الغذامي، عبد الله: الخطيئة والتكفير: من البنيوية إلى التشرحية، قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر، ط1، النادي الأدبي، جدة، 1985م.
- فضل، صلاح: بلاغة الخطاب وعلم النص، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1996م.
- فضل، صلاح: علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته، بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1985م.
- فضل، صلاح: نظرية البنائية في النقد الأدبي، ط3، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1987م.
- القاسم، سيزا: "المفارقة في القص العربي المعاصر"، مجلة فصول، المجلد 2، العدد 2، 1982م.
- قطوس، بسام: "سيميائيات العنوان"، مجلة عالم الفكر، وزارة الثقافة، عمان، ط1، 2001م.
- الكريمين، إيمان: جدائل الصبر، ط1، المكتبة الوطنية، عمان، 2015م.

- كوهن، جان: **بنية اللغة الشعرية**، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، ط1، دار توبقال، الدار البيضاء، 1986م.
- لحمداني، حميد: **بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي**، ط3، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2000م.
- لويس، سيسل. دي: **الصورة الشعرية**، ترجمة: أحمد نصيف الجنابي وآخرين، دار الرشيد، بغداد، 1982م.
- مطلوب، أحمد: "الشعرية"، **مجلة المجمع العلمي**، ع3، م40، 1989م.
- المناصرة، عز الدين: **الشعريات: قراءة مونتاجية**، ط1، مكتبة برهومة، عمان، 1992م.
- ميويك، دي، سي: **المفارقة وصفاتها**، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، دار المأمون، بغداد، ط2، 1987م.
- ناظم، حسن: **مفاهيم الشعرية: دراسة مقارنة في الأصول والمنهج**، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003م.
- ياكسون، رومان: **قضايا الشعرية**، ترجمة: محمد الولي ومبارك حنون، ط1، دار توبقال، الدار البيضاء، 1988م.
- يعقوب، ناصر: **اللغة الشعرية وتجلياتها في الرواية العربية**، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2004م.

الحجاج في اعتراضات سيبويه على "النحويين"، "دراسة تحليلية"

ناصر الدين أبو خضير*

تاريخ الاستلام 2016/11/8

تاريخ القبول 2017/1/2

ملخص

أهم ما يميز المادة النحوية في كتاب سيبويه أنها تنتمي إلى النحو الوظيفي التداولي، الذي يعتني بعناصر العملية الكلامية المتكوّنة من المتكلم والمخاطب والسياق. بالإضافة إلى النزعة الجدلية الحجاجية التي يصطبغ بها خطاب سيبويه مع الآخرين؛ لإقناعهم، من طريق الحجج الدامغة بصدق ما يقول.

ومن أهم أهداف البحث دراسة الأساليب الحجاجية التي استعملها سيبويه في حوارهِ مع "النحويين" عندما يعترض على آرائهم، ويدحضها؛ بسبب لجوئهم إلى القياس الصوري المتكلف، وتفضيلهم إياه، أحياناً، على اللغة المنطوقة على أفواه فصحاء العرب.

ويأتلف البحث من مقدّمة عن هويّة "النحويين" الذين حاججهم سيبويه، وموجز عن الحجج وتقنياته والروابط الحجاجية، واستخدام ذلك في تحليل نصوص تطبيقية من كتاب سيبويه.

الكلمات المفتاحية: النحو، سيبويه، التداولية، الحجاج.

مهاده وتأسيس:

يتناول البحث آليات الحجاج في "الكتاب" من طريق اعتراضات سيبويه، وتعقيباته على مجموعة من العلماء، أطلق عليهم اسم "النحويين". وقد ورد ذكرهم إحدى وعشرين مرة في "الكتاب"⁽¹⁾. ويغلب على مُحاججة سيبويه لهم دحض حججهم؛ لمخالفتها الشائع المُستعمل من كلام العرب. أما المسائل المُعترض عليها في "الكتاب" فجُلها مسائل نحوية، قاسها النحاة وفق أقيسة صورية افتراضية، من غير احتكام إلى المسموع من كلام العرب. ويستحوذ علم الصرّف على مسائل ثلاث فقط.

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2017.

* دائرة اللغة العربية، جامعة بيرزيت، رام الله، فلسطين.

مَنْ هُمْ "النحويون" في كتاب سيبويه؟

كان من أوائل الدارسين تنبيهاً إلى جماعة "النحويين" المستشرق م.ج. كارتر، الذي يرى أنهم جماعة غامضة، يمثلون مرحلة وسطى في تاريخ النحو العربي، بين جيل المؤسسين، والنحو المنهجي المنظم الذي يمثله سيبويه وشيوخه. وقد يكونون، وفق ما يرى، مجموعة من العلماء، الذين عاصروا سيبويه، وكانوا يُعنون بأسلوب الكلام. وما يرمي إليه كارتر أنهم ليسوا نحويين متخصصين، وإنما تعود هذه التسمية إلى كلمة "نحو" بمعنى: المنحى، أو الاتجاه، وقد وردت هذه الكلمة "نحو" مئات المرات في "الكتاب" في سياقات لا تدل على علم النحو⁽²⁾. ويرى أن السر في اعتراض سيبويه أن قياسهم العقلي أدى إلى اختلاقتهم تراكيب غير مستعملة في اللغة المنطوقة عند الفُصحاء. ولا يشكّلون حسب رأيه مدرسة مستقلة⁽³⁾.

ويرفض المستشرق ر. ظلمون كثيراً من آراء كارتر، فحسب رأيه، ليسوا جماعة غامضة. ومن غير المستبعد أن يكونوا معاصرين لسيبويه. وقد ينتمي إليهم يونس بن حبيب وعيسى بن عمر. وأوضح ظلمون أن سيبويه لم يرفض المبادئ العامة لتحليلاتهم النحوية، بل بنى نظرياته هو والنحويون على قواعد مشتركة، تنتمي إلى مدرسة تراثية قديمة في النحو العربي⁽⁴⁾.

ويرى ظلمون أن سبب نقد سيبويه لجماعة "النحويين"؛ اهتمامهم بالشكل، في الأسماء والأفعال، بينما يهملون اللغة المنطوقة. أي أنهم يقدمون القياس على السماع⁽⁵⁾؛ لإنشاء تراكيب لغوية معقدة، تتساقق وفق أقيستهم النظرية، ولكنها تخالف معهود كلام العرب⁽⁶⁾.

وتناول بحث المسألة رمزي بعلبكي، مشيراً إلى أن التحليل النحوي لسيبويه يقوم على استقراء كلام العرب⁽⁷⁾. على العكس من منهج "النحويين" القائم على قياس مُصطنع؛ لذا يحذر سيبويه المخاطبين من استعمال الأمثلة التي يقيسها، لشرح القاعدة، كقوله: "فهو قبيح لا تكلم به العرب، ولكن النحويين قاسوه"⁽⁸⁾.

ويرى بعلبكي أن اعتراض سيبويه على "النحويين" يتركز في إصراره على انحصار المادة اللغوية فيما قالته العرب حقاً، واستبعاد ما قاسه النحاة، بعيداً عن الاستعمال الطبيعي للغة⁽⁹⁾. ويشير إلى أنه قد تكون كلمة "النحويين" (مفرداً: نحوي) في كتاب "العين" للخليل، لها علاقة بجماعة "النحويين" في "الكتاب"، فقد وصفهم الخليل بأن أقيستهم أدت إلى اختراعهم تراكيب، ليست قائمة فعلاً في كلام العرب⁽¹⁰⁾. ويتساءل في ختام نقاشه: هل تبرز الاختلافات النظرية بين سيبويه والخليل من جهة، وجماعة "النحويين"، والفراء وأبي عبيدة والأخفش الأوسط من جهة أخرى، الادعاء بوجود مدارس نحوية مستقلة في تلك المرحلة⁽¹¹⁾؟

ونخلص بعد هذا النقاش إلى نتيجة مؤداها أنه قد لا يكون من الدقة التعامل مع جماعة "النحويين" في كتاب سيبويه بوصفها مجموعة غامضة؛ فأثناء حجاج سيبويه معهم، نقل آراء مجموعة من النحاة، مثل ابن أبي إسحق، والخليل، وعيسى بن عمر، ويونس بن حبيب، ثم انتقد آراءهم كونها تتفق وآراء "النحويين"، الذين يقدمون القياس النظري على المسموع. فليس من المستبعد أن تشمل التسمية "النحويين" أيضا الخليل وسيبويه، وكل من كانت صناعته النحو. كما أن سيبويه لا يتحدث عنهم بوصفهم مجموعة متجانسة، تشكل مذهبا نحويا محدد الملامح، والأدلة الآتية تعضد ما نقول:

1- عندما أراد سيبويه نقل إجماع النحويين على مسألة ما استعمل ألفاظ التوكيد المعنوي، نحو: "فالعرب تنصب هذا والنحويون أجمعون" (12).

2- وعندما أراد نقل آراء أحد "النحويين" استعمل كلمة "ناس"، مثل: "لأن ناسا من النحويين" (13)، "وقد زعم ناس" (14). وقد يستعمل سيبويه أسلوب التنكير؛ إشارة إلى بعض "النحويين"، كقوله: "وإنما ذا قول كان نحويون يقولونه" (15). ويستعمل كلمة "بعض"، "كما قال بعض النحويين" (16). ويستعمل "من" التبعية "ومن النحويين من يقول" (17).

3- أثناء نقل سيبويه لأحد الشواهد الشعرية، ورد قوله "ويقال وصنع النحويون" (18)، فمن المستبعد أن ياتمر جماعة "النحويين"، فيتفقون على تزييف بيت من الشعر.

4- ما نقلته كتب التراجم من اعتراض ابن أبي إسحق (ت 117هـ) على الشعراء الفصحاء، يتفق في خطوطه الأساسية مع الوصف الذي نستخلصه من "الكتاب" لمنهج "النحويين" في تقديم القياس النظري المصطنع على السماع، وعدم اعتبار ما قالته العرب، دائما، السلطة العليا، التي ينبغي الاحتكام إليها، بل ويوجهون نقدهم لشعراء العربية في عصر الاحتجاج، كالفرزدق، فتوعده: "والله لأهجونك ببيت يكون شاهدا على السنة النحويين أبدا" (19). وقال ابن سلام الجمحي، واصفا ابن أبي إسحق بأنه: "مد القياس والعِلل... وكان ابن أبي إسحق أشد تجريدا للقياس" (20).

الحجاج اللغوي:

يهدف الحجاج إلى إقناع المستمع بالحجج التي يأتي بها المتكلم، مبرهنا على صحة ما يدعو إليه. أما الحجاج فهو العلم المختص بدراسة تقنيات الخطاب، المؤدية إلى تسليم العقول بما يطرح عليها من مسائل (21). ونقول: حاجته مُحاجةً وحجاجاً، ويدل معناه على المشاركة بين

طرفين، وهو من الجذر "حجج"، الذي يدل على القصد والتوجه نحو الشيء؛ لزيادته تعظيماً⁽²²⁾. ومن معانيه أيضاً: حجة حجاً: بمعنى أن تغلب خصمك بالحجج⁽²³⁾.

ما يهمننا في هذا البحث دراسة الوسائل اللغوية التي يستعملها سيبويه في تحليلاته النحوية في "الكتاب"؛ بقصد إقناع المتعلم. والملاحظ أن النحو العربي ذو طبيعة حجاجية، وهو ما نلاحظه في كتاب سيبويه؛ لذلك سنتناول موضوع الحجاج، والروابط الحجاجية، والأفعال اللغوية، بما يخدم تحليل الاتجاه التطبيقي في تحليل نصوص سيبويه تحليلاً حجاجياً.

لقد انبثقت نظرية الحجاج في اللغة من رحم نظرية أفعال الكلام لأوستين وسوريل⁽²⁴⁾؛ إذ يتضمن الفعل الكلامي وظيفة حجاجية في التخاطب مع الآخر؛ بهدف إقناعه والتأثير به⁽²⁵⁾.

وتقوم نظرية الفعل الكلامي على أن ملفوظاتنا تسعى إلى إقناع الآخرين والتأثير بهم، فللأفعال أغراض إنجازية مباشرة تأثيرية تقتضي من السامع عملاً معيناً مباشراً، مثل: الأمر والنهي، والوعد والوعيد، أو غير مباشر، كالإخبار عن حدوث شيء، وإن تحليل هذه الأفعال الكلامية في نصوص سيبويه له وظيفة مهمة في تجلية خطابه الحجاجي⁽²⁶⁾. ثم قسم أوستين الفعل الكلامي ثلاثة أقسام:

- فعل الكلام: وهو ما تتلفظ به من أصوات، وصياغة الأفعال في تركيب معين، ثم أخيراً، ما تدل عليه تلك الأفعال.

- قوة فعل الكلام، الفعل المتضمن: وهو الفعل الذي يملك القوة الإنجازية، كأن نفترض سؤالاً، ثم نجيب عنه.

- لازم أفعال الكلام: كأن نقول شيئاً، فيترتب عليه شيء آخر من لوازمه، ولتوضيح هذه الأضراب الثلاثة نسوق مثلاً توضيحياً ذكره أوستين:

فعل (أ): قول أحدهم مخاطباً إياك: "إنك لن تستطيع ذلك"، هو فعل الكلام،

فعل (ب): وأما الفعل المتضمن من العبارة السابقة فهو: لقد احتج على كوني فاعلاً ذلك.

فعل (ج): هو لازم فعل الكلام الناتج عنه: وهو: "تنبيهي إلى عواقب فعلي"⁽²⁷⁾.

وتألف الأقوال اللغوية، داخل الخطاب الإنساني، من عناصر الحجاج الأساسية المكوّنة من حجة ونتيجة، كقولنا: الجو جميل، لنذهب إلى النزهة، فالقسم الأول من الجملة "الجو جميل" حجة مقنعة للمخاطب؛ للوصول إلى نتيجة مؤداها الخروج في نزهة⁽²⁸⁾. وعندما تتشكل الحجج أثناء الخطاب بصورة تراتبية، صعوداً، أو هبوطاً، فتكون كل حجة أقوى من تلك التي قبلها حتى نصل الحجة الأقوى، وهي التي تؤدي إلى النتيجة، ويسمى ذلك السلم الحجاجي، ويتحقق من خلال الروابط الحجاجية.

أولاً: الروابط الحجاجية:

الروابط الحجاجية هي الأدوات اللغوية التي تربط بين الحجج في الخطاب الحجاجي. ولها وظيفة مهمة في تدرج الحجج، وربطها بالنتيجة⁽²⁹⁾.

1- لكن: وهي أداة استدراك، تنسب لما بعدها حكماً، يناقض الحكم الذي نسب إلى اسمها، سلباً أو إيجاباً، وكما أشار ابن هشام فإنها تشمل معنى التوكيد بالإضافة إلى الاستدراك⁽³⁰⁾. المهم أن الحجة التي بعد (لكن) أقوى من تلك التي قبلها، والحجة الأخيرة هي الموجه الحقيقي للخطاب، كما أن (لكن) يعتمد عليها في ترتيب الخطاب هبوطاً أو صعوداً⁽³¹⁾. ووفقاً لقوانين السلم الحجاجي، فإن "لكن" تفصل بين حجتين، الحجة (أ)، والحجة (ب)، فالحجة الأولى (أ) تفضي إلى النتيجة (ن)، والحجة (ب)، التي ترد بعد "لكن"، وهي أقوى من الحجة (ب)، تؤدي إلى عكس النتيجة (ن)، وهي ما تسمى النتيجة (لا - ن)، إذ تضمنت الحجة (ب) نتيجة معاكسة تماماً للحجة (أ)⁽³²⁾.

في المثال الآتي تقع (لكن) بين نفيي قبلها، ثم إيجاب. فيتحدث سيبويه عن توكيد الضمائر توكيداً معنوياً. وقد أوضح السبب في امتناع أن تكون صفات؛ وذلك لأن الضمير معروف للمخاطب، لا لبس فيه، نحو: مررت بهم كلهم، فـ "كلهم" توكيد معنوي للضمير "هم". يقول سيبويه: "واعلم أن المضمّر لا يكون موصوفاً، من قبل أن المحدث قد عرف من تعني، ولكن لها أسماء تعطف عليها، تغم وتؤكد"⁽³³⁾. قوله "تعطف عليها"، ليس المقصود به المتعارف عليه بين النحاة، اليوم، من درس العطف بالحروف، بل المقصود أن ألفاظ التوكيد المعنوي مثل "كلهم"، تبين الضمير "هم"، فتفيد الاسم المؤكّد أمرين: العموم والتوكيد، أي أن المتكلم مرّ بهم جميعاً، لم يترك أحداً، وهذا ما أراد سيبويه تبيانه للمخاطب. وكذلك "صفة"، فإن النحويين أطلقوا على "العموم والتوكيد" في "كلهم" صفة المضمّر⁽³⁴⁾. ونلاحظ أن سيبويه نفي أن يكون (كلهم) وصفاً لـ "هم"، ثم استدرك بالأداة (لكن) بالإيجاب، فأفادت (لكن) عكس ما أثبتته لما قبلها، فأوجبت أن تكون (كلهم) توكيداً للضمير، لا صفة. وقد تكررت (لكن) في النصّ مرتين بالمعنى نفسه.

2- أسلوب الحصر: ما...إلا: يوجه من خلاله المرسل رسالة، فيها توكيد، إلى المخاطب؛ لإقناعه بموقف معين، أو من أجل القيام بعمل ما. ويمتاز بأنها ترتب الحجاج في سلم واحد، فيتوجه الخطاب إلى الانخفاض. كما أن استعمال هذا الأسلوب يرينا أن سيبويه يفترض جهل المخاطب بما يقول، أو عدم قناعته⁽³⁵⁾.

يعلق سيبويه على الجملة: مررتُ برجلٍ معه الفرسُ راكبٍ برذونًا، فيجيز الجرَّ في "راكب" صفة لـ "رجل"، والنصب "راكبًا" حالا من الضمير في "معه"، يقول: " فهذا لا يكون فيه وَصْفٌ، ولا يَكُونُ إِلَّا خَبْرًا [حالا]" (36). ونراه يستعمل أسلوب الحصر (ليس...إلا) في تحليل الجملة: سرتُ حتى أدخلها، فيقرر أن رفع الفعل المضارع "أدخل" ينحصر في معنيين: أولهما: أن السير قد وقع وانتهى، ويخبرنا المتكلم عما حصل سابقا. ثانيهما: أن المتكلم يخبرنا أثناء دخوله المكان الذي توجه إليه، يقول سيبويه: "فَيَدْخُلُ عَلَيْهِمْ "قَدْ سِرْتُ" حَتَّى أَدْخُلَهَا أَنْ يَنْصَبُوا، وليس في الدنيا عربي يرفع "سِرْتُ حَتَّى أَدْخُلَهَا" إلا وهو يرفع إذا قال: قَدْ سِرْتُ" (37).

إنما: وتهدف إلى إقناع المخاطب بحُجج المرسل، فتهيئه لأمر مهم يأتي بعدها(38). وقد استعملها سيبويه في حجاجه مع "النحويين" أربع عشرة مرة. وينظمها ثلاثة أنماط:

- 1- إنما + الفعل الماضي: وإنما ذكرنا هذا(39).
- 2- إنما + الفعل المضارع: إنما تضر حين ترى أن المحدث قد عرف من تعني(40).
- 3- إنما + الجملة الاسمية: وإنما وجهه وصوابه الرفع(41). وقد يتلو "إنما" جملة اسمية مفتوحة باسم الإشارة "ذا": وإنما ذا قول كان نحويون يقولونه(42).

يصف سيبويه بعض التراكيب النحوية التي قاسها "النحويون" بالقبح، ومنها: ويح له وتب، ويرى أن الأحسن أن نقول: ويح له وتبًا، وما نلاحظه أن الحجة التي جاء بها، وهي تسويغ إعراب "تبًا" مفعولا مطلقا، فلا تحتاج عندئذ إلى خبر، بعكس "ويح" التي تحتاج خبرًا، لم تنقصها الأداة "إنما"، فقد أدخلها سيبويه؛ تفسيراً للحجة السابقة، فالحجاج، إذن، على وتيرة واحدة، تجاه الهبوط، فليست ثمة حجة ونتيجة، ولا يلي "إنما" الحجة الأقوى. يقول سيبويه: "فإذا قلت: "ويح له"، ثم ألحقتها "التب" فإن النصب فيه أحسن؛ لأن "تبًا" إذا نصبتها فهي مُسْتَعْنِيَةٌ عن "لك"، فإنما قطعنها من أول الكلام، كأنك قلت: وتبًا لك" (43).

3- ألفاظا التعليل: لأن، من قبل، كراهية: تعد ألفاظ التعليل من تقنيات الحجاج المهمة في تركيب الخطاب الحجاجي. إذ إنها تستعمل؛ لتبرير الأحكام النحوية، وشرحها؛ إجابة عن سؤال ملفوظ أو مقدر(44).

لأن: وتعد من أشهر أدوات التعليل التي يستعملها سيبويه في حجاجه مع "النحويين"؛ لتوضيح العلل النحوية. كقوله: " فهذا لا يكون فيه إلا الوصف؛ لأنه لا يجوز أن تجعل المعرفة حالا يقع فيه شيء" (45). فما بعد الأداة "لأن" تعليل، يفسر من خلاله رفضه للتركيب النحوي:

مررتُ بعبدِ الله، معه بازكُ الصائدَ به، بنصب كلمة "الصائد" حالا، مع كونها معرفة، والأصل فيها التَّنْكِير⁽⁴⁶⁾.

مِنْ قَبْلِ: وهي مرادفة في المعنى للأداة "لأن". قال سيبويه: "واعلم أن المضمَر لا يكون مَوْصُوفًا، مِنْ قَبْلِ أَنْكُ إِنَّمَا تُضْمَرُ حِينَ تَرَى أَنَّ الْمُحَدَّثَ قَدْ عَرَفَ مِنْ تَعْنِي"⁽⁴⁷⁾. يقرر سيبويه في هذا النص أن "كلهم" توكيد للضمير المنفصل "هم"، وليست صفة، ثم يأتي بأداة التعليل: من قبل، لتبيان العلة. ونجده يستعمل "من قبل" أيضا؛ تبريرا لإجازته التركيبين: أعطاهما، و: أعطاه، يقول: "فإذا ذكرتَ مَفْعُولَيْنِ، كِلَاهِمَا غَائِبٌ، فَقُلْتَ: أَعْطَاهُمَا وَ: أَعْطَاهَا، جاز، وهو عربي، لا عليكِ بأيهما بدأت، مِنْ قَبْلِ أَنَّهُمَا كِلَاهِمَا غَائِبٌ"⁽⁴⁸⁾. في هذا النص يتحدث سيبويه عن مسألة الاتصال والانفصال في الضمائر، فيجيزهما، مع أنه غير شائع في الاستعمال عند العرب؛ لأن المتكلم ساوى في الرتبة بين المفعولين الأول والثاني، فكلاهما غائب. ويجيز كذلك أن يكون المفعول الثاني ضميرا منفصلا: أعطاه إياها، وأعطاهما إياه⁽⁴⁹⁾.

كراهية: وهي من أدوات التعليل، يقول: "وإنما قَبِحَ عِنْدَ الْعَرَبِ؛ كَرَاهِيَةً..."⁵⁰، يأتي سيبويه بالمفعول لأجله لتبرير رفضه للتركيبين: أعطاكني و: أعطاهوني.

ثانيا: الأفعال الكلامية:

1- الاستفهام: يستحضر سيبويه في ذهنه، أثناء حجاجه النحوي، أسئلة افتراضية، يتحاور فيها مع مخاطب وهمي، أو حقيقي. ثم يستحضر إجابات عن تلك الأسئلة. وغايته إقناع المخاطب بحججه، وإشراكه في المسائل المطروحة للنقاش. وما نلاحظه في حجاجه استعماله ثلاثة أضرب من الاستفهام:

- الاستفهام الإنكاري: استعمله سيبويه لعرض الخلاف مع المخاطب. من غير أن ينتظر إجابة عن سؤاله، بل إقناع المخاطب بصدق حجته، يقول: "فكيف يكون صفةً وليس [في] الدنيا عربي يجعلها هاهنا صفةً للمظهر؟"⁽⁵¹⁾.

- الاستفهام التقريري: ولا يهدف منه انتزاع الجواب من المخاطب بصدق مقولة المخاطب. يقول سيبويه: "ألست تعلم أن الصفة إذا كانت للأول فالتنوين وغير التنوين سواء"⁽⁵²⁾.

- الاستفهام الحقيقي: ويستعمله أحيانا لمعرفة الخبر، كقوله: "ما بال التنوين وغير التنوين استويا حيث كانا للأول، واختلفا حيث كانا للآخر؟"⁽⁵³⁾.

2- الشرط: يقوم أسلوب الشرط على التلازم بين فعل الشرط وجوابه، على اعتبار أن فعل الشرط متفق عليه بين المتكلم والمخاطب ومسلم به، الأمر الذي يلجئ المخاطب إلى تبني جواب الشرط⁽⁵⁴⁾.

أما...ف: أما: حرف شرط وتفصيل وتوكيد، وقد ألحقها بأدوات الشرط للزوم جوابها "الفاء" كما في جواب الشرط، ففيها إذن رائحة الشرط⁽⁵⁵⁾. ولاستعمال هذا الأسلوب (أما والفاء) فائدة مهمة في الكلام⁽⁵⁶⁾. في النص الآتي يرد سببويه على مَنْ يرى من "النحويين" أن أداة الاستفهام تصلح أن تكون أداة شرط، ويمثل هذا الرأي المقدمة التي استيقنها "النحويون"، ولكن جواب الشرط يمثل النتيجة التي تنسف هذه المقدمة، فحكّم عليها سببويه بعدم الاستقامة، يقول: "وأما قول النحويين: يجازى بكلّ شيءٍ يستفهم به، فلا يستقيم، من قبل أنك تجازى بـإن وبحيثما وإذما، ولا يستقيم بهن الاستفهام"⁽⁵⁷⁾.

من...ف: يوظف سببويه أداة الشرط "من" توظيفا حجاجيا؛ لأن فعل الشرط أمر متعارف عليه بين المتكلم والمخاطب، لا مفر أمام الأخير، المخاطب، إلا التسليم بحدوثه، ثم يقدم جواب الشرط النتيجة الحتمية لما سلم به المخاطب. وقد استعمل سببويه "من" الشرطية أثناء توصيفه لتراكيب لغوية، يرد فيها الفعل المضارع، مرفوعا، أو منصوبا، بعد "حتى". كما في قولنا: رأيت عبد الله سار حتى يدخلها، فقد جاء الفعل المضارع مرفوعا بعد "حتى" على اعتبار أننا نروي ما حدث بعد دخولها (المدينة)، أو نروي الخبر أثناء دخولها، أما إذا سافرنا من أجل دخولها، فيأتي منصوبا بـ"أن" مضمرة. ولكن سببويه يروي اعتراضا لأحد "النحويين"، حقيقة أو افتراضا، يرى فيه أن الفعل المضارع "يدخلها" منصوب؛ لأنه، أي المتكلم، غير متيقن من صدق الخبر "الدخول إلى المدينة"، وقد استعمل سببويه "من" الشرطية للعاقل، ثم أردفها بفعل الشرط "زعم" الذي يشير إلى أن الخصم استيقن من حُجته، كالأمر الثابت لللازم، فجاء جواب الشرط بمثابة النتيجة التي تدحض ما قاله. يقول: "ومن زعم أن النصب يكون في ذا؛ لأن المتكلم غير متيقن، فإنه يدخل عليه: سار زيد حتى يدخلها"⁽⁵⁸⁾.

لو: يستعملها سببويه في تحليله لتراكيب نحويّ ضعيف، سُمع عن العرب: أما العلم والعبيد، فذو علم وعبيد، بنصب "العبيد" مفعولا مطلقا، فمن أجل إقناع المخاطب بتغيير وجهة نظره، بصواب الرفع "العلم والعبيد"، يستعمل أداة الشرط، بسبب صفة التلازم بين فعل الشرط وجوابه، فلا يجد المخاطب بداً من التسليم بنتيجة حتمية، ساقها سببويه من خلال الجواب، وهي أن المخاطب لو عدل عن التركيب المسموع عن العرب (أما العلم والعبيد فذو علم وعبيد)، فجاء بـ"العبيد" منفردا: أما العبيد فذو عبيد، للزوم الرفع في "العبيد" مبتدأ، وهو الأصح في رأي

سيبويه كقوله: "وهذا قبيح؛ لأنك لو أفردته كان الرقع الصواب" (59).. ففعل الشرط بعد "لو" يمثل المقدمة اليقينية؛ لأنه ينزل منزلة المسلم به، وجواب الشرط يمثل النتيجة التي لا مناص، أمام المخاطب، من تبنيها (60).

إن: تستعمل أداة الشرط "إن" للمعاني، بعيدة الاحتمال (61)، الأمر الذي قد يدل على ازدرائه هذا الزعم وتهافته، فقدم الحجة في جواب الشرط، المفتتح بـ"قيل له"، يقول: "وإن زعم زاعم أنه يقول: مررت برجل مخالطٍ بدنه داء... قيل له" (62).

إن + لا: إلّا: وقد وظفها سيبويه توظيفاً ججاجياً، من خلال علاقة التلازم بين فعل الشرط وجوابه، وهو ما نجده في النص الآتي، فإن لم يسلم المخاطب بصدق حجته خالف السماع والقياس. يقول: "فإنه لا يجدُ بدءاً من أن يقول: نعم، وإلا خالف جميع العرب والنحويين" (63).

إذا: تستعمل هذه الأداة للمعاني الكثيرة الوقوع، بعكس "إن" (64). ولها وظيفة ججاجية في تركيب مستقبح عند سيبويه، قاسه "النحويون"، وهو: تباً له وويحاً. فالأصح وفقاً لسيبويه أن نقول: تباً له وويح، لأن "تبا" مفعول مطلق، أما "ويح" فالأولى أن تكون المبتدأ في الجملة الاسمية، والخبر تقديره: "له"، لكنه يجيز "تباً له وويحاً"، رغم استقباحه له، حملاً لـ"ويحاً" في الإعراب، على "تبا". وفي السياق الآتي نجده يكرر "إذا" مرتين، وفي كلتا الحالين يأتي فعل الشرط بعد "إذا" للدلالة على الأمر المسلم به، الذي لا يمكن للخصم إنكاره، ثم يأتي جواب الشرط نتيجة حتمية، يقول: "لأنها إذا ابتدئت لم يجز حتى يبنى عليها كلام، وإذا حملتها على النصب كنت تبنيها على شيء مع قبحها" (65).

3- التوكيد: يلجأ سيبويه إلى استعمال ألفاظ التوكيد؛ طمعا في إقناع المخاطب بصدق ما يقول:

إن: وتكثر في ججاج سيبويه، مثل: "ألسنت تعلم أن الصفة... فإنه... فإنه قائل" (66).

ألفاظ التوكيد المعنوي: أجمعون، كل: نحو: "فالعرب تنصب هذا والنحويون أجمعون" (67).

أسماء الإشارة، ذلك: ويهدف سيبويه من وراء استعماله إلى ما تُشعر به "كاف" الخطاب من تأكيد معنى الإشارة إلى المخاطب؛ ليتنبه إلى ما بعد المشار إليه (68)، ويستحضر الأشياء

الحسنية، إذا كانت غائبة، وهو ما يدل على أن سيبويه استعملها لتقريب المعاني إلى ذهن المُخاطَب⁽⁶⁹⁾، كقوله: "وذلك أنهم شبهوه بالمصدر"⁽⁷⁰⁾.

هذا: يستعمله سيبويه في اعتراضه على ما قاسه "النحويون" في قولهم: مررتُ برجلٍ أسدٍ شدةً وجرأةً، يقول: "وهذا ضعيفٌ قبيحٌ"⁽⁷¹⁾، ولعل في استعماله اسمَ الإشارة "هذا" بعداً حجاجياً، مُلمحاً إلى ضعف المشار إليه، وازدراءه⁽⁷²⁾.

ههنا: وترد لإقناع المخاطب بشيء يمكنه رؤيته، يقول: "فهو هاهنا مُستكرهٌ لا يتكلمُ به العُربُ"⁽⁷³⁾. فالأداة "ههنا" تنبّه المخاطب؛ كي يلتفت إلى قول سيبويه، فيحذر من استعمال هذه التراكيب اللغوية⁽⁷⁴⁾.

تكرار "لا" النافية: فتأتي للتأكيد، إذ يقول: "ولا يكونُ هو" ولا "نحنُ صفةً"⁽⁷⁵⁾.

كان: تدل على ثبوت الحدث⁽⁷⁶⁾، ولعل السياق الآتي يوافق هذا المعنى، "فكما كان المتكلمُ أولى بأن يبدأ بنفسه قبلَ المُخاطَبِ، كانَ المُخاطَبُ...أولى بأن يبدأ به من الغائب"⁽⁷⁷⁾.

4- الأمر: كرر سيبويه فعل الأمر "اعلم" سبع مرات في النصوص التي ردّ فيها على جماعة "النحويين"⁽⁷⁸⁾. ويدل استعمال سيبويه لفعل الأمر "اعلم" في مفتتح حديثه على تنبيه السامع على أهمية ما يقال بعدها، والعناية البالغة التي يوليها للمخاطب⁽⁷⁹⁾. وتشير إلى المنحى التعليمي للمادة اللغوية في "الكتاب"، كقوله: "واعلم أن المضمراً لا يكون موصوفاً"⁽⁸⁰⁾.

5- التنوع في استعمال الضمائر: المتكلم، المخاطب، الغائب:

قد يهدف سيبويه، من طريق تنويع ضمائر الخطاب، إلى إشراك المخاطب، ولفت نظره إلى معاني النصوص وغاياتها، إذ يقول: "فهذا يدلُّك على أن النَّصْبَ في "تب" فيما ذكرنا أحسن"⁽⁸¹⁾. فقد بدأ سيبويه بـ"كاف الخطاب" في الفعل "يدلُّك"، ثم عدل إلى ضمير جماعة التكلمين "نا" في الفعل "ذكرنا"؛ بهدف تصوير المرسل بصورة المعلم المرشد، صاحب السلطة اللغوية⁽⁸²⁾.

6- التقييم:

مستكره قبيح: أستعار سيبويه هذه المصطلحات السلوكية التي تختص سلوك البشر؛ لأن اللغة نشاط اجتماعي، يتصل البشر فيما بينهم من خلالها⁽⁸³⁾. وهذه من المصطلحات التي

يتخذها معياراً في توصيف المادة النحوية في "الكتاب"؛ من أجل الحكم على تراكيب لغوية لا فائدة منها؛ بسبب عدم مطابقتها لكلام العرب⁽⁸⁴⁾. ففي قوله: "هَذَا بَابٌ مِنْهُ اسْتَكْرَهَهُ النَّحْوِيُّونَ، وَهُوَ قَبِيحٌ... وَذَلِكَ قَوْلُكَ: وَيُحُّ لَهُ وَتَبُّ، وَتَبًّا لَهُ وَوَيْحًا"⁽⁸⁵⁾، يصف ما قام به "النحويون" من المُشاكلة رفعا بين "ويح" و"تب" في المثال الأول، ونصبًا بين "تبا" و"ويحًا" في المثال الثاني، بالاستكراه، أي صنعوا أمثلة قاسوها على ما لم تقله العرب؛ والذي يختاره سيبويه: ويحُّ له وتبا، لأن "تبا" مفعول مطلق، فهي جزء من جملة فعلية، لكن "ويح" مبتدأ، خبره متعلق بشبه الجملة "له"، فهي جزء من جملة اسمية؛ وكذلك الحال في المثال الثاني: تبا له وويحًا، فإن "النحويين" جاؤوا بالأول مفعولا مطلقا، وبنوا عليه "ويحًا" الذي أعربوه أيضا مفعولا مطلقا، فسيبويه يفضل في الاستعمال: تبا له وويح، وهو لا يمنع، تماما، ما قاسه النحويون، ولكنه يراه "قبیحا"⁽⁸⁶⁾.

ثالثا: أساليب الحجاج عند سيبويه: نصوص تطبيقية.

من أهم الأساليب الحجاجية التي استعملها سيبويه في "الكتاب":

1- استدراج المخاطب وحصاره، ثم اقتناعه التام: يبني الحجاج النحوي عند سيبويه على استحضار مجموعة من الأسئلة، يطرحها على مخاطب وهمي، ثم يجيب عنها، نيابة عن ذلك المخاطب؛ لاستدراجه، فلا يجد بداً من التسليم. ولا يقصد الإزراء بالخصم، بل يتغيًا شرح أساليب فصحاء العرب. ونعصد ما نقول بمثال يتحدث فيه سيبويه عن اتباع النعت السببي ما قبله⁽⁸⁷⁾، ولا يفرق بين كونه منونا، أو مضافا؛ لأن التثوين في الإضافة اللفظية يكون على نية الانفصال، مثل: مررت برجلٍ ملازمٍ أباهُ رجلٌ، و: مررتُ برجلٍ ملازمٍ أبيه رجلٌ، ف "ملازم" صفة لـ "رجل"، و"ملازم أبيه" أيضا صفة لـ "رجل"⁽⁸⁸⁾. وتأتي هذه المسألة ضمن الباب الذي عنوانه سيبويه بـ "هذا باب ما يجري عليه صفة ما كان من سببه..."⁽⁸⁹⁾. ونرى تقسيم النص أربعة أقسام، ففي الأول يقول سيبويه: "وإن زعم زاعم أنه يقول: مررت برجلٍ مخالطٍ بدنه داء، ففرق بينه وبين المنون. قيل له: ألسنت تعلم أن الصفة إذا كانت للأول، فالتثوين وغير التثوين سواء... فإنه لا يجد بداً من أن يقول نعم، وإلا خالف جميع العرب والنحويين"⁽⁹⁰⁾. وتكمن مظاهر الحجاج في النص السابق من خلال النقاط الآتية:

- بدأ سيبويه المسألة بأداة الشرط الجازمة "إن"، وقد يدل استعمالها على استبعاد هذه الحجة التي يطرحها السائل المفترض.

- افتتح سيبويه المسألة بقوله: وإن زعم زاعم: ولل فعل "زعم" طاقة حجاجية، فيستعمل في القرآن الكريم، غالبًا، بمعنى التأكيد⁽⁹¹⁾. ويستخدم سيبويه "زعم" أثناء نقله عن شيوخه،

كالخليل، سَوَاءً أكانَ مُؤيِّداً أو مُعارضاً أو ناقلًا، بمعنى: تكفل، وضمن، وهو ما يتفق مع الآية: "وأنا به زعيم" (يوسف: 72)(92). ويقصد سيبويه بـ"زعم الخليل" أنه قال هذا الأمر مُتيقناً مما قاله، وعلى ضمانته وكفالاته(93).

- يعرض سيبويه في مطلع النص حُجة الخصم، وهو أمر في غاية الإنصاف(94)؛ ثم يعترض على هذه الحجة بالأدلة الدامغة. وحجة الخصم في المثال: مررتُ برجلٍ مخالطٍ بَدَنِهِ داءً، أن النعت السببي "مخالط" إذا كان مُنَوَّنًا يتبع ما قبله. وأما إذا كان النعت السببي مُضَافًا، فلا يتبع ما قبله في الإعراب؛ لأنَّ "النحويين"، ومعهم يونس يرون أن المضاف "مخالط" مَعْرِفَةٌ؛ فلا يصح أن يتبع النكرة "رجل"، فيجبُ عندئذٍ نصب "مُخَالِطَه" على الحال، إذا كان الزمن واقِعًا، أما إذا كان الزمن غير واقِعٍ "الاستقبال" فالأصحُّ، وفقًا ليونس، رفع "مخالطه" على الابتداء، وهو ما ألمح إليه سيبويه بقوله: "لأنَّ ناسًا من النَحْوِيِّينَ يَفَرِّقُونَ بَيْنَ التَّنْوِينِ وغيرِ التَّنْوِينِ"(95). وبخلاف ذلك، فإنَّ سيبويه لا يفرق بين النعت السببي المضاف "مخالطه" أو المنون، في الحال أو الاستقبال، ففي كلتا الحالتين يرى جواز اتِّباعِ المضاف "النعت السببي" حركة ما قبله؛ لأنَّ المضاف "مُخَالِطَه" من جنس الإضافة اللفظية، التي على نية الانفصال، وإنما جاءت تخفيفًا، فيظل المضاف نكرة(96).

- التضييق على الخصم من خلال أسئلة افتراضية، يتدرج فيها سيبويه حتى يلزم الخصم، ويضطره إلى التسليم التام. يبدأ سيبويه حجاجه بسؤال تقريبي، الهدف منه إقرار الخصم بصحة الحجة، وليس أمامه إلا الإجابة بـ"نعم"، "فإنه لا يجد بدءًا من أن يقول نعم". وتفيد همزة الاستفهام مع أداة النفي "ليس" حمل المخاطب على أن يقرُّ بأمر يعرفه(97).

- تحذير الخصم من مخالفة السماع عن العرب، وقياس النحاة، "وإلا خالف جميع العرب والنحويين"، نلاحظ أن سيبويه ختم القسم الأول من المحاجة بالزام الخصم التسليم بما يقول، وإلا خالف السماع والقياس(98)، فاستعمل الأداة: إلا، وهي مكونة من "إن" الشرطية، و"لا" النافية. وقد استعملها مرتين في حجاجه مع "النحويين"، فقال في موضع آخر: "فإذا ابتدأتَ فقدُ وجبَ عليكَ مذكورُ بعدِ المُبتدأ لا بدَّ منه، وإلا فسدَ الكلامُ"(99)، فأضمر فعل الشرط واكتفي بجوابه، فيكون التقدير: إن لم يقل الزاعم نعم خالف جميع العرب والنحويين. وقد قدم سيبويه هنا السماع على القياس في حجاجه، على اعتبار أن مخالفة العرب الفصحاء فيما قالوه مؤدٍ إلى القبح.

في القسم الثاني يقول سيبويه: "فإذا قال ذلك قلت: أفلسنت تجعل هذا العمل إذا كان مُنَوَّنًا، وكان لشيءٍ من سببِ الأول، أو التَّبَسُّبِ به، بِمَنْزِلَتِهِ إذا كان لِلأولِ؟ فإنه قائل: نعم،

وَكَأَنَّكَ قُلْتَ: مَرَرْتُ بِرَجُلٍ مَلَازِمٍ⁽¹⁰⁰⁾. ونلمح في هذا النص مظاهر حجاجية فصلها وفق ما يأتي:

- يوجه سيبويه سؤالاً تقريريًا ثانيًا، لا يتغيًا من ورائه انتظار إجابة الخصم، وإنما يرغمه إرغامًا على الإقرار. ونلاحظ عدوله عن: يقول نعم، إلى اسم الفاعل مع أداة التوكيد "إن": فَإِنَّهُ قَائِلٌ نَعَمْ. ويدل اسم الفاعل على الحدث، وعلى من قام به، على وجه الثبوت، وفي استعماله توكيد وتثبيت لِحُجَّتِهِ. ويعد اسم الفاعل من تقنيات الحجاج. وله وظيفة مهمة يلجأ إليها المرسل؛ من أجل إقناع المخاطب⁽¹⁰¹⁾.
- في عدول سيبويه عن استعمال المبني للمجهول "قيل له"، تنبيه للمخاطب، من طريق "تاء المخاطب"؛ لكي يُشركه في مُحاجة الخصم والتضييق عليه وإفحامه.
- يدفع سيبويه خصمه، في السؤال الثاني، إلى الإقرار بأن النعت السببي "اسم الفاعل" المنون يتبع المنعوت، كما لو كان مُصَافًا؛ لأنَّ حذف التنوين للتخفيف فقط؛ نحو: مررتُ برجلٍ مَلَازِمٍ أبوه رَجُلًا، و: مررتُ برَجُلٍ مَلَازِمٍ أباه رَجُلٌ، ففي المثال الأول "ملازم" نعت سببي لـ "رجل"، فاعله "أبوه"، فيه ضمير يعود على المنعوت، وهو المقصود بقوله "التبس به"، وأما قوله "وكان لشيءٍ من سببه" فيصدق على المثال الثاني؛ لأن "رجل" "التبس بـ" الأب"، ووقع على ضميره⁽¹⁰²⁾.

أما القسم الثالث فهو: "فإذا قال ذلك قلتَ له: ما بال التنوين، وغيّر التنوين استويًا حيثُ كانا للأول، واختلَفَا حيثُ كانا للآخر؟ وقد زعمتُ أنه يجري عليه إذا كان للآخر كَمَجْرَاهُ، إذا كان للأول. ولو كان كما يزعمون لقلتُ: مررتُ بعبدِ الله المَلَازِمِ أبوه...ولو أن هذا القياس لم تكن العرب الموثوق بعربيتها تقوله لم يلتفت إليه، ولكننا سمعناها تُنشدُ البيتَ جرًّا...

وَنظَرْنَ مِنْ خَلَلِ الْخُدُورِ بِأَعْيُنٍ *** مَرَضَى مُخَالِطِهَا السَّقَامُ صِحَاحُ⁽¹⁰³⁾

نتلخص مظاهر الحجاج في هذا النص فيما يأتي:

- في المرحلة الأخيرة من الحجاج يطبق سيبويه على خصمه من طريق تلقين تلميذ له السؤال الموجه إلى المخاطب. ويقوم حجاجه على فكرة مؤداها أنه بما أن "النحويين" يفرقون بين النعت السببي المنون (ملازم أباه) والمضاف (ملازم أبيه)، على اعتبار أن (ملازم أبيه) معرفة لا ينعت النكرة "رجل"؛ فأوجبوا نصبه حالًا مع كونه معرفة مضافة، فألزمهم سيبويه حينئذٍ أن يقبلوا تركيبًا غير فصيح، وهو: مررتُ بعبدِ الله المَلَازِمِ أبوه، على اعتبار أن "الملازم"

حال معرفة، وما قبلها معرفة⁽¹⁰⁴⁾. وهذه الحجة الدامغة التي تحمل دليلاً واضحاً لا يسعُ المخالف إلا الإذعانَ لها، وهو ما وصفه السيرافي في شرحه، عقب طرح السؤال الثالث، بقوله: "وهذا من أثبت الحجاج"⁽¹⁰⁵⁾.

- الاستدلال بالسَّماع عن العرب، وهو من أقوى الحجج التي لا تُخالف، فالعرب الفصحاء أولى بالاتباع. يثبت سيبويه من خلال الشواهد الشعرية أن النعت السببي المضاف يتبع مع قبله في الاستقبال بعكس ما يرى "النحويون"، الذين يوجبون نصبه. فجاءت "مُخالطها" مجرورة، نعنا سببياً للمنوعات النكرة المجرور "أعين"⁽¹⁰⁶⁾.

- يستعمل سيبويه في حجاجه الأداة "لكن" المشددة في قوله: "ولكننا سمعناها تُشيدُ البيتَ جرّاً"، و"لكن" مشددة النون أداة استدراك، تنسب لما بعدها حكماً، يناقض الحكم الذي قبلها، وكما أشار ابن هشام فإنها تتضمن معنى التوكيد بالإضافة إلى الاستدراك⁽¹⁰⁷⁾.

ووفقاً لقوانين السُّلم الحجاجي، فإن "لكن" تفصل بين حجتين، الحجة (أ)، والحجة (ب)، فالحجة الأولى (أ) تفضي إلى النتيجة (ن)، والحجة (ب)، التي ترد بعد "لكن"، وهي أقوى من الحجة (ب)، تؤدي إلى عكس النتيجة (ن)، وهي ما تسمى النتيجة (لا - ن)، إذ تضمنت الحجة (ب) نتيجة معاكسة تماماً للحجة (أ). وتطبيقاً لما سبق على النص من "الكتاب" نقول:

فصلت "لكن" بين الحجة (أ)، وهي رأي يونس، الذي يرفض إتباع النعب السببي لما قبله، إذا كان مضافاً، نحو: مررتُ برجلٍ مُلازمه أبوه، فيوجب النصب في "ملازمه" على الحال؛ لأنه يراه معرفة لا تتبع النكرة. أما الحجة (ب)، التي جاءت بعد "لكن"، فهي محور الخطاب الحجاجي لسببويه في هذه المسألة، وهي أن العرب الفصحاء، في شعرهم، أوردوا النعب السببي المضاف تابعاً لما قبله في الحركة؛ لأنه من الإضافة اللفظية التي جاءت تخفيفاً للتونين، أي أن المضاف ظل نكرة، فلا حرج في وصفه النكرة "رجل". وهي نتيجة مخالفة تماماً لما استمسك به يونس ومن أيده من "النحويين"، وبذلك أصبحت حجته باطلة، من طريق الشواهد الشعرية. وهو سلم حجاجي صاعد، إذ بدأ سيبويه بحجة الخصم الضعيفة، ثم جاء بالحجة الدامغة، فأبطل حجاج الخصم، سماعاً وقياساً.

- ولم يقفل سيبويه دائرة الحجاج في هذه المسألة بالشاهد الشعري، وفق ما يرى أحد الباحثين⁽¹⁰⁸⁾، بل استمر في حجاجه في القسم الرابع، ولكن حدثه خفتت عما قبل، فأخذ يبرر اعتراضه على "النحويين". يقول: "فإن زعموا أن ناساً من العرب ينصبون هذا، فهم ينصبون: به داء مُخالطه، وهو صفة للأول... وإنما ذكرنا هذا؛ لأن ناساً من النحويين يفرقون بين التَّونين، وغير التَّونين"⁽¹⁰⁹⁾.

نلخص المظاهر الحجاجية في النص وفق الآتي:

- يأتي سيبويه مرة أخرى بحجة الخصم، الذي يلجأ إلى كلام العرب، وهي قول العرب: به داءُ مُخالطه، والشاهد فيه عدم اتباع النعت المضاف "مُخالطه" ما قبله في الإعراب، إذ إنه يصف نكرة "داء"، رغم ذلك خالف "مُخالطه" الأول، وجاء حالا منصوبة⁽¹¹⁰⁾.
- يستعمل سيبويه أسلوب القصر، المتمثل في أداة الحصر "إنما"، وجاءت في حجاج سيبويه متلوّة بفعل "وإنما ذكرنا هذا"، وتسمى "المهيئة"، أي أنها تهيئ المخاطب إلى الكلام بعدها، دلالة على أهميته، تعظيماً لشأنه⁽¹¹¹⁾. ويدل استخدامها على افتراض سيبويه بأن المخاطب يجهل ما يقوله المحتج، إذ تمثل أعلى درجات التأكيد والإقناع⁽¹¹²⁾.
- يستعمل سيبويه أداة مهمة من ألفاظ التعليل، وبذلك يقفل دائرة الحجاج مع جماعة "النحويين" في مسألة النعت السببي واتباعه لما قبله⁽¹¹³⁾.

2- إشراك المُخاطب، أثناء حجاجه، على صورة حوار بناء⁽¹¹⁴⁾، بهدف إقناعه. وقد تمّ لسببويه ما أراد من إشراكه من طريق "تاء المخاطبة"، و"كاف الخطاب"، وفي ذلك ملحظ آخر يهدف إلى تنبيه المخاطب؛ ليعي ما يقوله شيخه، دون أن يفلته شيء من مسائل العلم العويصة، التي يبسطها أمامه، نحو: "مَنْ قَبِلَ أَنْكَ إِنَّمَا تَضْمُرُ حِينَ تَرَى أَنَّ الْمُحَدِّثَ قَدْ عَرَفَ مَنْ تَعْنِي"⁽¹¹⁵⁾؛ "وذلك أن رجلاً من إخوانك ومعرفتك لو أراد أن يخبرك"⁽¹¹⁶⁾.

3- الاختزال: ويعني أن سيبويه يتجنب شرح المسألة أكثر من مرة في كتابه، فمن أجل الاختصار يحيل المُخاطب إلى موضع، يأتي فيما بعد، ومن الكلمات المستعملة في الاختزال: أو: "ويُنْتَصَبُ عَلَى مَا ذَكَرْتُ لَكَ"⁽¹¹⁷⁾، أو: "وَسَتَرَى هَذَا النُّحُوَ فِي كَلَامِهِمْ"⁽¹¹⁸⁾، "سأبين لك إن شاء الله"⁽¹¹⁹⁾، فالكلمات: ذكرت لك، وسترى، وسأبين لك أغنت عن تكرار المسألة في موضعين.

4- النقص: ويعني أن يهدم المُحاج دليل خصمه من أساسه، مستعيناً بالشواهد النحوية شعراً، أو نثراً في إبطال حجة الخصم⁽¹²⁰⁾، نحو: "وَلَكِنَّا سَمِعْنَا هَذَا الْبَيْتَ جَرًّا"⁽¹²¹⁾، دلالة على تقديمه السماع على القياس.

5- المعارضة: وتعني مخالفة حجة الخصم، وعدم الموافقة عليها⁽¹²²⁾، كقوله: "وَأَمَّا قَوْلُ النُّحَوِيِّينَ: يُجَازَى بِكُلِّ شَيْءٍ يُسْتَفْهَمُ بِهِ، فَلَا يَسْتَقِيمُ، مِنْ قَبْلِ أَنْكَ تَجَازِي بِ"إِنْ" وَ"حَيْثَمَا"، وَ"إِذَا"، وَلَا يُسْتَفْهَمُ بِهِنِ الْاسْتَفْهَامُ"⁽¹²³⁾. ووجه اعتراضه على "النحويين" أن كلامهم لا ينسحب على كل أدوات الشرط؛ كإِنْ، الأمر الذي ينقض قاعدتهم.

6- التسليم الجلي: ويقصد به إقرار المُحاجج ببعض قضايا الخصم، تمهيدا لدخضها، لا قبولها⁽¹²⁴⁾، وهو ما يظهر جليا في مسألة النعت السببي، إذ يقول: "فَإِنْ زَعَمُوا أَنْ نَاسًا مِنَ الْعَرَبِ يَنْصِبُونَ هَذَا، فَهَمْ يَنْصِبُونَ: بِهِ دَاءٌ مُخَالِطَةٌ"⁽¹²⁵⁾.

7- البدء بعرض رأي الخصم: يسبقه "زَعَمَ" أحيانا، بهدف اعتراضه⁽¹²⁶⁾، كقوله: "وقَدْ زَعَمَ نَاسٌ أَنْ "هُوَ" هَاهُنَا صِفَةٌ، فَكَيْفَ يَكُونُ صِفَةً، وَلَيْسَ فِي الدُّنْيَا عَرَبِيٌّ، يَجْعَلُهَا هَاهُنَا صِفَةً لِلْمُظْهِرِ"⁽¹²⁷⁾.

8- استخراج الشبه، وإثارة الشكوك: ويقصد به تعقب ما تفضي إليه حُجج الخصم من إشكالات، تؤدي إلى نقض كلامه وتهافته⁽¹²⁸⁾، وهو جلي فيما استشهدنا به في أسلوب الحجاج الأول عند سيبويه، كقوله: "وإن زَعَمَ... قِيلَ لَهُ... فإذا قَالَ ذَلِكَ قُلْتَ"⁽¹²⁹⁾.

9- استعمال سيبويه للقياس النظري، الذي لا نجد له نظيراً في استعمال الفصحاء⁽¹³⁰⁾، كما في رفضه للتركيبين: أعطاكني، و: أعطاهوني؛ فمصدر القُبْح، وَفَقًا لسببويه، أننا في الأول قَدَمْنَا الْمُخَاطَبَ عَلَى الْمُتَكَلِّمِ، وفي الثاني قَدَمْنَا الْغَائِبَ عَلَى الْمُتَكَلِّمِ وهو ما لا يجوز، "فَكَمَا كَانَ الْمُتَكَلِّمُ أَوْلَى بِأَنْ يَبْدَأَ بِنَفْسِهِ قَبْلَ الْمُخَاطَبِ، كَانَ الْمُخَاطَبُ الَّذِي هُوَ أَقْرَبُ مِنَ الْغَائِبِ أَوْلَى بِأَنْ يَبْدَأَ بِهِ مِنَ الْغَائِبِ"⁽¹³¹⁾.

10- تَضْعِيفُ رَأْيِ "النَّحْوِيِّينَ" الَّذِينَ يَرَى أَنَّ بَعْضَ أَقْيَسَتِهِمْ فَاسِدَةٌ، لَا يَجِيزُهَا السَّمَاعُ، أَوْ تَسْتَنْدُ إِلَى لِهْجَاتٍ لَا يُحْتَجُّ بِهَا⁽¹³²⁾. ومن الملاحظ أن وصفه بعض الاستعمالات اللغوية بالقبح منهج إنساني اجتماعي، وهو ما نجده في النصوص التي يأتي فيها ذكر "النحويين"، إذ يقول: "هَذَا بَابٌ مِنْهُ اسْتَكْرَهُهُ النَّحْوِيُّونَ، وَهُوَ قَبِيحٌ، فَوَضَعُوا الْكَلَامَ فِيهِ عَلَى غَيْرِ مَا وَضَعَتْ الْعَرَبُ"⁽¹³³⁾. و: "وَرَعَمَ يُونُسُ أَنَّ قَوْمًا مِنَ الْعَرَبِ يَقُولُونَ... وَهُوَ قَلِيلٌ حَبِيثٌ"⁽¹³⁴⁾، ويقول: "فَإِنَّ النَّحْوِيِّينَ مِمَّا يَتَّهَوَنُونَ بِالْخَلْفِ"⁽¹³⁵⁾ إِذَا عَرَفُوا الْإِعْرَابَ"⁽¹³⁶⁾. نستخلص من هذا النص أن نقد سيبويه موجه إلى "النحويين"؛ بسبب اهتمامهم بالشكل على حساب المعنى⁽¹³⁷⁾.

11- مُرَاعَاةُ أَرْكَانِ الْخِطَابِ، إِذْ يِرَاعِي سَبَبِيَّةً فِي حِجَاجِهِ أَرْكَانَ الْخِطَابِ مِنَ الْمُتَكَلِّمِ وَمُخَاطَبِ وَسِيَاقِ⁽¹³⁸⁾، كحديثه عن الحال المؤكدة: "إِلَّا أَنْ رَجُلًا لَوْ كَانَ خَلْفَ حَائِطٍ، أَوْ فِي مَوْضِعٍ تَجْهَلُهُ فِيهِ، فَقُلْتَ مَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: أَنَا عَبْدُ اللَّهِ مُنْطَلِقًا فِي حَاجَتِكَ، كَانَ حَسَنًا"⁽¹³⁹⁾. نلاحظ أنه راعى سياق الحال، وأحوال المخاطب، الذي يحجبه حائط، عن المتكلم؛ لذلك يجوز الإخبار عن الضمير "هو" بالاسم "عبد الله"، ثم جاءت "منطلقا" حالا مؤكدة، ولو لم يكن المخاطب خلف

الحائظ لامتنع إظهار "عبد الله"؛ لعدم تحقّق الفائدة. وهو ما يؤكد انتماء نحوّه إلى النحو الوظيفي التواصلي⁽¹⁴⁰⁾.

12- لجوء سيبويه إلى التكرار، بوصفه وسيلة يستعين بها للتأثير في المخاطب⁽¹⁴¹⁾.
كتحليله ل: ويح له وتب، فيرى أنّ الأحسن: ويح له وتباً؛ لأن "تبا" في حالة الأفراد ينصب مفعولاً مطلقاً، يستغني عن الخبر، بعكس "ويح". وكذلك يستقبح التركيب اللغوي: تباً له وويحاً، لأن "ويح" تحتاج إلى خبر، لذلك الرفع أنسب لها. نلاحظ التكرار في سرده للمسألة: "فإذا قلت: ويح له، ثمّ الحقتها "التب" فإنّ النصب فيه أحسن؛ لأنّ "تبا" إذا نصبتّها فهيّ مستغنية عن لك". ... فهذا يدلّك على أنّ النصب في "تب" فيما ذكرنا أحسن؛ لأنّ "له" لم يعمل في "التب"⁽¹⁴²⁾.

الخاتمة:

لم يكتف سيبويه في تحليله اللغوي بتحديد العامل، أو تقديره، وملاحظة أثره في حالات الإعراب، وعلاماته في الأبنية والتراكيب اللغوية، بل تجاوز ذلك ليشمل تحليل المواقف الاجتماعية المحيطة بالتراكيب اللغوية. وما يمتاز به سيبويه عن النحاة اللاحقين اهتمامه البالغ بالنحو الوظيفي التواصلي المنبني على ملاحظة العلاقة بين المتكلم والمخاطب، وأثر سياق اللفظ والحال، فلم ينظر إلى التراكيب النحوية على أنّها وحدات منفصلة، بل عدّها جزءاً من نص تداولي إنساني حي.

وقد أفاد البحث من تقنيات الحجاج اللغوي في إلقاء الضوء على الأساليب الحجاجية التي اتبعها سيبويه في رده على "النحويين" في كتابه. فقد عقد في ثنايا كتابه حواراً حجاجياً بينه وبين مجموعة من "النحويين"، يعترض عليهم، ويعقب على آرائهم، معارضاً لهم، في الغالب.

وقد توصل البحث إلى نتيجة مؤدّاه أنّ كتاب سيبويه ذو طبيعة حجاجية بارزة، فمظاهر الحجاج فيه جلية، من سلّم حجاجي، وروابط حجاجية، وأفعال كلامية. كما أنّه يهتم اهتماماً بالغاً بمحاورة المخاطب، ثمّ التضييق عليه حتى يقتنع تماماً. كما أنّه يعتني بإيراد الحجج الدامغة، ويعضدها بشواهد من القرآن الكريم، والشعر العربي، وكلام العرب الفصحاء.

وقد استعرض البحث الأساليب الحجاجية التي استعملها سيبويه، من خلال نصوص تطبيقية حاور فيها "النحويين". فظهر جلياً براعة سيبويه ودقته البالغة في استعمال تلّكم الأساليب، ضمن منهجية واضحة وثابتة في "الكتاب" تنبئ عن عقلية فذة، استطاعت وصف المادة اللغوية، وتوصيفها، اعتماداً على اللغة الفصيحة المنطوقة في زمانه.

The Argumentation Strategies of Sībawayhi's Refutation against "Grammarians"; an Analytical Study

Nasser El-din Abu khudair, *Department of Arabic Language, Birzeit University, Ramallah, Palestine*

Abstract

What distinguishes the grammar of Sībawayhi's Kitāb is that it belongs to a pragmatic functional perspective, which pays great attention to the elements of communication: the addresser, the addressee, and the context, as well as to the argumentative nature of his dialogue so that he can completely convince others with his argumentations.

This research mainly aims to study the argumentative methods used by Sībawayhi in his dialogue with the "Grammarians" when he objected to and refuted their opinions as they resorted to affected formal analogy and preferred it to the spoken language by the Arab Bedouins.

This research consists of an introduction which deals with the identity of the "Grammarians" Sībawayhi argued with, a short description of the argumentation strategies as well as the argumentative connectors.

Key words: Grammar, Sībawayhi, Pragmatics, Argumentation.

الهوامش

(1) محمد عزيمة: فهارس كتاب سيوييه، ص888؛ وانظر:

- Baalbaki, R.,(2008). *The Legacy of the Kitāb*, Leiden. Boston, Brill,. p. 18;
Talmon R. (1982). "Naḥwiyyun in Sībawayhi's Kitāb" , ZAL. P. 14;
Marogy, A.(2010). *Kitāb Sībawayhi, syntax and pragmatics*. Leiden. Boston. Brill,. P.23.
- (2) Carter, M.G.(2004). *Sībawayhi*. Oxford Centre for Islamic Studies,London.. P.4-6.
- (3) Carter, *ibid*. p. 5-6; ; R. Talmon. *Op. cit*. P.17.
- (4) Talmon, *op. cit*. p. 28; Baalbaki, *op. cit*. p. 19.

(5) Talmon, op. cit. p.29.

(6) ibid.

(7) Baalbaki, op. cit. p.19.

(8) الكتاب، 363-2، 364.

(9) Baalbaki, op. cit. p. 20.

(10) ibid.

(11) ibid, p.23.

(12) المصدر السابق، 391/2.

(13) المصدر السابق، 21/2.

(14) المصدر السابق، 390/2. الدليل على أن سيبويه يقصد بهم مجموعة من "النحويين" أن وصف قياسهم النحوي بمخالفة ما تقوله العرب الفصحاء، كما أن أسلوبه حجاجه النحوي معهم، كقوله "زعم ناس"، و"كيف يكون هذا وليس في الدنيا عربي"، و" يدخل عليهم..."، يقول: "وقد زعم ناس أن "هو" ها هنا صفة، فكيف يكون صفة، وليس من الدنيا عربي، يجعلها صفة؟... ف"هو" ها هنا مستكرهة، لا يتكلم بها العرب؛ لأنه ليس من مواضعها عندهم، ويدخل عليهم..."، الكتاب، 390/2.

(15) المصدر السابق، 21/3.

(16) المصدر السابق، 418/3.

(17) المصدر السابق، 232/3.

(18) المصدر السابق، 61/3.

(19) أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين، تحقيق: محمد عزب، ص 22. وانظر: الأنباري: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، 1998، ص 27-28؛ القفطي: إنباه الرواة على أنباه النحاة، 2/ 104-108.

(20) ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، 14/1.

(21) عبد الله صولة: في نظرية الحجاج، دراسات تطبيقية، ص13.

(22) الخليل: معجم العين، 9/3؛ الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، ص 218.

(23) الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، 314/3.

(24) أبو بكر العزاوي: "الحجاج في اللغة"، ضمن كتاب: الحجاج، مفهومه ومجالاته، دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد: حافظ علوي، 1/ 57.

- (25) مسعود صحراوي: "في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر"، ضمن كتاب: التداوليات، علم استعمال اللغة، تنسيق وتقديم: حافظ علوي، ص59.
- (26) مسعود صحراوي: "في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر"، ضمن كتاب: التداوليات، علم استعمال اللغة، تنسيق وتقديم: حافظ علوي، ص51-53.
- (27) المصدر السابق؛ جون أوستين: نظرية افعال الكلام العامة، كيف تنجز الأشياء بالكلام، ترجمة: عبد القادر قينيني، ص 123-132.
- (28) أبو بكر العزاوي: "الحجاج في اللغة"، ضمن كتاب: الحجاج، مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم: حافظ علوي، ص58/1.
- (29) المصدر السابق، ص63-64؛ محمد عدیل علي: التحليل التداولي لخطاب الحجاج النحوي، ص297-298؛ عبد الهادي الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص295-309.
- (30) ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق: عبد اللطيف الخطيب، ص541-543.
- (31) محمد عدیل علي: التحليل التداولي لخطاب الحجاج النحوي، ص298-299.
- (32) الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص296/2-298.
- (33) الكتاب، ص11/2.
- (34) السيرافي: شرح كتاب سيبويه، تحقيق رمضان عبد التواب وآخرين، ص88/6.
- (35) الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص308/2؛ مليكة ناعيم: "المقصد الحجاجي في النقد النحوي، قراءة في نص لأبي حيان الغرناطي"، ضمن كتاب: التحليل الحجاجي للخطاب، إشراف وتقديم: أحمد قادم وسعيد العوادي، ط1، دار كنوز المعرفة، عمان، 2016، ص720.
- (36) الكتاب، ص50/2.
- (37) المصدر السابق، ص21/3.
- (38) ابن هشام: مغني اللبيب، ص72/4؛ مليكة ناعيم: "المقصد الحجاجي في النقد النحوي، قراءة في نص لأبي حيان الغرناطي"، ص720.
- (39) الكتاب، ص21/2.
- (40) المصدر السابق، ص11/2.
- (41) المصدر السابق، ص389/1.
- (42) المصدر السابق، ص21/3.

- (43) المصدر السابق، 334/1.
- (44) الشهري: استراتيجيات الخطاب، 259/2.
- (45) الكتاب، 50/2.
- (46) المصدر السابق؛ السيرافي: شرح كتاب سيبويه، 133/6.
- (47) الكتاب، 11/2؛ السيرافي: شرح كتاب سيبويه، 87/6.
- (48) الكتاب، 365/2.
- (49) السيرافي: شرح كتاب سيبويه، 63/9.
- (50) الكتاب، 364/2.
- (51) الكتاب، 390/2.
- (52) المصدر السابق، 19/2.
- (53) المصدر السابق، 20/2.
- (54) رامي جميل سالم: "آليات الحجاج في مناظرة السيرافي لمتى بن يونس القنائي"، ص 308.
- (55) ابن هشام: مغني اللبيب، 353-352/1.
- (56) المصدر السابق، 51/2. ذكرها ابن هشام، وهي الزيادة في التوكيد، ففي الجملة: زيد زاهب، إذا قصدت توكيدها، "وَأَنَّهُ لَا مَحَالَّةَ زَاهِبٌ، وَأَنَّهُ بِصَدْرِ الذَّهَابِ، وَأَنَّهُ مِنْهُ عَزِيمَةٌ، قُلْتُ: أَمَا زَيْدٌ فَذَاهِبٌ".
- (57) المصدر السابق، 59/3.
- (58) المصدر السابق، 20/3.
- (59) المصدر السابق، 389/1.
- (60) السيرافي: شرح كتاب سيبويه، 174-173/5؛ سالم: "آليات الحجاج في مناظرة السيرافي لمتى بن يونس القنائي"، ص 308.
- (61) فاضل السامرائي: معاني النحو، 71-69/4.
- (62) المصدر السابق، 19/2.
- (63) المصدر السابق، 19/2.
- (64) السامرائي: معاني النحو، 75-74/4.

- (65) المصدر السابق، 334/1.
- (66) المصدر السابق، 19/2.
- (67) المصدر السابق، 390/2.
- (68) الصغير: الأدوات النحوية في التفسير، ص587.
- (69) السامرائي: معاني النحو، 88/1.
- (70) المصدر السابق، 389/1.
- (71) المصدر السابق، 434/1.
- (72) السامرائي، معاني النحو، 89/1.
- (73) المصدر السابق، 390/2.
- (74) السامرائي، معاني النحو، 93/1.
- (75) المصدر السابق، 391/2.
- (76) السامرائي: معاني النحو، 211/1.
- (77) المصدر السابق 364/2.
- (78) المصدر السابق، 363/2؛ 385/2؛ 386/2؛ 389/2؛ 390/2.
- (79) مقبول: سيبويه معتزليا، ص 84.
- (80) المصدر السابق، 11/2.
- (81) المصدر السابق، 334/1.
- (82) علي: التحليل التداولي للخطاب، ص277.
- (83) محمد عبد العزيز: كتاب سيبويه، مادته ومنهجه، ص225.
- (84) علي: التحليل التداولي للخطاب، ص 37.
- (85) المصدر السابق.
- (86) السيرافي: شرح كتاب سيبويه، 108/5.
- (87) مقبول: سيبويه معتزليا: حفریات في ميتافيزيقا النحو العربي، ص 94؛ علي: الفكر اللساني التداولي (قراءات في التراث والحداثة)، ص 39-40.

- (88) الكتاب، 18/2، 21؛ السيرافي: شرح كتاب سيبويه، 94/6-95؛ الأسترابادي: شرح كافية ابن الحاجب، تحقيق إميل يعقوب، 327/2؛ البغدادي: خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام هارون، 24/5-27.
- (89) الكتاب، 18/2، والغريب أن الدكتور محمد عديل علي قرر أن النص في "الكتاب" يتحدث عن بدل المعرفة من النكرة والمعرفة من المعرفة، والصحيح أن ما قاله يوافق الباب الذي قبله، علي، الفكر اللساني التداولي، ص 30.
- (90) الكتاب، 19/2.
- (91) الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان داودي، ص 380.
- (92) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، ص 899.
- (93) عوض القوزي: "زعم الخليل في كتاب سيبويه"، ص 44-62.
- (94) وكذلك فعل أبو البركات الأنباري في كتابه "الإنصاف" إذ بدأ المسائل الخلافية بين نحاة الكوفة والبصرة بقوله: قال الكوفيون، ثم يشرع في سرد حجج الكوفيين قبل نحاة البصرة، ثم يبدأ بدحض حجج الكوفيين، وينتصر لنحاة البصرة، انظر: الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف، ج 1/ 6، 17، 33، 40، 44، 51، 55، 57.
- (95) الأسترابادي: شرح الكافية، 327/2-329؛ البغدادي: خزنة الأدب، 24/5؛ انظر: Talmon, op. cit. P. 33.
- (96) المصدر السابق، 329/2.
- (97) المصدر السابق، 482/2.
- (98) إدريس مقبول: سيبويه معتزليا، ص 94.
- (99) الكتاب، 389/2.
- (100) المصدر السابق، 19 / 2.
- (101) عبد الهادي الشهري: استراتيجيات الخطاب، 271/2-272.
- (102) السيرافي: شرح كتاب سيبويه، 94/6.
- (103) الكتاب، 20/2.
- (104) اعتمادا على شرح السيرافي وشرح الرضي فالأصح أن تكون "الملازمه" منصوبة حالا، يقول السيرافي: " ثم لزمه أن ينصب المعرفة المضافة، فيقول: مررتُ بعبد الله الملازمه أبوه"، شرح كتاب سيبويه، 95/6؛ الأسترابادي: شرح الرضي، 327 / 2، يقول

- الأسترابازي: " وألزمه سيبويه تجويز نصبه على الحال مع كونه معرفة"؛ وانظر: Talmon, op. cit. P. 35.
- (105) السيرافي: شرح كتاب سيبويه، 95/6.
- (106) البغدادي: خزنة الأدب، 24 /5.
- (107) ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق: عبد اللطيف الخطيب، 3 /541-543.
- (108) محمد عدیل علي: الفكر اللساني التداولي، قراءات في التراث والحداثة، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، 2016، ص40.
- (109) الكتاب، 21/2.
- (110) يبدو أن سيبويه يحصر مخالفته لـ"النحويين" في وجوب النصب حالا، فهو يجيز الجر والنصب، الأسترابازي: شرح الكافية، 329/2؛ Talmon, op. cit. P. 35-36.
- (111) ابن هشام: مغني اللبيب، 72/4.
- (112) مليكة ناعيم: " المقصد الحجاجي في النقد النحوي، قراءة في نص لأبي حيان الغرناطي"، ضمن كتاب: التحليل الحجاجي للخطاب، إشراف وتقديم: أحمد قادم و: سعيد العوادي، ص 720.
- (113) الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، 259/2-263.
- (114) علي: التحليل التداولي لخطاب الحجاج النحوي، ص 273.
- (115) المصدر السابق، 11/2.
- (116) المصدر السابق، 81-80/2.
- (117) المصدر السابق، 390/1.
- (118) المصدر السابق، 51/2.
- (119) علي: التحليل التداولي لخطاب الحجاج النحوي، ص 103؛ الكتاب، 3 /418.
- (120) مقبول، سيبويه معتزليا، ص 97.
- (121) المصدر السابق، 20/2.
- (122) مقبول: سيبويه معتزليا، ص97.
- (123) الكتاب، 3 /59 (نقلا عن مقبول: سيبويه معتزليا، ص97).

- (124) مقبول: سيبويه معتزليا، ص 98.
- (125) الكتاب، 21/2.
- (126) مقبول: سيبويه معتزليا، ص 98.
- (127) المصدر السابق، 390/2.
- (128) مقبول: سيبويه معتزليا، ص 98.
- (129) المصدر السابق، 19/2.
- (130) علي: الفكر اللساني التداولي، ص 38؛ انظر: عبد الرحمن بودرع: "البعد الاجتماعي التداولي في منهج سيبويه"، ضمن كتاب: التداوليات وتحليل الخطاب، تنسيق وتقديم: حافظ علوي ومنتصر عبد الرحيم، ص 722.
- (131) الكتاب، 364/2 (نقلا عن: محمد عديل علي: الفكر اللساني التداولي، ص 38).
- (132) انظر:
- Baalbaki, op. cit. p. 15.
- (133) المصدر السابق، 334/1.
- (134) المصدر السابق، 389/1.
- (135) ضبطها أحد الباحثين بضم الخاء وسكون اللام، وعرف مصطلح الخُلف بأنه " ما يتوارى من دلالات سياقية حالية، لا تدل عليها البنى اللفظية التركيبية، لكن الكشف عنها، والتماسها في التحليل اللغوي أساس في حصول التمام الدلالي، بغية كمال الإعراب، وفهم مقاصد العرب في كلامهم"، المتولي عوض: " مصطلح (الخُلف) في الكتاب، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية- الكويت، مج: 34، رسالة 405، 2014، ص 17-23، ولكن أكثر الباحثين ضبطها بفتح الخاء وسكون اللام، وهو الراجح، انظر: مقبول: الأفق التداولي، نظرية المعنى والسياق، ص 88؛ بودرع: "البعد الاجتماعي التداولي في منهج سيبويه"، ضمن كتاب: التداوليات وتحليل الخطاب، تنسيق وتقديم: حافظ علوي ومنتصر عبد الرحيم، ص 707.
- (136) المصدر السابق، 80/2.
- (137) عبد الرحمن بودرع: "البعد الاجتماعي التداولي في منهج سيبويه"، ضمن كتاب: التداوليات وتحليل الخطاب، تنسيق وتقديم: حافظ علوي ومنتصر عبد الرحيم، ط 1، دار كنوز المعرفة، عمان، 2014، ص 724؛ انظر: Talmon, op. cit. P.29.
- (138) انظر: الكتاب، 8/2

(139) Carter, op.cit. p. 56-57.

(140) إدريس مقبول: الأفق التداولي، نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية، ص77، 88-90.

(141) عبد الله صولة: الحجاج: أطره ومنطقاته، وتقنياته من خلال "مصنف في الحجاج- الخطابة الجديدة، لبرلمان وتيتيكاه"، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود، ص 318.

(142) الكتاب، 334/1؛ السيرافي: شرح كتاب سيبويه، 108/5؛ بودرع: "البعد الاجتماعي التداولي في منهج سيبويه"، ص722.

المصادر والمراجع

الأنباري، أبو البركات، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998م.

الأنباري، أبو البركات: الإنصاف في مسائل الخلاف، دار الفكر، د.ت، د.مكان نشر.

أوستن، جون: نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام؟ ترجمة: عبد القادر قينيني، ط2، أفريقيا الشرق، المغرب، 2008م.

البغدادي، عبد القادر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م.

بودرع، عبد الرحمن: "البعد الاجتماعي التداولي في منهج سيبويه"، ضمن كتاب: التداوليات وتحليل الخطاب، تنسيق وتقديم: حافظ علوي ومنتصر عبد الرحيم، ط1، دار كنوز المعرفة، عمان، 2014م. ص693-729.

جبل، محمد حسن: المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مكتبة الآداب، القاهرة، 2010م.

الخليل بن أحمد، معجم العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1981م.

الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان داوودي، دار القلم، دمشق، 1423هـ.

الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق علي شيري، دار الفكر، بيروت، 1994م.

- سالم، رامي: "آليات الحجاج في مناظرة السيرافي لمتى بن يونس: دراسة تحليلية"، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها- الأردن، مج 10، ع3، (2014م). ص275-310.
- السامرائي، فاضل: معاني النحو، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان، 2000م.
- سيبويه: الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، ط1، دار الجيل، بيروت، 1991م.
- السيرافي، أبو سعيد: شرح كتاب سيبويه، تحقيق رمضان عبد التواب وآخرين، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1986-2012م.
- ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، تحقيق: الشيخ محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، 1974م.
- الشهري، عبد الهادي: استراتيجيات الخطاب، ط2، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، 2015م.
- صحراوي، مسعود: "في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر"، ضمن كتاب: التداوليات، علم استعمال اللغة، تنسيق وتقديم: حافظ علوي، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، 2014م. ص25-59.
- الصغير، محمود: الأدوات النحوية في التفسير، دار الفكر المعاصر، بيروت، 2001 م.
- صولة، عبد الله: الحجاج: أطره ومنطقاته، وتقنياته من خلال "مصنف في الحجاج- الخطابة الجديدة، لبرلمان وتيتيكاه"، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود، جامعة منوبة- تونس. (د.ت). ص297-350.
- صولة، عبد الله: في نظرية الحجاج، دراسات تطبيقية، ط1، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، 2011م.
- عبد العزيز، محمد: كتاب سيبويه، مادته ومنهجه، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 2012م.
- العزاوي، أبو بكر: "الحجاج في اللغة"، ضمن كتاب: الحجاج، مفهومه ومجالاته، دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد: حافظ علوي، عالم الكتب الحديث، إربد- عمان، 2010م. ص56-75.
- عزيمة، محمد: فهارس كتاب سيبويه، مطبعة السعادة، القاهرة، 1975م.

- علي، محمد عدیل: التحليل التداولي لخطاب الحجاج النحوي، ط1، دار البصائر، القاهرة، 2011م.
- علي، محمد عدیل: الفكر اللساني التداولي، قراءات في التراث والحداثة، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، 2016م.
- عوض، المتولي: "مصطلح (الخُلف) في الكتاب"، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية- الكويت، مج: 34، رسالة 405، (2014م). ص17-23.
- القفطي: إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2005م.
- القوزي، عوض: "زعم الخليل في كتاب سيبويه"، مجلة كلية دار العلوم- جامعة القاهرة، ع23، (1998م). ص37-66.
- مقبول، إدريس: الأفق التداولي، نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، 2011م.
- مقبول، إدريس: سيبويه معتزليا: حفريات في ميتافيزيقا النحو العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة- قطر، 2015م.
- ناعيم، مليكة: "المقصد الحجاجي في النقد النحوي، قراءة في نص لأبي حيان الغرناطي"، ضمن كتاب: التحليل الحجاجي للخطاب، إشراف وتقديم: أحمد قادم وسعيد العوادي، ط1، دار كنوز المعرفة، عمان، 2016م. ص701-729.
- ابن هشام، جمال الدين: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق: عبد اللطيف الخطيب، ط1، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2000م.

المراجع بالإنجليزية:

- Baalbaki, R.(2008).The Legacy of the Kitāb, Leiden. Boston, Brill.
- Carter,M.G.(2004).Sībawayhi. Oxford Centre for Islamic Studies,London.
- Marogy,A.(2010).Kitāb Sībawayhi, syntax and pragmatics. Leiden. Boston. Brill.
- Talmon. R.(1982). "Nahwiyyun in Sībawayhi's Kitāb", ZAL. P.12-38.

بين الوجد والثورة قراءة في قصيدتين: لعبد الرزاق عبد الواحد وحبیب الزیودي

محمد سليمان السعودي*

تاريخ الاستلام 2016/11/16

تاريخ القبول 2017/1/23

ملخص

تقف الدراسة على أثر تجربة عبد الرزاق عبد الواحد في تجربة حبیب الزیودي من خلال نصين هما: "بين يدي عبد الرحيم عمر" و"مئوية عرار". والنصان ينتميان للثراء في ظاهريهما، إلا أنهما يتضمنان ثورة على الواقع السياسي والاجتماعي في عمقهما، وتوصلت الدراسة إلى أن هناك توافقاً بينهما في الثورة على الواقع، والإيقاع ودلالة المعنى، وفي الصورة، ودهشة التكرار، وقد تناولت ذلك من خلال المنهج الأسلوبي.

وخلصت الدراسة إلى أن ثمة توافقاً بين النصين، وأن حبیباً قد أفاد من تجربة عبد الرزاق عبد الواحد، غير أنه تفرّد برواه وطرائقه الشعرية.

الكلمات المفتاحية: ثورة المثقف، الصورة، الإيقاع، التكرار.

المقدمة:

كنت قد قرأت سابقاً بعض دواوين الشاعر العراقي عبد الرزاق عبد الواحد⁽¹⁾، وكنت في الوقت نفسه متابِعاً للحركة الشعرية الشبابية في الوطن العربي، ومن هؤلاء الشعراء الشباب حبیب الزیودي⁽²⁾، وخلال المطالعات توصلت لخيط من العلاقة بين قصيدته "مئوية عرار"⁽³⁾ وبين قصيدة عبد الرزاق عبد الواحد في رثائه للشاعر عبد الرحيم عمر "بين يدي عبد الرحيم عمر"⁽⁴⁾. وما إن جمعت القصيدتين جنباً إلى جنب؛ وبدأت بالمقارنة والتحليل؛ حتى وجدت توافقاً في الموسيقى والصورة أولاً، فظننت أن حبیباً قد هرب من ظل إلى ظل جديد، أي من ظل عرار إلى ظل عبد الواحد، لكن الأمر لم يستقم لي عندما تعمقت في الرؤى، فرأيت نفسي أمام شاعر له صوته الخاص؛ وبدأت قراءتي من جديد للقصيدتين، لأن ثمة اختلافاً وتوافقاً بينهما في

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2017.

* قسم اللغة العربية، جامعة الطفلة التقنية، الطفلة، الأردن.

الرؤى والطرائق الشعرية، فالتوافق مسَّ الثورة سواء أكان على الأب الشعري عند حبيب أم على واقع البلاد عند عبد الواحد، في حين بدا التوافق في عدّة عناصر هي: الثورة، والصورة، والإيقاع والتكرار؛ ممّا دفعني أن أجعلها في العنوانات الآتية: ثورة المثقف وثورة الابن، والإيقاع، ودلالة المعنى، في الصورة ما يقلق، دهشة التكرار، مُتّبياً المنهج الأسلوبّي في هذه المعالجات.

ولا شك أن لهذه المقارنات النّصية دوراً عظيماً في بيان خطّ سير الإبداع العربي الحديث، والعلاقة المتينة بين شعراء الجيل الأول والحركة الشعرية الشبابية اليوم، ولذلك برز حبيب الزيودي شاعراً مؤثراً، من خلال اطلاعه على النصوص السابقة ومحاولة الإفادة منها، واستطاع هذا الشاعر أن يجعل صوته متفرداً عن صوت عبد الواحد، مع عمق تجربته وطولها..

واختصاراً سأتّبني في متن الدراسة اسم عبد الواحد بدلاً من عبد الرزاق عبد الواحد واسم حبيب بدلاً من حبيب الزيودي لشيوع الزيودي، من باب السهولة ومنعاً للتكرار والخلط على المتلقي.

ثورة المثقف- ثورة الابن:

إنّ الذي يجمع بين هاتين القصيدتين أكثر من غيرهما، بالدرجة الأولى، هي الثورة أولاً ثم الرثاء، فقد جسّد عبد الواحد نموذجاً متفرداً في الثورة على الواقع من خلال رثائه للشاعر الراحل عبد الرحيم عمر، ذلك أنّ الشاعر عمر كان مشروع ثورة، وعنوان مرحلة لطالما جرح المتلقي العربي ببوحه وطموحه، ولم يكن هذا الواقع يثير عبد الواحد لمدحه قدر ما حمله على نقد الواقع والثورة عليه:

خمسون عاماً جُنّدت حتى الحجارة في القتال
حتى الصغار نموا وشابوا بين هاتيك الصوّالي⁽⁵⁾

في حين حاول حبيب الخروج عن طوق عرار في مؤيِّته⁽⁶⁾، وحاول الثورة على الأب الذي عاش تحت كنفه شعرياً، فقد كان يحلم حبيب أن يكون عرار الأردن الجديد، وقد كان له ذلك، إلا أنّ هذا الأمر أزعجه كثيراً عندما اكتملت تجربته الشعرية⁽⁷⁾؛ فحاول أن يتفرد بطرائقه الجديدة، وأنماطه الخلاقة، غير أن كثيراً من النفوس كانت ترى فيه نموذجاً مكروراً من عرار؛ ولذا لجأ لهذه الثورة التي بدأها:

أبعد ظلالك عن كلامي.....إني عبدتك ألف عام
ما مسُّ برقك حين فَجَفَّحَ في السماء سوى عظامي
أبعد غمامك عن حقولي فهي تستسقي غمامي
اليومَ لي لغتي وترعى في مفايلها رثامي
واليوم لي باعي وإيقاعي يفيض على كلامي⁽⁸⁾

حتى قال:

ندان نحن اليوم يا أبتني على سفح الكلام
ندان فاشرب من مدامك جرعةً واترك مدامي
ندان لا تغضب إذا صليت وحدي يا إمامي

ويُلاحظ أنه نسج قصيدته على مستويين من التعبير؛ مستوى يعبر عن الاغتراب والتمني، ومستوى ثانٍ يظهر الإحساس الطأغي بالذات وقدرتها على تجاوز النماذج الشعرية السابقة⁽⁹⁾، ولعلّه يأتي زمن تُدرس فيه الثورة على الأب الشعري في الأدب العربي؛ لتظهر هذه الدراسات عمق التجربة لدى المبدعين العرب.

وإذا تأملنا قصيدة عبد الواحد نراه أنه تأثر بتجربة صاحب بن عباد في قصيدته⁽¹⁰⁾ التي يذكر فيها:

قرباً مربوط النعمة مني ليس قولِي يراد لكن فعالي

فاجتمع معه في مطلع القصيدة "قرب"، وفي قافيتها اللام المكسورة. وثمة إفادة أخرى تمثلت بقصيدة المهلهل⁽¹¹⁾ التي أورد فيها:

قرباً مربوط المشقر مني وأسألاني ولا تطيلا سؤالي

هذا جانب مكتمل وحده يُعنى بالمضمون، أما الجانب الآخر الذي واكب فيه حبیب عبد الواحد؛ فقد جاءت القصيدتان على وزن شعري واحد هو البحر الكامل، وعلى مجزؤه أيضاً، وإن اختلفتا في القافية، حيث أتت لاميةً عند عبد الواحد، وميميةً عند حبیب. ويتخلل هذا تلاق في الصورة والأنماط والطرائق، أفردت الدراسة لها مساحة من التقصي والرؤى في متنها. والنصان يقتربان من التأثر والتأثير؛ ليحققا رؤية أن "كل نص يتشكل كسيفساء من الاستشهادات، وكل نص هو امتصاص وتحويل لنص أو نصوص أخرى"⁽¹²⁾، وهذا يقرب الشاعرين من عمق التجربة

الشعرية وخلودها في المشهد اليومي، وديمومتها في عالم الإبداع، وقد أعاد إحسان عباس هذا كله إلى "شخصية الشاعر نفسه، ومدى استقلالها، ومدى قدرتها على صهر هذه العوامل القابلة للصر، ونبد ما لا يتفق وطبيعتها، ومدى صلابتها، وقدرتها على خوض التجارب، او مدى قابليتها للانهييار والضعف والتخايل"⁽¹³⁾.

1- الإيقاع ودلالة المعنى:

وسّع ابن سينا الإيقاع، فجعله أكثر انتشاراً من أن يُحدَ بنغمة أو حرف، فهو "تقدير ما لزمان النقرات فإن اتفق إن كانت النقرات منغمة كان الإيقاع لحنياً، وإن كان اتفق أن كانت النقرات محدثة للحروف المنتظم منها كلام كان الإيقاع شعرياً وهو بنفسه إيقاع مطلقاً"⁽¹⁴⁾.

ويلتقي حبيب مع عبد الواحد في عناصر كثيرة في الإيقاع، ولكن الدراسة ستقف عند مظهرين هما: الوزن، والقافية.

وللوزن الشعري دور كبير في جذب المتلقي، وشيوع الإبداع، وذلك لما له من أثر نفسي، فقد اعتمد المبدعان على البحر الكامل في نسج قصيدتيهما، واتفقا على مجزؤه:

قرب رحالك من رحالي

فمألنا نفس المأل⁽¹⁵⁾

أبعد ظلالك عن كلامي

إني عبدتك ألف عام⁽¹⁶⁾

ونلمس هنا التقارب الكبير بين المطلعين اللذين تضمننا أربع تفعيلات من البحر، جاء في الشطر الأول لكل منهما متوافقاً في التفعيلة الأولى والثانية، (متفاعلن - - ب - متفاعلن ب ب ب -ب-)، في حين استبدلت التفعيلتان في الشطر الثاني بصورة عكسية (ب ب - ب -/ - ب -) عند عبد الواحد. (- - ب - / ب ب - ب-) عند حبيب.

وإذا ما ربطنا أول كل قصيدة بأخرها وجدنا أن التردد الذي أقبل عليه عبد الواحد لم يزل ماثلاً في قصيدته حتى نهايتها؛ لذا ختمها بتفعيلة مكتملة من الكامل (ب ب - ب -) ولم يجر عليها أي زحاف أو علة، ليجسد واقع الحزن الذي يختلجه بفقد الشاعر الكبير عبد الرحيم عمر، وقد كرر هذه التفعيلة على مستوى البيت الأخير كاملاً... في حين ظهرت الندية التي اقتفى أثرها

حبيب على الوزن الشعري نفسه، فقد ختم قصيدته ببيت حمل تفعيلتين كاملتين (ب ب - ب -)، وتفعيلتين تضمنتا حيناً (- - ب -) ليتساوى مع الشاعر ليس على المستوى الإبداعي فقط، ولكن على المستوى الموسيقي داخل النص أيضاً.

ولا خلاف أن للقافية وقعاً كبيراً على النفس البشرية، فهي نقطة التقاء النفس المبدعة بالنفس المتلقية، وخاصة أن الجانب الصوتي الموسيقي هو الجدول الذي تجتمع فيه النفسان، وقد اجتهد عبد الواحد أن يجعلها لاميةً مكسورةً، واجتهد حبيب بنسجها ميميةً مكسورةً، وإذا تتبعنا هذا في مصادر الأصوات لوجدنا أن اللام والميم من الأصوات المتوسطة، وأنها تشترك في حرية مرور الهواء⁽¹⁷⁾. ولذلك فاللام أسناني لثوي المخرج يكون جانبي الصفات، والميم شفوي المخرج، يكون أنفي الصفات⁽¹⁸⁾، فالتقيا في صفة الجهر بين الصوتين، ولعل هذا يتناسب كثيراً مع ثورة المثقف على مجتمعه وثورة الابن على أبيه الشاعر، وقد لحق هذا كله شيء من دلالة نفسية لا يُمثلها إلا حركة الياء الطويلة أو القصيرة في الصوتين السابقين (اللام - الميم)، بحيث انصهرا انصهاراً كلياً في النظام التأليفي الذي يفضي إلى الديمومة النغمية⁽¹⁹⁾. متذكرين أن "اللام أكثر الأصوات الساكنة شيوعاً في اللغة العربية"⁽²⁰⁾، في حين سُبقت اللام والميم بألف فرغ من خلالها الشاعر كثيراً من أحاسيس الحزن والوجد، ولنا أن نقف على قول عبد الواحد:

قرب رحالك من رحالي

فمألنا نفس المأل

نفسُ المفازة والخُطى

لكن سبقت أبا جمال

وقول حبيب: أبعد ظلالك عن كلامي.....إني عبدتك ألفت عام

ما مسَّ برقك حين فجَّحَّ في السماء سوى عظامي⁽²¹⁾

2- في الصورة ما يقلق:

ليست الصورة وحدها هي التي تحدّد معالم التفوق في تجربة الشعراء، فهناك ملامح فنية كثيرة تشارك في تقديم شاعر على آخر، إلا أن الصورة تعدُّ الأبرز اليوم بين هذه الملامح جميعها،

فهي تختزل طاقة الخيال (التخييل) أولاً، ثم طاقة اللغة، وتفسح للشاعر مجالاً لأن يبرهن عن قدرته الشعورية والفكرية؛ ولذلك وقف عندها جمع كبير من النقاد اتفقوا في جوانب واختلفوا في أخرى، بينما اجتمعوا على قدرة الصورة في مخاطبة المتلقي والتأثير فيه. ولم يكن الجرجاني بعيداً من هذا حينما جعل الصورة تمثيلاً وقياساً "لما نعمله بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا"⁽²²⁾، معتمداً أولاً على قول الجاحظ بأن "الشعر صناعة"، وضرب من الصيغ، وجنس من التصوير"⁽²³⁾ ولنا أن نقف على جنس من التصوير، لنرى أن دراسة حديثة ربطت بين الرسم والكلمة والشعور حينما رأت الصورة رسماً "قوامه الكلمات المشحونة بالإحساس والعاطفة"⁽²⁴⁾، ولعل رأي سيموند يس من أقدم الآراء التي رأت الشعر "صورة ناطقة أو رسماً ناطقاً وأن الرسم أو التصوير شعر صامت"⁽²⁵⁾.

وقد التقى حبيب في قصيدته "مئوية عرار" تسع مرّات في الصورة مع عبد الواحد في قصيدته "بين يديّ عبد الرحيم عمر"؛ أي أنه كرّر تسع صور موجودة في ثنايا قصيدة عبد الواحد، وهي: صورة الظلال، والسماء، والقطيع، والصحراء، والأحوال والأعمام، والأولاد، والأصحاب، والسهام. وقد لا تسمح لنا مساحة البحث المتاحة الوقوف ملياً عندها جميعاً، إلا أنني سأشير إليها. بدأ حبيب قصيدته بصورة جميلة:

أبعد ظلالك عن كلامي إني عبدتك ألف عام

ما مسّ برقك حين فَجَّح في السماء سوى عظامي⁽²⁶⁾

لقد خصّص هنا ظلال الإبداع لدى عرار، وحاول أن يدفعه عن نفسه بكل الوسائل؛ لأنه غطى عليه اجتماعياً بين الناس، وأخرج تجربته التي أراد لها أن تستمر بعيداً عنه؛ ولذلك طالبه بأن يبعد ظلاله عنه، وهو ما يُعرف بثورة الابن على أبيه (الشاعر)، وقد تحققت هذه الصورة باعترافه (إني عبدتك ألف عام). وإن بدأ حبيب قصيدته بهذه الصورة فقد ختم عبد الواحد قصيدته الطويلة بصور شعرية عديدة منها هذه الصورة:

ودخلتُ بيتك مثلما	أدمنتُ في الحجج الخوالي
فرايتني.. والأهل أهلي	والرئام به رئامي
لكنني مثلُ الغريب	تكاؤُ تنكُرني ظلالِي ⁽²⁷⁾

فالصورة في الأصل واقفة في الفاعلية؛ هي من تنكر وكأنها إنسان، في حين جاءت لدى حبيب في إطار المفعولية؛ يُريد لها غياباً ولكن بفعل الشاعر نفسه، (أبعد ظلالك). وقد التقيا على الشعرية نفسها، غربة المكان المستباح هنا من قبل الموت؛ فهو بين الأهل إلا أن عبد الرحيم غائب بعيد عند عبد الواحد، وغربة النكران عند حبيب من قبل مجتمعه بأنه صورة عرار الجديدة.

بين الوجد والثورة، قراءة في قصيدتين: لعبدالرزاق عبدالواحد وحبیب الزیودي

وقد وقف نقاد على العلاقة التي تُنسج بين الصورة والموقف الشعري حيث تبنا الدراسات التي تظهر الجانب الفني والبنائي في النص الشعري الذي يمنح الإبداع شكله الخاص⁽²⁸⁾.

وفي مشهد جديد وقف حبیب عند الرثام والقطعان، وقد أفاد بذلك من صورة القطيع عند عبد الواحد، غير أنه حول المشهد السلبي إلى إيجابي، فهو عزيز مستقل لا شيء ينقصه؛ فلم يرتبط بمصير إنسان آخر:

أبعد غمامك عن حقولي فهي تستسقي غمامي
اليوم لي لغتي وترعى في مفايلها رثامي⁽²⁹⁾

ثم يقول في موقف جديد:

واليوم لي وشمي وباديتي وقطعاني أمامي

وإنّ المتدبر في الصورتين: صورة الرثام، وصورة القطعان يجد أنهما تجاوزتا الإيجابية إلى صورة تشير زكري الطفولة لديه، ذكرى الارتباط بالأرض وحالة الاغتناء عن الآخر، والاستقلالية التي تمثل الأردني وقتذاك، بينما كانت الصورة معهودة لدى عبد الواحد على سمع المتلقي لقدّر أمتنا اليوم أمام أعدائنا، فإن كانت أكثر وجعاً إلا أنها مطروقة:

أسيرها أنذا أسير مع القطيع بلا سؤال⁽³⁰⁾

وهي صورة مكرورة في الشعر الحديث بسبب الاضطهاد الداخلي من الأنظمة، والاحتلال الخارجي من أبناء الأمم الأخرى؛ فيحسب لحبیب أنه أطلع على الصورة الأولى، وحاول أن يخالفها بما يخدم غرضه في القصيدة، فأتى بصورة اجتماعية تمثل الحياة الخاصة في المجتمعات الأردنية؛ ليعلن من خلال لجونه إلى نفسه، وتكوين صورته التي يرغب بعيداً عن المؤثرات كلها، فصحيح أن عراراً شاعر كبير ولديه تجربة غنية ومتفرّدة في حركة الشعر العربي إلا أن حبیباً أراد أن يقول لنا: وأنا كذلك لي تفردتي ولغتي التي أعرف بها.

وقد عانى حبیب من سطوة الحساد ونفوذهم، فحاول أن يتفلسف منهم، ويخادعهم لكن دون

جدوى:

خلفتني وحدي أجوس الأرض والبيد الظوامي
أعمامي الحساد خلوني لأخوالي اللئام
نصبوا خيامك ليس حياً فيك واجتثوا خيامي⁽³¹⁾

إن هذه الصورة التي حدّدها حبيب بالأعمام والأخوال وهو لا يقصد حقيقة الألفاظ، إنما منّ حوله من مدّعي المحبة، هي نفسها وردت عند عبد الواحد:

أبكي على وطني، وتذ بحني مخافةً أن يوالي
وأذود عنه بأضلي وأذوده هو عن عيالي
فانظر إليّ وقد غدو تُ أخاف من أهلي، وآلي
وأقمت في جرحين.. جر ح يدي.. وجرح أبي وخالي⁽³²⁾

فها هو يخاف على نفسه من أهله وآله، ومن أبيه (الأعمام) ومن خاله أيضاً، وهذه صراحة كبيرة تجاوزت التفاصيل التي ذكرها حبيب الذي أضاف صفاتٍ سلبيةً أظهرت جرأةً على المجتمع لم تكن عند عبد الواحد، حينما وصف الأعمام بالحساد، والأخوال باللئام.

وفي صورة أخرى استطاع عبد الواحد أن يقدم المشاهد المكرورة في الحياة خلال عرضه واقع الأمة المرير، وكيف أصبح أبناء الأمة مهزومين في فكرهم وسلوكهم؛ فأتى بصورة التبحّج من قبل بعضهم بالوقوف بجانب الحرام والدفاع عنه، والفخر بنصرته على الحلال:

سقط الزمان بأهله يتسابقون للابتدال!
يتبجحون بأنهم نصرُوا الحرامَ على الحلال⁽³³⁾

وقد اتكأ حبيب على هذه الصورة فأوردتها في موقعين في قصيدته، أحدهما أبرز صورة الحرام دون ذكر الحلال، على أنها معروفة ضمناً،

هلكت سدوم وذاك مشيع عند باب السور دامي
نامت بأحضان المرابي وارتضت ودّ الحرامي⁽³⁴⁾

ولعلّ صورة حبيب هنا أكثر عمقاً من الصورة السابقة لعبد الواحد؛ فقد أعادنا للتاريخ ليربط بين واقعنا وواقع سدوم وميشع في مملكة مؤاب، وكأنه يعلن عن سبب سقوطنا اليوم لأننا شعرنا بالدفء في حضن المرابي وارتضينا قُربَ الحرامي، بمعنى أنه وظّف التاريخ، ووظف الصورة الحركية والبصرية والحسية معاً لتقريب المشهد وفضحه، فدفع المرابي خادع، مرحلي وإن حدث، وودّ الحرامي مزيف وإن وجد... .

أمّا الموقع الآخر الذي تشاكل به حبيب مع عبد الواحد فحينما أورد في قصيدته:

ولثمتُ كَفَكَ كَلَمًا جَرَدْتُ ظِيماً من حِزَامِ
وخلطت في سكري وعربدي الحلال مع الحرام⁽³⁵⁾

ويبدو أن البيت الثاني أكثر قرباً في التأثير بصورة "الحلال والحرام" عند عبد الواحد، فقد قدّم الحلال على الحرام لضرورة القافية، وكان لديه مساحة في تركها كما هي عند عبد الواحد لولا ذلك، غير أنه عمق في دهشة الصورة عندما استبدل الفعل (خلصت) بـ (نصروا)، ويظهر لي وللمتلقي أن هذه الفئة كانت أكثر وضوحاً عند عبد الواحد؛ فقد نصروا الحرام على الحلال علانيةً وتبجحوا بذلك؛ لأن الموقف كان ضد الأوطان وأبنائها ومصلة الأمة، والانحياز للمحتل الغاصب. في حين كان الموقف لدى حبيب موقفاً شخصياً صرفاً، لذا لجأ للفعل (خلطت)؛ لأنه أراد التعمية على هؤلاء الحساد.

وفي صورة أخيرة جسّد فيها عبد الواحد حال الأمة بصورة دماء أولاده وهي تتحول إلى احتفال عند هؤلاء الغاصبين والمتصافحين عليها، وكأن النصر على دماء الأطفال، وعلى مسارح طفولتهم شجاعة وازدهار لهذه الأمم وأعوانها:

وأنا أرى وطني يباغ
ودماء أولادي أمامي
وتتصافح الأيدي عليها
وكل زرعي للزوال
تستحيل إلى احتفال
وهي تُشربُ للثمال!⁽³⁶⁾

وتلقّف حبيب هذه الصورة وسخرها لمعاناته الخاصة مع حسّاده الذين أصابوا كبده بأولاده من خلال غلهم وحقدهم، ومع هذا يخاطب عراراً أنه يفتديه بنفسه لولا اثنان في بيته، دلل عليهما أنهما ابنان حينما جاء بتعبير (كأفراخ الحمام) متمثلاً بقول الحطيئة⁽³⁷⁾، فلولاها لباشر بنفسه تحطيماً قبل تحطيم هؤلاء الحاقدين:

أفديك لولا اثنان في بيتي يعلمهما سقامي
يتلهفان لما أجيء به كأفراخ الحمام
لجعلت قبل حطام معبدها وقلعتها حطامي⁽³⁸⁾

لقد جسّد لنا عبد الواحد صورة الاحتفال على دماء الأطفال وكأنها صورة تمثل أماننا بتقنيات عالية، في حين صور لنا حبيب صورةً لأبنائه مملوءة بالمشهد الأبوي حينما يستقبل أولاده عائداً إليهم بعد كد؛ فكلاهما أفاد من الصورة الحركية وحاول أن يثيرنا بها من خلال حركة

المصافحة على دماؤها أو حركة استقبالها لأبيها، ولا أبالغ حينما أتبنى أنهما صورتان أخأذتان، وأنهما أبدعا في تشكيلهما، وإخراجهما بهذا القدر الكبير في التأثير على المتلقي، ولكن لعبد الواحد السبق فيها، ولحبيب حسن التلقي وفرادة البناء.

5- دهشة التكرار:

عدّ أحد النقاد التكرار "مبدأً أساسياً عند الاتجاهات الثلاثة: الشعرية اللسانية، والشعرية اللسانية البلاغية، والشعرية السيميائية البلاغية برغم اختلاف العبارة"⁽³⁹⁾. إن المتلقي للقصيدتين يجد أن ظاهرة التكرار لدى عبد الواحد هي أكثر انتشاراً وتعدداً منها عند حبيب، ويعود هذا أولاً إلى عدد الأبيات الشعرية التي بلغت عند عبد الواحد اثنين وثمانين بيتاً في حين جاءت قصيدة حبيب في واحد وثلاثين بيتاً فقط، وقد كان التكرار أكثر تنوعاً عند عبد الواحد. وما يهمننا - هنا- في هذه الدراسة هو نقاط التلاقي إن وجدت بين المبدعين، ولذلك فقد بدأ الشاعران قصيدتيهما بتضاد ملحوظ، اجتمعا فيه على فعل الأمر (قرب) عند عبد الواحد، و(أبعد) عند حبيب.. وتكرار أيضاً لم يتجاوز المرة الثانية عند حبيب، في حين تكرر كثيراً عند عبد الواحد. ومن هنا فقد أراد عبد الواحد التقارب مع صديقه والشاعر الموهوب عبد الرحيم عمر (قرب)، بينما أعلن حبيب منذ البدء البعد عن عرار (أبعد)، ولعل الحنين الذي كان بينهما هو ما دفع عبد الواحد أن يقول: (قرب)، فكيف إذا كان هذا الحنين بعد الموت؟! وبلغ عدد تكرار فاتحة القصيدة (قرب) أربع مرات:

قرب رحالك من رحالي	فمآلنا نفس المآل ⁽⁴⁰⁾
قرب رحالك من رحالي	واشبك حبالك في حبالي ⁽⁴¹⁾
قرب رحالك من رحالي	واغفر شكاتي وانفعالي ⁽⁴²⁾
قرب رحالك من رحالي	وارفق وأنت ترى هزالي ⁽⁴³⁾

والم تأمل في الأشطر الأربعة غير المكرورة يجدها مكتملة الرؤى، فبدأ بأن المآل نفسه، ثم دعاه لشبك الحبال للتوحد، بعدها طلب منه المغفرة، ثم الرفق، وحدث هذا مع ثبات الأشطر الأربعة الأولى على حالها:

قرب رحالك من رحالي

وهذا ما لم يحدث عند حبيب الذي أفاد من تجربة عبد الواحد، إلا أنه في معظم ظروفه لم يسر حتى النهاية، كان يرى لمعان البرق ولا يتبعه، وإنما يحاول أن يشكل منه شيئاً مختلفاً. لقد

كان متلقياً حازقاً، ولذلك التقط بداية المشهد الفعل (قرب) فأتى بالفعل (أبعد)، مدركاً أن الوزن نفسه، والمعنى مختلف لأنه يهفو منذ زمن لهذا الاختلاف كي يحرر نفسه من سطوة الأب. ولعوامل كثيرة منها عدد أبيات قصيدته لم يكرّر اللفظة نفسها سوى مرة واحدة، وعزف عن تكرار كلمات أو أشطر أو أبيات تتعلق بالفعل نفسه حينما ذكر أول مرة:

أبعد ظلالك عن كلامي فقد عبدتك ألف عام⁽⁴⁴⁾
أبعد غمامك عن حقولي فهي تستسقي غمامي⁽⁴⁵⁾

وفي الوقت نفسه لم يمض غير بيت واحد حتى كرّر الفعل "أبعد" ولعل هذا يقودنا إلى أن حبيباً كان يشكو داخلياً من هذه الأبوة التي أزعجته في حياته أخيراً؛ لأنه يعتقد أن له صوتاً مختلفاً ونفساً شعرياً خاصاً، ولذلك لجأ لتكرار زمني حدّد فيه نقطة بداية تفرده دون مجاملة بعد تكرار الفعل دون فاصل، وأعلن أن هذا الزمن زمنه وليس زمن عرار:

اليوم لي لغتي وترعى في مفايلها رثامي
واليوم لي باعي وإيقاعي يفيض على كلامي
واليوم لي قمحي وحوрани وعماني وشامي
واليوم لي وشمي وبادييتي وقطعاني أمامي⁽⁴⁶⁾

وما يدلّ على ما ذهبنا إليه ليس تكرار ظرف الزمان الذي بدأ من لحظة أبرزت تمرّداً ونزوعاً لحظياً دار في النفس أعواماً طويلة فقط، إنما بإسناد شبه الجملة (لي) في الأبيات الأربعة دون فاصل، وإصراره على بناء كينونته (باعي، إيقاعي، كلامي، قمحي، حوراني، عماني، شامي، وشمي، بادييتي، قطعاني)، وكلها مضافة لياء النسبة، لقد استطاع أن يوثق معانيه بلغة ثابتة مختصرة لا تحتاج إلى تفسير.

ولو فتشنا بين أبيات قصيدة عبد الواحد لظهر لنا مثل هذا التكرار وهذا الإصرار، وإن اختلف المعنى هنا وهناك؛ فقد كان يعالج عبد الواحد موضوعاً قومياً من خلال رثاء عبد الرحيم عمر، في حين كان حبيب قد وقف على موضوع خاص يتعلّق بالإبداع في رثاء عرار، ولذلك يقول عبد الواحد:

خمسون عاماً والأكف على الزناد أبا جمال
خمسون عاماً.. أنت تذكر كم من الغر الغوالي

خمسون عاماً والمآذن تستفيق على بلال
خمسون عاماً والصلاة تُقام موحشة الجلال

خمسون عاماً جُندتُ حتى الحجارة في القتال⁽⁴⁷⁾

وكما أصرَّ حبيب على اللحظة التاريخية (اليوم لي)، نجد أن عبد الواحد أوقفه هذا الزمن (خمسون عاماً) والذي يذكرنا باحتلال جزء من فلسطين (1948)؛ لأنَّ فلسطين كانت حاضرة في وجدان عبد الرحيم عمر بصورة كبيرة، وهو يرثيه اليوم ويتذكر قهر الأوطان وذل السؤال على موائد الأمم، إلا أن هذه الخمسين تحوّل فيها السلاح من الزناد إلى الحجارة، وإن أفاد هنا حبيب من تجربة عبد الواحد، إلا أنه استطاع أن يتفكّر من سطوته، ويبيّن نصّاً مستقلاً يعالج معنى مغايراً.

الخاتمة:

- 1- لم تظهر القصيدتان رثاءً بذكرى شاعرين فقط، بل تضمنتا ثورة على الواقع؛ فقد ثار عبد الواحد على الواقع العربي المتخاذل في رثائه للشاعر عبد الرحيم عمر، في حين كان رثاء حبيب للشاعر عرار ثورة على الأب الشعري.
- 2- جاءت القصيدتان على مجزوء الكامل، إلا أنهما افترقتا في القافية، حيث جاءت قافية عبد الواحد لامية مكسورة، بينما أتت قافية حبيب ميمية مكسورة، واشتركتا في ألف قبلهما أظهرتا من خلالها عمق الوجد.
- 3- تقارب الشعاران بصورة كبيرة في المطع، وإن تضادا في المعنى، فقد بدأ عبد الواحد قصيدته بـ"قرب"؛ لتوافقه مع صاحب الذكرى (عبد الرحيم) في مقاومة الغازي المحتل. في حين استهل حبيب قصيدته بقول (أبعد) وكلاهما فعل أمر.

- 4- ازداد التضارب بين القصيدتين في الصورة بشكل واضح؛ فقد تبنى حبيب صوراً عدة وردت في قصيدة عبد الواحد، ومنها صورة الظلال، والقطيع، والأخوال، والأعمام، والأولاد، والحلال والحرام.
- 5- لم يكن حبيب مقلداً أو سائراً على أثر أحد في الصورة، إنما كان مجدداً، ومظهراً قدرةً تعبيريةً كبيرة.
- 6- حوّل حبيب صورة القطيع عند عبد الواحد من المشهد السلبي إلى المشهد الإيجابي، وذلك من خلال استخدام الرثام والقطعان.
- 7- كان التكرار ميداناً من ميادين التأثير والتأثير بين القصيدتين. فقد كرّر فعل الأمر من (قرب) إلى (أبعد)، وكان عبد الواحد أكثر تكراراً في قصيدته من حبيب، وذلك لعدد الأبيات الكبير إذا ما قورنت بعدد أبيات قصيدة حبيب.
- 8- لطرف الزمان (اليوم لي - خمسون عاماً) دور كبير في التأكيد على المعنى وإظهاره، خاصة أننا أمام قضيتين لدى الشاعر، قضية خذلان الأمة من قبل أبنائها عند عبد الواحد، وقضية إثبات الوجود الشعري عند حبيب أمام حاسديه.
- 9- لقد تجاوز حبيب دوائر التأثير، والوقوع في الظل إلى تفرد ناضج، وقدرة كبيرة على النسيج الشعري وإحداث صوت خاص به.
- 10- لظاهرة قتل الأب الشعري في قصيدة حبيب ظهور واضح؛ ولذلك تحتاج لرؤية مستقلة، مع مقارنات لتجارب مماثلة في الشعر الحديث.

Between Agony and Revolution A Reading of Two Poems by Abd Al-Razzāg and Habib Al-Zuyūdī's

Mohamed S. Al-Sauodi, *Arabic Department, Technical University of Taftla, Taftla, Jordan.*

Abstract

This article aims to study the influence of Abd Al-Wāhid's poetic experience on Al-Zuyūdī's experience as reflected in two poems: Al-Wāhid's "In the Presence of Abd Al-Rahīm Omar" and Al-Zuyūdī's "Centennial Arār". Even though both poems seem to be elegies, they, in fact, depict a revolution against social and political reality. Using Stylistics as an approach, this study argues that both poems represent a revolution against reality, rhythm, meaning, image, and repetition. This study concludes that there is much similarity between the two poems and Al-Zuyūdī benefited from Abd Al-Wāhid's experience even though the former had his own unique vision and poetic modes.

Key words: Intellectual Revolution, Image, Rhythm, Repetition.

الهوامش

(1) عبد الرزاق عبد الواحد فياض المراني (العراق)، ولد عام 1930 في بغداد، تخرّج في دار المعلمين العالية، قسم اللغة العربية، من أعماله: لعنة الشيطان 1950، طيبة 1956، أوراق على رصيف الذاكرة 1969، خيمة على مشارف الأربعين 1970، مؤلفاته البشير (جزءان)، حصل على وسام جامعة كامبردج، وميدالية القصيدة الذهبية 1984، وجائزة صام للأداب 1987. انظر معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، المجلد الثالث، ط2، مؤسسة دائرة عبد العزيز سعود البابطين، 2002، ص198.

(2) حبيب حميدان سليمان الزيود (الأردن)، ولد 1963م في الهاشمية - الزرقاء، حاصل على بكالوريوس في الأدب العربي من الجامعة الأردنية، عمل في الإذاعة الأردنية - القسم الثقافي من 1987-1989، ثم في وزارة الثقافة حتى 1990، ثم في التلفزيون الأردني. دواوينه: الشيخ يحلم بالمطر 1986م، طواف المغني 1990، منازل أهلي 1997. انظر معجم البابطين

- للشعراء العرب المعاصرين، المجلد الثاني، ص 30. وانظر: الدروع، قاسم، حبيب الزيودي شاعراً، ط1، دار البيروني للنشر والتوزيع، عمان، 2007م، ص13-16.
- (3) الزيودي، حبيب، منازل أهلي، وزارة الثقافة، مطبعة السفير، 2012، الأردن، ص113-116.
- (4) عبد الواحد، عبد الرزاق، ديوان المراثي، وزارة الثقافة، الهيئة السورية للكتاب، دمشق، د.ت، ص85-100.
- (5) عبد الواحد، ديوان المراثي، ص90.
- (6) عبد الخالق، بين عرار وحييب الزيودي: كيف أزاح الابن أباه؟ ورقة عمل للحركة الدراسية، جامعة فيلادلفيا، (عرار: قراءة جديدة) 1999/5/4. (للاستزادة).
- (7) الدروع، قاسم، حبيب الزيودي شاعراً، دار البيروني للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2007م، ص30.
- (8) الزيودي، ص90.
- (9) القيام، عمر، مثنوية عرار.. حبيب الزيودي: متابعة نقدية، المجلة الثقافية، العدد 47، الأردن، 1999، ص127.
- (10) ابن عباد، صاحب، ديوان الحارث بن عباد، جمعه وحققه أنس أبو هلال، ط1، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، 2008، ص189.
- (11) المهلهل، ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم طلال حرب، الدار العالمية، د.ط، د.ت: ص69-72.
- (12) باجو، دانيال هنري، الأدب العام والمقارن، تر. غسان السيد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1997، ص27.
- (13) عباس، إحسان، آجاءات الشعر العربي المعاصر، ط3، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، 2001، ص51.
- (14) ابن سينا، جوامع علم الموسيقى، تحقيق زكريا يوسف، نشر وزارة التربية، القاهرة، 1956م، ص81.
- (15) عبد الواحد، ديوان المراثي، ص87.
- (16) الزيودي، ص113.
- (17) بشر، كمال، علم الأصوات، دار غريب للطباعة، القاهرة، 2000م، ص358.
- (18) نفسه، ص414.
- (19) كنون، عبد الرحيم، من جماليات إيقاع الشعر العربي، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، ط1، المغرب، 2002، ص324.

- (20) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، مكتبة الإنجلو المصرية، ط5، مصر، 1979، ص202.
- (21) الزيودي، ص113.
- (22) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2003، ص466.
- (23) الجاحظ، عمرو بن بحر، أبو عثمان، الحيوان، دار الهلال، ط2، بيروت، 1990، ص408.
- (24) لويس، سي دي) الصورة الشعرية، ترجمة أحمد نصيف الجنابي، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للترجمة، بغداد، 1982م، ص23.
- (25) روجرز، فرانكلين، الشعر والرسم، ترجمة مي مظفر، دار الرشيد للترجمة، بغداد، 1990م، ص30.
- (26) الزيودي، ص113.
- (27) عبد الواحد، ص98.
- (28) بشرى موسى صالح، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990، ص62-63.
- (29) الزيودي، ص113.
- (30) عبد الواحد، ص89.
- (31) الزيودي، ص113.
- (32) عبد الواحد، ص96-97.
- (33) عبد الواحد، ص94.
- (34) الزيودي، ص114.
- (35) نفسه، ص115.
- (36) عبد الواحد، ص91.
- (37) مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاحِ بِنْدِي مَرَّحٍ
غَيَّبْتِ كَأَسْبَابِهِمْ فِي قَعْرِ مُظْلِمَةٍ
حَمْرِ الْحوَاصِلِ لَا مَاءَ وَلَا شَجْرُ
فَاغْفِرْ عَلَيَّكَ سَلَامُ اللَّهِ يَا عَمْرُ
- الخطيئة، جرول بن أوس، ديوان الخطيئة برواية وشرح ابن السكيت 186-246، دراسة وتبويب مفيد قميحة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1413، 1993: 107، 108.
- (38) الزيودي، ص114-115.
- (39) العمري، محمد، تحليل الخطاب الشعري: البنية الصوتية في الشعر، الدار العالمية للكتاب، الدار البيضاء، 1990، ص21.
- (40) عبد الواحد، ص87.
- (41) نفسه، ص88.

- (42) نفسه، ص89.
(43) نفسه، ص93.
(44) الزیودي، ص113.
(45) نفسه، ص114.
(46) نفسه، ص113.
(47) عبد الواحد، ص89-90.

المصادر والمراجع

- أنیس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، مكتبة الإنجلو المصرية، ط5، مصر، 1979.
بشر، كمال، علم الأصوات، دار غريب للطباعة، القاهرة، 2000م.
الجاحظ، عمرو بن بحر، أبو عثمان، الحيوان، دار الهلال، ط2، بيروت، 1990.
الجرجاني، عبدالقاهر، دلائل الإعجاز، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2003.
الخطيئة، جرجول بن أوس، ديوان الخطيئة برواية وشرح ابن السكيت، دراسة وتبويب مفيد قمیحة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1413، 1993.
الدروع، قاسم، حبیب الزیودي شاعراً، ط1، دار البيروني للنشر والتوزيع، عمان، 2007م.
الزیودي، حبیب، منازل أهلي، وزارة الثقافة، مطبعة السفير، 2012، الأردن.
ابن سینا، جوامع علم الموسيقى، تحقيق زكريا يوسف، نشر وزارة التربية، القاهرة، 1956م.
صالح، بشرى موسى، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990.
ابن عباد، صاحب، ديوان الحارث بن عباد، جمعه وحققه أنس أبو هلال، ط1، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، 2008.
عبد الخالق، غسان ، بين عرار وحبیب الزیودي: كيف أزاح الابن أباه؟ ورقة عمل للحركة الدراسية، جامعة فيلادلفيا، (عرار: قراءة جديدة) 1999/5/4.

- عبد الواحد، عبد الرزاق، ديوان المراثي، وزارة الثقافة، الهيئة السورية للكتاب، دمشق، د.ت.
- العمرى، محمد، تحليل الخطاب الشعري: البنية الصوتية في الشعر، الدار العالمية للكتاب، الدار البيضاء، 1990.
- القيام، عمر، مئوية عرار، حبيب الزيودي: متابعة نقدية، المجلة الثقافية، العدد 47، الأردن، 1999.
- كنوان، عبد الرحيم، من جماليات إيقاع الشعر العربي، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، ط1، المغرب، 2002.
- لويس، سي دي، الصورة الشعرية، ترجمة أحمد نصيف الجنابي، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد، بغداد، 1982م.
- معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، المجلد الثالث، ط2، مؤسسة دائرة عبدالعزيز سعود البابطين، 2002.
- المهلل، ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم طلال حرب، الدار العالمية، د.ط، د.ت.

References

- Al-Amri, W. (2007). *Qur'an Translatability at the Phonic Level, Perspectives*, 15, (3), 160-163.
doi:10.1080/13670050802153954.
- Anderson. R. (1998). *A Grammar of Iconism*. London: Associated University Press
- Annajār, M, A (1999) (ed). *Sounds and Meaning in Alkhasāis by Ibn Jenni* 159-160. Cairo: Alha' iah Almisriyya Al-āmmah Ilkitaab.
- Crystal, David (1992) *An Encyclopedic Dictionary of Language and languages*, Oxford: Cambridge.
- Falk, J. (1979). *Linguistics and Language: A Survey of Basic Concepts and Implications*, New York: John Wiley & Son.
- Ibn Manzur (1990). *Lisān Al Arab*, Beirut: Dār Sādir for publications, 12. 206
- Ibn manzur (1990). *Lisān Al Arab*, Beirut: Dār Sādir 3, 34
- Ibn manzur (1990). *Lisān AlArab*, Beirut: Dār Sādir 9, 450-455,
- Khātir, M. (1987) (ed). *Mukhtār Assihāh by Arrāzi*, Alhai' ah Almisriyyah Alāmmah ilkuttāb. 1. 360
- Khātir, M.(1987) (ed). *Mukhtaar Assihāh by Arrāzi*, Alhai' ah Almisriyyah Alāmmah ilkuttāb 9, 350-351
- Klages,M. (2001). *Structuralism and Saussure*. [Online] Available from:<http://www.colorado.edu/English/courses/ENGL2012Klages/saussure.html>[accessed 12 January 2015]
- Muller, M (1891). *The Science of Language*: New York: Charless Scribner's Sons
- Sharvanloo, F. (1975) *The Necessity of Arts in Social Development*. Tehran: Agah Publication.
- Tzortziz, H. (2008). *An Introduction to the Literary & Linguistic Excellence of the Qur'an*. Retrieved from www.Islam21c.com/texts/203.

In conclusion

It is obvious from the foregoing discussion that the Qur'an achieves its communicative effect by using phonetic devices with the aim of constructing an emotive or powerful image. The way the sounds are selected and constructed depends on the nature of the scene to be depicted and the senses to be developed. The meaning and the sound are inseparable, simply because the sound represents the action that it denotes. onomatopoeic words are thus not arbitrary, but meant to create sounds to conform to the image, scene, and message. Given the fact that the onomatopoeic words are suggestive, the translator needs to strive to add explanations to bring about vivid descriptions to the portrayed image, with the help of great Arab references such as Lisān al-Arab.

For future research I recommend a focus on onomatopoeic or symbolic nouns such as الطامة, الصاخة, الفارعة, الصاعقة, to mention a few, to show how the proximity of sounds and rhythms can develop the sense of the image and thus represent an array of implications and associations that are inaccessible in the ordinary dictionaries.

عيوب ترجمة بكتال لظلال الأصوات ومعناها في القرآن

محمد أحمد القرعان، قسم الترجمة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

ملخص

تبدو ترجمة الأصوات من العربية إلى الإنجليزية مهمة عسيرة على المترجم؛ لأن دلالة الصوت العربي توحى بتعدد المعاني التي قد لا يحيط بها المترجم. إذ يعتمد المترجم غالباً إلى الأخذ بمعنى واحد متجاهلاً المعاني والإيحاءات الأخرى للصوت. وهذا يتأتى من جهل المترجم بالنظام الصوتي العربي، أي بوظائف الأصوات، وطرائق لفظها، ومن ثم قدرتها على التعبير عن ظلال المعاني في الأصوات. وبناء على ما تقدم، تهدف هذه الدراسة إلى استقصاء بعض عيوب الترجمة التي وقع فيها بكتال في ترجمة معاني الأصوات في القرآن الكريم، والتدليل والبرهنة على أن أصوات الكلمات لا تحاكي الأصوات الطبيعية التي تشابهها فحسب، بل تعد وسيلة لبلوغ الأثر المنشود من المعنى المتأني من إيقاع الصوت ومخارج لفظه. وتختتم الدراسة بإبداء مجموعة من التوصيات والاقتراحات لدوي الاهتمام في ترجمة القرآن الكريم.

Again, Pickthall limits himself to one sense of *rafrāf*. Although the Arabic word *muttaki*, reclining, necessarily entails having something to lean on like a green cushion, the image of fluttering inspired by the quadric-literal word *rafrāf* remains implicit. According to Ibn Manzure (1990) in *Lis.ān ' Al ' Arab*, *raffa* is a flash of lightening. It is true of any loose garment or piece of cloth, of teeth when exposed and of verdant and succulent plants and glistening trees. Consequently, the type of *rafrāf* must be something verdant and glistening by nature, not a mere cushion with a green color as suggested by Pickthall.

It is also of special importance to point out that Arrāzi cited in Khātir (1987) notes that the word *rafrāf* suggests more than vibrant or verdant plant, it refers to a thing that looks like a slinger that flutters when people sit on and take them wherever they like to go.

Phonologically, *r* is a lingual sharp letter pronounced with the tip of the tongue and causes the tongue to vibrate during its articulation. When followed by letter *f*, which is both weaker and voiceless, it no longer signifies a strong action. It rather produces a tranquil tone and a smooth sound that echoes bird wing flapping, an image that Pickthall fails to capture.

The use of delicate sounds combined such as *š* and *ğ* in سجى اذا والليل “93:2”

and by the night when it is stillest”, still produces a tranquil tone and smooth sound that invites peace, quietness, and serenity that is characteristic of night time. Stillness, thus, is not limited to people falling a sleep. According to **Lisān Al-arab**, *sajā* is to cover the day time, as if covering sleepers with sheets, and also suggests a cloudless, windless, an intensely dark, and cool night.

When the letters combined are otherwise, for example, *d* with a fricative sound *h*” in *gadḥan*, sparks striking, the outcome is different. The proximity of *d* and *h* accounts for developing the sense of this image, which is in contrast to the delicate scene provided by *sajā*.

Undoubtedly, a translator's commitment to conveying only one image might give the impression that the Arabic onomatopoeic word is only capable of a single standard meaning. This runs contrary to the nature of Arabic onomatopoeic or symbolic words and might obscure English readers' understanding of their potential interpretations. After all, translation is by its nature an act of interpretation.

closing the vocal cords, is combined with zay- sounding like z in English, it suggests vigor and depth and emits a slight whistle in pronunciation

The word ʿ *zza* is taken to mean *hazza* (ibid:160), to shake, to move, but the Qur'an opted for ʿ *zza* to "suggest more to the scene being depicted, based on the fact that its power is suggestive". In other words, ʿ *zza* implies more than shaking, because shaking or moving is true of objects, trees, etc. Whereas it incites, not only shakes or moves, unbelievers strongly and even pricks them into sin by way of deception. This means that *t'uzz* is used for a purpose in this context, and cannot be substituted by *tahuzz*, although the two words share some meaning by virtue of their place of articulation. The meaning is more than "to confound them with confusion" as Pickthall proposes for *tu'zzuhum 'zza*. Unlike in Arabic where *'zza*, *tu'zzuhum* come from the same verb root, the English word "confusion" and confound do not share the same verb root, and thus Pickthall loses sight of one basic quality of the Qur'anic sound that governs the choice of words that can have aesthetic and communicative effect on the reader. Actually, the Qur'anic choice of a verb from which an absolute object clearly derives is one basic quality of the Qur'anic sound, which serves to emphasize the meaning of the main verb and considerably maximize the intensity of the image. That is, the unbelievers are subject to devils' incessant pricks and incitements by acts of deceit. More to the point, Pickthall's attempt to match the Arabic cognate accusative (absolute object) with the English noun (confusion) falls short of our expectation since English language tends to use an adverb to express the absolute object. Thus, confusion "can be replaced by an adverb like fully, to confound them fully and completely in stead of saying "to confound them with confusion"

Contrary to these onomatopoeic words used to portray a terrible, dreadful scene in the hereafter, Quran has a rich stock of melodic words that accompany pleasing scenes, suggesting delicate sensational beauty to conform to the nature of the image. Consider this verse:

"متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان"

"muttakiina ' la rarafin ḥudrin wa' bqariyyin ḥisān"

Pickthall translates it as such: "Reclining on green cushion and fair carpets" (55: 76)

combine unless separated by an intermediate letter of another group Heywood (1965.)

This being said, it might be the case that two or more letters of the same group may combine to echo the harshness of the scene in the hereafter wherein the unbelievers lose hope of getting out of the Hellfire. For example, the emphatic letter *ṭa* when combined with *ṣad* in *yasterikhun*, they cry, shout, scream, means more than when it is omitted.

"وهم يصطرخون فيها ربنا اخرجنا نعمل غير الذي كنا نعمل"

“wahum yeṣṭerihun fihā rabbanā ḥriḡna n’ mal gair allḏi kunna n’ mal”:
“and they cry for help there, (saying): Our Lord! Release us; we will do right, not (the wrong) that we used to do”. (35:37)

This translation is again inadequate and seems to be identical with the sense that *yesrahun* evokes, for there is more meaning to *yesterihun* since it derives from a quadrilateral radical root *ṣaraha*, not from *ṣaraha* as in the second case. Pickthall seems to have overlooked a basic Arabic philological rule that any increase in the structure of a word necessarily entails more in meaning. Thus the emphatic *ṭa* when combined with the sonorous *sad* in such a word makes the setting and descriptions more realistic and almost audible. According to kḥatir (1987), this onomatopoeic word implies that they cry out of severe pain where there is no way out of the chastisement. This combination also implies that the unbelievers yell, cry, and scream in cacophony, at one another. This weeping and lamentation are not ultimately cries, but words of appeal to Allah" Our Lord release us and we will do right, not the wrong we used to do.

The translator needs to keep in mind that a more emphatic sound may substitute a weaker one because it suggests more to the meaning. For example, *hamza* replaces *h* in the following verse:

"انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا"

“inna ḥ rsalnā lšyāṭin ḥ lalkāfirina tḥ uzzuhum ḥ zza”

Pickthall translates this verse thus:” seest thou not that we have sent the devils on the unbelievers to confound them with confusion” (19: 83)

Annajjar (1999) mentions that the word ḥ zza and tau'zz originally refer to the sounding of the cooking pot when simmering. They also refer to the sounding of thunder and millstone, the sounding of bullets, and the buzzing of bees. It is clear from these sounds that when hamza- a stop sound produced by

articulated, the tongue rises to the top of the mouth and embraces the palate. When it occurs with a lingual letter like *r* whose pronunciation causes the tongue to shiver and vibrate, it maximizes the effect of the image, thereby portraying a full and complete physical punishment. The letter *ṣad* is stronger than *r* to depict a stronger action. Thus, a combination of a sonorous sound and a vibrating sound may echo the whistling of the wind and its power in shaking the palm-trees and Ad's dwellings.

More to the point, Ibn Manzur in Lisān ' Al ' Arab mentions that the word *ṣarṣar* evokes images other than the aural images it denotes. This word is also said of animal ears being contracted to heads out of acute apprehension or unpleasant sensation. This image that *ṣarṣar* evokes may conform to the direct sense of the tri-literal radical root of the word, to compile or bring things together. This is in line with the fact that a combination of a full - letter *sad* and a vibrating *r* in a reduplicative root echoes a repetitive punishment that had inflicted physical ailments upon Aa'd' s people before falling down dead as a pile of smashed trunks of palm-trees. According to Ibn manzur (1990: 453), the wind "was not only fierce, but smiting to their ears and intensely cold and furious to the extent that it set fire to every thing it came upon.

These images to *ṣarṣar* indicate that there is more to the onomatopoeic word. In other words, the sound is likely to evoke multiple images at once. It follows that the sound should not be reduced to one single sense, no matter how close substitute it might be. Instead, the translator has to strive to paraphrase or elaborate by adding descriptions or explanations to make better understanding of the onomatopoeic word, which means more than what it sounds like. In a word, *ṣarṣar* alludes not only to the wind being violent, but also to its being piercing, icy, and terribly roaring. All of these interpretations are condensed in, and reduced to, one single word *sarsar*

The bottom line is that, although onomatopoeic words have a direct and intrinsic association with the thing they describe, they evoke senses that might be at a semantic distance from the thing they literally denote. The direct use of a word thus is only literal in a relative sense, especially when it comes to the Qur'anic onomatopoeic words, which are rich in their allusions.

As far as Arabic onomatopoeic words are concerned, it is incumbent upon the translator that he be familiar with the phonological features of the target language, and what makes certain sound combinations onomatopoeic. Such kind of knowledge makes it easier for him to delve into the multiple images associated with it in a particular context. For example, letters of the same group whose point of pronunciation almost the same such as *ṣad*, *ḍaḍ*, and *ṭa* do not

example, *damdama* ʿ *laihi*, he doomed him, muttered angrily against him, and closed in on him. When this onomatopoeic word is said of a she-camel: *damdamat annaqah*, it suggests accumulation of fat layer over layer on the camel's body. This type of accumulation is echoed by the reduplicative *damdama* that suggests not only that God brought wrath upon the tribe of *tamūd*, but that their dwellings were shaken repeatedly and squeezed with heaps of destruction that have closed in on them fully and completely that none had escaped the chastisement.

For this reason, it should not suffice in the translation of *damdama* to refer only to the reality of destruction without pointing out the above -mentioned senses. There is a difference between these two interpretations: Allah doomed them for their sin and razed their dwellings, as Pickthall suggests, and Allah made the ground to quake with them vehemently, muttered angrily, and closed in on them fully so that no one survived, as suggested by the onomatopoeic word. Let alone the repetitive sense of punishment inspired by the reduplicative root. The reduplicative root runs parallel to the double sin committed by *tamūd*: denying the messenger of God on the hand and hamstringing the she-camel on the other.

There is no escape from admitting, however, that an onomatopoeic word is capable of several interpretations because it appeals to more than one sense and evokes multiple images simultaneously. Let us consider the following verse:

"وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ"

“wamma ādun fa'uhlikū birihin sarasin ātiyah”: “As for Ad, they were destroyed by a fierce roaring wind”. (69:6)

The very concrete nature of onomatopoeia is quite evident in *ṣarṣar*, which echoes aurally the thing it denotes. *Sarsar*, as a modifier of the wind, derives from the stressed tri-literal root *ṣarra*, which suggests that there is prolongation in the action, but no repetition. When the stressed *r* is stretched out, a new coined word comes into being- *sarir*. khatir (1987) mentions that this onomatopoeic word signifies whistling of the wind, and further is said of the sounds emitted by the door, writing-reed, locust, and a small bird known for sharp cries. In these sounds, there is a prolongation in their articulation as if echoing the stretched *r* in *ṣarir*.

On the other hand, the reduplicative form *ṣarṣar* implies that there is a repetition or reiteration in the sound. Thus, the wind blew repetitively and violently adding more destruction to the people of ' Ad. The intensity of the scene shows the fact that the letter sad is an intense, full letter, and when

meaning of onomatopoeic words depends at least on how letters come out of the mouth, and how intense their pronunciation is. This is something of which translators should be fully aware in order to be able to interpret the images, which an onomatopoeic word can evoke.

To this end, the current author will dwell, for appropriate rendition, on great Arab dictionaries like *lisān ' al ' arab*, ' *assihāh*, ' *alḥasā'is* and other references that are considered more of an encyclopedia than of a mere dictionary. These references are an indispensable aid for the translators.

As for the transliteration system, the author will utilize the International Romanization System (ISO 233), which applies stringent conversion principles that facilitate the international communication of the written message in such a way that makes automatic transmission and reconstruction quite possible.

Analysis and Discussion

The letters in onomatopoeic words do not occur randomly. There are certain letters whose occurrences come in certain sequences to give a clear indication of meaning. To elucidate the point, let us consider the following verse:

"فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواه"

“fakaḍabuhu fa‘ qaruhā fadamdama ‘ lyhim rabbuhum biḍanbihim
fasawwahā”

Pickthal renders this verse thus: “But they denied him, and they hamstrung her, so Allah doomed them for the sin and razed their dwellings” (91:14)

This translation is inadequate since the word *damdama* suggests other meanings that should not remain hidden. The Arabs dwell on the reduplicative radical root in which both sound and weak consonants are joined to portray the image, the stronger consonant comes first to depict the intense image. The letter *dal*, in English *d*, is stronger than the labial *mim* because its point of articulation is the edge of the tip of the tongue, whereas *m* is produced with the lips being closed. The reduplicative root originally derives from the tri-literal *damama*, literally to mutter, but when conjugated, the letter *m* is stressed with a *shadda*, a small marking looking like *w* and is placed above the stressed letter. The stressed tri-literal root suggests that the action is prolonged, but when duplicated, it induces an image of repetitive in such a way that echoes the reduplicate root of the word.

When *damdama* is looked up in the great Arab dictionary *lisān ' al ' Arab* by Ibn Manzur (1990), it seems to be capable of a myriad of interpretations. For

sounds occur in onomatopoeic words, they spell a greater challenge for translators, as we will see next.

Semantic Value of Onomatopoeias

The phonic level of Arabic is crucial for rendering meanings, since meanings are intertwined with sounds and are capable of depicting pictures and bringing scenes to life. This is, as Alamri (2007) notes, is called in Arabic "artistic depiction" (163) where senses as diverse as associative, denotative, allusive, and metaphorical being evoked as a result of the sound and meaning being conflated. The sound structures of onomatopoeic or symbolic words are indicative of the nature of the actions being exerted for a particular purpose. For example, *h* and *z* as in *zuhziha* are articulated in such a way that the air produced causes an almost audible friction. The two fricative sounds *z* and *h* denote an action that requires a great deal of effort to pull away something that almost does not budge. The repetition of the two fricatives indicates that the action is durable and requires a strained effort.

Only by analyzing such onomatopoeic or symbolic words can one reveal the hidden semantic properties of such symbolic or onomatopoeic words. That is, "the phonetic devices, as Tzortzis (2008) notes, construct powerful and emotive images by the selection of the most apt words to depict the meaning while triggering semantically oriented sounds". These sounds tend to build either intense or smooth images depending on the sound structures.

Methodology

This study intends to highlight the inadequate renditions of some Qur'anic onomatopoeic words by Pickthall as a representative model of great Qur'anic translators. The rationale behind selecting Pickthall, the orthodox Muslim, as a model clearly stems from his fluency in both Arabic and English, and his elegant style to preserve the nature of the Qur'an by keeping close to the origin, with minimal annotations. This tendency, however, seems to have had difficulties in rendering Qur'anic onomatopoeias, which have emotional and imaginative associations connected with the word. Despite his assiduous efforts to understand meanings and themes in a coherent way through consulting the highest Islamic authority of Al Azhar, he was still unable to unearth the hidden semantic properties that include a combination of denotative, associative, allusive, and affective meanings of onomatopoeic words. Unlike most other translators, his translations are direct from Arabic into English, and mostly lack annotations or square brackets compared with at least those of Abdallah Yousif and Khan.

The study will deal with some onomatopoeic words, particularly those with reduplicative roots, since their power of suggestiveness is undeniable. The

letters because they issue from the abdomen rather than any part of the tongue, throat, or uvula". With the exception of these letters, he treats the other letters more of sounds than of letters. Some of these letters like *ra* and *lam* are sharp because of their articulation with the edge of the tip of the tongue, others issue from the middle part of the throat like *kha* and *ein*. Still, others are emphatic sounds like *ṭa* and *ṣad*, which have stronger pronunciation than regular English *t* and *s*, because their pronunciation is with a raised and tensed tongue, especially the letter *ta*, whose pronunciation is further back in the mouth. Some other sounds are hoarse like *ḥa*, which is much heavier and forceful than the English regular *h*.

It is interesting to note that words, which are phonologically close with respect to their point of articulation, are more or less semantically identical. Annajjar (1999), for example, mentions that the two verbs *qaḍama* and *khaḍama* are close in meaning, due to their shared point of pronunciation, with just a slight difference triggered by the first letter of each word. That is, *qaḍama* is said of biting into something hard and dry, whereas *khaḍama* is said of munching something that is lush and juicy like watermelon. More to the point, Ibn manzur (1990) mentions that the act of eating *qadama* is with the nearer of the teeth, whereas *khaḍama* is with the remote of the teeth. It is evident that *qāf* as voiced pharyngeal and *kha* as voiceless velar have a subtle difference due to their point of pronunciation. The first seems harsher and heavier than the second that is weaker. The point to make here is that when voices are strong, they seem to fit strong actions, whereas weak voices seemingly fit weak actions

Likewise, the verbs *qaṭ ṭa* and *qadda* are stressed tri-lateral roots whose points of pronunciation are almost the same. However, there is a subtle difference between the two roots. Annajjar (1999: 160) notes that the sense associated with *qadda* is "tearing or cutting lengthways, while *qa ṭ ta* suggesting tearing breadthways". The reason is that cutting breadthways is more difficult than cutting lengthways. This difference is made by combining two harsh sounds *qāf* and *ṭa*, the latter is an emphatic Arabic sound that is stronger than *dal*, thus suggesting swiftness of action as opposed to a more tenuous action signaled by *dal*, which suggests that the act of cutting things lengthways is no easy task. The translator should be fully aware of such slight differences that clearly derive from sense variations of Arabic sounds and the sequence in which they occur.

The foregoing description is only a glimpse of Arabic sound features and their associated senses. It is important to point out here that there are harsh voicing sounds as well as soft pleasing ones. Both groups derive their senses from their point of articulation and manner of pronunciation with respect to the setting of the context in which they occur. Interestingly enough, Arabic has sounds that do not occur in English, as we have pointed out earlier. When these

which are simply impressions they mentally make. Since the relationship seems to be illogical between sound images and their concepts, as Klages (2001) notes, the multiplicity of meanings is possible.

Before we delve into discussing the functions of Qur'anic onomatopoeic words and how sounds conform to the image they picture, it is of special importance at this point to shed some light on the features of the Arabic phonological system.

Arabic Phonological Features

Arabic words essentially derive from tri-literal roots, which consist of three radicals like *daraba*, to hit. The root morpheme is discontinuous, because vowels can be interspersed between consonants. When a tri-literal root is geminated or stressed: that is the second letter is doubled, it looks as though it were bi-consonantal like *madda*, to stretch, which is actually composed of a three- radical root *m, d, d*. The sign of stressing or doubling consonants is called *tashdid*. This sign means that the two identical letters are compressed into one single geminated letter.

From geminated tri-literal roots, quadri-lateral roots clearly derive. This form involves four radical consonants and can be regular, reduplicative, or complex. As regards the regular quadri-lateral, all the four consonants that make up the root are different like *tarjama*, to translate. In the reduplicated quadric-lateral the "first two letters are repeated either in imitation of a sound or to refer to a movement or repeated action such as *rafrafa*, to flutter. As for the complex root, the way it works is similar to English acronyms, which is not a focus in this study.

With respect to reduplicative roots, the closing letters of the word are identical with the opening letters like *şalşala*, to make a ringing sound. Many quadri-lateral roots come from geminated tri-lateral roots where the doubled sound implies a lengthening or stretching out of the sound. According to Haywood (1965), the geminated root, *şalla*, to make a ringing, can be reduplicated like *şalşala* as in *şalşala alligām*, the rein made a ringing or emitted a sound, where the closing letters are identical with the opening letters. He mentions that reduplication here involves a repetition that has the effect of lightening in the sound of the rein. It is "as if the Arabs had assumed that the reduplicative forms imply repetition and geminated tri-lateral roots prolongation" (Ibid: 34)

Arabic has twenty- nine alphabets of which twenty -five are sounds. These alphabets can be arranged in terms of their manner of articulation. According to Haywood (1965:35), only "four of the Arabic alphabets are considered heavy

sounds because of the "constraints of the phonological system and the structure of the human vocal tract". For this reason, it may be not possible to mimic natural sounds with exact precision. There might be only partial mimicry of natural sounds (ibid).

Many linguists believe that the connection between the form of a word and its meaning is arbitrary except for the associations established by conventions. This might explain the reason Muller (1891) regards onomatopoeia as a mere playfulness, which has nothing to do with the linguistic system. Much of his argument stems from the notion that onomatopoeic words are rootless and thus useless in that they are not derivative or attributive. If this were the case, then we would not have to think of onomatopoeic words as essential elements of a linguistic system.

Whether this class of words applies "to a narrow semantic range" (falk 1973:60), or a broader range, writers and speakers make use of it to convey their messages. The use of onomatopoeias, it seems, rests on the fact that it is hard to describe natural sounds with words. Shervanloo (1975:338) contends that "natural things are far better than artificial ones" because there is much proximity between what is said and its meaning as a natural sound is more familiar and more genuine to humans. To make his point clearer, he argues that there is "an indirect relationship between the word "laugh" and its meaning, whereas the word "guffaw" stands for the act and voice of laughing" (ibid: 338)

As far as the glorious Qur'an is concerned, the onomatopoeic words are productive and derivative because they have radical roots that are both conjugable and inflectional. It follows that the relation between the word and its form is not entirely arbitrary since the intrinsic meaning of an onomatopoeic word is undeniable. What seems to be peculiar to Arabic onomatopoeias is that certain sounds have certain feel for the Arabic-speaking world because of their suggestiveness and power of portraying.

Given the fact that phonological systems differ across languages, onomatopoeic words likewise differ and have therefore to conform to the linguistic system in its broader sense. Since languages have different linguistic systems, different onomatopoeic words mimic different natural sounds. For example, the sound that the heart produces as it beats is *bom bom* in Arabic, whereas it is *dup dup* in Turkish. It is interesting to note, however, that not all languages have the same letters as parts of their phonological systems. There are letters such as *sad* (س), *ḍad* (ḍ), and *ṭaa* (ṭ), which are peculiar to Arabic and rarely occur in other languages. The images associated with these sounds might make it even harder for translators to grasp because Arabic onomatopoeic words are not only imitative of natural sounds, but also symbolic and image inducing,

Pickthall's Shortcomings in Translating Images of Qur'anic Symbolic Sounds

Muhammad A. Al-Quran *

Received Date: 21/7/2016

Accepted Date: 27/12/2016

Abstract

The rendition of Qur'anic onomatopoeic or symbolic words into English seems to be a challenging task for a translator because the sense of the Arabic sound suggests an array of meanings that a translator may fail to capture. The translator often tends to use an inadequate translation by omitting or overlooking other senses of the onomatopoeic word and limiting himself/herself just to one sense, giving the impression that their potential is limited. This is due to the lack of familiarity with the Arabic phonological system, namely the function of Arabic sounds, their manner of articulation, and their suggestive power in portraying the image. This paper is thus an inquiry into Pickthall's shortcomings in translating the sound images in the Glorious Qur'an. It specifically intends to demonstrate that onomatopoeic words are not only imitative of the natural sounds they denote, but more of a rhetorical device to maximize the effect of the message by developing rhythms and sounds. The paper ends by making recommendations and suggestions for translators interested in the Holy Qur'an.

Keywords: reduplication; features; phonological system; onomatopoeia.

Introduction

Onomatopoeia originally comes from Greek *onoma*, meaning "name" and *Poiein*, meaning "to make". It stands for words that are indicative of a sound that the object of the sound emits, or put differently, it describes the natural sound phonetically. Given the fact that humans tend to be influenced by the surrounding environment, the affinity between human languages and natural sounds is reasonable, Crystal (1992: 47), for example, refers to the how-wow theory, which stipulates "speech arose through people imitating the sounds of the environment, especially animal calls"

The extent to which humans can mimic sounds is limited. Anderson (1998:129) notes that there is a limit on the capacity of humans to imitate natural

- Rodney, W. (1973), *How Europe Underdeveloped Africa*, Bogle-L'Ouverture Publications, London.
- Samuels, W. (2009). *Research in the History of Economic Thought and Methodology: A Research Annual*, Emerald, United Kingdom.
- Shah, A. (2013). *Structural Adjustment a Major Cause of Poverty*, Global Issues, retrieved at: www.globalissues.org/article/3/structural-adjustment-a-major-cause-of-poverty
- Shah, A. (2014). *Foreign Aid for development assistance*. Retrieved at: www.globalissues.org/article/35/foreign-aid-development-assistance.
- Sullivan, D. (1996). *The Failure of U.S. Foreign Aid: An Examination of Causes and a Call for reform*, Global Governance, Vol.2, no.3.
- The Charter of the United Nations*, The Preamble.
- The IMF Annual Reports 1950-2015*.
- The WB Annual Reports 1948-2015*.
- The WB Human Development Report, 1994*.
- Ulack, C. (2011), *The Arab Spring's Looming Refugee Crisis*, Foreign Policy, Retrieved at: foreignpolicy.com/2011/06/23/the-arab-spring-looming-refugee-crisis/
- Victor, A. (1981), *Postwar International Money Crisis; An Analysis*. Allen and Unwin.
- Wallerstein, E. (1983), *Historical Capitalism*, New York, Vintage Books.
- Walter, L. (1991), *"America, Russia, and the Cold War"*, New York, McGraw-Hill.
- Williams, J. (1993), *IMF Conditionality*, Institute of International Economics, Washington D.C.
- Woods, A. (1989). *Christian Science Monitor*, Feb.21.

- Goldman, M.(2005), *Imperial Nature: The World Bank and the Struggles for Justice in the Age of Globalization*, Yale University Press.
- Guzansky Y. & Striem E. (2013), *The Arab Spring and Refugees in the Middle East*. Retrieved at: reliefweb.int/report/Syrian-arab-republic/arab-spring-and-refugees-middle-east.
- Hunter, W.(2002), US hegemony and the world Bank: The fight over people and ideas, *Review of International Political Economy*, 9(2).
- James, H.(1994),The Origins of the Cold War: Some new documents, *The Historical Journal*,37(3).
- Kapur et al. (1997), *The World Bank: its first half century: History*, Brookings Institution Press.
- Keo, P. (2013), *The Dark Side of Foreign Aid, Aid Dependence in Cambodia: How Foreign Assistance undermines Democracy*, Cloth.
- Kegly, C. (1993), *World Politics*, St. Martins Press, New York.
- Lesily, W.(1987), *The World Bank and Structural Transformation in Developing Countries*, Boulder: Lynne Rienner Publishers.
- Lens, S. (2003). *The Forging of the American Empire: From Revolution to Vietnam: A History of US Imperialism*, Pluto Press, London.
- Masson, E. (1973), "*The World Bank Since Breton Woods*", Princeton University Press, NJ.
- Morgenthau, H. J. (1973), *Politics Among Nations*, Alfred A. Knopf, New York.
- Muthee, M. (2013), *Dependency Theory: The Reality of the International system*, Great Space Independent Publishing Platform.
- Nkrumah, K. (1964), *Neo-Colonialism: The Last Stage of Imperialism*, New York International Publishers.
- Oliver, R.(1971), *Early Plans for a World Bank*, Princeton Studies in International Finance, 29.
- Pearce, C.K (2001). *Rostow, Kennedy and the Rhetoric of Foreign Aid*, Michigan State University Press.
- Rahman, K.(2008), *Donor Fragmentation in Easterly*, W.(ed) Reinventing Foreign Aid, The MIT Press, London.
- Reid,E. (1973), *Strengthening the World Bank*, Chicago, Aldali Stenvenson Institute.

References

- Ahmed, M. (1995). *Democracy and the Challenge of Development: A study of politics and Military Intervention in Bangladesh*, Vikas Publishing House.
- Alesina, A. and Dollar, D.(2000), Who foreign aid, to whom, and why, *Journal of Economic Growth*, Vol.5.
- Amin, S. (1976), *Unequal Development: An essay on the Social Formations of Peripheral Capitalism*, New York, Monthly Review Press.
- Bauer, T. & Yamcy B. (1957). *The Economics of Underdeveloped countries*, Cambridge University Press.
- Catherine, G. (1994), *U.S. Relations with WB*, The Brookings Institution, Washington D.C.
- Cohen, B .(1985). *International Debt and Linkage Strategies: Some Foreign Policy Implications for the United States*, International Organization,50, Summer.
- Danaher, K. (1994), *50 Years is Enough, The Case Against The World Bank and the International Monetary Fund*, Sound End Press, San Francisco.
- Easterly et al. (2004), Aid, Policies, and Growth: Comment, *American Economic Review*,Vol.94(3).
- Escobar, P. (2003). *Coercion, all in the name of democracy*, Asia Times Retrieved at: <https://www.atimes.com/atimes/middle-east/ec06akoz.html>.
- EU Considers Reinstating National Border Control, May 2011. The Guardian, retried at: <https://www.theguardian.com/world/2011/may/01/eu-considers-reinstating-border-controls>.
- Frank, A. (1966), *The Development of Underdevelopment*, New York, Monthly Review Press.
- Fukuyama, F. (2004). *State building: Governance and world order in the 21st century*, Cornell University Press, Ithaca.
- Gardner, R. (1980), *Sterling Dollar Diplomacy*, Columbia University Press.
- Gharaibeh, M. (1993), "South-North Dialogue", (in Arabic), *Abhath*, Yarmouk University, Irbid.
- Giplin, R. (1975), *U.S. Power and multinational cooperation*, London, UK, The Macmillan Press Ltd.

البنك الدولي وصندوق النقد الدولي كأدوات لهيمنة الغربية: تحليل تاريخي ومعاصر

محمد تركي بني سلامة، قسم العلوم السياسية، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

ملخص

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف إلى دور البنك الدولي وصندوق النقد الدولي في خدمة أهداف الدول الغربية بشكل عام والولايات المتحدة الأمريكية بشكل خاص، وذلك منذ نشأة هاتين المؤسستين في نهاية الحرب العالمية الثانية حتى الوقت الحاضر. واستخدمت الدراسة المنهج التاريخي ومنهج التحليل الوصفي منطلقة من فرضية مفادها أنه بالرغم من كل الحديث عن التنمية ومكافحة الفقر، فإن الهدف الرئيسي لكل من البنك الدولي وصندوق النقد الدولي هو إرغام دول العالم كافة على الدخول في النظام الرأسمالي العالمي الخاضع لهيمنة الدول الغربية. ومن النتائج التي توصلت إليها الدراسة نجاح الدول الغربية، بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، في استخدام هاتين المؤسستين في خدمة الأهداف السياسية للدول الغربية؛ ولا سيما في فترة الحرب الباردة، فالتبرير للمساعدة في تنمية دول العالم الثالث كان لمنع التغلغل الشيوعي، وكان لكل من البنك الدولي وصندوق النقد الدولي دور بارز في كسب الحرب الباردة. وكشفت نتائج الدراسة أنه على مدى العقود السبعة الماضية زادت سلطة البنك الدولي وصندوق النقد الدولي باطراد ليصبحا وحدهما يحددان البلدان التي تتلقى القروض الدولية، مما يعطي هذه المؤسسات سلطة فرض سياسات اقتصادية وسياسية مفضلة للدول الغربية، وبالنسبة لكثير من دول العالم الثالث فإن هذا يعني العودة إلى الحقبة الاستعمارية.

الكلمات المفتاحية: التنمية، البنك الدولي، صندوق النقد الدولي، الحرب الباردة، الإمبريالية.

The U.S. as the major force of these institutions, exploited them to achieve its interests: to assist relief and reconstruction after the war, to buttress resistance to communist expansion, and to reward its friends and punish its opponents in the developing world. Aid, loans, and development efforts carried out by the WB and the IMF attract criticism for furthering the agendas of the powerful nations.

Most of the loans and aid that were offered through these institutions were not to help the recipient countries to develop. A high percentage of these aid consists mainly of American goods, especially military equipment. It was not money that can be spent anywhere. That aid was during the Cold War era when there was a competition between the superpowers. If a country's economic needs were being met by the Soviet Union, its assistance from the West must stopped.

Nowadays, although the Cold War has become part of history, the policies and practices of those institutions did not change dramatically. Only certain countries of the poor South are the major recipients of aid and loans. Moreover, most such aid is wasted on corrupt recipient governments. Despite billions given each year, Western countries have rarely met their actual promised targets. Most aid does not actually go to the poorest who would need it the most, as money can often be embezzled away. Unless the WB and the IMF reform their policies, it will be difficult if not impossible to convince us that these institutions are not mechanisms of Western domination.

Asia, and Latin America, when SAPs had been implemented, the effects have been devastating.

USAID through the WB and IMF succeeded in serving the US interests, but it has failed to significantly advance the cause of development in numerous countries such as Egypt, Morocco, Somalia, and the West Bank. The failure demonstrates that political and strategic objectives take precedence over economic development, thus rendering much of the foreign aid packages developmentally irrelevant (at best) or damaging (at worst; Sullivan, 1996). Alan Woods, the director of USAID in the 1990s recognized the political motivations of foreign “economic” aid. He bemoaned the fact that

...there had been (as there continue to be) no graduates from less-developed to developed countries in 20 years of aid donations.....Direct U.S. development assistance, overall, has played a secondary role in fostering development and has not always succeeded in fostering growth-oriented policies among recipient states. (Woods, 1989:1)

The many damaging effects of the SAP are voiced by many Third World politicians. For example, Martil Khor from Malaysia sums it up:

Structural adjustment is a policy to continue colonial period, but which the Northern powers want to continue in the post-colonial period. Economically speaking, we [countries in the South] are more dependent on the ex-colonial countries than we ever were. The World Bank and IMF are playing the role that our ex-colonial masters used to play. (Danahar, 1994:4)

In sum, the WB and the IMF are used by the West as a decisive form of control. In order to qualify for these loans, LDCs are forced to take steps favorable to the financial interests of the WB and the IMF. Those structural adjustments have the effects of increasing rather than alleviating poverty within LDCs (Shah, 2013).

Concluding Remarks

The WB was created to assist in the reconstruction and development of territories of members by facilitating the investment of capital for productive purposes. Its partner, the IMF was established for the purpose of promoting international monetary cooperation and the expansion of world trade. Those were pure economic objectives, but the West in general and the U.S. in specific shifted those objectives from being economic to political. And so the previous international organizations, under the Western domination, became instruments to achieve the West’s own interest. Within this context they lost their international impress.

Since the end of the Cold War, weak and failing states have arguably become the single most important problem for international order. (Fukuyama, 2004:92)

Therefore, the aids and loans in the new era from the rich to the poor not because of their generosity but to avoid some of the troubles of the poor and those are just disturbance rather than real dangers or threats from the South to the North (Gharaibeh, 1993:91). According to the WB annual report of 1994, only Bangladesh and India are among the poorest countries in the world that get U.S. foreign aid. Actually, U.S. offered aid to those countries as allies to the U.S. during the Cold War era, and they are still important allies as Bangladesh, for instance, was among the 19 countries that joined the U.S. led coalition in the Gulf war against Iraq in 1991 (Ahmed, 1991). With regard to India, as it opens its market to foreign investment, U.S. plans to get the benefits of the Indian market where there are hundreds of millions of consumers. (Charles, 1993:280)

The U.S. the WB and the IMF offer loans and aid to countries like Egypt, Turkey and Israel which are not developing countries. The total aids that these countries got in 1990 is \$35 billion. This amount is ten times larger than the shares of the 20 poorest countries of the world (Charles, 1993:282). The poorest countries are not only deprived of the WB and the IMF aid, but also they are under the pressures of those institutions for their heavy debts. The WB and IMF's influence is global and total. Over the past seven decades, the WB and the IMF have steadily gained power and influence, becoming the key arbiters determining which countries will receive international loans. This status gives the WB and the IMF the power to enforce economic policies written in Washington where the WB and the IMF are based.

The policies imposed by the WB and the IMF are designed to facilitate the repayment of debt: that is steady transfer of wealth out of Third World countries to industrial countries. This transfer of wealth has had devastating consequences for the poor majority. Money that could have been invested in health, education, housing, and infrastructure has instead been transferred to wealthy industrial countries. Accordingly, Third World countries under IMF/WB tutelage have seen infant mortality rates increase, schools and housing deteriorate, unemployment rates increase and the general health of people decline.

Despite the steady decline of the Third World economics under the tutelage of IMF/WB policies, these institutions, keep insisting that their policies will eventually foster development and reduce poverty. Third World countries are told that, in order to get more loans to pay off the old loans, they must adopt and implement structural adjustment programs (SAPs). Yet, the central question that is always avoided by the enforcers of these policies is, do they work? In Africa,

to stop the slow death of thousands of children in Ethiopia, Uganda, and Bangladesh (WB Report, 1994:135).

With the end of the Cold War due to the collapse of the Soviet Union, the WB and the IMF had to keep up with these new changes; and so under the influence of the West, those financial institutions began to pour loans and aid into the former communist countries to help them in facing the economic crisis they have during the process of "transition" from the central planning economy to the capitalist system. With regard to the Third World countries, the WB and the IMF response to the needs of those countries are very slow and insufficient, and the aid to these poor Southern countries also can be justified on political and strategic grounds as well as humanitarian grounds. The significant question in this regard will be "What are the Western interests in helping the poor Southern countries after the collapse of the Soviet Union and the end of the Cold War?"

The Southern countries suffer from many troubles, such as overpopulation, pollution, unemployment, instability and a condition of life degraded by disease, illiteracy, and malnutrition. Such poverty and backwardness will affect the whole world and to illustrate this fact, the rest of this article will detail the impact of overpopulation and instability on the rich Northern countries.

Overpopulation in the Southern countries is a huge problem, and it forces these countries to devote high percentage of their resources to deal with this issue. However, as their resources are below the desired limits, the standards of life in these countries will decline, unemployment will increase, and poverty will prevail. Large numbers of the population of those countries will therefore try to emigrate to the North, looking for a better standards of living. A large emigration from a country or group of countries to another country will cause political, economic, and social problems in the host countries; the immigration of Algerians and Moroccans from North Africa to France caused a lot of troubles for France in particular and to Europe in general. Cuba in the 1990s threatened the U.S. by opening the door for emigration, though the U.S. is called the state of immigrants (Gharaibeh, 1993:83).

With regard to the impact of stability on the rich Northern countries, there is no doubt that unstable areas are fertile soil for social diseases such as drugs, AIDS, and terrorism. These problems in the Southern countries affect the rich Northern countries by decreasing the opportunities for investment in these countries, as the investing companies need stable environments. As these companies transfer their profits to their home countries, losing such stable countries means the loss of these profits, also the possibility of transferring these diseases to the North, as Francis Fukuyama wrote:

countries or refugees in other countries. Few were able to flee to neighboring EU countries. The flow of refugees imposed a heavy burden on the hosting countries. The hosting countries were in desperate need of hundreds of millions of dollars to have what they deemed to be sufficient funding to deal with the refugee situation.

For example, over 6 million Syrian citizens have found refuge in Jordan, Lebanon and Turkey. Those countries tried to pressure the international community, including the WB and the IMF, to deliver more aid, but those institutions paid little attention to such demands. The Jordanian king declared in November 2013 that if Jordan did not receive substantial aid from the International community, it will take measures to preserve its interests (Guzansky & Striem, 2013).

The West and its financial institutions, including the WB and the IMF, had a moral obligation to contributing enough money to cover the necessary cost of hosting refugees in the Middle East (Ulack, 2011). Rather than helping Middle Eastern countries affected by the turmoil, Europe turned a blind eye to the crisis. Moreover, as the prevailing atmosphere in Europe is largely anti-immigration, it is not surprising that the EU began to tighten the border system; EU is alarmed at an influx of migrants fleeing revolution in the Middle East, while thousands of migrants have died crossing the Mediterranean Sea trying to reach Europe (The Guardian, May 27,2011).

In sum, loans and aid were not given on economic, humanitarian or moral grounds, but rather on political, strategic and security grounds. The Cold War years saw a high amount of aid as each superpower and their allies aided regimes friendly to their interests (Shah, 2014). The U.S. interests have been served by forcing the WB and the IMF to give (Group 1, above) and deprive (Group 2, above) international loans and aid. Hans J. Morgenthau (1973), pointed out that there are national interests for the United States that can't be insured by military instruments, and so the economic instruments, including loans and aid would be a rational choice (Morgenthau, 1973).

The New Role of the WB and the IMF

In the past, the struggle between East and the West was on ideological grounds, and in that struggle, the economy, propaganda, subversion, and military force, were instruments of encounter. However, in the New World Order, the struggle is mostly on economic grounds between two parts separated by a large gap. The critical questions in this context is how the West is using the WB and the IMF in this new era, whether the WB and the IMF will turn their attention to the less developed countries, and whether a new Marshall plan will be launched

the West had to help those countries (Pearce, 2001). In 1961 when President Kennedy established the Agency for International Development to promote development around the globe, he said:

An enlarged, long term program of economic assistance to the peoples of Asia, the Middle East, Africa, and Latin America is justified on this positive and constructive basis. It is in the interest of the U.S. that we and our children live in a world of independent, open societies.... Our enemy is poverty, despair and stagnation." (USAID, 1994:1)

The United States created the US Agency for International Development (USAID), the Alliance for Progress, Peace Corps and many other institutions not to develop the Third World countries but to serve U.S. foreign policy purposes. Only countries of strategic importance like countries bordering the Soviet Union and China (Turkey, Iran, Pakistan, India, Thailand, Philippines, and South Korea) were the most fortunate countries that got unconditional loans and aid. This was another Marshall plan to reconstruct and develop these countries.

At the same time, the United States used its pressure to prohibit the other countries that were not in a good relations with the West from loans from the WB and the IMF. In 1960, U.S. pressure forced the WB to stop lending to Peru after its nationalization of the National Petroleum Company. The WB, under U.S. pressure, suspended lending to Chile from 1970 to 1973 following the elections of Salvador Allende and his nationalization of the Chilean copper mines (Catherine, 1994:68-70). The WB decision not to lend to Vietnam in the late 1970's is a good example in which strong U.S. pressure was exerted. A more recent example in which the U.S. forced the WB and the IMF not to lend to Nicaragua under the Sandinistas, but to lend under Somoza is a very clear example of U.S. influence (Catherine, 1994:70). During the Persian Gulf crisis, after the Iraqi invasion of Kuwait in 1990, American Secretary of State James Baker offered Turkey support for increased loans from the WB and the IMF in appreciation for the country's assistance against Iraq. As James Baker has often admitted,

...winning support for the first Gulf War involved cajoling, extracting, threatening and occasionally buying votes. (Escobar, 2003)

The final example that will be offered in this regard is from the contemporary revolutions of the Arab Spring. In the last 5 years, several Arab autocratic governments, such as those of Tunisia, Egypt, Libya, Yemen and Syria either fell or came under immense pressure by popular uprising and civil wars. In most cases, those events prompted waves of refugees described as the largest since World War II. Millions of citizens either became displaced in their

From the early beginning of the Cold War era up to the collapse of the Soviet Union in 1990, the records of the WB and the IMF are full of evidence of U.S. influence, pressure and interference in the lending policies of those institutions. The U.S. voted against loans to certain countries on political grounds rather than economic, and it has encouraged these institutions to lend to favored countries. As these institutions were among the instruments that had been used against the Soviet Union and its allies during the Cold War era, the historical chronology of the practices of these institutions show many cases of strong pressure from high-level U.S. officials either to lend or not to lend to specific countries. In 1947 the Poland government entered into negotiations with the World Bank for a \$128 million loan for coal-mining equipment and that was a sound investment, but the U.S. objected, fearing the political effect of such a credit to Poland's communist government. The World Bank in its negotiations with the Polish government raised conditions that the Bank's management knew to be unacceptable by the Polish government (WB Annual Report, 1948:17). The rejection of loan to Czechoslovakia at roughly this same time underscored the U.S. position against WB lending to Eastern Europe. As stated in the Bank's 1948 annual report.

In both Polish and Czech cases, the WB justified its refusal on the grounds that political uncertainty undermines each country's status as a good credit risk (WB Annual Report, 1948:20).

The political situation did not change in ways that opened prospects for bank lending, and Poland and Czechoslovakia withdrew from Bank membership in the 1950s. The cases of Poland and Czech can be applied to the other East European countries as the WB and the IMF were the economic instruments that the West had used, to successfully siege and punish the Soviet Union and its allies during the Cold War era.

With regard to the Third World countries, the same policies were applied, as with the Chinese revolution in the late 1940s, North Korea's invasion of South Korea in 1951, and the attraction of socialism as an ideology and Marxism as a formula for seizing and holding power in many of the Third World countries. The United States and the West became worried. They feared that unless the West offered an attractive alternative much of the developing world would be tempted to socialist solutions, which would provide the Soviet Union with important allies during the Cold War era. Thus the US and its allies thought it necessary to use the WB and the IMF as instruments of foreign policy. Based on Rostow's theory (one of the architects of U.S. foreign policy), the West decided to provide aids to the developing countries to protect them from the communist ideas; as Rostow's theory of the "stages of economic growth" considered poverty as a fertile soil for the communist thought. To encounter such a threat

The Exercise of United States Influence

The state, strong or weak, poor or rich, cannot survive isolated as "Robinson Crusoe" in international relations. The world is becoming more and more close like a small village, so what takes place in any of its parts will affect the other parts in different degrees. Nowadays, in the era of economic interdependence, there is a reciprocal influence among all the actors in international relations, and so the economic performance of any country is not dependent only on that country, but also dependent on the economies of other countries that have bilateral relations with that country. Oil prices, for instance, affect all states whether they are producers or consumers. Therefore, one of the major objectives of any country is to minimize its economic dependence on other countries, and increase its economic independence (Morgenthau, 1973). Regardless of the fact that the rich Northern countries are more prosperous and developed than the Southern countries, the North is still dependent on the South for its raw materials and markets. Therefore, the North has a lot of interest in the South, and it offers loans and aid to the South through the WB and the IMF so as to support its economic and political interests. These loans and aids have multiple uses as they can be used to influence the recipient by forcing them to adapt to desired policies of the donors, otherwise they will lose their aid. As an American political activist wrote:

Historically, the US has wielded a military stick and a dollar carrot to forge an imperialist empire such as man has never known before. The urge for expansion—at the expense of other people—goes back to the beginning of the United States itself. (Lens, 2003:1-2)

In other words, the loans and aid can be used as rewards to its friends and as a weapon to punish its enemies. In this regard, we will see how the West, and specifically the United States, used the WB and the IMF to lay siege to punish and suffocate the Soviet Union and its allies in East Europe, Asia, Africa, and Latin America. This economic instrument was strong and efficient, unlike the military instrument which failed to achieve such objectives. Thus the Soviet Union collapsed from the inside though it has huge military resources. The same method during the Cold War era was used with Third World countries to get as many of them as possible to become allies and friends of the West, and to deprive and punished the pro-communist countries and the members of the nonaligned movement (Gardner, 1980:50-54). Therefore, the West and the United States have considered these institutions among their many instruments of foreign policy as sources of funds to be extended or denied to reward friends, and punish enemies so as to achieve the long term policy goals, and short term political and economic instruments.

board, where European countries are particularly over-represented. These steps would put the WB on a far stronger footing to support development. However, the voice and concerns of the LDCs are not heard; protecting the voting power of the U.S and its allies remains at the forefront of the US Strategy. The west always offers promises to LDCs of reforming the voting system in WB and the IMF, but has never kept such promises.

In the early years of the WB and the IMF, the U.S. used them for the recovery of Europe, and it did not give any attention to the LDCs in the rest of the world. In 1960, when the WB and the IMF turned their attention to the LDCs under the influence of the U.S., the shift was caused by the impact and considerations of the Cold War, as most of the recipient countries were of significant importance to the U.S., as we will see in detail in the following pages.

The Sources and Strength of U.S. Influence on the WB and the IMF

The basis of U.S. influence derives, on the most fundamental level, from the origins of the IMF and the WB, and the fact that their charters and guiding principles have a distinctly American cast. Over the years, the U.S. has used its influence to ensure that those principles are not disregarded. Other sources of U.S. influence include its position as the largest shareholder of the WB and the IMF, as we observed in Tables 1 and 2. Other sources of influence are the importance of the U.S. financial market as a source of capital for these institutions, and in the early days practically the only source. The United States held the position of the World Bank's president, and other senior management positions; and the close attention the U.S. has paid to the WB and the IMF activities, reinforced by the location of those institutions in Washington D.C. made the U.S. the dominant member of the WB and the IMF, so no other country or group of countries has chosen to challenge the U.S. position (Catherin,1994:11-15).

The United States is the only country that carries out detailed reviews of every Bank loan that is proposed, and the only country that carries out detailed reviews with these institutions through its representatives with them. The U.S. is sometimes consulted on a matter before other members. In general, we can say that the United States access to influence on the WB and the IMF are numerous, and the location of these institutions in Washington facilities the U.S. influence over any other member country (Catherin, 1994:54-60).

Table 2: The Voting Power in the International Monetary Fund*

Years	U.S.	U.K.	France	Germany	Japan	Total	Africa
1950	30.51	14.57	5.00	—	—	50.08	1.37
1955	27.40	18.08	5.43	3.51	2.72	52.14	2.38
1960	28.89	13.66	5.52	5.52	3.50	57.90	2.77
1965	23.82	11.33	3.73	3.73	3.75	46.36	7.59
1970	22.63	10.76	4.41	5.33	3.75	46.90	10.26
1975	21.87	9.19	4.96	5.29	3.98	44.29	9.26
1980	20.15	8.24	4.80	5.37	4.20	43.16	6.28
1985	19.29	6.69	4.85	5.48	4.57	40.88	9.16
1990	19.10	6.62	4.80	5.78	4.52	40.82	8.90
1995	17.83	5.00	5.00	5.55	5.59	38.93	8.05
2000	17.50	4.80	4.80	5.25	6.29	38.50	8.20
2005	16.80	4.60	4.40	6.15	6.10	37.80	8.40
2010	16.47	4.02	4.02	5.31	6.14	36.00	7.50
2015	16.75	4.29	4.29	5.81	6.23	37.00	7.06

* The annual reports of the IMF in 1950, 55, 60, 65, 70, 75, 80, 85, 90, 95, 2000, 2005, 2010, 2015, Washington D.C.

From the tables, it is clear that the United States voting power in the early years of the WB and the IMF was not below 30 %. In 1960 and later when it was below 30 %, the reasons were the recovery of the economies of the European powers, especially Germany; so the European powers started to enjoy strong voting power. The western powers distributed and exchanged their roles following World War II. European colonization was gradually replaced by U.S. colonial domination of the third world. For example, the British voting power in 1960 was about 12 %, double the voting power of all African countries. The year 1960 is known as the "African year" as most of the African countries got their formal political independence in that year, and so got the membership in those institutions.

Unlike the United Nations where each state has an equal vote, representation within the WB and the IMF is established by the size of the financial contributions, since the US is by far the largest contributor, it has the principle voice in determining the policies of those institutions. Furthermore, the US is able to pressure many of the other large contributors like Japan, Germany and the UK, into following their policy preferences.

Third world countries call for equal voting shares for developed and developing countries, based on a formula that reflects democratic principles, which has at its heart the Bank's development mandate. Also vital is an end to the outdated practice of some countries having permanent seats on the Bank's

were American citizens closely tied to the U.S. government, it became a necessity for an applicant for a loan to stop on his way to those banks and to get the support of the U.S. government.

Therefore, the bank's autonomy didn't exist and the U.S. was the dominant member country. According to the charter of those financial institutions, an applicant for a loan must get the approval of 80 % of the voting members. Due to the fact that the U.S. voting power was never below 20 % up to 1990, the United States had a veto power in the institutions. Without getting the U.S.'s approval it was impossible to get a loan from these institutions (Williams, 1993).

In Tables 1 and 2, the numbers will show the dominance of the United States and the imperialist countries over the World Bank and International Monetary Fund from its establishment until today.

Table 1: The Voting Power in the World Bank*

Years	U.S.	U.K.	France	Germany	Japan	Total	Africa
1948	38.09	15.59	6.30	—	—	59.98	1.88
1952	37.56	15.38	6.21	—	—	59.15	1.85
1956	35.08	14.36	5.80	3.56	2.76	61.54	1.72
1960	29.25	12.04	4.93	4.93	3.17	53.32	5.80
1965	25.50	10.50	4.30	5.02	3.19	48.71	7.32
1970	24.53	10.10	4.14	5.22	3.07	47.33	6.94
1975	25.14	8.55	4.53	7.01	5.46	50.69	7.11
1980	18.51	7.13	3.71	7.26	7.18	43.79	7.22
1985	19.00	6.69	3.47	7.04	7.99	4.23	7.57
1990	17.22	5.68	3.87	6.93	9.63	43.33	7.13
1995	17.10	5.60	4.20	6.30	6.70	37.90	7.30
2000	17.00	5.20	4.20	6.20	6.50	39.10	8.00
2005	16.20	5.00	4.00	6.00	7.00	38.20	8.20
2010	15.80	4.80	3.75	5.20	6.80	36.00	8.80
2015	16.00	4.00	4.00	4.30	7.50	35.80	10.00

* The annual reports of the WB in 1948, 52, 60, 65, 70, 75, 80, 85, 90, 95, 2000, 2005, 2010, 2015, Washington D.C.

From the beginning, those institutions, regardless their international impress, were largely an American creation. The United States was able to shift their objectives from being economic to political, becoming one of the instruments of the American foreign policy. This dual purpose and use of them by the United States, caused the Soviet Union, China and their allies to refuse the affiliation with them, as they consider them an American instrument for imperialistic purposes. The Soviet Union and its allies formed the COMECON as an alternative to those institutions, to facilitate and coordinate the economic development of the Eastern European countries belonging to the Soviet bloc (Walter, 1991).

The United States Dominance of the WB and the IMF

As mentioned earlier, the new economic agencies were an American creation, as the United States proposed their basic design, led the efforts to get them off the ground, provided much of their top management and staff, and the capital subscription. The result was a strong enduring American imprint on all aspects of the WB and the IMF structures, general policies, and forms of lending. To illustrate these facts a number of points are worth mentioning.

The WB and IMF that emerged from the planning efforts of the United States were not created neutral. The U.S. views regarding how the World Economy should be organized, how resources should be allocated, and how investment decisions should be reached were enshrined and incarnated in the charters and operational policies of those institutions. This includes the decision that these financial agencies should not lend directly to private enterprises. Two other decisions reflected strong U.S. preference for close oversight of those agencies by national representatives; the choice of a permanent location for these agencies in the United States, and the definition of the role of the Executive Director and the Boards of Governors. These bodies make all major decisions for the WB (Gardner, 1980:16-20). Henry Morgenthau, the Treasury Secretary of the United States pointed out:

The aim of the efforts was to locate those institutions in the U.S. so as to move the financial center of the world from London and Wall Street to the United States Treasury and to create a new concept among nations in international finance. (Gardner, 1980:20).

The new financial institutions were to be instrumentalities of sovereign governments and not of private financial interest, with regard to the second decision about the role of the executive directors. Many countries sought to minimize the influence of the national governments on the directors but the U.S.'s view prevailed (Catherine, 1994:5-10). As the presidents of the Banks

African leader Nkrumah wrote that “Neo-Colonialism represents imperialism in the final and perhaps its most dangerous stage (Nkrumah, 1964:1).

Neo-colonialism is achieved by connecting the economics of the newly-independent countries to the economics of the imperialists, and it rests on financial institutions, especially the WB and the IMF that the West created. The loans and aid that the West offers to the LDCs was not for the purpose of assisting the LDCs with development, but to dominate and control them. Thus, the powerful states behave like colonial powers, and this behavior is linked to colonialism in a post-colonial world. In lieu of direct military-political control, western powers employ financial policies through the IMF and WB to dominate LDCs.

The Establishment of the New International Economic Order (NIEO)

The critical events in the twentieth century, like the World War I (1914-1918), the economic crises of the capitalistic system between 1929-1933, and the World War II (1939-1945), led to the attrition and weakening of the imperialists states, and forced them to violate the rules of the gold system of exchange, which was the prevailing international system to organize monetary issues.

The United States before the end of the war began to plan for the New International Economic Order (NIEO) and the economic recovery that would follow the peace (Samuels, 2009). The visible aim was to design an international economic order that would avoid a repetition of the trade and currency practices of the inter-war period. Instead, the NIEO would encourage economic stability, encourage rising levels of income through the growth of international trade and investment, and ensure stable monetary relations among the states. The NIEO had to be ensured under the aegis of the United States, which began to become involved in international policies after abandoning Monroe's Doctrine of Isolationism (Masson, 1973:13). The United States learned a lesson after not joining the League of Nations, as that step was among the major reasons of the failure of that international organization, and then the outbreak of World War II.

The United Nations, and its other agencies like the IMF and the WB, were the results of the United States' efforts in that field, but the UN was given an international impress. This is evident from the opening words of the charter of the United Nations, which states: "We the people of the United Nations determined to achieve international cooperation in solving international problems of an economic, social, cultural, or humanitarian character." (UN Charter). In order to achieve the previous purpose, the UN decided to establish the Economic and Social Council, which recommended the establishment of the WB and the IMF as special economic agencies to achieve the entire objectives of the Economic Council (UN Charter, articles 61-71).

The Significance of the Study

As shown up, several studies have examined the politics of the WB and the IMF but hardly any of them have provided any in –depth analysis. Moreover, most of the previous studies were primarily subject to the author’s ideological position. The significance of this study lies in the fact that more than seventy years after the WB and the IMF emerged as the dominant force in economic policy making in LDCs, LDCs poverty is deepening, human indicators are worsening. Unless the WB and the IMF reform their policies, and address the problems of increasing international inequality and poverty, global economic decline is certain to accelerate. The key is to reform and democratize the WB and the IMF. Until this reality becomes the key stone of the WB and the IMF policies real and just development will continue to elude us.

Historical Background

In the past, the imperial powers used their military power to achieve economic advantages overseas by ensuring political control of overseas territories. During the colonization period, which extended more than 400 years, the colonies suffered from a severe economic exploitation; which was the largest robbery in the history of humankind (Rodney, 1973:107-125). The imperial powers not only used the colonies as a source of cheap labor and cheap raw materials to feed the industrial countries, they also plundered large quantities of gold, silver, copper and many other valuable materials from Africa, Asia, and Latin America, and transferred them to Europe. They not only impoverished those continents, but also followed a policy of partitional destruction towards them. The legacy of the colonialism in Africa, Asia and Latin America is still alive, and responsible for so many trials and tribulations of the Southern states of Africa, Asia, and Latin America;(Kegly, 1993:120-123).

Later on, when the Southern states achieved their first historical victories by obtaining their political independence, after a long struggle and at very expensive cost, they put an end to the direct traditional colonization; but that was not the end of imperialism (Kegly, 1993:120-123).

As the need of the imperialists for the colonies did not end, it was necessary to create new methods and instruments that could achieve the old objectives of imperialism, and at the same time suit the new era of independence. In other words, a policy was needed that could maintain the control and dominance of the North over the South (Amin, 1976). The new policy that the imperialists created to conserve the relation of dominance was an economic instrument, which replaced the traditional instruments of direct colonization by political and military powers. This new policy is called neocolonialism. The well-known

Literature Review

A tremendous body of literature has been written on the WB and the IMF. The gigantic task of sifting through this vast and sophisticated amount of literature for relevant data is further sophisticated by the different arguments presented, and by the biases of the authors. However, to keep the review to a handy size, the researcher viewed some exigent literature that shed light on the subject.

Western scholars have realized the importance of the WB and the IMF in enhancing western interests. The result of such studies have proven very useful with regard to the policies, operations and impact of the WB and the IMF on the world economy. In the United States, the study of the WB and the IMF has drawn a lot of attention. Among the early studies are Mason (1973), Reid (1973), Victor(1981),these studies focus on the history, operations, policies and influence of the WB. The authors credited the WB and consider it efficient and vibrant organization, capable of growing and adopting to change. Other studies take interest in some different aspects of the WB and the IMF. Among these are Oliver (1971), Lesli (1987), Kapur et al.,(1997) which examines the capitalist ideology of the WB and the IMF. The WB and the IMF were activists free market advocates. Trade liberalization and the important of market forces became the WB and the IMF message. Also Giplin(1975), Cohen (1985), James (1994), and Hunter (2002), study the relationship between the US and the WB and the IMF. Those studies examine the t evolution of the US policy towards the WB and the IMF,and the impact of the US on those institution's policies and operations.

Other studies were written from a Marxist perspective; they discredit the WB and the IMF as tools of western imperialism. Among these studies are Frank (1966), Amin (1976), Wallerstein (1983). In this regard, Goldman's study (2005), is among the most recent studies in the area of criticism of the WB and the IMF. The argument against the WB and the IMF reaches to the level of describing both entities as misguided and even corrupt. The failure of the WB and the IMF to articulate and implement a convincing strategy to reduce world poverty had left them vulnerable to the charge that they are un useful. Writing with this perspective,Shah (2013), in his article "Structural Adjustment: a major cause of poverty, " declares that the WB and the IMF require poor countries to reduce spending on things like education, health and development, while debt repayment and other economic policies have been made the priority. In effect, the WB and the IMF demanded the poor nations to lower the standard of living of their people. Also, other studies looked into the failure of Foreign Aid to achieve development in LDCs. Among these studies are Sullivan (1996), Alesina and Dollar (2000), Easterly et al.,(2004),Rahman (2008), and Keo (2013).

Union. The US and other western countries were not concerned whether the WB and the IMF were propping up repressive regimes or traducing their purported poverty and development goals, since there were above all invaluable institutions for helping to win the Cold War. As the Cold War is over, those institutions did not reform their policies to become more responsive to the needs of LDCs. In sum, it is fair to say that US has dominated the WB and the IMF since their founding. Rarely, has either the WB or the IMF pursued policies at odds with US foreign policy goals.

Hypothesis

The hypothesis of this study is that despite all the rhetoric about development and the alleviation of poverty, the central function of the WB and the IMF has been to draw the world countries tightly into a capitalist world economy dominated by the western states.

Research Questions

This study quests to provide answers to the following questions:

- 1-What are the strategic objectives of the WB and the IMF?
- 2-What are the sources of US influence on the WB and the IMF? Are the WB and IMF simply tools of American foreign policy?
- 3-Had the WB and the IMF succeeded in helping the LDCs to alleviate poverty and achieve economic development? Do the WB and the IMF intend only to benefit the US and the powerful western states?
- 4-What is the impact of Structural Adjustment Programs on the living standards of the LDCs? What are the prospects for LDCs to achieve development under the guidance of the WB and the IMF?

Methodology

This is an historical and descriptive analytical study. The historical approach explores past trends in relationship to the subject of interest with the goal of providing systematic and comprehensive understanding of the present. The historical context brings out features that are crucial to an understanding of the present. Furthermore, the study uses a descriptive analytical approach, which helps to scrutinize and explore the obtained information, as through as possible with a view to providing material and guidance for subsequent research.

creators of those institutions want to keep the new independent nations poor and in chains (Muthee, 2013).

The opposite opinion, held by considerable numbers of Western scholars and advocates of free market economy that oppose the previous argument, believe that there is no correlation between the underdevelopment in the Third World countries and the practices and roles of the IMF and WB as financial institutions (Bauer & Yamcy, 1957). Thus, the subject matter of the role of the IMF and the WB is a matter of contention.

This article argues that the New International Economic Order and its institutions, among them the WB and the IMF, are responsible for the plight and poverty of the LDCs. Thus, Third World development is incompatible with the First World development and could only take place when the First World and its capitalistic system stop their oppression and exploitation for the LDCs through their institutions, and became more responsive to Third World needs.

However, the purpose of this article is to study the role of the WB and the IMF in serving the interests of the First World, since the establishment of these institutions as new instruments of the imperialistic powers so as to continue their exploitation and oppression in new methods. It is also to detail the role of those institutions during the Cold War era in implementing anticommunist purposes, as the anticommunist considerations played an important role in directing the policies for these institutions.

The United States had been the leader of the Western alliance, and the major power in these institutions, and the most anticommunist. This article will therefore focus on the influence of the U.S. on these institutions. The U.S. was a leading force in the establishment of those institutions in 1944, remains the largest shareholder in them today, and retains veto power over those institutions.

Statement of the Problem

In 1944, two international financial institutions were established, the International Monetary Fund (IMF), and the World Bank for Reconstruction and Development (WB). The IMF goal was to smooth world commerce by reducing foreign aid exchange restrictions. The WB was given the task of making post-war development and the reconstruction of Europe. The two financial institutions had shaped the world economy ever since. The unwritten goal of both institutions has been to integrate countries in the capitalist world economy. After more than seventy years of the creation of those institutions, it is very clear that they were the creatures of the Cold War, geopolitically, the most consistent rationale for development assistance had been checking the advance of communism or even that of non-communist regimes friendly to the Soviet

The World Bank and International Monetary Fund as Mechanisms of Western Domination: Historical and Contemporary Analysis

Mohamed Bani Salamah *

Received Date: 14/7/2016

Accepted Date: 16/8/2016

Abstract

The aim of this study is to identify the role of the WB and the IMF in serving the goals of Western states in general and the US in particular since the creation of those institutions at the end of WW II. The study used the historical approach and the descriptive analytical approach based on the premise that despite all the rhetoric about development and the alleviation of poverty, the central function of the WB and the IMF has been to draw all the world countries tightly into a capitalist world economy dominated by Western states. The study results revealed the success of the Western states led by the United States in using those institutions to serve the political goals of western states, the rationale for development assistance over decades has been checking the advance of communism. Both institutions were invaluable in winning the Cold War. Also, the study results revealed that over the past seventy years or so, the WB and the IMF have steadily gained power and influence, becoming the only institutions that decided which countries will receive international loans. This status gives the WB and IMF the power to enforce economic and political policies favored to the West. For many Third world countries, this goes back to colonial times.

Keywords: Development, World Bank, The International Monetary Fund, Cold War, Imperialism.

Introduction

Over the years there have been two conflicting opinions of the roles of the World Bank (WB) and the International Monetary Fund (IMF), as they are the major institutions of the New International Economic order. One, held by many scholars, statesmen, and leaders of the less developed countries (LDCs) and especially the pioneers of dependency theory, argues that LDCs are impoverished and rich countries enriched by the way LDCs are integrated into the world system; the IMF and the WB are the instruments of imperialism, as the

- Sha'pan, A. (2002). *Islam and international terrorism*. Dar Alhekmah. <http://www.neelwafurat.com/itempage.aspx?id=lbb103654-63806&search=books>
- Shiap, L. (2002, September 12).[The influence of 9/11 on the Arab street].*Aljazerranet*. Retrieved from: <http://www.aljazeera.net/channel/archive/archive?ArchiveId=91016>
- Spiro, K., Michael, M., Cristina, P., Arlana, S., Trenton, S. (2006). First- and second-level agenda building and agenda setting: Terrorism, the president, and the media. *Conference Papers -- International Communication Association*, 1-30.
- Walzer, M.(2002). *Arguing about war*. Yale University Press. http://books.google.jo/books?id=L2w_rGP_ImsC&printsec=frontcover&dq=ARGUIG+ABO
- Yusuf, K., & Wayne, W.(2006).Terrorism in Africa: A study of first- and second-level agenda setting. *Conference Papers -- International Communication Association*,1-26.

- McCormack, S. (2001). [Terrorism]. *Terrorism Conference Course*. Retrieved from: <http://www.hvk.org/articles/0501/main.html>
- McKinley, E., & Thomas, S. (2003). Myth and hegemony in post-Sept. 11 news coverage. *Conference Papers -- International Communication Association*, 21-22.
- Merazy, H. (2005, January 10). [The Arabic reaction after 9/11 crisis]. *Aljazeera.net* Retrieved from: <http://www.aljazeera.net/NR/exeres/D7EA7C13-2BC4-40A8-86F2-820926B84D33.htm>
- Nancy, S. (2007). Media, terrorism, and the politics of fear. *Media Development*, 54(3), 17-22.
- Phillip, T. (2001). Journalists confront sporadic restrictions in aftermath of Sept. 11 terrorist attacks. *News Media & the Law*, 25 (4), p11.
- Pia Mifsud, J. B. (2007). Recent European Union developments on data protection... In the name of Islam or 'combating terrorism'. *Information & Communications Technology Law*, 16 (2), p161-175.
- Rasha, A. A. (2007). Islam, Jihad, and terrorism in post-9/11 Arabic discussion boards. *Journal of Computer-Mediated Communication*, 12 (3), p1063-1081.
- Rinella, C. (2002). "Islamophobia" and the media in Italy. *Feminist Media Studies*, 2(1), p133.
- Richard, W. W., Donald, L. S., Jane, B., Nancy, A., & Eileen, G. (1984). split vision: portrayal of Arabs in the American media. *Journalism Quarterly*, 61(3), P704-705.
- Riley, K., & Hoffman, B. (1964). *Domestic terrorism: A national assessment of state and local preparedness*. Rand: Santa Monica.
- Robert, E. (2007). Deconstructing 'the other'—and ourselves. *Nieman Reports*, 61(2), 26-28.
- Said, E. W. (1994). *Orientalism*. Random House: New York.
- Shahira, S., Cho, S., Wayne, W., & Song, Y. (2006). Visual agenda-setting after 9/11: Individuals' emotions, image recall, and concern with terrorism. *Visual*, 13, 4-15.
- Shalapi, J. (2004, October 3). [Arabs and Americans after 11/9]. *Aljazeera.net*. Retrieved from <http://www.aljazeera.net/NR/exeres/D7EA7C13-2BC4-40A8-86F2-820926B84D33.htm>

References

- Alsoah, F. (2002). *First adventure of mind*. Dsar Alla Deen: Syria.
- Arkoon, M. (1995). *Islamic thought: Critique*. Dar Alsaqi: Beirut.
- Armstrong, K. (2005, July 11). *The label of Catholic terror was never used about the IRA*. <http://www.guardian.co.uk/attackonlondon/comment/story/0,16141,1525894,00.html>.
- Chaliand, G., & Blin, A.(2007). *The History of terrorism - from antiquity to al Qaeda*. University of California Press: Berkley.
- Crenshaw, M. (2007). *Terrorism in context* (3rd ed). Pennsylvania State University Press.
- Deepa, K. (2008). Framing Islam: Media Constructions of the Middle East Post-9/11. *Conference Papers - International Communication Association*, 1-15.
- Douglas, K. (2007). Media spectacle, fear, and terrorism. *Media Development*, 54(3), 11-14.
- Friedman, T.(2007). *The world is flat: a brief history of the twenty-first century*. Farrar Straus Giroux.
- George, J. (September 01, 2006). [*Terrorism and religion*]. *AuthorsDen*. Retrieved from: <http://www.authorsden.com/visit/viewArticle.asp?id=23987>
- Goffman, E. (1974). *Frame analysis: An essay on the organization of experience*. New York: Harper & Row.
- Haja, M. & Shmimah, M. (2008). The Language of Islamophobia in Internet articles. *Intellectual Discourse*, 16 (1), 73-87.
- Hoffman, B. (1999). *Inside terrorism*, Columbia University Press, USA, p. 90.
- Jaap, V. (2007). 9/11 As a trigger for long-term shifts in world public opinion. *International Communication Gazette*, 69 (4), 323-333.
- Jonathan, V.(2008). What we talk about when we talk about disasters. *Social Research*, 75 (3), 655-658.
- Marouf, H, J. (2000). The siege and cinematic representations of "Arab" terrorism. *World Communication*, (29) 4, p36
- McCombs, M. (2004.). *Setting the Agenda: The mass media and public opinion*. Cambridge, UK: Polity Press.
- McCombs, M. E. & Shaw, D. L.(1972). The agenda-setting function of mass media. *Public Opinion Quarterly*, 36, 176-87.

صورة الإسلام في وسائل الإعلام الأمريكية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001: دراسة مسحية على طلبة الجامعات الأمريكية

بكر حسن الكرايمة، جامعة طولون، فرنسا.

محمد خليل محروم ، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

ملخص

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف إلى آراء طلبة الجامعات الأمريكية واتجاهاتهم حول صورة الإسلام في وسائل الإعلام الأمريكية المختلفة (المرئية والمسموعة و المطبوعة والإلكترونية)، واستخدم الباحث المنهج المسحي في تنفيذ هذه الدراسة بواسطة الاستبانة الإلكترونية، وتكون مجتمع الدراسة من الطلبة الأمريكيين والدوليين في جامعة أركنساس الحكومية، وطبقت الدراسة على عينة قوامها (100) مفردة. وتضمنت الاستبانة خمسة محاور (أسئلة) اشتملت على (61) متغيراً في الجوانب الديموغرافية والجنس والدين والتعليم والدين.

وبينت نتائج الدراسة أن غالبية اتجاهات أفراد عينة الدراسة وتصوراتهم تشير إلى أن وسائل الإعلام الأمريكية، بمختلف أشكالها، قد أنتجت مصطلح الإرهاب، وتصور الدين الإسلامي كدين إرهابي، وأن الشعوب الإسلامية هي جماعات إرهابية متطرفة.

كما أشارت نتائج الدراسة إلى أن أفراد عينة الدراسة من الطلبة الدوليين يعتقدون أن وسائل الإعلام الأمريكية في تغطيتها الإعلامية ربطت أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 بالدين الإسلامي والمسلمين، مما أسهم في تعزيز الصورة السلبية والمتطرفة للإسلام والمسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية، و عززت الصراع الفكري والعنف في العالم.

الكلمات المفتاحية: الصورة - الإسلام - وسائل الإعلام الأمريكية - الإرهاب.

9/11 opened the way for increasing the violence in the world; it was the reason of the America's wars against terrorism and because of the continuous emphasis on the attacks by the U.S media.

The international students believe more than American students that Islam is shown in the U.S. media whenever there are explosions in the world; 9/11 attack was the worst because it was associated with religion, and because it paved the way for increasing violence in the world. They believe also more than American students that the U.S. media blame Islam as a religion for 9/11; and as a result, coverage of Islam by U.S. media is an unfair coverage, and the negative image of Islam in the U.S. media has increased violence in the world.

The findings support the hypothesis that viewed that participants believe the U.S. media portray a negative image of Islam. Islam has been portrayed as a terrorist in the U.S. media, and Islam was shown in the U.S. media whenever there are explosions in the world. The findings also support the hypothesis that stated that participants believe the U.S. media portray Muslims as terrorists. A significant number of students believed that the U.S. media portray Muslims as terrorist groups.

However, although a convenient sample has several advantages such as ease of availability, saving time and money, it also has several disadvantages: there is a possibility of biases because the sample represents views of a specific group; there is a possibility of a sampling error, because of the way the sample was selected; and finally, there are limitations of generalizing the results because of the two previous disadvantages although the findings of this study can identify trends for other researches. On the other hand, regardless of sample's disadvantages, this sample was convenient regarding to the number of students and nationality but the participants were randomly selected. Nationality (American and international students) was very important in this study because of the nature of the study, which one of its goals is to make a comparison between American and international students to understand how both groups of participants interpret media and what factors could affect their precisions when they expose to them.

Hypothesis two was: “people believe the U.S. media portray Islamic people as terrorists”. Participants believed that: The U.S. media portray Islamic people as terroristic groups” ($\chi^2=67,909$ $df=3$, $p=.001$).

Conclusion and Limitations

The purpose of this study was to survey university students to identify their perspectives of the image of Islam in the U.S. media after 9/11 attack. Five research questions and two hypotheses were posed for the study that focused on student perspectives and attitudes toward the image of Islam in the U.S. media.

Students believe the U.S. media have produced the term of terrorism; the U.S. media portrayed Islam as a terrorist religion, and they portrayed Islamic people as terrorist groups.

Although most of the organizations that have been mentioned as terrorist organizations, classified by U.S. Department of State American, and although the U.S. media have opened the door widely to talk about these organizations, the students did not identify those organizations except Al-Qa'ida. There was a unique number that included al-Qa'ida as a terrorist group. Other organizations, in contrast, had a distinguished number of disagreements that they are terrorist groups. This shows that the effect of the U.S. media was dependent on the size of event. It is known that Al-Qa'ida has attacked the United States itself, and the U.S. media have adopted a policy to face this group; they have also recruited the international media against this group for many years while other organizations were not the same volume of coverage like the scale of al-Qaeda's coverage. However, among all religions, Islam was the only representative of terrorism in the U.S. media in this study. This result is significantly associated with al-Qa'id, where there is a broad consensus that al-Qa'ida is a terrorist organization as it has been appeared in the U.S. media, and there is also a broad consensus that Islam has been portrayed as a terrorist among all religions that this study has included. The reason of this broad consensus among respondents could be because al-Qa'ida has announced itself as an Islamic organization, and linked itself to the Islamic perspective. Therefore, when the U.S. media present al-Qa'ida, they present it as a representative image of Islam.

Research question four was: what are participants' attitudes toward media coverage of Islam? A significant number of students believed that Islam is shown in the U.S. media whenever there are explosions in the world, and thus, coverage of Islam by U.S. media is an unfair coverage according to the majority of students. However, majority of student did not believe the image of Islam in the U.S. media has not changed since 9/11, and they did not believe also, as a majority, that focusing on the negative image of Islam in the U.S. media has increased violence in the world; but they believe, as in previous paragraph, that

Table 2: Level of difference between respondents if 9/11 is the worst terrorist attack in the history by Mean, t, Sig.

Statements	Mean	T	Sig
The U.S. media portrayed 9/11 attack as the worst in history.	American 2.0600	1.644	.103
	International 1.8200		
The U.S. media blame Islam as a religion for 9/11.	American 2.6000	2.022	.46
	International 2.2857		
9/11 attacks opened the way for increasing the violence in the world.	American 2.5200	2.946	.004
	International 2.0851		
9/11 attacks were the worst because it is associated with religion.	American 2.7200	2.909	.005
	International 2.2766		
9/11 was the worst because it was the reason of the America's wars against terrorism.	American 2.5000	1.275	.205
	International 2.3125		
9/11 attacks were the worst because of the continuous emphasis on the attacks by the U.S media.	American 2.4200	1.305	.195
	International 2.2449		

Research question four that asked: What are participants' attitudes toward the U.S. media coverage of Islam? (Table3) shows the level of differences between American and international students of media converge of Islam.

Table 3: Differences between respondents' attitudes of media converge of Islam by Mean, F, Sig.

Statements	Mean	T	Sig
Islam is shown in the U.S. media whenever there are explosions in the world.	American 2.6200	3.476	.001
	International 2.1458		
The U.S media avoid talking about any positives in the Islamic religion.	American 2.5400	1.732	.087
	International 2.2917		
The image of Islam in the U.S. media has not changed since 9/11 attack.	American 2.6600	1.977	.051
	International 2.3673		
Focus on the negative image of Islam in the U.S. media has increased violence in the world.	American 2.7800	3.278	.001
	International 2.2857		
The U.S. media cover Islam only when there is violence in the world.	American 2.5800	1.661	.100
	International 2.3469		
Coverage of Islam by U.S. media is an unfair coverage.	American 2.4600	3.253	.002
	International 1.9783		

Hypothesis one was: people believe that the U.S. media portray a negative image of Islam. Respondents believed that Islam have been portrayed as a terrorist in U.S. media. A significant number of respondents agreed that "Islam is shown in the U.S. media whenever there are explosions in the world.

Times more than American students ($M=1.8200$) as a significant resource ($t=-2.900$, $df=98$, $p=.005$). International students ($M=1.8600$) used the Wall Street journal more often than American students ($M=1.9800$) ($t=-2.245$, $df=98$, $p=.027$). In addition, international students ($M=1.4600$) paid more attention than American students ($M=1.6800$) to CNN.com to gather their information ($t=-2.256$, $df=98$, $p=.26$).

In contrast, American students ($m=1.6800$) tended to use CBS-TV more than international students ($m=1.8800$) to gather information ($t=-2.463$, $df=98$, $p=.016$). American students ($m=1.3800$) also used ABC-TV more than international students ($m=1.8400$) ($t=-5.294$, $df=98$, $p=.001$). And, American students ($m=1.6800$) more than international students ($m=1.9000$) used ABC.com ($t=-2.777$, $df=98$, $p=.007$).

Research question one asked: What image of Islam do participants believe the U.S. media portray? There were no significant differences between both American and international students that "The U.S. media have produced the term of terrorism;" The U.S. media portrayed Islam as a terrorist religion; and "The U.S. media portray Islamic people as terrorist groups".

Research question two asked: Do participants believe other groups affiliated with different religions are portrayed as terrorist in U.S. media? In this case, "the lowest mean equals the more often the group was portrayed as terrorist in the U.S media". International student ($M=1.8400$) believed more than American students ($M=1.9800$) that the U.S. media have portrayed Kurdistan Workers' Party (PKK) as a terrorist group ($t=497$, $df=98$, $p=.014$). However, there were no significant differences between both American and international students about other groups.

In addition, both respondents were asked to identify all religions that they believe are portrayed as terrorists in the U.S. media. In this case, "the lowest mean equals the more often the religion was portrayed as terrorist in the U.S media". American students ($m=1.6000$) believed more than international students ($m=1.9000$) that the U.S media portrayed Buddhism as a terrorist religion ($t=-3.656$, $df=98$, $p=.001$). However, there were no significant differences between both American and international students about other religions.

Question three that asked: Do participants believe 9/11 attack is the worst terrorist attack in history? (Table 2) shows the level of differences between American and international student with the following statements.

majority of respondents disagreed that “The U.S. media avoid talking about any positives in the Islamic religion” ($\chi^2=54.408$, $df=3$, $p=.001$) and that “The image of Islam in the U.S. media has not changed since 9/11 attack” ($\chi^2=51.182$, $df=3$, $p=.001$). Furthermore, participants disagreed that “focus on negative image of Islam in the U.S. media has increased violence in the world” ($\chi^2=41.081$, $df=3$, $p=.001$) and that “the U.S. media cover Islam only when there is violence in the world” ($\chi^2=57.646$, $df=3$, $p=.001$). However, a significant number of respondents believed that “Coverage of Islam by U.S. media is an unfair coverage” ($\chi^2=40.750$, $df=3$, $p=.001$). Research question five asked: What is the relationship between country of origin and participants’ perceptions of U.S. media portrayal of Islam? This question was posted to measure difference between international and American students about their perspectives of the image of Islam in the U.S. media after 9/11 by using independent t- test. The test of significance is set at $p < .05$.”

Between both American and international respondents, American respondents ($m=1.2600$) were more likely to be males ($t=2.316$, $df=89$, $p=.023$) than international students (1.4800). Among respondents, American students were more likely to be sophomores (38%) while the majority of international students (58%) were working on their graduate degrees ($\chi^2=19.08$, $df=4$, $p=.001$). Americans (88%) were more likely to be Christian while (30%) of the international students claimed no religion ($\chi^2=61.97$, $df=5$, $p=.001$). Among international students, Islam accounted for (28%) of the international students religion, (16%) were Christian, (12%) were Hinduism and the remnant was Atheist and Buddhism. Respondents both American and international students were asked to identify from a list of five variables" TV, radio, newspaper, magazine and internet" the amount of time they spend with those media each day. In this case, the higher the mean the more time spent with the medium. Significant differences in the amount of time were between respondents in spending time with TV, radio and Internet. American students ($m=1.6250$) spend more time than international students ($M=1.2250$) with TV ($t=2.802$, $df=86$, $p=.006$). American students ($m=1.4681$) also spend more time than international students ($M=1.0811$) with radio ($t=2.799$, $df=82$, $p=.006$). In contrast, international students ($M=2.6327$) spend more time than American students ($M=2.0408$) with Internet ($t=-2.880$, $df=96$, $p=.005$). However, there were no significant differences in the amount of time the American and international students spend with newspaper and magazine.

In addition, respondents both American and international students were asked to identify from a list of different media what media they use to gather information. In this case, the lowest mean equals the more often the media source was used. International students ($M=1.5600$) tended to use the New York

(PKK); (94%) National Liberation Army (ELN); (88%) Palestinian Islamic Jihad (PIJ); (92%) Palestine Liberation Front (PLF); (89%) Real IRA; and (89%) Revolutionary armed forces of Colombia (FARC). In addition, respondents were asked to identify all religions that they believe are portrayed as terrorists in the U.S. media. Those religions are “Christian, Islam, Hinduism, Buddhism, Atheism, Judaism and no religion”. A significant number of respondents believed that Islam has been portrayed as a terrorist in U.S. media” ($\chi^2=48$ $df=2$, $p=.001$). Research question three asked: Do participants believe the 9/11 attack is the worst terrorist attack in history? Six Likert statements were developed to answer this question. (Table 1) shows the level of agreement and disagreement with the statements.

Table 1: Respondents’ perceptions of 9/11 by Frequency, Percentage and Chi-Square

Statements	Strongly Agreement	Agreement	Disagreement	Strongly disagreement	Chi-square
The U.S. media portrayed 9/11 attack as the worst in history	28/28.0%	52/52.0%	18/18.0%	2/2.0%	54.091 df= 3 001
The U.S. media blame Islam as a religion for 9/11	12/12.1%	37/37.4%	44/44.4%	6/6.1%	41.808 df=3 001
9/11 attacks opened the way for increasing the violence in the world	12/12.4%	48/49.5%	32/33%	5/5.2%	47.206 df=3 001
9/11 attacks were the worst because it is associated with religion.	11/11.3%	32/33%	48/49.5%	6/6.2%	46.711 df=15 001
9/11 attacks were the worst because it was the reason of the America's wars against terrorism.	9/9.2%	45/45.9%	39/39.8%	5/5.1%	51.061 df=3 001
9/11 attacks were the worst because of the continued emphasis on the attacks by the U.S media.	8/8.1%	53/53.5%	35/35.4%	3/3.0%	66.939 df=3 001

N=100 $p \leq .05$

Note: not all frequencies will equal n=100 due to lack of response on some questions or statement.

Research question four asked: What are participants’ attitudes toward media coverage of Islam? Six Likert statements were used to measure this question. A significant number of respondents agreed “Islam is shown in the U.S. media whenever there are explosions in the world” ($\chi^2=54.408$, $df=3$, $p=.001$). The

world”; “The U.S media avoid talking about any positives in the Islamic religion”; “The image of Islam in the U.S. media has not changed since 9/11 attack”; “Focus on the negative image of Islam in the U.S. media has increased violence in the world”; “The U.S. media cover Islam only when there is violence in the world”; and “Coverage of Islam by U.S. media is an unfair coverage”. Research question five asked: What is the relationship between country of origin and participants’ perceptions of U.S. media portrayal of Islam? Respondents’ answers will be compared relying on all variables that included in previous four research questions by using independent t-test. Data analysis will be measured using frequencies, percentages, chi-square and independent t- test. The test of significance is set at $p < .05$.”

Findings

One hundred surveys were completed in an introduction to culture anthropology class and university's union at a mid-south university. Among the respondents, there was a significant number of female ($\chi^2=56.420$ $df=3$, $p=.001$). The main age was 20-22 years (30%) among different age “18 – 19, 23 – 25, 26 - 30 and 31 - or older”. Graduate students were the major education 39 (39%) among different education “freshman, sophomore, junior and senior”. Among different religions “Christian, Islam, Hinduism, Buddhism, atheism and no religion”, significant numbers of respondents were Christian ($\chi^2=99.800$ $df=5$, $p=.001$). However, the total amount of time that the majority of students spend with media was the Internet (98%), which included CNN.com as a significant informational resource among different Internet sites; and TV (88%), which included “CNN- TV” and “ABC-TV” as a significant informational resource among different TVs, networks.

Research question one asked: What image of Islam do participants believe the U.S. media portray? Three Likert statements were used to measure degree of agreement with three statements. A significant number of respondents agreed that “The U.S. media have produced the term of terrorism” $\chi^2=51.182$, $df=3$, $p=.001$). Students also agreed that “The U.S. media portrayed Islam as a terroristic religion” ($\chi^2=54,091$ $df=3$, $p=.001$) and that “The U.S. media portray Islamic people as terroristic groups” ($\chi^2=67,909$ $df=3$, $p=.001$). Research question two asked: Do participants believe other groups affiliated with different religions are portrayed as terrorist in U.S. media? Respondents initially were asked to identify all organizations that they believe they are terrorists. More than seventy percent of respondents thought that “al-Qa'ida” is the terrorist organization” ($\chi^2=19.360$ $df=1$, $p=.001$). On contrast, respondents overwhelmingly disagreed to include remain organizations as terrorist groups. Those disagreement ratios were: (83%) HAMAS (Islamic Resistance Movement); (92%) FATAH (Palestinian group); (87%) Hizballah (party of God); (96%) Islamic Movement of Uzbekistan (IMU); (88%) al-Jihad (Egyptian Islamic Jihad); (91%) Kurdistan Workers' Party

questionnaire was administered for the USA and international students in an introduction to culture anthropology class, and at the university's union.

The questionnaire contained 61 variables. Demographic data are related to gender, age, education and religion. Respondents were asked also to identify from a list of five variables "TV, radio, newspaper, magazine and internet" the amount of time they spend with those media each day. In addition, they were asked to identify from a list of different media what media they use to gather information. Those media were divided to TV "NBC, CBS, ABC, FOX and CNN"; radio "NPR"; newspaper "Washington Post, New York Times, Wall Street Journal, Democrat Gazette and Jonesboro Sun"; magazine "Magazine Time, Newsweek and Atlantic monthly"; website "NBC.com, CBS.com, ABC.com, FOX.com and CNN.com". To answer research question one: What image of Islam do participants believe the U.S. Media portray? Respondents were asked to address three likert statements from strongly agree to strongly disagree. Those statements are: "The U.S. media have produced the term of terrorism"; "The U.S. media portrayed Islam as a terroristic religion"; and "The U.S. media portray Islamic people as terroristic groups". Research question two asked: Do participants believe other groups affiliated with different religions are portrayed as terrorists in U.S. media? Respondents were asked to identify all organizations that they believe are terrorists. Those organization are "HAMAS (Islamic Resistance Movement), FATAH (Palestinian group), Hizballah (party of god), Islamic Movement of Uzbekistan (IMU), Al-Jihad (Egyptian Islamic Jihad), Kurdistan Workers' Party (PKK), National Liberation Army (ELN), Palestinian Islamic Jihad (PIJ), Palestine Liberation Front (PLF), al-Qa'ida, Real IRA, and Revolutionary armed forces of Colombia (FARC). **These organizations classified as terrorist groups by the U.S. government.**

In addition to those variables, respondents were asked to identify all religions that they believe are portrayed as terrorists in the U.S. media. Those religions are "Christian, Islam, Hinduism, Buddhism, Atheism, Judaism and no religion". Research question three asked: Do participants believe 9/11 attack is the worst terroristic attack in history? Six Likert statements, from strongly agree to strongly disagree, were developed to answer this question: "The U.S media portrayed 9/11 attack as the worst in history"; "The U.S. media blame Islam as a religion for 9/11"; "9/11 attacks opened the way for increasing the violence in the world"; "9/11 attacks were the worst because it is associated with religion"; "9/11 attacks were the worst because it was the reason of the America's wars against terrorism"; and "9/11 attacks were the worst because of the continuous emphasis on the attacks by the U.S media". Research question four asked: What are participants' attitudes toward the U.S. media coverage of Islam? Six Likert statements, from strongly agree to strongly disagree, were used to measure this question: "Islam is shown in the U.S. media whenever there are explosions in the

journalists to enter the crash site (Phillip, 2001; Jonathan, 2008). On the other hand, the term “terrorism” has gained a special meaning after 9/11; it was difficult to avoid some of the innuendo that referred to Islamic fundamentalism or Islamic ideology; it was difficult, on the other hand, to find documents that could link Islam to terrorism directly (Pia Mifsud, 2007). In parallel, the reactions of leaders of the U. S. and the European Union (U.E.) led the Muslims population to sympathize with the terrorists and their actions (Jaap, 2007).

In addition, Western journalists and documentary filmmakers did not go beyond the usual narrative and stereotypical image of Muslims (Robart, 2007). Many television documentaries broadcasted exclusively by the United States after 9/11 were to enhance the understanding of George W Bush administration and the neo-conservative of the nature of war on terrorism (Robart, 2007). These documentary films showed a complete ignorance of Islam, and they were filled with prejudices (Robart, 2007). Similarly, the *siege* movie, fore example, showed Western conceptions of the Arab community in general, and Islam in particular. This movie showed a vague or superficial understanding of the Arab world, where the Arab world was always portrayed as a representative of terrorism, ignorance and backwardness (Marouf, 2000). These concepts have not appeared just in this movie, but in most movies that depicted Arab or Islamic world (Marouf, 2000).

All these negative pictures have made a fear of Islam and Muslims. These pictures appeared in different forms such as language, culture, and politics. There are many terms and expressions have been made to pursue the prejudice against Muslims (Haja, 2008). These expressions or linguistic frames, for example, are: Islamic terrorism, Islamic Intolerance, Islamophobia and Islamic extremists (Haja, 2008).

As a result of the above, the U.S. media have linked between religion and terroristic attacks, and there was an insistence of the U.S. administration and the U.S. media to link Islam to the attacks. In contrast, media used agenda setting and framing theories to lead public opinion, and direct their concerns towards what the U.S. administration wanted. In addition, Islamic religion seemed to be a complicated issue, where the Islamic religion appears, in one way or another; it is consistently correlated with threat.

Methodology

The purpose of this study was to survey university students to identify their perspectives of the image of Islam in the U.S. media after 9/11. Five research questions were posed for this study and focused on students’ perspectives and attitudes toward the image of Islam in the U.S. media after 9/11 attacks. The population of study was a convenient sample at a mid-south university. A

However, there are two levels of agenda setting. In the first level, the media bring the people's attention and control their choice by telling them what they should think about. In the second-level of agenda setting, the characteristics of objects or issues become the central attention of the media; the media suggest how the people should think about the issue (McCombs, 2004).

Framing theory is a part of agenda setting theory that focuses on a specific aspect of an issue/event, while excluding others. The concept of this theory is mainly related to the work of Erving Goffman (1974).

Deepa (2008) drew attention to the literatures in oriental studies to analyze old and new ways, showing five frames that were used to represent Muslims, Arabs and the Middle East post 9 / 11 attack. These frames are: "Islam is a monolithic religion; Islam is a uniquely sexist religion, Muslim mind is incapable of science, rational thinking and reason, Islam is an inherently violent religion, and West spreads Democracy, while Islam spawns Terrorism" (p.3). Media and writers have used certain frames back to the oriental studies to influence negatively public opinion in order to achieve the interests in the Middle East (Deepa, 2008).

Based on the previous, framing Muslims and Arabs has been carried out in two forms: the image that supports the heroic image of the U.S. through portraying 9/11 as Hollywood stories represented by American superheroes (McKinley & Thomas, 2003); The second image supports a distorted face of Islam by relying on the oriental studies that described the East as a fictional novel, which consists of people and events outside of real life (Said, 1994).

Image of Islam in U.S. Media

The U.S. media cooperated with the George W Bush administration after 9/11 (Douglas, 2007). They made two different worlds: the world of freedom and democracy represented by the U.S. and the world of barbarism and terrorism represented by Arabs and Muslims (Douglas, 2007). The U.S. media therefore exploited, cooperated with George W Bush administration, the fear of the violence, killing and exaggerations from foreign enemies (Douglas, 2007; Nancy, 2007). Agenda setting and framing theories may explain the mechanism of media action in creating those worlds and polices, and by ordering the events in a particular way and focusing on a specific image to be sent to the public. Consequently, the American media has supported, as a result of intensive terrorism coverage, the war on Iraq and Afghanistan through shaping the public opinion, and international community against terrorism (Nancy, 2007).

In contrast, the governmental officials, in particular, tended to describe the threat of terrorism in worse and weighty terms more than non-governmental officials (Jonathan, 2008). However, the U.S. government adopted the publishing of information and the coverage of events through preventing

In modern times, according to Walzer (2002) terrorism is “the deliberate killing of innocent people, at random, in order to spread fear through a whole population and force the hand of its political readers”(p. 130). Each religion, however, throughout history had extremists; religious books are used to lure followers to kill others (George, 2006). The perpetrators in religious terrorism have to use religious scriptures to justify and explain their violence, or to gain recruits (Hoffman, 1999; Armstrong, 2005). Nevertheless, the term was not effective before 9/11. Islam, when linked to terrorism, has become more complex and ambiguous than ever, especially within the bilateral confrontation between the West and Islam (Sha'pan, 2002).

Terrorism has become a major theme on the U.S. agenda since 9/11 because of the complex mixture of sequence events; there was a political agenda built on the event; the media played a major role to execute this political agenda, especially the war on terrorism, which began and did not end (Spiro, Michael, Cristina, Arlana & Trenton, 2006). The political speech and especially George W. Bush's speech influenced the media agenda, and directed them towards the war on terrorism (Yusuf& Wayne, 2006). In addition, there is a key role of policy in guiding the media, particularly in the times of crisis; coverage of events after 9/11 was restricted by government procedures (Pia Mifsud, 2007).

However, negative images of Arabs and Muslims, as a special agenda, were used by the U.S. media to achieve certain goals. These images were not produced directly, but re-produced by using Oriental studies of Arabic and Islamic world to serve a particular case (Marouf, 2000). Two theories explain how the U.S. media covered Islam after 9/11. These theories are agenda sitting theory and framing theory. According to the agenda setting theory, propounded by Maxwell McCombs and Donald Shaw in the 1970, mass media set the agenda for public opinion by highlighting certain issues. Shaw and MaCombs (1972) stated that “the mass media may not be successful in telling us what to think, but they are stunningly successful in telling us what to think about.” (p. 5)

Shahira, Cho, Wayne & Song (2006) surveyed the influence of visual agenda setting on the emotions of individuals and restoring images. They found that the images after 9/11 re-confirmed terrorism, such as the images of dead people in 9/11, but displaying images from the Arab streets, such as images of celebrations in Palestinian streets, in the same time of 9/11 attack, increased concerns more than the death's images of 9/11 attack. Consequently, when the media arrange displaying visual events in contradictory levels, it would result more fears of terrorism. On the other hand, Spiro et al. (2006) found that the presidential speeches influenced the media agendas and directed them to face the issue of terrorism around the world. Therefore, after 9/11, there was cooperation between the media and political agendas against terrorism (Spiro et al., 2006).

(Friedman, 2005). Friedman (2005) found that 9/11 has launched a third world war where the terrorism was a factor, but it is essentially a comprehensive religious ideology war, and to confront this war, it needs an alternative ideology based on pluralism, tolerance and dialogue. Moreover, 9/11 attacks had a major impact on shaping or reshaping the image of Arabs and Muslims in the West. Thus, this image has already passed a stage of distortion that existed even before 11/9 to a stage of removing all Arabs and Muslims (Merazy, 2005).

In contrast, media were a main factor to distort the image of Islam. A study was conducted in October 2001 with the participation of twenty students from the Fulbright program with a similar number of students at the University of Maryland, a number of American students stated in this study that the first impressions of Arabs and Muslims have been created by the U.S. media and Hollywood's movies. Similarly, Arab students stated that their impressions of the Americans were also from the same media (Merazy, 2005).

Hatred of Muslim community and Muslims in general in the West has become a phenomenon in all European countries. In France, for example, mosque and headscarf became an image of terrorism; in England, The daily Times in June 2004 mentioned that the British Muslims felt that they were not part of the country, and they were unacceptable, the British people looked at them as ticking bombs. Likewise, In the USA, aggression has increased on Muslims and Sikhs because they used to wear clothes like a dress of Indian Muslims (Shiap, 2002).

However, media had an important role in creating certain images of Islam and Muslims (Shiap, 2002). Depending on media and political procedures, societies and individuals built their terroristic images of Islam as an absolute truth (Shalapi, 2004). Consequently, the U.S. media were able to provide over the previous years this negative image of Islam, and were able also to create effectively a new era marked with terrorism (Shalapi, 2004; Shiap, 2002).

Literature review

In history, terror has a root in Latin language which means to frighten or to make terrible (Chaliand & Blin, 2007). The term "terrorism" is flexible and ambiguous; it is a social construction related to time and place, and it is not a neutral descriptive term but a controversial concept (Crenshaw, 2007). The common definitions refer to the horrible acts that can create fear in the societies for ideological goal and it also consists of acts of unlawful terror and war (Riley& Hoffman, 1964). Furthermore, terrorism is a subjective expression in nature; it might give a positive meaning for some groups (McCormack, 2001). However, there is a limited scale in which terrorism could be defined, several studies failed to recognize the application of terrorism before the French revolution (McCormack, 2001).

and media (Richard, Donald, Jane, Nancy & Eileen, 1984). The mythical images could control as we deal with these images every day without questioning the sources (Alsoah, 2002). The snake symbol, for example, that we see on the facades of pharmacies is a Sumerian symbol which goes back four thousand years BC, where the Sumerians used it to indicate that the snake is a master of healing. Hitler, as another example, used the swastika that anciently was used by several human civilizations such as Pharaonic Egypt to indicate to the eternality and happiness of life, and it was an effective sacred symbol among ancient people, then Hitler in the twentieth century revived this symbol again, but with a new concept (Alsoah, 2002). After September 11, U.S. President George W Bush used terrorism and crusade terms while the media repeated them over and over again. The crusade term was used in the Middle Ages to indicate the holy war towards Palestinian territories. After 9/11 Western people have seen Islam as a frightening and terrible religion (Rinella, 2002). The purpose of the study is to survey university students to determine their perspectives of the image of Islam in the U.S. media after 9/11. The study has two hypotheses and four research questions:

H1: Participants believe that the U.S. media portray a negative image of Islam.

H2: Participants believe the U.S. media portray Islamic people as terrorists.

Research questions:

RQ1: What image of Islam do participants believe the U.S. Media portray?

RQ2: Do participants believe other groups affiliated with different religions are portrayed as terrorists in the U.S. media?

RQ3: Do participants believe the 9/11 attack is the worst terrorist attack in history?

RQ4: What are participants' attitudes toward the U.S. media coverage of Islam?

RQ5: What is the relationship between the country of origin and participants' perceptions of U.S. media portrayal of Islam?

Justification

The term "terrorism" can be dated back to the oriental studies in the middle ages. These studies were more descriptive than analytical; they produced some general concepts of Islam and submitted to the West such as Islam was spread by the sword, fear and intimidation (Arkoon, 1995). On the other side, Orientalism did not renew its methods but kept the old ones. The goal of Orientalism is simple: the Middle East is still the Middle East, and the West is the West. Instead of seeking to change the reality of Arab or Islam, Orientalism merely provides uninteresting superficial description about Arab-Islamic civilization (Said, 1994). The 9/11 attacks created a new world characterized by violence and terrorism. Since then, the age is considered to be a terroristic age

Image of Islam in U.S. Media after 9/11: A Survey of American and International Students

Baker H. Alkarimeh* Mohammad K. Mahroum**

Received Date: 13/7/2016

Accepted Date: 21/8/2016

Abstract

The purpose of the study is to survey American and international students to identify their attitudes towards the image of Islam after 9/11 attacks in various U.S. media (TV, radio, newspaper, magazine and electronic).

The study used the survey method and the population of the study included 100 American and international students at Arkansas State University. This study used five research questions that contained 61 variables in addition to demographic variables: gender, age, religion and education. Through analyzing 100 surveys, the study found that the majority of respondents believed that the U.S. media have produced the term of terrorism and they portrayed Islam as a terrorist religion. The results also indicated that the participants believed that the U.S. media portrayed Islamic nations as terrorist groups. However, the international students believed more than American students that 9/11 attacks were the worst because such attacks were associated with religion and they paved the way for increasing violence in the world.

Keywords: Image; Islam; U.S. media; terrorism.

Introduction

September 11, 2001 was a starting point to many changes in the world. After this tragic day, the United States (U.S.) started its war against terrorism that is related to Islam. This catastrophic war became the headlines in newspapers and on television screens everywhere in the world. The Islamic world has also become a center of attention by journalists and nations around the world. Fabulous images are created and mixed with real life, and media used them effectively to mobilize public opinion for building futuristic plans and interests (Merazy, 2005). Terrorism's images of Islam and the description of the American wars as the Crusades in the U.S. media recall the role of history, myth

© Copyright 2017 by The Society of Arab Universities Faculties of Arts, All rights reserved

* University of Toulon, France.

* Yarmouk University, Irbid, Jordan.

Subscription Form	<p>Association of Arab Universities Journal for Arts</p> <p>A Biannual Refereed Academic Journal Published at Yarmouk University, Irbid, Jordan by the Society of Arab Universities Faculties of Arts, Members of AARU.</p>	<p>مجلة اتحاد الجامعات العربية للأداب مجلة علمية نصف سنوية محكمة تصدر في جامعة اليرموك، إربد، الأردن، عن جمعية كليات الآداب في الجامعات أعضاء اتحاد الجامعات العربية.</p>
<p>Name:</p> <p>Address:</p> <p>P.O. Box:</p> <p>City & Postal Code:</p> <p>Country:</p> <p>Phone:</p> <p>Fax:</p> <p>E-mail:</p> <p>No. of Copies:</p> <p>Payment:</p> <p>Signature:</p> <p>تفضل الشيكات المصرفية مدفوعة لصالح "جمعية كليات الآداب كلية الآداب جامعة اليرموك، إربد، الأردن".</p>	<p>الاسم:</p> <p>العنوان:</p> <p>ص.ب:</p> <p>المدينة والرمز البريدي:</p> <p>الدولة:</p> <p>هاتف:</p> <p>فاكس:</p> <p>البريد الإلكتروني:</p> <p>عدد النسخ:</p> <p>طريقة الدفع:</p> <p>التوقيع:</p> <p>البريد الإلكتروني:</p> <p>البريد الإلكتروني: artsarabuni@gmail.com</p> <p>البريد الإلكتروني: artsarabuni@yu.edu.jo</p>	<p>I would like to subscribe to the Journal For <input type="checkbox"/> One Year <input type="checkbox"/> Two Years <input type="checkbox"/> Three Years</p> <p>أريد الاشتراك بالمجلة لعدة <input type="checkbox"/> سنة واحدة <input type="checkbox"/> سنتين <input type="checkbox"/> ثلاث سنوات</p> <p>سعر النسخة الواحدة (إصدار إربد) One Issue Price</p> <p>سعر البيع العادي 4 دنانير Standard Price JD 4 سعر البيع لطلبة 2,000 دينار Students JD 2,000 خصم 40% لتسليمات ومراكز البيع 40% Discount for Bookshops and Libraries</p> <p>سعر الاشتراك السنوي One Year Subscription Rates</p> <p>داخل الأردن Inside Jordan 10 دولارات أمريكية Outside Jordan JD 10 5 دولارات أمريكية US \$ 5 10 دولارات أمريكية US \$ 10 15 دولاراً أمريكياً US \$ 15</p>
<p>Subscriptions and Sales:</p>	<p>Correspondence</p> <p>Secretary General The Society of Arab Universities Faculties of Arts Editor – in -Chief Dean of the Faculty of Arts Yarmouk University, Irbid, Jordan. Tel. 00962 2 7211111 Ext. 3555 or 2900 Fax. 00962 2 7211137 Email: artsarabuni@gmail.com artsarabuni@yu.edu.jo</p>	<p>مراسلات البيع والاشتراكات:</p> <p>الأستاذ الدكتور أمين عام جمعية كليات الآداب رئيس تحرير "مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب" عميد كلية الآداب كلية الآداب - جامعة اليرموك، إربد، الأردن هاتف: 00962 2 7211111 فري. 3555-2900 فاكس: 00962 2 7211137 البريد الإلكتروني: artsarabuni@gmail.com البريد الإلكتروني: artsarabuni@yu.edu.jo</p>

Table of Contents

Article in English

*	Image of Islam in U.S. Media after 9/11: A Survey of American and International Students Baker H. Alkarimeh Mohammad K. Mahroum	905
*	The World Bank and International Monetary Fund as Mechanisms of Western Domination: Historical and Contemporary Analysis Mohamed Bani Salamah	923
*	Pickthall's Shortcomings in Translating Images of Qur'anic Symbolic Sounds Muhammad A. Al-Quran	945

Abstracts in English of Arabic Articles

*	The Significance of the Paradigm (TAFAl-ALA) in the Holy Quran Ibrahim Abu Ghalia	476
*	The Impact of Empirical Research on Sociological Theory Nadia I. Hyasat	509
*	Structural Deviation in Laimat Al-Arab for Al-Shanfaraa: A Stylistic Study Ahmad A. Althunebat and Raed W. Jaradat	532
*	The Image of Terrorism in Abdullah Thabit's: <i>The 20th Terrorist</i> Aisha Y. O. Hakami	565
*	The Intersection of Narration with Poetry in Mahmoud Darwish's Poetry Iftikhar M. Selim and Abdel Mohdy H. Aljarah	587
*	State of Beirut, the Northern Section (Tripoli and Latakia), a Historical Study of the Development of Agriculture in the Early Twentieth Century through Rafik Al-Tamimi Journey Ahmad Al-Jawarneh	619
*	Trends of the Palestinian Refugee Camps Community in Jordan towards Women's Work Rafiq A. Khirfan	664
*	The Uses of Yarmouk University Students for blogs and the Achieved Gratifications: "Survey Study" Hatem Alawaneh, Khalaf Tahat and Mahmoud abd-alghani	694
*	Administrative Status in Safed District during the Ottoman Era (AH 1333-1281 / 864-1914 AD) Alaa K. Saadah and Ekhlas K. Alatawi	725
*	Spatial Variation Analysis of the Human Development Index in the Governorates of Jordan for the Period of (2004-2015) Ebtisam Marey, Ahmad khawaldeh and Issa El-Shair	767
*	The Role of Public Relations in International Marketing of Tourism in Jordan – Exploratory Study: A Case Study of Petra Yousef Abu Eid	798
*	Arabic Transitive and Intransitive Verbs in the Use of Non-Arab Learners: A study of Errors Analysis Jamela Abu Mughnam	828
*	Manifestations of Poetics in ' Jada'il Al Sabr' By Eman Al Kraimeen Ibrahim M. Alyaseen	851
*	The Argumentation Strategies of Sībawayhi's Refutation against "Grammarians"; an Analytical Study Nasser El-din Abu khudair	876
*	Between Agony and Revolution: A Reading of Two Poems by Abd Al-Razzāg and Habib Al-Zuyūdī's Mohamed S. Al-Sauodi	900

14. Authors are responsible for financial expenses when deciding to withdraw the manuscript.
15. Authors amend their manuscripts according to the referees' suggestions within a month of being notified of the acceptance.
16. Submissions are compiled according to technical criteria set forth by the Editorial Board.
17. Published manuscripts reflect their authors' perspectives and are neither representative of Association of Arab Universities Journal for Arts nor the Editorial Board.
18. Works Cited:
 1. References in the texts are serially numbered between brackets.
 2. References in the works cited are in the following order:

The author's full name: reference, part, number, publisher, place of publication, year, page(s).

Example: Dayf, Shawqi: *The First Abbasid Period*, Dar al-Maarif, Egypt, 1966m p. 24.
 3. In case a periodical or a journal is used, the author's name is run first, and is followed by the periodical and/or journal title, volume, number, year, and page(s). Single pages take p., multiple pages take pp.

Example: Sa'aydan, Ahmad Saleem: "On Arabicization of Sciences".
Jordanian Arabic Language Academy Journal, Volume 1. No 2 July 1978, p. 101.
 4. Reference list entries should be alphabetized by the last name of the first author of each work, beginning with Arabic references and is followed by the foreign works.
19. Subscription Information:

Annual subscription rates in Jordan: Individuals (JD 5.00), institutions (JD 10.00)

Outside Jordan: Individuals (\$ 15), institutions (\$ 15.00)
20. Manuscripts are mailed to:

Secretary General

The Scientific Society of Arab Universities

Editor-in-Chief

Dean of the Faculty of Arts
Yarmouk University, Irbid, Jordan
Tel. 00962 2 7211111 Ext: 3555 or 2900
Fax.00962 2 7211137
Email: artsarabuni@gmail.com
Website: <http://artsarabuni.yu.edu.jo>

Association of Arab Universities Journal for Arts,

A Refereed, Biannual, Scholarly Journal,

Published by The Scientific Society of Arab Universities, Faculties of Arts

Terms and Conditions of Manuscript Submission:

1. Manuscripts are published in Arabic, English, and French. However, submission in other foreign languages is acceptable with the Editorial Board approval.
2. The Journal publishes manuscripts in the categories of review articles and reports on international conferences and refereed academic seminars.
3. Abstracts of no more than 150 words are submitted in both languages, Arabic and English, and followed by the key words in the manuscript.
4. All submitted manuscripts should be original, comprehensive, logically organized, and thoroughly investigated. The manuscript should be written in simple language and should also be precise.
5. Manuscripts should not have been previously accepted for publication or published somewhere else.
6. All submitted manuscripts are subject to peer review and editorial review.
7. When accepted for publication, submissions become a property of the journal and cannot be reclaimed without the journal's approval.
8. Authors cannot republish their academic works without a written approval from the Editorial Board. In addition, the journal should be notified of the republication .
9. The manuscript is to be sent to artsarabuni@gmail.com. The format of the submitted manuscript must be:
 - A. In a word processing format (i.e. MS Word).
 - B. Serially numbered.
 - C. Double-spaced throughout
 - D. Font: Ariel; Font Size: 14-point.
 - E. Margins: 2.5 cm. (1 inch).
10. A typical manuscript should not exceed 30 pages including figures, drawings, tables, and appendixes.
11. All authors of a manuscript should include their full names, academic status, and affiliation on the cover page of the manuscript.
12. The Journal preserves its right not to publish any submission and the journal's decisions are decisive.
13. If not accepted, submissions are not returned to their authors.

Prof . Shukri Al- Mabkhoat, Manuba University, Tunisia.
Prof . Izz Ad-dien Omar Musa, Naif Arab University for Security Sciences, Saudi Arabia.
Prof. Yousef Abdulla, Sana University, Yemen.
Prof. Fuoad Shihab, Bahrain University, Al-Bahrain.
Prof. Abd Al- Aziz Al- Mani, King Saud University, Saudi Arabia.
Prof . Eid Dahiyat- Jordan.
Prof. Mousa Jawad Al –Mousawi, Baghdad University, Iraq.
Prof. Adnan Al-Sayyed, President of Lebanon University, Lebanon.
Prof. Abdessalam al – Mseddi, Tunisia.
Prof. Salah Fadl, Ain Shams University, Egypt.
Prof. Gamal Shakra, Ain Shams University, Egypt.
Prof. Sa'ed Masluh, Kuwait University, Kuwait.
Prof. Omar Marrakchi, Morocco.
Prof. Nihad Al-Mousa, The Jordan University, Jordan.

Editorial Board

Editor-in-Chief:

Prof. Ziyad S. Al-Zu'bi, *Secretary General of The Scientific Society of Arab Universities
Faculties of Arts, Dean of the Faculty of Arts, Yarmouk University, Irbid, Jordan.*

Members:

Prof. Suzanne Pinckney Stetkevych, *Georgetown Univeristy, Washington, U.S.A.*

Prof. Tilman Seidensticker, *Faculty Deputy Dean, Faculty of Arts, University of Jena, Germany.*

Prof. Suaad AbdelWahab, *Dean of the Faculty of Arts, Kuwait University, Kuwait.*

Prof. Elian Al-Jaloudi, *Dean of the Faculty of Arts, Al Al-bayt University, Mafraq, Jordan.*

Prof. Mohammad Qudah, *Dean of the Faculty of Arts, the University of Jordan, Amman, Jordan.*

Prof. Mohammad Rabie, *Dean of the Faculty of Arts, Jerash Private University, Jerash, Jordan.*

Prof. Mohammad Al Anani, *Dean of the Faculty of Arts, Petra Private University, Amman, Jordan.*

Secretariat: Reema Qazaq and Nidaa Baniissa.

Editorial Secretary: Dr. Mohammad Al- Mazawdah

Language Editor: Dr. Khalid Q. Bani Domi

Editor of English Abstracts: Dr. Abdullah M. Dagamseh

Advisory Committee:

Prof. Barbara Michalak – Pikulska, The Jagiellonian University, Krakow, Poland.

Prof. Muhammad Khan, National Defence University, Islamabad, Pakistan.

Prof. Philippe Lane, University of Rouen, France.

Prof. Jinling Wang, University of New South Wales, Australia.

Prof. Olga Galatanu, Université de Nantes, France.

Prof. Maymona Khalifa Al-Subah, Kuwait University, Kuwait.

Prof. Iman Mustafawi, Qatar University, Qatar.

Prof. Fahmi Al- Ghazwi, Yarmouk University, Irbid, Jordan.

Prof. Wafa Berri, Lebanon University, Lebanon.

Prof. Mohammad Ahmed Ghonaym, Al-Mansura University, Egypt.

Prof. Abdulla Iqdeim, Sidi Mohammad University, Morocco.

© Copyright 2017 by The Scientific Society of Arab Universities Faculties of Arts
All rights reserved.

No part of this publication may be reproduced without the prior written
permission of the Editor-in-Chief.

Opinions expressed in this journal are solely those of their authors and do not
necessarily reflect the opinions of the Editorial Board or the policy of The Scientific
Society of Arab Universities Faculties of Arts

Typesetting and Layout
Majdi Al-Shannaq

ISSN 1818-9849



Association of Arab Universities



*The Scientific Society of Arab
Universities Faculties of Arts*

Association of Arab Universities
Journal for Arts
A Biannual Refereed Academic Journal

**Published by The Scientific Society of Arab Universities Faculties
of Arts at Universities Members of AAU**

Vol. 14

No. 2

Muharram 1439/ Oct. 2017